



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

دراسة موارد ابن حمدون في كتابه
التذكرة الحمدونية
(٤٩٥-٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٦م)

أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالب
كريم علي سعد

إشراف
أ.د: اكتمال اسماعيل

١٤٤١هـ/٢٠١٩م

كلما تعرّثُ في طريقي

صورتك المعلقة في القلبِ كمشكاة نور . .

تلهمني لأنهضَ من جديد

وصوتك يوقظُ في الأمل مع كل إشراقة

ويدك ما برحت تمسّد بجناز علي وجهي

أيها الحيُّ فنبض الذاكرة

أعلمُ أنك فخورٌ بي

أنبيك أبي . .

أنك ما زلتَ معي رفيقَ دربٍ إلى الأفق المرتجى

شكر وتقدير

لأمي التي تحيلُ العتمَ إلى نورٍ بإشراقِ محيّاها، وتبدّدُ غيمَ التعبِ إذا ما تكاثفَ في سماءِ عمري، فأستريح. يا وارفئةَ الدفءِ، مدّي يديكِ الحانيتين لأستمدّ منهما قوتي القادم.

لأختي ديمة وهي تُعدُّ مائدةَ الفرح، وتُسكبُ ماءَ الحبِّ في كؤوسِ العمرِ الجديد، لكِ يا شقيقةَ القلبِ كلَّ تباريحِ الشوقِ أداريها، كوني بفرحٍ دائم.

لأختي ماري وهي القريبةُ مني، واللصيقةُ بي كشغافِ القلبِ، كمّ تسعدني وهي تفرّدُ جناحي الأخوة، وتُفرغُ في جعبتي كلَّ الأمنياتِ الطيبة، والأدعيةِ لأصير كبيراً في عينيها.

لأخي ملهم وهو السندُ والأقربُ إليّ من حبلِ الوريد، والجدُّ الذي أتكى عليه، إذا ما ألمَّ بي وجعٌ، لكّ مني أن أبقي على عهدِ الأخوة، كن بخيرٍ أخي الكبير.

الدكتورة اكتمال إسماعيل لن أنسى توجيهاتكِ ويدكِ الحانية التي ما انفكت تصوّب سَيْرَ البحث ليصل إلى مبتغاه، وأنا ممتلئٌ باليقين والعرفان، أشكر سقياك الذي روى عطش السؤال في رحلتي المعرفية هذه، فصار القطافُ أنضج، والسلالُ امتلأت، وكلّي أملٌ أن أحظى بطعم النجاح المشتهى.

الدكتور حسام النايض أهديكِ باقاتٍ من وردِ الشكرِ والامتنان، لم تبخلِ بوقتٍ إلا وادخرته كرمي لي، فحيّاك الله، ودمت بوافرِ الصحة والعطاء أيها النبيل.

الدكتورة ناهد حسين إلى من مدّت يد العون والمساعدة، وأبدت كل عناية واهتمام خلال مشوار البحث، أتقدم بكل كلمات الشكر والامتنان والتقدير لكِ أيتها الوفية.

الأساتذة عطية مقداد ، نزار كحلة ، شادي أبو حلاوة ، أمين قداحة لكم آياتُ العرفان أقدمها، ومفرداتُ الشكر أرففها، لما لا وأنتم خيرٌ من رافقني في رحلتي البحثية، وتكبدتم معي عناءَ التدقيق اللغوي. وأنت يا خيرَ سندٍ طوبى لسطورٍ مرّت عليها يدك، وهنيئاً لكلّ صفحة ألبستها ثوب الجمال، صهري الراقي **مصطفى**.

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

صفحة	ص
جزء	ج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
توفي	ت
ميلادي	م
هجري	هـ
حصرت ضمنها الآيات القرآنية	﴿ ﴾
طبعة	ط
دون تاريخ	د ت
رقم الحديث	ر ح

المقاييس (المسافات والأطوال)

الميل	١,٦٨٠ كم
الفرسخ	٥ كم
المرحلة	٤٠ كم
اليوم	= ٨ فراسخ = ٤٠ كم

الصفحة	فهرس المحتويات
أ	الإهداء.....
ب	شكر وتقدير.....
ج	دلالة الرموز المستخدمة في البحث.....
د	جدول بالمسافات والأطوال
٩	الملخص
١٠	المقدمة
١٧	دراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث
الفصل الأول	
٩٧-٣٠	عصر المؤلف
٦٤-٣١	أولاً: الأوضاع السياسية في البلاد العربية الإسلامية (٤٩٥- ٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٢م)
٣٨	أ. السلاجقة والخلافة العباسية
٥٨	ب. بداية حملات الفرنجة
٦٠	ج. ظهور الأتابكة
٦٥	ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن حمدون
٦٧	ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية في عصر ابن حمدون
٩٧-٧٢	رابعاً: الحركة العلمية والفكرية في عصر ابن حمدون
٧٣	أ. دور الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة في تقدم الحركة العلمية في عصر ابن حمدون
٧٩	ب. حركة التأليف وخزائن الكتب والمراكز العلمية في عصر ابن حمدون
٨٣	ج. أهم المركز العلمية في عصر ابن حمدون
٨٨	د. الإنتاج العلمي والأدبي في عصر ابن حمدون
الفصل الثاني	
١١٠-٩٨	التعريف بالمؤلف ابن حمدون
٩٩	أولاً: مولده ونسبه وأسرته.....
١٠٣	ثانياً: حياته العلمية.....
١٠٦	ثالثاً: الوظائف التي تقلدها.....
١٠٨	رابعاً: وفاته.....

الفصل الثالث	
١٦٧-١١١	دراسة منهج ابن حمدون في كتاب التذكرة الحمدونية
١١٤	أولاً: الخطة العامة لكتاب التذكرة الحمدونية
١٥٨-١٣٦	ثانياً: منهج ابن حمدون في التذكرة.....
١٣٦	أ. منهج ابن حمدون في جمع مادته.....
١٤٦	ب. تعقيبات ابن حمدون وشروحه وملاحظاته.....
١٥٣	ج. منهج ابن حمدون في نقله عن المصادر.....
١٦٥-١٥٩	ثالثاً: أهمية التذكرة الحمدونية
١٥٩	أ. أهمية التذكرة في الكتب والموسوعات اللاحقة
١٦٢	ب. أهمية التذكرة في حفظ الروايات والأشعار المفقودة....
١٦٦	رابعاً: مخطوطات التذكرة في مكتبات العالم.....
الفصل الرابع	
٣٧٥-١٦٨	الموارد الادبية
٢٧٠-١٦٩	أولاً: كتب الأدب العامة.....
٢٧٧-٢٧١	ثانياً: كتب الأمالي
٢٨٠-٢٧٧	ثالثاً: كتب المقامات
٢٨٩-٢٨٠	رابعاً: كتب الأمثال
٣٧٦-٢٩١	خامساً: الكتب والدواوين الشعرية
٢٩١	أ. الكتب الشعرية
٢٩٨	ب. الدواوين الشعرية
الفصل الخامس	
٣٩٦-٣٧٧	الموارد التاريخية
٣٩٢-٣٧٩	أولاً: كتب التاريخ
٣٧٩	١. الزبير بن بكار
٣٨١	٢. ابن طيفور
٣٨٣	٣. مؤلف مجهول.....
٣٨٤	٤. الطبري.....
٣٨٧	٥. المسعودي.....
٣٩٠	٦. مسكويه.....
٣٩٦-٣٩٢	ثانياً: كتب السير والمغازي.....
٣٩٢	١. الواقدي
٣٩٤	٢. ابن هشام.....

الفصل السادس	
٤١٥-٣٩٨	كتب التراجم والطبقات والأنساب
٤٠٩-٣٩٩	أولاً: كتب التراجم والأنساب التاريخية
٣٩٩	١. ابن سعد.....
٤٠١	٢. البلاذري.....
٤٠٣	٣. وكيع.....
٤٠٤	٤. أبو نعيم الأصبهاني.....
٤٠٥	٥. ابن حزم
٤٠٧	٦. ابن عبد البر.....
٤٠٨	٧. الخطيب البغدادي.....
٤١٥-٤٠٩	ثانياً: كتب تراجم الشعراء
٤٠٩	١. ابن سلام
٤١٠	٢. ابن قتيبة الدينوري.....
٤١٢	٣. ابن المعتز.....
٤١٣	٤. الأمدى.....
٤١٤	٥. المرزباني.....
الفصل السابع	
٤٤١-٤١٦	الموارد الدينية
٤٢٥-٤١٩	أولاً: القرآن الكريم
٤٣٤-٤٢٧	ثانياً: كتب الحديث
٤٢٧	أ. كتب الصحاح.....
٤٣١	ب. كتب المسانيد.....
٤٣٢	ج. كتب السنن.....
٤٤١-٤٣٤	ثالثاً: كتب الفقه.....
الفصل الثامن	
٤٥٠-٤٤٣	الموارد الفلسفية
٤٤٤	١. حنين بن إسحق.....
٤٤٥	٢. أبو الحسن العامري.....
٤٤٧	٣. ابن هندو
٤٤٨	٤. مسكويه.....
٤٤٩	٥. المبشر بن فاتك

الفصل التاسع	
٤٧٤-٤٥٢	المشاهدات الشخصية
٤٧٧	الخاتمة
٤٨١	الملاحق
٤٩٥	قائمة المصادر والمراجع
٥٢٩	Abstract

ملخص

التذكرة الحمدونية، واحدة من أهم المصادر الموسوعية الشاملة في تاريخ العرب والإسلام، فهي تنتمي لأدب المحاضرات، الذي يُعنى بالأدب والعلم والتاريخ والدين والفقه والفلسفة وأغلب فنون الحياة، ولم تخرج التذكرة الحمدونية عن هذا السياق المهم، بل وتمتاز أيضاً بسعة علوم مؤلفها (كاتبها) وموضوعيته في الكتابة، خاصة وأنه عاش في حقبة زمنية مفصلية في التاريخ، عاصر فيها سيطرة السلاجقة على الخلافة والخلفاء العباسيين وعلى مُقَدَّرات الدولة، في عصرٍ بدأت فيه حملات الفرنجة على البلاد العربية الإسلامية، واضطرب الأمن في المجتمع، وفي بعض الأحيان سيطرت جواري القصور على القرارات المهمة الصادرة عن أعلى المستويات.

ففي هذا العصر الغني بالأحداث، والمتقدّم على مستوى العلوم والمدارس وانتشار خزائن الكتب، عاش أبو المعالي صاحب التذكرة، وتسلّم أعلى المناصب، واطلع على خفايا الدولة، والمؤامرات التي تُحاك ضدها، وقرأ كتب التاريخ والأدب والشعر والفقه والتفسير... إلخ، إضافة إلى ما استمع إليه من روايات شفوية ومشاهدات شخصية، هذا إذا ما أُضيف إليه مَقَدِّراته الذاتية، التي جعلت منه الشخص الأمثل لتدوين هذه التذكرة، بما حملت من مختلف العلوم والآداب والتاريخ (السياسي والاجتماعي والاقتصادي) والمعارف السابقة، فجاءت موسوعة علمية شاملة ممتعة.

وقد وصلت التذكرة شبه كاملة، باستثناء البابين الأخيرين، فكانت في ثمانية وأربعين باباً، شملت كافة العلوم والمعارف، وساهمت في تثبيت وتدوين الكثير من الروايات والأشعار التي غفلت عنها المصادر الأخرى، فكانت التذكرة إضافة إلى متعة قراءتها خير رافدٍ للمصادر التاريخية والأدبية الأخرى، ويستطيع قارئها تكوين ذخيرة ثقافية كبيرة، تجعله مرجعاً في مختلف العلوم، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، فهو يسلط الضوء عليها، ويبين المصادر والموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون، ومنهج في الكتابة، خاصة في نقل الروايات على مختلف مستوياتها.

المقدمة

التاريخ هو فرعٌ من المعرفة الإنسانية، يستهدف جَمْع المعلومات عن الماضي وتَحْقِيقها، وتسجيلها وتفسيرها، ويسجِّل أحداثَ الماضي في تسلسلها وتعاقبها تارةً، وتزامنها تارةً أخرى، ويفسِّر التطوُّر الذي طرأ على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة، ويبين كيفية حدوثه ومسبباته، والفائدة التي يمكن أن تستمد من معرفة حقائق الماضي، ومقارنة الحوادث المتشابهة، والوصول إلى مخرجات جديدة و فهم جديد.

ولم ينسَ المؤرخون ذكر قيمة التاريخ والحضّ على معرفة ما فيه والدرّ الذي يحويه وفهم معانيه، وهذه شهادة من أهم أولئك المؤرخين حين أوحى قلمه: "لولا التاريخ لجَهَلت الأنساب، ونُسيت الأحساب ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب، وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها، وعمي على الأواخر حال قدمائها، ولم يحط علماً بما تداولته الأرض من حوادث سمائها"، هذه المقولة خطتها دواة ابن الأثير كاشفةً عن أهمية التاريخ كذاكرة حيّة للإنسانية جمعاء، طالبةً ممن يبتغي زهوة الحاضر أن يفهم ويستلهم قيم الأولين.

وللتاريخ دورٌ لا يقلُّ أهميةً عن تسجيل الأحداث التاريخية، من خلال ارتباطه وتداخله مع العلوم الإنسانية الأخرى (الفلسفة، الفقه، الآداب... إلخ)، هذه العلاقة هي العروة الوثقى باللغة العربية البليغة وعلومها، وبالأخص عند تدوين الحراك الثقافي الأدبي في الماضي، فكانت الكتب المتناثرة هنا وهناك تحظى بالتنوع الكبير، ما بين حوليات وسير وتراجم وموسوعات فلسفية دينية فقهية علمية وأدبية، سواء في الشعر أم في النثر أم في البلاغة ... إلخ، فهي ما زالت كنوزاً عامرةً بالمعرفة والفائدة، مليئةً بالتجارب الإنسانية المختلفة.

إلا أنَّ هناك صعوبات جمة يواجهها بعض الباحثين في العثور على مخطوطات ومصادر في المكتبة العربية تعود لمراحل تاريخية معينة، لذلك كان البحث في المصادر ذات البعد الموسوعي، والتي تتسم بتنوع العلوم والمعارف والصدق والأمانة في النقل، غاية قد لا يتم إدراكها بسهولة ويسر.

لكن الهدف الأسمى، والإرادة الحقيقية، والتوجيه الهادف من أساتذتي الأفاضل، وضع الدراسة على السكة الصحيحة، وساعد في العثور على موسوعات على درجة كبيرة من الأهمية، لما تحتويه من سعة معرفية، وبعد تاريخي حضاري، يستحق البحث والعناية، وخير مثال على ذلك ما يسمى - اصطلاحاً - بأدب المحاضرات، على تنوع أشكاله، وتعدُّد أساليبه، والتي يأتي في مقدمتها صنف أُطلق عليه التذكِّرات، حيث تعدُّ التذكرة الحمدونية من أهم ما أُلِّف في هذا المجال، وهي موضوع الدراسة.

وتتعلق كتابة أيِّ صنفٍ من صنوف الأدب والتاريخ بالبيئة التي عاش فيها مؤلِّفها، فقد كان للعصر الذي أخرجت فيه التذكرة الحمدونية الأثر البارز في وسم معالم هذه التذكرة ووسم مؤلِّفها.

وهنا لابد للدراسة أن تفتح إحدى بوابات التاريخ على مرحلة مهمة عاصر ابن حمدون فتحها، وساهم في كتابة أسطرها، والتي أطلقت أشعة البحث والتقصي على عصر سيطرة السلاجقة، الذي بدأ بدخولهم بغداد ٤٤٧هـ/١٠٥٥م بقيادة طغرل بك مُشكلاً بدايةً لحقبةٍ جديدةٍ في تاريخ العرب والإسلام، شهدت خلالها البلاد العربية والإسلامية عموماً، والعراق خصوصاً اضطراباتٍ كثيرةٍ وحروباً كانت تُضرم نارها بين الفينة والأخرى.

فما أن توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١١٩٢م حتى دخل السلاجقة طوراً جديداً من الضعف والتراجع، كان فيه اختيار الشخص الذي يجلس على عرش السلطنة السلجوقية المشكلة الأولى، التي مزقت وحدتهم وأشعلت الفتن والحروب الداخلية فيما بينهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، دخل السلاجقة في حروبٍ داميةٍ مع الخلفاء العباسيين، تكسرت فيها أسنة الرماح، واصطُرعت خلالها أعمدة السيوف، فانتَهت بالخليفة العباسي المسترشد مقتولاً، وابنه الراشد مخلوعاً، ورافق ذلك اضطرابات داخلية مزقت وحدة المجتمع العراقي، حيث انفلت حبل الأمن ونشطت حركة العيارين، الذين ساهموا، وإن بشكل غير مباشر، في إضعاف الخلافة العباسية، فضلاً عن الحالة الاقتصادية والمعيشية المتردية.

والمراقب لهذه الأوضاع يُخيل إليه للوهلة الأولى بأن الحركة العلمية قد أصابها الجمود، لكن على العكس تماماً، فعلى الرغم من اعتبار السلاطين السلاجقة من أصول وقبائل بدوية جفاة، وغير مثقفين، إلا أنه ومع مرور الزمن، ونتيجة اختلاطهم بمكونات المجتمع العراقي المُغرق بالحضارة، ظهرت عليهم بعض علامات التمدن، التي تجلّت، وبعد مضي السنين، بتشجيعهم للعلم والعلماء بما يخدم مصالحهم، واستمراريتهم، فاندمجوا بالمجتمع، وحالوا الظهور على أنهم بناء حضارة، وإن كان التاريخ قد كتب عنهم ذلك، إلا أنه لا يعدو كونه، حضارة مُستقاة من أبناء المنطقة الأصليين.

ولم يكن الاحتفاء بالعلماء والكتّاب حكراً على سلاطين السلاجقة فقط، بل كان هذا من عادة الخلفاء العباسيين منذ قيام خلافتهم، فكانت قصورهم دار هجرة لأهل العلم، حيث عقدوا فيها مجالسهم ومناظراتهم، مما ساهم بتقديم الحركة العلمية ودفعها إلى الأمام، فقد ظهرت إبان هذه الحقبة المدارس النظامية، والتي مارست التأثير الكبير، على الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية، حيث شكّلت برنامجاً واضحاً، اعتمد عليه الحكّام السلاجقة، فهي لا تعدو كونها مدارس دينية، لم تهتم بالعلوم البحتة (الطب، الفلسفة، الرياضيات ... إلخ) بل كانت فقط مدارس لتدريس علوم الدين على اختلاف أنواعه (فقه، حديث، أحكام، تشريع إلخ)، لكن هذا لم يبعدها عن اعتبارها مدارس مؤثرة في الحراك الثقافي، وانتشرت خزائن الكتب والمراكز العلمية، كما نشطت حركة التأليف في مختلف صنوف العلوم، ابتداءً من الفقه والتفسير والحديث مروراً بالتدوين والتأريخ، وليس انتهاءً بعلوم اللغة العربية والأدب، مما مهّد المناخ الطبيعي لولادة التذكرة الحمدونية تنويجاً زاهياً لهذه المرحلة.

ولد العلامة أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي في شهر رجب سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، وترعرع في بيت عُرف بالفضل والرياسة والرواية، فأبوه المكنى أبي سعد، كان من شيوخ الكتّاب، وأخوه محمد أبو نصر الملقب بغرس الدولة، كان كاتباً في ديوان الخلافة العباسية من سنة ٥١٣-٥٤٥هـ/١١١٩-١١٥٠م، أما أخاه الثالث أبو المظفر نصر، فقد عمل أيضاً في خدمة الخلافة العباسية.

عُرف ابن حمدون بالفصاحة والمعرفة التامة بالأدب والكتابة والبلاغة، وقد وصفه المؤرخون بأنه كريم الأخلاق، جميل العشرة، حسن السيرة، وقد عبّر عن ذلك العماد الأصفهاني، بقوله: "كُلَّف باقتناء الحمد، وابتناء المجد، وفيه فضلٌ ونبل، وله على أهل الأدب ظلٌّ .." وقد وُلّي ابن حمدون مناصب عليا في خدمة الخلافة العباسية، فولّاه الخليفة المقتفي لأمر الله وظيفة عارض الجيش، كما ولّاه الخليفة المستجد بالله وظيفة ديوان الزمام ٥٥٨هـ/١١٦٢م.

وأما (التذاكر)، فيبدو أنها استقت اسمها من التذكُّر والذاكرة، وهي الحفظ للشيء وهو نقيض النسيان، ويُقال: ذكر الأمر ذِكْراً، وتذكّراً: استحضره في ذهنه بعد نسيان، ومن هنا تأتي أهمية التذكرة الحمدونية، لأنها - وبكل ما قدمته من معارف متنوعة وعلوم - تشكّل مصدراً ثرياً لذاكرة القارئ، فهي هنا تخدم فعل التأريخ، وذكر ما جرى في السابق من أحداث وأفعال وروايات ونوادير وأشعار ومشاهدات ... إلخ، وربما كان الفضل الأكبر لهذه التذكرة قيامها بتدوين ما لم يدونه أحد من قبل، كما أنها تُعدُّ واحدة من المصادر التي عزّ نظيرها، بما جمعتها من مختلف العلوم والأخبار، ما بين روايات وترجمات وفقه ودين ومشاهدات وعبر وأدب، والأهم مرويات تاريخية لم تحظ - ولو بأسطر قليلة - بالذكر في المصادر الأخرى، فالتذكرة - هنا - تعدُّ من أهم المكملات التاريخية بما ضمّته بين سطورها.

ويبدو أن التذكرة الحمدونية - على علو شأنها - لم تحظَ بالدراسة والمعالجة الوافية، خاصة فيما يتعلق بدراسة مواردها ومنهجية مؤلفها وتبويبها، بحيث تُقدّم للقارئ وجبة مفيدة، عدا عن بعض الدراسات السابقة التي تناولتها من جوانب محدودة، كدراساتها من الناحية الأدبية واللغوية والنحوية فقط.

تكتسب دراسة التذكرة الحمدونية أهميتها، من خلال اتباع منهج لتقصي موارد مؤلفها ومنهج التاريخي، ومدى ذاتيته وموضوعيته في الكتابة، بالإضافة إلى ذكر أسباب تدوينها، وكيف نثرت دررها، والحقبة التي دُوّنت فيها، و تأثيرها على المؤلف، وبالتالي على خروج التذكرة، كخير شاهد على ما توصّلت له علوم التدوين بأشكالها كافة في ذلك العصر.

وتعدُّ التذكرة الحمدونية من أنفس المجامع الأدبية والتاريخية والعلمية التي كنزتها المكتبة العربية الإسلامية، لما حوته من معارف أدبية وتاريخية وشتى فروع العلم، إذ يجد القارئ: الموعظة،

والنادرة، والفائدة الأدبية، والرواية التاريخية، وكل ما يبحث عنه، وقد لخص ابن حمدون ذلك بقوله: "هذا كتاب جمعته من نتائج الأفكار، وطُرف الأخبار والآثار، نظمت فيه فريد النثر ودرره، وضممتها مختار الشعر ومحبره، وأودعته غرر البلاغة وعيونها، وأبكار القرائح وعونها، وبدائع الحكم وفنونها، وغرائب الأحاديث وشجونها".

قسم ابن حمدون تذكّره إلى خمسين باباً، مبتدئاً بالباب الأول الموسوم بـ "في المواعظ والآداب الدينية وسير السلف الأول والصالحين" فيما ختمها بالباب الخمسين الموسوم بـ "في الأدعية".

ويتوجّه من الأستاذة الأفاضل في قسم التاريخ للاهتمام بالتراث العربي الإسلامي ولإخراج مكنونات المكتبة العربية الإسلامية بما تحتويه من كتب نفيسة، فقد تمّ العمل على دراسة موارد ابن حمدون في كتابه التذكرة الحمدونية، الذي قُسم إلى تسعة فصول.

جاءت دراسة فصول هذه التذكرة لتبين الأوضاع السياسية في البلاد العربية والإسلامية في حقبة المؤلف (٤٩٥ هـ - ٥٦٢ / ١١٠١ - ١١٦٢م)، متناولة دخول السلاجقة إلى بغداد وما رافقه من متغيرات ديموغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية، إضافة إلى أهم الأحداث المعاصرة، كبداية حملات الفرنجة وظهور الأتابكة، مُعرجاً على حركة التأليف وبناء المدارس وخزائن الكتب، وما واكبها من علوم أخرى في هذه الحقبة، فكل هذا دونته الدراسة في **الفصل الأول**، فيما ذهب **الفصل الثاني** لمعالجة التعريف بعصر المؤلف، مولده، نسبه، أسرته، حياته العلمية ونتاجه العلمي، والوظائف التي تقلدها، والتي كان لها الأثر الأكبر على عمق مشاهداته ومدى صدقها، حتى وفاته؛ وقد سلّط **الفصل الثالث** الضوء على الجانب العلمي لشخصية ابن حمدون، العالم والأديب والمؤرخ، من خلال دراسة خطته ومنهجه المتبع في التذكرة، وقد أخذت الدراسة بعين الاعتبار جمعه لمادته وتعقيباته وشروحاته وملاحظاته، إضافة إلى أسلوبه في نقله عن المصادر التي توفرت له أو سمع عنها، وبالطبع لم تغفل الدراسة في هذا الفصل تبيان أهمية التذكرة في الكتب والموسوعات اللاحقة، إضافة إلى دورها في حفظ الروايات والأشعار المفقودة، كما تمّ التنويه إلى أماكن وجود مخطوطات التذكرة في العالم، وكان من الطبيعي أن يلحظ **الفصل الرابع** وبكل أهمية، مواضيع الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون، ككتب الأدب العامة وكتب الأمالي والمقامات والأمثال، إضافة إلى كتب الشعر والدواوين الشعرية؛ وكسّر **الفصل الخامس** النظر في الموارد التاريخية كمصادر للتذكرة، مثل كتب التاريخ لـ (الزبير بن بكار، ابن طيفور، الطبري ... إلخ)، وكتب السير والمغازي (الواقدي، ابن هشام)، ويتابع **الفصل السادس** معالجة موارد ابن حمدون من كتب التراجم والأنساب التاريخية (كالطبقات لابن سعد، وأنساب الأشراف للبلاذري، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ... إلخ)، إضافة إلى كتب تراجم الشعراء (طبقات الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، وطبقات الشعراء لابن المعتز ... إلخ). وتعرّج الدراسة على الموارد الدينية، ولأهميتها خُصّص لها **الفصل السابع** من خلال التركيز

على القرآن الكريم كمورد هام بآياته المُنْتَقاء من قِبَلِ المؤلّف والتي تخدم تذكرته كشواهد على مروياته وتثبيتها قرآنياً، إضافة إلى كتب الحديث ككتب (الصحيح، المسند، السنن) باستشهاده بعشرات الأحاديث النبوية الشريفة، وهنا تأتي موارد ابن حمدون الفلسفية في **الفصل الثامن** لتزيد في موسوعية التذكرة وجعلها شَيْقَةً للقراءة والمتابعة بما حوت من جميل الكلام، وعمق الروايات، وحكمة المؤلّف في انتقائها، خاصة ما جاء في موارد لِـ (حنين بن اسحق، أبو الحسن العامري، ابن هندو، مسكويه ... إلخ)، وتفرّد **الفصل التاسع** في تناول مشاهدات ابن حمدون الشخصية، التي جاءت خير ممثل للتذكرة باعتبارها مصدراً تاريخياً أولياً، لأن ابن حمدون شاهد بأَم عينيه وعاصر ما دَوَّنه من روايات تعدّت الأربعين، وعلى أهميتها تعدُّ قليلة قياساً إلى حجم التذكرة الكبير، ولكن النقص الأهم والمُحزن في التذكرة، غياب الصفحات التي خصصها ابن حمدون للتاريخ، والتي فُقدت من التذكرة في مخطوطاتها، ولكن هذا لم ينتقص من قيمة التذكرة لما حوته من كنوز المعرفة.

وانتهت الدراسة **بخاتمة**، تناولت خلاصة البحث ونتائجه.

في ظلّ الإقبال الكبير على دراسة التاريخ العربي الإسلامي بمختلف عصوره، والمنجزات الحضارية لكل حقبة زمنية، والدخول في أدق التفاصيل، وغنى المكتبة العربية الإسلامية بهذا الفيض الكبير من هذه الدراسات، ومع النقص الحاد في دراسة الكتب ذات الطابع الموسوعي، خاصة الأدبية منها (أدب المحاضرات)، ومع غنى هذا الصنف من المصادر بالمرويات التاريخية وغير التاريخية، والتي يمكن أن تُشكّل رافداً ثرياً للمكتبة العربية الإسلامية، لا بد من القول: أنه يمكن الاعتناء بفوائد أخرى، أقلها، معرفة الموارد التي اعتمد عليها صاحب التذكرة، وكيفية التعامل معها، بما حوته من كنوز معرفية، ولا يغيب عن الذهن أن دراسة موارد التذكرة دراسةً علمية منهجية، والاطلاع على منهج مؤلّفها، وتبيان أهمية التجارب الشخصية، والروايات الشفوية التي رواها ونقلها ابن حمدون، ومعرفة الأوضاع التي كانت سائدة في عصره، إضافة إلى غنى التذكرة بما لم يدوّنه غيرها من المصادر، هي غاية تستحق البحث، وتبقى الرغبة والشغف هي الغاية المثلى في إخراج مكنونات وكنوز المكتبة العربية الإسلامية، خاصة المصادر الموسوعية ذات البعد المعرفي الثقافي، ودراستها دراسة تاريخية علمية أدبية نقدية، قد تقضي إلى نتائج أكثر من المتوقعة، إضافة إلى الرغبة الجامحة في الاطلاع على المهارات والأساليب المُتعبة في توثيق أحداث الماضي في ذلك العصر، وتبقى المسؤولية الملقاة على هذه الدراسة ونتائجها في خدمة المكتبة العربية الإسلامية ورفدها ببحث يظهر كنوزها وعظمتها.

إن قراءة التذكرة الحمدونية كواحدة من المصادر المهمة، ومنذ الوهلة الأولى، تضع أمام الدراسة إشكاليات عدة، يمكن رسم معالمها بعدد من النقاط، لا بدّ من الوقوف عندها، وإثارة العديد من التساؤلات حول منهج ابن حمدون في نقل رواياته، والغاية المرجوة من ذلك النقل، والفائدة منه، وهل كان ابن حمدون وفياً وموضوعياً في نقله، أم أن نوازهه الشخصية (المذهبية، السياسية ... إلخ) قد

ظهرت في النقل؟ وهل نقل رواياته بشكل حرفي أم بتصرف؟، ثم هل ذكر كل الموارد التي اعتمد عليها أم اكتفى بذكر بعضها؟، وهل ظهرت قدراته العلمية والفكرية والتأريخية بحيث أضاف لعلوم عصره والعصور اللاحقة معارف جديدة؟، أم كان مجرد ناقل ليس إلا، وكيف كان لوجوده في قصر الخلافة، مع تعدد مناصبه الكبيرة، أثر واضح في اختيار رواياته؟، وهل شكّلت تذكرة ابن حمدون علامة فارقة في أدب المحاضرات، بما حوته من علوم موسوعية ومشاهدات شخصية ومنهج في البحث، كانت المدماك الأساس الذي سبّني عليه من سيأتي بعده تذكراتهم وآدابهم؟، أم أنها كانت تذكرة عابرة ليس إلا، ويبقى التساؤل الأبرز في هذه الدراسة، هل كانت أهواء ابن حمدون - في تذكّره - مُتماشية مع روح العصر، من حيث تمثلها للتيارات الفكرية والدينية المتنوعة، سيما وأنه عاش في حقبة مليئة بالاضطرابات والصراعات، سواء السياسية أم الفكرية أم المذهبية؟.

لقد كان المنهج المتبع في دراسة موارد التذكرة وصفيّاً واستقرائياً تحليلياً نقدياً، ففي الخطوة الأولى تمّ جمع الكتب التي سبقت التذكرة الحمدونية والتي تنتمي إلى الصنف نفسه أدب المحاضرات مثل: (العقد الفريد، وعيون الأخبار... إلخ)، حيث سبقت هذه الموارد التذكرة، وبذلك كان من الطبيعي أن تشكل أحد أعمدتها الرئيسة، ومن جهة أخرى، كان لعناوين بعض أبواب التذكرة فائدة جليّة تمثلت في الاهتمام لمعرفة بعض مواردها، فعلى سبيل المثال، في الباب السابع والعشرين الموسوم بما "جاء في الأوصاف والنوع"، تمّ الاستدلال على كتاب "التشبيهات" لابن أبي عون كمورد محتمل لابن حمدون وقد ثبت ذلك، وكمثال آخر، تمّ الوصول لكتاب "الفرج بعد الشدة" للتوخي كمصدر رئيس للباب السابع والثلاثين الموسوم بما "جاء في اليسر بعد العسر"، وعلى غرار ذلك تمّ العثور على أغلب الموارد المرادة، وذكر لمحّة مختصرة عن كل مورد مع تناول حياة مؤلفه، إضافة إلى تبيان عدد الروايات التي اقتبسها ابن حمدون منه، وتوضيحها من خلال أمثلة من التذكرة الحمدونية، وجدير بالذكر أن المنهج المتبع في دراسة الموارد فرض نفسه بتكرار بعض الكلمات (على سبيل المثال، مثلاً، قال ابن حمدون) أثناء استعراض الأمثلة.

وقد رافق الدراسة صعوبات عديدة تمثلت في: قلّة المصادر التي تناولت حياة ابن حمدون، حيث لم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن تعليمه في الصبا والفتوة، ولا عن شيوخه، بل اقتصر ذكره بعدة أسطر فقط، دونها الأصفهاني في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) ونقلت عنه سائر المصادر الأخرى؛ ومن الصعوبات التي واجهت الدراسة أيضاً فقدان الباب المخصص للتاريخ من القطعة المخطوطة، مما جعل معرفة منهج ابن حمدون التاريخي أمراً في غاية الصعوبة.

في النهاية، لا بدّ أن أطوّع اللغة وأسوق قافلة المفردات التي تليق بشكر أعضاء اللجنة الكريمة من أساتذتي الأجلاء، شكراً أيها السامقون بالعلم، والمتفردون بالمعرفة، لعطائكم أثر لن يمحي، وبصمة يحلو التمتع فيها.

ختاماً: إن دراسة الموارد عند ابن حمدون في تذكرته، شكّلت نقلةً نوعيةً في تعميق التجربة البحثية أكثر، هذه التجربة التي جمعت بين المتعة والدقة والمنهج والتوثيق، شدّت العزيمة، وفتحت أبواب النقد والسؤال أكثر قدر الإمكان، وفي خفقةٍ قلمٍ انداح منه الحبرُ يوماً سكب العماد الأصفهاني مقولاته التي عبّرت بأن الكمال لا يمكن أن يُنال أبداً لأنه لله وحده: " إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر".

وبسعادة تغمر القلب يمكن القول: أن هذا كله بفضل محبتكم ومتابعتم، وسأبقى وفياً لكم وتقبّلوا مني جميل الشكر وعظيم الامتنان.

دراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث

إن دراسة موضوع موارد ابن حمدون في كتابه التذكرة الحمدونية، تتطلب دراسة العصر الذي عاش فيه ابن حمدون لمعرفة جميع العوامل المؤثرة في التذكرة، وبالتالي العودة إلى الكثير من المصادر التي أرخت للحقبة السلجوقية، فضلاً عن بعض كتب التراجم وذلك بسبب ورود أسماء كثير من الشخصيات خلال الدراسة، وجدير بالذكر أن البحث لم يستعرض في هذه الدراسة الكثير من المصادر التي اعتمد عليها، كونها كانت ركناً أساسياً في الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته، وبالتالي ستتم دراسة أهم المصادر غير المدروسة والتي تم الأخذ منها، ومنها:

١. ابن القلانسي ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م

حمزة بن أسد بن علي بن محمد، المكنى أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي العميد، مؤرخ ثقة، من أهل دمشق، تولى رئاسة ديوانها مرتين، كما تسلم ديوان الحساب (الخراج) لحقبة من الزمن، جامعاً بينه وبين ديوان الإنشاء (الرسائل) وكان أديباً، له إنشاء جيد وشعر جزل وخط حسن، وعناية بالحديث، توفي في دمشق سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، قيل عنه: "وكان أديباً له خط حسن ونثر ونظم ... وصنف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى حين وفاته، وتولى رئاسة ديوان دمشق مرتين"^(١).

أما كتابه "تاريخ دمشق" وهو كتاب أرخ فيه ابن القلانسي لقرنين مهمين من تاريخ دمشق، هما القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حينما كانت الخلافة الفاطمية تحاول السيطرة عليها، وعلى الرغم من أن ابن القلانسي قد أوقف كتابه على مدينة دمشق لكنه يولي اهتمامه بقية أجزاء بلاد الشام، ثم بقية أجزاء العالم العربي الإسلامي، لأن المواد التي اعتمد عليها ابن القلانسي عن كل من الخلافتين الفاطمية والعباسية لها مكانة خاصة، إضافة إلى ذلك فقد قدم رواية ذات مكانة خاصة حول تأسيس دولة الموحدين في المغرب العربي.

وقد أفاد هذا المصدر الدراسة في إيراد الروايات التي تناولت السلاطين السلاجقة، وخاصة السلطان ألب أرسلان، إضافة إلى الروايات التي تحدثت عن تأسيس دولة سلاجقة بلاد الشام.

٢. ابن عساكر ت ٥٧١هـ/١١٧٦م

علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، المؤرخ الحافظ الرحالة، محدث الديار الشامية، ولد في بيت محب للعلم فأبوه كان محدثاً فقيهاً، وأخوه هبة الله من العلماء البارزين، قام

(١) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تح مجموعة من المحققين اشرف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م، ج ٢٠، ص ٣٨٨.

بالكثير من الرحلات طلباً للعلم والمعرفة، فزار العراق وخراسان ومكة والمدينة المنورة، ومن خلال هذه الرحلات، قابل ابن عساكر الكثير من العلماء والفقهاء الذين نهل منهم مختلف العلوم، فقد بلغ عدد الشيوخ الذين أخذ منهم ألف وستمائة وستاً وثلاثين شيخاً، وتوفي في دمشق سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م، من مصنفاته: "تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري" و"كشف المغطى في فضل الموطأ" و"تبيين الامتتان في الأمر بالاختتان" و"أربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة" و"تاريخ المزة" و"معجم الصحابة" و"ترتيب الصحابة الذين في مسند أحمد" حيث بلغ عدد مؤلفاته مئة وتسعة وثلاثون كتاباً.

أما مصنفه الشهير "تاريخ دمشق" فيعدُّ من أعظم ما ألف في تواريخ المدن، وجاء في سبعين جزءاً، وعلى الرغم من أن ابن عساكر قد اختص مدينة دمشق بكتابه، إلا أن القارئ يجد أنه تعداها في الكلام، فكتب لبلاد الشام قاطبة، حيث قدم تاريخاً حضارياً لهذه البلاد كلها، وقد خصَّ ابن عساكر الأجزاء الأولى من كتابه بذكر فضائل وفتوح الشام عامة، كما ذكر خطط دمشق، ومساجدها، وكنائسها، وأبوابها، ودورها، وأنهارها، ثم بدأ بالترجمة لكل من دخلها، وبذلك يعد هذا الكتاب من أوسع المصادر في تراجم الرجال.

وقد أمد هذا الكتاب الدراسة بأخبار الحملات السلجوقية- خلال عهد ألب أرسلان وملكشاه- على بلاد الشام، إضافة إلى ترجمة الكثير من مؤلفي الموارد الذين اعتمد عليهم ابن حمدون في كتابة تذكروته، فضلاً عن ترجمة الكثير من شعراء التذكرة الحمدونية.

٣. ابن الأنباري ت ٥٧٧هـ/١١٨١م

أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء، محمد بن عبيد الله الأنباري، الملقب بكمال الدين، النحوي الشهير، والعارف بعلوم العربية وأسرارها.

سكن بغداد، ودرس في المدرسة النظامية المشهورة حتى برع في فنون مختلفة، وقد أخذ الفقه عن كبار الفقهاء والعلماء، ودرس الأدب والنحو واللغة عن كبار الأدباء، ودرَّس في المدرسة النظامية النحو مدة من الزمن، ثم لزم منزله منقطعاً للعلم والعبادة، وقد قرأ عليه جماعة كثيرة وأخذوا عنه، واستفادوا منه، وكان ابن الأنباري مقيماً برباط بشري في بغداد، كان ورعاً، ناسكاً زاهداً، ترك حوالي مئة وثلاثين مصنفاً في اللغة والأصول والزهد، ومن مصنفاته: "الاختصار في الكلام على ألفاظ تدوير بين النظر" و"أخف الأوزان" و"أسرار العربية" و"بداية الهداية" الأضداد"

أما كتابه "زهة الألباء في طبقات الأدباء" فيعدُّ من أهم كتب تراجم الأدباء، حيث ضمَّه ابن الأنباري ذكر أعيان الأدباء ومعارفهم وأحوالهم وإزمانهم، ومن قاربهم في الفضل والإتقان، ويعد مصدراً مهماً في تاريخ من ترجم لهم من المتأخرين، وممن عاصروهم، كأبي منصور الجواليقي، وابن الشجري.

وقد اعتمدت الدراسة على هذا المصدر في ذكر الروايات التي تناولت الحركة العلمية والفكرية خلال عصر سيطرة السلاجقة، ومن نبغ من علماء العراق، إضافة إلى ذلك، فقد أُنْتُقِيَ منه البحث ترجمةً لعدد كبير من الأدباء والعلماء الذين جاء ذكرهم في التذكرة الحمدونية.

٤. عماد الدين الأصفهاني ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م

محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي، أبو عبد الله، المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني (أو الأصبهاني)، مؤرخ، عالم بالأدب، ولد بأصبهان، ونشأ بها، وقَدِمَ بغداد شاباً، وانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية، فتفقه بها ودرس على يد كبار علمائها، كما اشتهر بصناعة الكتابة، فبرع فيها ونبغ، واتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط، ولما توفي الوزير ابن هبيرة، انتقل الأصفهاني إلى دمشق، فاستخدمه السلطان نور الدين محمود الزنكي في ديوان الإنشاء، إضافة إلى التدريس في المدرسة النورية، وترقت منزلته عند نور الدين فأرسله رَسُولاً إِلَى بَغْدَاد أيام الخليفة العباسي المستجد بالله، ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين، فكان معه في مكانة (وكيل وزارة)، ولما توفي صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية، وتوفي بها بعد أن ترك الكثير من المصنفات، منها: "الفتح القسي في الفتح القدسي" و"ديوان شعر" و"خريدة القصر وجريدة العصر" وكتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" وغيرها.

اعتمدت الدراسة على اثنين من أهم مؤلفات الأصفهاني، الأول: كتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" وهو كتاب اختصره العلامة الفتح بن علي البنداري ت ٦٤٣هـ/١٢٤٦م من كتاب الأصفهاني الموسوم "نُصْرَةُ الْفَتْرةِ وَعُصْرَةُ الْقُطْرَةِ" حيث يعدُّ هذا الكتاب من أهم الكتب التي أرخت للدولة السلجوقية، فقد بدأ الأصفهاني كتابه بدخول السلطان السلجوقي، طُغْرُل، إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ويغطي الكتاب التورث الملكي المعقد للعائلة وأمرائها، بالإضافة إلى غيرهم من القادة المدنيين والعسكريين والوزراء وأصحاب السلطات الدينية وغيرهم من الأعيان، ويبحث الكتاب أيضاً أصل تسمية "السلاجقة" ودوافع نشأة الإمبراطورية السلجوقية.

وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة بالروايات التي تناولت قيام الدولة السلجوقية، فضلاً عن الروايات التي تحدثت عن الصراعات الداخلية، التي كانت تقوم بين السلاطين السلاجقة من جهة، ومع الخلفاء العباسيين من جهة أخرى.

أما الكتاب الثاني فهو "خريدة القصر وجريدة العصر" وهو كتاب ضخم جاء في واحد وعشرين مجلداً، ترجم فيه العماد الأصفهاني لشعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وشمل الأصفهاني في كتابه شعراء وأدباء البلاد العربية والإسلامية جميعهم، حيث قسم الكتاب إلى شعراء القسم العراقي، والشامي، واليميني، والحجازي، والمغربي، والأندلسي.

وقد شكّل هذا الكتاب مصدراً مهماً للدراسة، وخاصة فيما يتعلق بحياة ابن حمدون ونشأته، فشكّلت المعلومات التي قدمها الأصفهاني مورداً رئيساً لبقية المصادر التي أخذت عنه، حتى أنها لم تضيف أي معلومات أخرى على ما ذكره الأصفهاني.

٥. ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشركة الجوز) من محالها، كتب بخطه كثيراً من كتبه حتى وفاته، وكان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والوزراء وبعض الخلفاء، تتلمذ على يد كبار فقهاء عصره، وترك حوالي ثلاثمائة مصنف في علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والأدب، منها: "تلقيح فهوم أهل الآثر في عيون التاريخ والسير" و"الأذكى وأخبارهم" و"روح الأرواح" و"تلييس إبليس" و"فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"

أما كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" فيعدّ أول تاريخ جمع بين الحوادث والتراجم على النحو الذي أصبح متبعاً من بعده، اشتمل على (٣٣٧٠) ترجمة، منها (٨٤) امرأة، إضافة إلى سرد الأحداث المرتبة حسب السنوات، حيث تناول فيه التاريخ العام من بدء الخليقة حتى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨م، وتأتي أهمية هذا الكتاب من خلال احتوائه على مجموعة كبيرة من أسماء الكتب التي لم تصل إلى علم النديم، وتبرز أهمية المنتظم في بحث نظامي (الوزارة والقضاء) والتوسع في الكشف عن علاقة السلطة بالمجتمع، فضلاً عن ذلك، فقد قدم كتاب المنتظم معلومات جلية ونادرة حول الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، مثل المآكل والمشرب والمناسبات والألعاب الرياضية والمدارس والمكتبات وغيرها.

وقد أفاد هذا المصدر الدراسة بالروايات التي تناولت قيام الدولة السلجوقية، والاضطرابات الداخلية التي كانت سائدة آنذاك كحركة العياريين، فضلاً عن الروايات التي تحدثت حول المواجهة التي حصلت بين الخليفة العباسي المسترشد بالله والسلطين السلاجقة، إضافة إلى المعلومات التي حواها كتاب المنتظم حول المكتبات والحركة العلمية خلال عصر سيطرة السلاجقة.

٦. علي بن ناصر الحسيني ت بعد ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م

من أهم مؤرخي الدولة السلجوقية، وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تذكر معلومات حول هذا المؤرخ، إلا أن بعض الباحثين رجّحوا بأن ولادته كانت خلال العقد السادس أو السابع من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ومن خلال المعلومات التي ذكرها في كتابه زبدة التواريخ، يُلاحظ أنه قد أمضى حياته متقلاً، فتارةً يذكر الخليفة العباسي الناصر لدين الله في بغداد،

وتارة في خراسان، فأورد معلومات عنهما بغاية الدقة، وطوراً في خوارزم حيث يبدو أنه أمضى فيها رداً من الزمن.

أما كتابه "زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" فهو من أهم المصادر التاريخية التي أرخت للدولة السلجوقية، ويتناول الحسيني في كتابه السالف الذكر أخبار سلالة السلاجقة ودولتهم منذ بدايتهم إلى نهاية حكمهم، حيث يتطرق إلى سير وأعمال السلاطين والملوك والأمراء وكبار العمال والوزراء، وتبوءهم السلطة، وحروبهم، ودسائسهم، وعزلهم، وهو لا يتعرض إلا لماماً للتاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وينتهي الكتاب بذكر وفاة الأتابك أوزبك ونهاية حكم سلالة ايلدكز سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م.

وقد اعتمدت الدراسة على هذا المصدر من خلال الروايات المهمة التي قدمها حول بداية ظهور السلاجقة، والأحداث التي عاصرت كلاً من السلاطين ألب أرسلان وملكشاه وسنجر، فضلاً عن الحروب التي نشبت بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين.

٧. ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم. أسير من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعنته سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م فأبعده عنه، فاشتغل بالنسخ بالأجرة، وحصلت له بالمطالعة فوائد، عطف عليه مولاه بعد ذلك، فأعطاه شيئاً من المال، واستخدمه في تجارته التي استمر بها إلى أن توفي مولاه، فاستقل بعلمه، بعد ذلك بدأ ياقوت رحلته فانتقل إلى دمشق ولكنه لم يبق فيها طويلاً، حيث ارتحل بعدها إلى حلب، ومنها إلى الموصل ثم إربل، ثم انتهى به الأمر إلى مرو فمكث فيها وقتاً، ثم خرج قاصداً خوارزم، وصادف خروج التتر وهو بخوارزم سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، فعاد أدراجه إلى الموصل حيث كان في حالة يرثى لها.

بعد ذلك انتقل إلى سنجار وارتحل منها إلى حلب، وأقام فيها، إلى أن مات سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وترك الحموي العديد من المصنفات منها: "معجم البلدان" و"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" المعروف بمعجم الأدباء و"المشترك وضعاً والمفترق صقلاً" وغيرها.

اعتمدت الدراسة على اثنين من مؤلفات الحموي، الأول: كتاب "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" المعروف بمعجم الأدباء، حيث يعد هذا من أعظم كتب التراجم فقد حوى زهاء ثمانمائة ترجمة، موزعة على نحو ثلاثة وثلاثين طبقة، من نحويين ولغويين ونسابين وقراء وأخباريين ومؤرخين ووراقين وكتاب، وأصحاب رسائل مدونة، وأرباب خطوط منسوبة معينة، وكل من صنف في الأدب

تصنيفاً أو جمع في فنه تأليفاً، ولم يتوصل الباحثون إلى ما يزيح النقاب عن سبب ما لحق الكتاب مما أخرجه عن منهاجه، فمن قائل: إن يداً دست فيه صفحات من معجم الشعراء لياقوت نفسه، إذ ليس في شرط الكتاب أن يذكر الشعراء، فكيف تكون فيه ترجمة للبحثري، ولا تكون لأبي تمام، ومن قائل: إن لياقوت لم يتمكن من تببيض الكتاب، بل لم يتمكن من إتمامه، ولم يف بما وعد به في مقدمته من ذكر ألقاب الأدباء في آخر كل فصل، ومن قائل: إن الكتاب الذي بين أيدينا ما هو في الحقيقة إلا إحدى مختصرات معجم الأدباء، وإلا كيف يصح أن يهمل ذكر ابن المقفع والأصمعي.

وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة من خلال المعلومات التي قدمها حول الحسن بن محمد ابن صاحب التذكرة، إضافة إلى ذلك، فقد اعتمدت الدراسة على هذا الكتاب كمصدر مهم في تراجم الأدباء والشعراء الذين ورد ذكرهم في التذكرة الحمدونية.

أما الكتاب الثاني فهو "معجم البلدان" الذي يعد من أهم المصادر التاريخية والجغرافية، فهو لم يقتصر فقط على ذكر الأماكن والمناطق والبلدان، بل ذكر أيضاً، من ولد وعاش ونبغ فيها من العلماء والأدباء ورجال السلاح والقادة، يقول الحموي حول كتابه هذا بعد ما سرد طائفة من الكتب في هذا المجال: "جمعت ما شئتوه، وأضفت إليه ما أهملوه، ورتبته على حروف المعجم، ووضعت وضع أهل اللغة المحكم، وأبنت عن كل حرف من الاسم: هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور، وأزلت عنه عوارض الشبه ... ، ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربياً، ومعناه أن أحطت به علماً إن كان عجمياً، وفي أي إقليم هو وأي شيء طالعه، وما المستولي عليه من الكواكب، ومن بناه، وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه، وبماذا اختص من الخصائص، وما ذكر فيه من العجائب، وبعض من دفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابه والتابعين، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان، الشاهدة على صحة ضبطه والإقتان، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك، ومن كان أميره، وهل فتح صلحاً أو عنوة، لتعرف حكمه في الفياء والجزية، ومن ملكه في أيامنا هذه"^(١).

وقد اعتمدت الدراسة على هذا الكتاب كمصدر رئيسي من أجل تبيان جميع المواقع الجغرافية التي ورد ذكرها ضمن الدراسة من قرى ومناطق وبلدان وجزر وغير ذلك.

٨. ابن الأثير ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م

علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، العلامة عز الدين أبو الحسن بن الأثير أبي الكرم الشيباني الجزري، ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م رحل مع أبيه وأخويه إلى

^(١) الحموي (لياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ج ١،

الموصل فسمعوا بها واشتغلوا، وفيها درس ابن الأثير على يد كبار العلماء، وتجوّل في البلدان، كما درّس في حلب ودمشق، ومن ثم عاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها، وترك العديد من المصنفات منها "الكامل في التاريخ" و"أسد الغابة في معرفة الصحابة" و"تاريخ الدولة الأتابكية" و"تاريخ الموصل" الذي لم يتمه.

أما كتابه "الكامل في التاريخ" فهو من أهم المصادر التاريخية عند المؤرخين المسلمين لشموليته تاريخ العالم الإسلامي من أقصى بلاد الهند ونواحي الصين، شرقاً، حتى أقصى بلاد المغرب والأندلس غرباً، وكذلك تناوله لأخبار الروم والفرنج، وأخبار الكرج، والبلغار، والصقالبة، والأرمن، وغيرهم من الأمم، وتغطيته لحقبة طويلة من الحروب الصليبية، وهي المرحلة الحافلة بالأحداث الخطيرة، التي تعرضت فيها بلاد الشام ومصر لخطر الحملات والاحتلال، ومرحلة المقاومة والنضال، وتحرير الرّها وبيت المقدس، إذ كُتِبَ لمؤلفه أن يعاصر أُسرتين جاهد أفرادها ضد الصليبيين، هما الأسرة الزنكية، والأسرة الأيوبيّة، فهو من ناحية، عاش في كنف الزنكيين بحكم إقامته في الموصل قاعدة ملكهم، ومن ناحية أخرى، رافق السلطان صلاح الدين في بعض غزواته ضد الصليبيين.

وبعدُ كتاب الكامل في التاريخ من كتب التواريخ العامة المعروفة بالحوليات، التي اهتمت بعرض الوقائع والأحداث في مختلف بقاع الأرض - المعروفة آنذاك - وتسجيل الوفيات في نهاية كل سنة، مع التزام الاختصار، حيث أصبح هذا المنهج في تدوين التاريخ والتراجم هو المنهج التقليدي الذي اتبعه المؤرخون اللاحقون، أمثال أبي الفداء في "المختصر في أخبار البشر" وابن كثير في "البداية والنهاية" والذهبي في "تاريخ الإسلام".

وقد أمد هذا المصدر الدراسة بمعلومات مهمة حول الدويلات التركية التي نشأت مستقلة عن الخلافة العباسية، فضلاً عن الروايات التي تناولت ظهور السلاجقة، إضافة إلى ذلك، فقد كان هذا المصدر من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة في تراجم كثير من الأدباء والمؤرخين الذين اعتمد عليهم ابن حمدون عند تأليفه للتذكرة الحمدونية.

٩. القفطي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م

علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، أبو الحسن، جمال الدين، عُرف بالقاضي الأكرم، أحد الكتّاب المشهورين المبرزين، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً، ولد سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م بقط من الصّعيد الأعلى بالديار المصرية، وأقام بحلب وولي القضاء فيها أيام الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، كما اتخذهُ الملك العزيز بن الظاهر غازي، بعد أن تولى الملك، وزيراً له سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م وبرع في مختلف صنوف العلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل، وتوفي القفطي في حلب، ومن

تصانيفه: "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" و"إنباه الرواة على أنباه النحاة" و"الدر الثمين في أخبار المتيمين" وغيرها.

أما كتاب "إنباه الرواة على أنباه النحاة" فهو معجم شامل لتراجم علماء النحو واللغة، ممن تصدر لإفادتهما تصنيفاً وتديساً ورواية، من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي حتى عصر المؤلف في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وقد تضمن أيضاً تراجم كثيرة للقراء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمتصوفين والعروضيين والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين، كان لهم أدنى مشاركة في اللغة أو معرفة بالنحو، وبهذا اجتمع فيه قرابة ألف ترجمة من تراجم العلماء.

وذكر القفطي في مقدمة كتابه، أنه لم يختص هذا المعجم بعصر دون عصر، أو إقليم دون آخر، بل شمل كل من كان له شأن مذكور في أرض الحجاز واليمن والبحرين وعمان واليمامة والعراق وأرض فارس والجلال وخراسان وغزنة وما وراء النهر وأذربيجان وأرمينية والموصل وديار بكر وديار مصر والجزيرة والعواصم والشام والساحل ومصر وعملها وإفريقية ووسط المغرب وأقصاه وجزيرة الأندلس وجزيرة صقلية.

اعتمدت الدراسة على هذا الكتاب في ترجمة العديد من الأدباء والشعراء الذين ورد ذكرهم في التذكرة الحمدونية، مثل محمد بن يحيى الصولي وأبو الفرج الأصفهاني وابن رشيقي القيرواني وغيرهم.

١٠. ابن العديم ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م

الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة، ولد في مدينة حلب في ذي الحجة سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م ويقول الحموي: "وبيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب: أدباء شعراء فقهاء عباد زهاد قضاة، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر"^(١)، وعندما بلغ السابعة من عمره بدأ مشواره في العلم والدراسة، ونظراً لمنزلة والده، ولما تمتعت به أسرته من مكانة، نال ابن العديم حظه وافياً من معارف عصره الدينية والدنيوية، ومنذ أن بلغ ابن العديم سن الشباب أخذ يشارك في الحياة السياسية والعلمية لمدينة حلب، فقد كان يحضر مجلس الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين -صاحب حلب- فيكرمه ويقربه ويقبل عليه أكثر من إقباله على غيره على الرغم من صغر سنه، وفي ذي الحجة سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م ولي ابن العديم أول عمل رسمي، فقد ولي التدريس في مدرسة شاذبخت وكانت من أجل مدارس حلب وأرقاها، ثم ولي قضاء حلب، ومع مرور الأيام علت مكانته، فبدأ برحلته العلمية لبلاد الشام والجزيرة وآسية الصغرى، وإلى سلاطين القاهرة وخلفاء بغداد، وكانت خزائن كتب ووثائق كل بلد زارها تحت تصرفه، فنهل منها ما لم ينهله سواه، حيث كان

(١) الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم الأدباء، تح إسماعيل عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٥، ص ٢٠٦٨.

يلتقي بالعلماء وشيوخ العصر فيأخذ عنهم، فنبغ ابن العديم محدثاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً مجوداً، وتوفي في القاهرة بعد أن ترك العديد من المصنفات منها: "الدراري في ذكر الذراري" و"الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة" و"دفع التجري على أبي العلاء المعري" وغيرها من الكتب.

أما كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب" وهو من أجل المؤلفات التي ألفت في التاريخ والتراجم، وعلى الرغم من أن ابن العديم قد ألف كتابه في مدينة حلب وتاريخها، إلا أنه خصّها فقط في المجلد الأول من كتابه، وتوسع كثيراً في استعراض ما حول حلب من البلدات والمدن والأنهار والجبال والبحيرات والسكان، أما باقي مجلداته، فقد سار فيها على نهج ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، حيث ذكر كل من ولد أو نشأ في حلب أو حتى مرّ فيها من الحكام والعلماء والأدباء والفلاسفة، سواء بعد الفتح الإسلامي، أو حتى قبل ذلك، وبذلك عدّ هذا الكتاب من أهم كتب التراجم.

وقد أمدّ هذا الكتاب الدراسة بكثير من الروايات حول حكم السلاجقة في بلاد الشام، فضلاً عن تراجم بعض السلاطين والقادة السلاجقة الذين ورد ذكرهم ضمن الدراسة.

١١. ابن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، قاضي القضاة، شمس الدين أبو العباس، ولد بأربيل سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م وتفقّه فيها على يد كبار العلماء والشيوخ، ثم رحل إلى الموصل ومنها إلى حلب التي تعلّم فيها على يد القاضي ابن شداد، ثم انتقل إلى مصر وتولى فيها القضاء بالنيابة، وارتحل بعدها إلى الشام حيث تولى فيها القضاء منفرداً سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م وعُزل بعد عشر سنين، فعاد إلى مصر وأقام سبع سنين، وردّ إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة، ولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون.

أما كتابه "وفيات الأعيان" فيعدّ من أشهر كتب التراجم العامّة وأوفاهها، وقد أبان ابن خلكان عن طبيعة تأليفه في مقدمته التي صدر بها الكتاب، فقال فيها: "ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الشعراء... بل كل من له شهرة بين الناس" ^(١)، ومع ذلك فإن ابن خلكان لم يعمد إلى ذكر كافة الأعلام المشاهير، حيث أغفل تراجم معظم الصحابة والخلفاء ومن في حكمهم، وركّز على أعلام زمنه، ولكن يبدو أن ابن خلكان عمد إلى ذلك، لأن هؤلاء المشاهير قد استوفاهم كثير من ألف في التراجم، لذا جعل عمدته مشاهير عصره، ومن يقع السؤال عنهم في زمانه، فأضاف إلى تراث التراجم مادة أصيلة لا غنى للباحثين عنها.

(١) ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دار صادر،

وقد بدأ ابن خلكان كتابه مفضلاً مبدأ السنين في ترتيب التراجم، ثم وجده عسيراً، فعدل عنه إلى الترتيب الهجائي، وهو المنهج السائد لدى كثيرين ممن صنفوا في التراجم، وقد عرض لذلك في مقدمة الكتاب، فقال: "ورأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين"^(١)، ويتميز الكتاب على سائر كتب التراجم بعناية مؤلفه بإثبات سنة الولادة والوفاة متى تيسر له ذلك، وبلغ من عنايته بذلك، أنه كان يسقط الترجمة كلها، إذا لم يوفق في الوقوف على سنة الوفاة ويعتذر عن ذلك بقوله عن بعض التراجم: "ولم أظفر بوفاته حتى أفرد له ترجمة"، وهذه الحفاوة بذكر التواريخ، بالإضافة إلى غزارة المادة وسداد المنهج وسهولة التناول، جعلت الكتاب في صدارة كتب التراجم العامة.

اعتمدت الدراسة على هذا المصدر بشكل كبير، ونقلت عنه الكثير من تراجم الشخصيات التي ورد ذكرها، سواء في القسم الأول المعني في عصر سيطرة السلاجقة وحيات ابن حمدون، أو بالقسم الثاني المخصص لموارد ابن حمدون في تذكرته.

١٢. الذهبي ت ٥٧٤٨/١٣٤٧م

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق، ارتحل وسمع من شيوخ دمشق وبعثك وحمص وحماة وطرابلس ونابلس والرملة وبلبيس والقاهرة والإسكندرية والحجاز والقدس وغيرها، وفقد الذهبي بصره قبل موته بأربع سنين، وتصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها: "المشتبه في الأسماء والأنساب"، والكنى والألقاب و"تاريخ الإسلام" و"سير أعلام النبلاء" و"العبر في خبر من غبر" و"الكاشف" و"طبقات القراء" وغيرها.

وأما كتابه "سير أعلام النبلاء" فهو أحد الكتب التي استخرجها الذهبي من كتابه الضخم "تاريخ الإسلام" فأسقط الحوادث، مكتفياً بالوفيات، وتوسع في بعض تراجمه، إلا أنه لم يضيف تراجم جديدة، وهو مرتب على (٣٥) طبقة، من بدء الإسلام حتى سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م.

وقد اعتمدت الدراسة على هذا المصدر بشكل كبير في تراجم الفقهاء والعلماء الذين ساهموا في الحركة العلمية خلال عصر سيطرة السلاجقة، إضافة إلى الأدباء الذين ورد ذكرهم ضمن موارد التذكرة الحمدونية.

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢.

١٣. الصفدي ت ٥٧٦٤/١٣٦٢م

خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته، وتعلّم في دمشق ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، ألف الكثير في الأدب والتاريخ، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها مصاباً بالطاعون، وله زهاء مئتي مصنف منها: "الوافي بالوفيات" و"تكت الهميان" و"الغيث المسجم في شرح لامية العجم" و"جنان الجناس" و"تشنيف السمع في انسكاب الدمع" ... والقائمة تطول.

وبعد كتابه "الوافي بالوفيات" من أشهر ما ألف في التراجم، وقد ترجم الصفدي في هذا الكتاب كما قال في مقدمته: "لكل من أثر فتحاً يسره، أو خيراً قرره، أو جوداً أرسله، أو رأياً أعمله، أو حسنة أسداها، أو سيئة أبداها، أو بدعة سنّها وزخرفها، أو مقالة حررها وعزفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شعراً نظمه، أو نثراً أحكمه" ^(١)، وصدر الكتاب بمقدمة في علم التاريخ وما يحتاج إليه المؤرخ من العلوم والفنون والآداب، وطرق المؤرخين المختلفة في ترتيب التواريخ، وبيان ما ألف في تاريخ الأعلام والأمصار.

وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة بتراجم الكثير من الشعراء والأدباء ومن نبغ من العلماء خلال عصر سيطرة السلاجقة، فضلاً عن تراجم الكثير من رجال البلاط السلجوقي كالقادة والوزراء وغيرهم ممن ورد ذكرهم خلال الدراسة.

١٤. ابن كثير ٥٧٧٤/١٣٧٢م

إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القُيسِي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ، مؤرخ، فقيه، ولد سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م في قرية مجدل من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وسمع فيها عن كبار شيوخها وعلمائها، فدرس الحديث والتفسير والفقه والتاريخ، وتوفي في دمشق بعد أن ترك العديد من المؤلفات منها: "تفسير القرآن الكريم" و"طبقات الفقهاء الشافعيين" و"البداية والنهاية".

وبعد كتابه "البداية والنهاية" واحداً من أمهات كتب التاريخ والتراجم التي كنزتها المكتبة العربية والإسلامية، وهو أحد كتب الحوليات أو التواريخ العامة، حيث بدأ ابن كثير كتابه من بدء الخليقة

(١) الصفدي (خليل بن أبيك بن عبد الله ت ٥٧٦٤/١٣٦٢م): الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرناؤوط وتركي المصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٢٧.

وقصص الأنبياء والأمم الماضية على ما جاء في القرآن الكريم والأخبار، ثم حقق السيرة النبوية وعرض التاريخ الإسلامي إلى سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م جامعاً بين الحوادث والتراجم.

لقد جاء ابن كثير في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وقد سبق بتصانيف قرون ستة، وفُرت له مادة فسيحة وكشفت بين يديه ما لعله لم يظهر لمن سبقه، لأن كل علم يكون في أول وضعه أشق، ثم لا يزال في ازدياد حتى يصل إلى تمام النضج، فصنف كتابه هذا وجعله بمثابة المصفى والمُدقق لما سبقه، حيث يمكن القول أن كتاب البداية والنهاية يمثل خاتمة هذا النهج من التصنيف التاريخي الذي يبدأ بخلق المخلوقات وما يتبع ذلك من أخبار السابقين، ثم يسهب ويُفصل في مرحلة السيرة النبوية، وما تلاها من حوادث وأخبار تمتزج فيها الحوادث بالتراجم والمكان بالناس، وهما مادتا التاريخ، إلى أن ينتهي قبل وفاته بسنوات.

وبعدُ هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، حيث نقلت عنه مختلف الروايات التي تناولت الدولة السلجوقية، وما صاحبها من أحداث ووقائع، فضلاً عن ذلك شكّل هذا الكتاب مصدراً رئيساً لتراجم من ورد ذكرهم خلال الدراسة.

ومن أهم المراجع التي اعتمد عليها البحث

كتاب "إيران والعراق في العصر السلجوقي"، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين، فقد تناول هذا الكتاب تاريخ دولة السلاجقة منذ بداياتها حتى سقوطها، إضافة إلى الحديث عن الدولة المنفصلة عن الخلافة العباسية، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة بشكل كبير من خلال المعلومات التي قدمها حول السلاطين السلاجقة، والصراعات التي كانت تتشب فيما بينهم.

ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث، كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي، حيث ساهم هذا الكتاب بالكثير من المعلومات حول تراجم الشخصيات التي وردت خلال الدراسة، وخاصة ضمن الفصول التي تناولت الحديث عن موارد ابن حمدون.

وثالث المراجع كتاب "تاريخ الدولة العباسية" لمحمد سهل طقوش، حيث استقت الدراسة من خلال هذا الكتاب بعض المعلومات حول الخلفاء العباسيين الذين عاصروهم ابن حمدون، إضافة إلى معلومات قيّمة حول الدول التي انفصلت عن جسم الخلافة العباسية.

واعتمدت الدراسة على كتاب "تاريخ الأدب العربي" لشوقي ضيف بشكل كبير من خلال ما قدمه من معلومات قيمة حول علوم اللغة العربية من شعر ونثر وتطورها.

ومن الرسائل العلمية المهمة التي أفادت الدراسة، رسالة دكتوراه بعنوان "الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي"، وهي رسالة أعدت من قبل الطالب مريزن عسيري لنيل درجة الدكتوراه

في الحضارة والنظم الإسلامية في جامعة أم القرى، وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة من خلال ما قدمه من معلومات حول الحركة العلمية التي كانت سائدة في العراق، إضافة إلى خزائن الكتب والمكتبات ومن نبغ من علماء في تلك الحقبة.

وأيضاً رسالة ماجستير بعنوان "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق إبان عهد السلجوقية"، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في قسم التاريخ في جامعة النيلين في السودان من قبل الطالبة صفا عبد اللطيف، وقد أمدت الدراسة بمعلومات وافية حول الأوضاع الاقتصادية خلال الحقبة السلجوقية.

هذه عينة من بعض المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، وذلك من أجل إغناء الدراسة بمعلومات قيمة سواءً بالفصل الذي تناول عصر ابن حمدون، أو بالفصول التي تحدثت عن موارد تذكرته.

الفصل الأول: عصر المؤلف

**أولاً: الأوضاع السياسية في البلاد العربية
الإسلامية (٤٩٥-٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٦م)**

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن حمدون

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية في عصر ابن حمدون

**رابعاً الحركة العلمية والفكرية في عصر ابن
حمدون**

لابد لدراسة أي مؤلف على اعتباره صاحب إنتاج فكري وأدبي كبير، من دراسة العصر الذي عاش فيه هذا المؤلف، خاصة إذا كان إنتاجه الفكري يمتاز بالموسوعية الشاملة، لذلك كان لابد من دراسة عصر ابن حمدون سواءً من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية لما لها من مؤثرات انعكست بشكل مباشر وغير مباشر على التذكرة الحمدونية، لذلك سيقوم البحث بذكر الأوضاع التي أحاطت بعصر ابن حمدون، والعوامل التي أثرت فيه.

أولاً: الأوضاع السياسية في البلاد العربية والإسلامية (٤٩٥ - ٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٦م)

مقدمة:

كان المشرق العربي والإسلامي متماسكاً في ظل الخلافة العباسية طيلة مرحلة عصرها الذهبي الذي استمر قرناً من الزمن (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م)، لكن سرعان ما ضعفت وحدة هذا المشرق السياسية والدينية مدة أربعة قرون بدءاً من المتوكل وانتهاءً بالمستعصم (٢٣٣-٦٥٦هـ/٨٤٧-١٢٥٨م)، فقد شكلت حادثة مقتل المتوكل على يد قادته الأتراك الذين اصطنعهم، بداية الانحطاط وانقسام الدولة العباسية كما يعتقد ابن خلدون^(١) فضعفت الدولة بعد الاستفحال، وتغلب على الخليفة القرابة والقادة، وحدثت الفتن في بغداد، واستمر الصراع بين الخلفاء وقادتهم وكثيراً ما كان هذا الصراع ينتهي إلى مقتل الخلفاء، فُسِمَ المنتصر قبل أن تبلغ ولايته ستة أشهر^(٢) ودُبح المستعين بعد عزله^(٣) أما المعتز فقتل عطشاً^(٤)، ولم يقتصر الانحطاط فقط على النواحي السياسية والدينية، بل كان له مخلفات وانعكاسات على جميع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وبالمقارنة لم يكن ما حدث بالمغرب العربي والأندلس مشابهاً للمشرق، حيث شهد في هذه المرحلة قيام الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، بينما شهدت الأندلس قيام الخلافة الأموية سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م لكن الخلافة الفاطمية لم تستمر في شمال المغرب طويلاً، وإنما اتجهت الأنظار نحو مصر فانتقلت إليها لتقيم دولتها حوالي قرنين من الزمان (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٣-١١٧١م)، وبذلك تحول

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٥٩٤.

(٢) ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٣٢٨. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، تح حمدي الدمرداش، مكتبة نزار الباز، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٥٧.

(٣) ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تح عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٦، ص ١٧٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٨.

(٤) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام، تح عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ١٩، ص ٢٨١. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٦٠.

المشرق العربي الإسلامي إلى مسرح الصراع بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة.

ورافق هذا الصراع السياسي - المذهبي محاولة بعض الأسر الأعجمية من الفرس والأتراك الانفصال والاستقلال عن جسم الخلافة، فأقامت دول يحكمها أمراء وملوك وسلاطين من الفرس والأتراك، فقد نشأت الدويلات الفارسية الشيعية بعد أن كان قد مهد لها الخليفة المأمون العباسي بإعطاء ولاية خراسان إلى طاهر بن الحسين فكانت نشأة الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢١-٨٧٣م) الذي اتخذ مدينة نيسابور^(١) مركزاً له^(٢)، لكنها ما لبثت أن انتهت على يد يعقوب بن الليث الصفار، الذي دخل نيسابور ليؤسس الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ/٨٦٨-٩٠٣م)^(٣) بعد حكم دام عشر سنوات، توفي يعقوب فخلفه أخوه عمرو، الذي انتهت دولته سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م على يد الدولة السامانية^(٤) (٢٦١-٣٨٩هـ/٩٩٦-١٠٤٣م) التي أسسها نصر بن أحمد واتخذت بخارى^(٥) عاصمة لها، كما ظهرت في هذه المرحلة الدولة الساجية^(٦) (٢٦٦-٣١٨هـ/٨٧٩-٩٣٠م).

واستمر مسلسل الانقسامات بظهور الدويلات التركية، بعد أن مهد لهم الطريق الخليفة المعتصم العباسي (٢١٧-٢٢٨هـ/٨٣٢-٨٤٢م) من خلال إنشائه حرس من الأتراك، وعندما اشتد

(١) نيسابور: تقع الى الشمال من خراسان وقد كانت مركزاً لها، عُرف عنها أنها منبت للكثير من العلماء ، طولها خمس وثمانون درجة وعرضها تسع وثلاثون درجة . الحموي: معجم البلدان، ج ٥ ، ص ٣٣١.

(٢) الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٣م): تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م، ج ٣، ص ٥٧٧ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٥، ص ٣٣٧ . ابن كثير (إسماعيل بن عمر ابن كثير ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تح علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ج ١٠، ص ٢٥٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٥٣ .

(٤) أسسها نصر بن أحمد، بعد أن ولاه الخليفة المعتمد العباسي على بلاد ما وراء النهر سنة ١٦٢هـ/٨٧٤م وذلك لمواجهة خطر الدولة الصفارية، وتُنسب الدولة السامانية إلى سامان بن خداة أحد أشرف مدينة بلخ، وبعد وفاة نصر خلفه أخوه إسماعيل الذي أنهى الدولة الصفارية، وضم أراضيها في خراسان وسجستان، كما استولى على طبرستان، وقد عاشت الدولة السامانية قرناً وربع القرن، حتى انتهت على يد الدولة الغزنوية سنة ٢٨٩هـ/٩٩٩م . إقبال(عباس): تاريخ إيران بعد الإسلام، تر محمد منصور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٤٣.

(٥) بخارى: مدينة عظيمة مشهورة في بلاد ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند مسير سبعة أيام وسبعة وثلاثون فرسخاً (٤٦٥كم)، وهي اليوم الى الغرب من جمهورية أوزبكستان . الحموي: البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٣ . القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٠٩.

(٦) الدولة الساجية: سلالة مسلمة حكمت في أذربيجان ومراغة وأردبيل وبردع ، ويعود أصل هذه الأسرة إلى إقليم أشروسنة في بلاد ما وراء النهر، كان أول حكامها أبو الساج ديوداد، وأبو المسافر فتح بن محمد . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٣، ص ٣٥٨.

نفوذهم أقام لهم مدينة سامراء، ومع ذلك قتل المتوكل على أيديهم سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، واستطاع بعضهم إقامة حكم مستقل لهم خارج بغداد، فأقيمت الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨١هـ/٩٦٢-١١٨٦م) أول دولة إسلامية في الهند ومقرها غزنة^(١)، وقد نشأت على يد ألب تكين وهو مملوك تركي عمل في خدمة السامانيين، وحكم بعده سبكتكين وهو أحد ممالك ألب تكين، المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، التي أكثرت من الاعتماد على الممالك الأتراك في الجيش والإدارة، ومن أشهر سلاطينها محمود الغزنوي ابن سبكتكين (٣٨٨-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م) وابنه مسعود الذي خاض معركة الداندانقان ضد السلاجقة سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م حيث مُني بهزيمة كبيرة وبذلك انتهت هذه الدولة على يد السلاجقة الأتراك، الذين استولوا على ممتلكاتها في خراسان، وعلى يد الغوريين الذين قضوا على ملكها في لاهور بالهند سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م^(٢).

وأما في البلدان القريبة من الخلافة العباسية، فقد استغلت بعض هذه الدول الظروف المضطربة التي كانت تمر بها البلاد فأعلنت انفصالها، فمن هذه الدول، الدولة الزيادية^(٣) (٣٨٦-٤٣٤هـ/٩٩٦-١٠٤٢م) التي نشأت في اليمن، والدولة البويهية (٣٢٢-٤٤٧هـ/٩٤٣-١٠٥٥م) التي سيطرت على مقاليد الخلافة العباسية في بغداد، وعاصرت الخلافة الفاطمية في المغرب ثم في مصر.

وكانت الصورة مشابهة لخراسان وبلاد ما وراء النهر في مصر والشام، فقد حاول البعض من الحكام إقامة حكم مستقل ودائم له ولأسرته من بعده، لكنه لم يستمر طويلاً، فقامت الدولة الطولونية في مصر (٢٥٤-٢٩٣هـ/٨٦٨-٩٠٥م) لمدة سبعة وثلاثين عاماً، وورثتها الدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م) التي استمرت لمدة أربعة وثلاثين عاماً.

كانت الدولة الطولونية أول دولة تركية مستقلة، أسسها أحمد بن طولون، وهو من المماليك الأتراك، كان أبوه طولون، قد أهدى إلى الخليفة المأمون عام ٢٠٠هـ/٨١٦م من قبل صاحب بخارى نوح بن أسد الساماني، ولما توفي والده سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م^(٤)، تزوجت والدته من القائد التركي بايكباك الذي عُهد إليه بتسلم إمرة مصر، وكان أحمد قد تلقى تربية عسكرية في ثغر طرسوس أهم الثغور

(١) غزنة: مدينة مشهورة، شكلت الحد الفاصل بين خراسان والهند، وهي مدينة عامرة بالأسواق وفيها مركز تجاري مهم على طريق مدخل الهند . الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٤٧. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٢٩. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٥٢٣.

(٣) قامت هذه الدولة في اليمن على يد القائد محمد بن عبد الله بن زياد، وأسس فيها سلالة حكمت اليمن حتى سقوطها على يد القائد نجاح وهو مملوك حبشي تمكن من إسقاطها سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م. الشجاع (عبد الرحمن): تاريخ اليمن في الإسلام، دار الإحسان، صنعاء، ط ٨، ٢٠١٣م، ص ١٧٨.

(٤) اختلفت المصادر التاريخية فيما بينها حول تاريخ وفاته .

الإسلامية على الإطلاق، كما تعرّف عن قرب على بلاد الشام، وربما كانت هذه الأيام الأولى من حياته دافعاً لتطلعاته المستقبلية وطموحه السياسي، لينال ما كان يصبو إليه ويتمكن أخيراً من تأسيس دولة مستقلة في مصر، سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م، وبعد أن ركز بنيان دولته واشتد عودها، عمد بعدها للتصدي لمؤامرات الموفق أخو الخليفة العباسي المعتمد، فاستغل الجفاء بينه وبين أخيه الخليفة فدعا الأخير سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م للتوجه إلى مصر والإقامة فيها للتخلص من سيطرة أخيه، وأقدم في الوقت نفسه على إسقاط اسم الموفق من الخطبة كولي للعهد، ومحا اسمه من الطراز أيضاً^(١)، ولكن حلم ابن طولون لم يتحقق وباعت محاولته في التدخل بشؤون الخلافة ونقلها إلى مصر بالإخفاق.

بعد وفاة ابن طولون خلفه ابنه أبو الجيش خمارويه (٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٣-٨٩٥م) الذي قتل على يد غلمانه في دمشق^(٢)، وهنا كانت بداية النهاية، فقد انتهت الخلافة العباسية إلى ضعف الطولونيين، فأرسل الخليفة المكتفي جيشاً تمكن من الدخول إلى مصر والقضاء على الدولة الطولونية سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م.

وتحولت مصر إلى ولاية عباسية يحكمها والٍ من قبل السلطة المركزية في بغداد لمدة ثلاثين عاماً سنة ٢٩٣-٣٢٣هـ/٩٠٥-٩٣٥م، تعرضت أثناءها لثلاث حملات فاطمية حاولت السيطرة عليها سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، ٣٠٧هـ/٩١٩م، ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وقد شارك محمد بن طغج القائد التركي في الدفاع عن مصر فأوكل الخليفة الراضي بالله إليه أمر مصر والشام^(٣)، ومنحه لقب "الإخشيد" ودعي له به على منابر الشام ومصر سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م ومن هنا كانت بداية الدولة الإخشيدية.

عندها بدأ الصراع بين الإخشيديين والحمدانيين الذين تمكّنوا من تأسيس دولة لهم في شمال بلاد الشام، وقد استطاع سيف الدولة الحمداني تأسيس هذه الدولة في حلب سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م بعد انتصاره على عامل الإخشيد، إضافة إلى انتزاعه مدينتي حمص وأنطاكية من الإخشيديين، مما استدعى تحرك الإخشيد نحو الشام لإغاثة الخليفة المتقي بالله العباسي من نفوذ الحمدانيين بحلب، ومن استبداد الأتراك في بغداد بعد أن كتب له الخليفة بذلك على ما ذكره ابن الأثير^(٤)، وهذه المحاولة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٦٤. ابن المطهر (المطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، ص ٣٦٤. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في أخبار الأمم والملوك، تح محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٦٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٥، ص ١٥١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٧٢.

(٣) مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط ٢، ٢٠٠٠م، ج ٥، ص ٤٥٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٥١.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩٥.

تشبه محاولة ابن طولون في نقل الخلافة العباسية إلى مصر مما يساعد في تدعيم دولته، وانتهى الأمر بعقد صلح بين الإخشيد والحمدانيين على أن تكون ولاية دمشق وما يليها جنوباً من نصيب الإخشيد، والمناطق الشمالية من حمص إلى حلب لسيف الدولة الحمداني^(١).

توفي الإخشيد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وكان قد أوصى بالملك من بعده لولديه الصغيرين أنوجور وعلي، على أن يتولى كافور الإخشيدي الوصاية عليهما، وفعلاً حكم كافور مصر اثنين وعشرين عاماً كوصي، حتى إذا توفي كل من أنوجور وعلي في سنتي (٣٤٩هـ/٩٦٠م) و(٣٥٥هـ/٩٦٦م) استبد بالحكم إلى أن توفي، وتولى الحكم بعده حفيد الإخشيد أبو الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد وكان عمره أحد عشر عاماً فاضطربت الأوضاع نتيجة عدم وجود شخصية قوية بين رجال البلاط تستطيع ملء الفراغ الذي تركه موت كافور، فاستمر الوضع بالانهيار حتى دخول الفاطميين إلى مصر ٣٥٨هـ/٩٦٩م^(٢).

وبانتقال الدولة الفاطمية إلى مصر تحوّل المشرق العربي الإسلامي في حقبة حكمها التي امتدت قرنين من الزمن (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) إلى ساحة صراع بين الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة، وزاد الأمر خطورة سيطرة الدولة البويهية على بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، فمن هم البويهيون؟

يعود أصل البويهيين إلى بلاد الديلم في المنطقة المجاورة لبحر قزوين، فقد هاجروا من الشمال باتجاه بلاد فارس، والبويهيون شيعة على مذهب الزيدية^(٣)، وهم أقرب الفرق الشيعية إلى السنة^(٤)، وعليه فقد حرص البويهيون على إظهار الولاء للعباسيين في بغداد من جهة، وعملوا في الوقت نفسه على توثيق العلاقات بالخلافة الفاطمية في القاهرة، وقد اتخذوا شيراز عاصمة لهم، وبدأ صيت هذه

(١) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط ١، د.ت، ج ١، ص ٤٧١. ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تح سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، د.ت، ج ١، ص ٦٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٠٢.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٤، ص ١٩٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٨ و ٢٨.

(٣) الزيدية: فرقة من الفرق الشيعية، وهم من أتباع زيد بن علي بن الحسين الذي ثار أيام هشام بن عبد الملك، وبعد أن خرج زيد على الأمويين وقتل وصلب، قال الزيدية بإمامة ابنه يحيى ثم مضى إلى خراسان وقتل في الجوزجان بعد أن أوصى بالأمر إلى محمد النفس الزكية. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٧٥. أمين (أحمد): ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م، ج ٤، ص ١٢٦.

(٤) شبارو (عصام): السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٣.

الدولة يلمع على يد الأخ الأكبر من الأخوة البويهيين الثلاثة علي بن شجاع بن بويه الذي ولاه مرداويج الزيارى^(١) بلاد الكرج^(٢).

ومن المرجح أن علياً كانت تراوده نزعات تتعدى الاستقلالية إلى التوسع على حساب جيرانه، بالإضافة إلى الطموح السياسي الذي تحقق له سريعاً، حيث ما لبث أن أصبح صاحب شوكة في هذه النواحي، واستمال الناس بحسن سياسته، فقد كان يستولي على هذه البلاد باسم الخليفة العباسي ظاهراً، لكن في باطن الأمر كان يهدف إلى إقامة دولة خاصة به مستغلاً ضعف الخلافة السياسي والعسكري وعجزها عن التدخل في تلك المناطق لترتيب أوضاعها^(٣)، سيما أنه أرسل إلى الخليفة العباسي الراضي بالله يطلب منه الاعتراف بسلطانه^(٤)، وأراد بذلك أن يُكسب حكمه صفة شرعية.

ويبدو أن الظروف السياسية جميعها كانت تعمل لمصلحة البويهيين، ففي عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م قُتل مرداويج، فاستفاد علي من هذه الفرصة وسيطر على جميع المناطق التي كانت خاضعة له، وبالمقابل كانت الأوضاع في العراق مضطربة نتيجة اشتداد الخلاف بين ابن رائق أمير الأمراء من جهة^(٥)، وبين أبي عبد الله البريدي والي الأهواز السابق والفار من وجه قوات الخلافة من جهة ثانية وذلك لأن البريدي كان يطمع في تولي منصب إمرة الأمراء، فقد التجأ البريدي إلى علي بن بويه وأغراه في دخول العراق، في وقت كانت الخلافة واقعة تحت نفوذ الأتراك، وظهر عجزها في إقرار الأمور في البلاد، ف شعر الناس بهذا الفراغ السياسي، وبإخفاق أمراء الأمراء في تسيير الأمور، كما اختلت المالية العامة في الدولة، وفرغت خزائن الخلافة، ووقع الخلفاء في ضائقة مالية شديدة نتيجة لتحكم الأتراك وجشعهم^(٦).

وفعلاً دعا الخليفة المستكفي بالله، أحمد بن بويه وطلب منه دخول بغداد، في الوقت الذي كاتبه بعض القادة للغاية نفسها، عندئذ سار أحمد في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م باتجاهها، ودخلها عام

(١) مؤسس الدولة الزيارية الانفصالية في طبرستان سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٢) الكرج: رستاق يمتد بين همذان وأصفهان في منتصف الطريق، وبينها وبين همذان ثلاثون فرسخاً (١٥٠ كم). الحموي : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٦.

(٣) إقبال: تاريخ إيران قبل الإسلام، ص ٤٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٣٥ . أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ٨٦.

(٥) قلده الخليفة المتقي لله منصب إمرة الأمراء سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م . مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥، ص ٤٥٥.

(٦) ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٧٠ . طقوش (محمد): تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط ٧، ٢٠٠٩م، ص ٢٢٣.

٣٣٤هـ/٩٤٥م بعدما خرج الأتراك منها، واستقبله الخليفة واحتفى به وخلع عليه، وعينه أميراً للأمراء، ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه علياً عماد الدولة، كما لقب أخاه الآخر حسن ركن الدولة^(١).

اتخذ البويهيون غالبية وزرائهم من الفرس^(٢)، إلا أنهم لم يتخذوا لقب "سلطان" بل اكتفوا بلقب أمير أو ملك أو شاهنشاه، بينما استمر الخليفة العباسي في تولي سدة الحكم بعد عزل المستكفي، فكان المطيع بالله (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٦-٩٧٤م) والطائع بالله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٤-٩٩١م) والقادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م) ثم القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠١-١٠٧٥م) الذي انتهت الدولة البويهية في أيامه، ليشهد بداية الحكم السلجوقي.

وبعدُ عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو (٣٣٨-٣٧٢هـ/٩٤٩-٩٨٢م) من أبرز حكام بني بويه، وقد منحه الطائع لله العباسي لقب "شاهنشاه" و"تاج الملة"^(٣)، وقام عضد الدولة بخطوة تهدف إلى حصر الخلافة العباسية والمُلك البويهي في أسرة بني بويه، وذلك عن طريق المصاهرة، فزوج عضد الدولة ابنته شاه زمان^(٤) للخليفة العباسي الطائع بالله، ولكن الخليفة لم يقرب زوجته بعد أن اكتشف خطة عضد الدولة الرامية إلى أن تلد ابنته حفيداً لينتقلد الخلافة والملك^(٥)، وبعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٨٢هـ/٩٨٢م، تداعت الدولة البويهية نتيجة الحروب الداخلية، وظهر المشرق العربي الإسلامي وكأنه على وشك الانهيار، وبدخول السلاجقة الأتراك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تمّ القضاء على الدولة البويهية وآخر ملوكها الرحيم، وإزالة النفوذ البويهي عن الخلافة العباسية، لكن هذا النفوذ سرعان ما تجدد بتكالب جديد وحملة جديدة على إثر انتصار السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملاذكرد ٤٦٣هـ/١٠٧١م وطردهم من آسيا الصغرى إذ يمكن القول أنهم أصبحوا حماة الخلافة العباسية في بغداد.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٨٥.

(٢) من هؤلاء الوزراء: عياد بن عباس، أبو الفضل بن العميد، صاحب اسماعيل بن عباد، نصر بن هارون، سابور ابن أردشير.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٨٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٥١.

(٤) ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٥٩. ومعنى شاه زمان بالعربية "سيدة النساء"

(٥) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٢، ص ٤١٤.

أ. السلاجقة والخلافة العباسية

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزية، الذين كانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر، في مكان يبعد عن مدينة بخارى عشرين فرسخاً، وترجع تسميتهم بالسلاجقة إلى أحد أجدادهم سلجوق بن تغلق^(١)، ويبدو أن تغلق هذا هو أول من دخل في الإسلام من هذه القبيلة، التي تعدُّ بدورها من أوائل القبائل الغزية التي اعتنقت الإسلام^(٢).

توفي سلجوق وكان له ثلاثة أولاد أرسلان وميكائيل وموسى ييغو، وكان هؤلاء السلاجقة حلفاء للسامانيين حتى زوال دولتهم على يد الدولة الغزنوية سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م، مما أتاح الفرصة لظهور زعامة أرسلان السلجوقي، وبذلك شكل السلاجقة قوة جديدة على المسرح السياسي، فسرعان ما كرت الأيام لصالح السلاجقة، وأخذوا بالتوسع على حساب جيرانهم، ففضى طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق على الدولة الغزنوية بزعامة سلطانها مسعود الغزنوي في معركة الدندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م بعد محاولة السلطان مسعود استرجاع نيسابور التي أصبحت مقراً للسلطنة السلجوقية^(٣)، وتعد هذه المعركة إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي.

وتابع طغرل بك انتصاراته، فهزم أنوشروان حاكم الدولة الزيارية^(٤) في جرجان^(٥)

(١) الحسيني (علي بن ناصر الحسيني ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م): زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص ١٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٢٨.

(٢) البنداري (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٤٣هـ/١٢٤٦م): تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠٠م، ص ٥. الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١.

(٣) ابن فندمه (علي بن زيد بن محمد بن الحسين ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م): تاريخ بيهق، دار إقرأ، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٦٦٣. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦.

(٤) الدولة الزيارية: أسس هذه الدولة مرداويخ بن زيار الديلمي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م حيث سيطر على طبرستان وجرجان ومناطق بحر قزوين، ووطد أخوه وشمكير دعائم الدولة بشكل كبير، ودخلت الدولة الزيارية في صراع مع البويهيين وتحالفت مع الغزنويين، إلى أن سقطت سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م على يد السلاجقة. مسكويه: تجارب الأمم، ج ٧، ص ١٥٨. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٥٦٨.

(٥) جرجان: مدينة مشهورة قرب طبرستان تتوسط الطريق بين طبرستان وخراسان بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩.

وطبرستان^(١) سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، كما ضمَّ خوارزم^(٢) إلى سلطنته سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، ثم ضمَّ الري^(٣)، وكذلك استولى على قزوین وأبهر وزنجان^(٤) وأصفهان سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، حتى تمكَّن أخيراً من الدخول إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، والتي كانت تحت النفوذ البويهی، لذلك لم يمانع الخليفة القائم دخول طغرل بك بغداد، اعتقاداً منه بإعادة قوة الخلافة إلى عهدها السابق^(٥).

يمكن تقسيم عصر السلطنة السلجوقية إلى مرحلتين: مرحلة القوة والمجد، ومرحلة الضعف والحروب الداخلية، وقد عاصر المرحلة الأولى ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم: القائم بأمر الله (ت ٤٦٧هـ/١٠٧٥م) والمقتدي بأمر الله (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ثم المستظهر بالله (ت ٥١٢هـ/١١١٨م) الذي شهد بداية المرحلة الثانية، والتي عاصرها بعده ستة خلفاء عباسيين هم: المسترشد بالله (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، الراشد بالله (ت ٥٣٢هـ/١١٣٧م)، المقتفي لأمر الله (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، المستجد بالله (ت ٥٦٦هـ/١١٧٠م)، المستضيء بالله (ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م)، ثم الناصر لدين الله (ت ٦٢١هـ/١٢٢٥م) وهو أطولهم حكماً، وقد شهد سقوط السلطنة السلجوقية سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، على يد الدولة الخوارزمية.

(١) طبرستان أي مازندران: ناحية بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر (قزوین)، ذات مدن كثيرة وقرى، ومن مدنها جرجان ودهستان، فتحت على عهد الخليفة عثمان بن عفان d وتتألف معظم طبرستان من جبال عالية مطلة على بحر قزوین. الإصطخري (إبراهيم بن محمد ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٦. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣.

(٢) خوارزم: إقليم يجاور خراسان وما وراء النهر، ويجاور بلاد الترك من الشمال، ناحية مشهورة قرب بلخ بها نهر جيحون. الإصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٨٧. ابن عبد الحق (عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ١، ص ٤٨٧.

(٣) الري: أكبر مدن أصفهان، وهي مدينة مشهورة من أمّهات البلاد وأعلام المدن، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م، وهي اليوم مدينة طهران. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١١٨.

(٤) أبهر وزنجان: مدينتان كثيرتا المياه يترافق ذكرهما معاً، وزنجان أكبر من أبهر، بينها وبين الدينور تسعون ميلاً (١٥١ كم) وتقع أبهر على الطريق غرب قزوین. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٧٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٦٤. ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين بن العربي ت ٦٤٨هـ/١٢٦٨م): تاريخ الزمان، تح اسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م، ص ٩٨. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠.

تولى سدة الحكم في السلطنة السلجوقية في مرحلة قوتها ومجدها ثلاثة سلاطين هم: طغرل بك، وابن أخيه ألب أرسلان^(١)، ثم ملكشاه بن ألب أرسلان^(٢)، وقد خضعت بلاد فارس والعراق مباشرةً لسلطانهم بعد أن اتخذوا عدة مدن عواصم لهم، فالسلطان طغرل بك اتخذ مدينة نيسابور عاصمة له، بينما حكم ألب أرسلان في مدينة الري، وحكم ملكشاه ومحمود وبركياروق في أصفهان، كما اتخذ السلطان محمد بن محمود مدينة همذان عاصمة له، وتركوا بغداد مقراً للخليفة العباسي^(٣).

وتُعدُّ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م هي السنة الفاصلة في تاريخ السلاجقة، ففي هذه السنة دخل طغرل بك إلى بغداد، في وقت كانت الخلافة العباسية وخليفته القائم بأمر الله العباسي في حال يُرثى لها من الضعف والوهن، فكأنها جسد لا روح فيه، زاد في وهنها ثورات جند الأتراك التي عمت بغداد، واستفحال أمر العيارين ونشرهم الفوضى في البلاد، فضلاً عن الصراع بين قوتين، الأولى مثلها القائد التركي أبو الحارث أرسلان البساسيري^(٤)، الذي بدأ تمرده في الموصل وسيطر عليها بشكل كامل، والثانية رئيس الرؤساء ابن المسلمة^(٥)، وكان لكل منهما داعم يستقوى به، فالبساسيري كان قد طلب

(١) ألب أرسلان: أبو شجاع، عضد الدولة، محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، تولى الحكم بعد وفاة عمه طغرل بك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، وقد شهدت السلطنة في عهده توسعاً كبيراً من أقصى بلاد ما وراء النهر إلى أقصى بلاد الشام، توفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م ودفن في بلدة يُقال لها "فرير" على نهر جيحون. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٤، ص ١٩٧١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٦٩-٧٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤١٤.

(٢) ملكشاه بن ألب أرسلان: أبو الفتح محمد بن ألب أرسلان، جلال الدولة، تسلم السلطنة بعد وفاة والده سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، اتسعت الدولة السلجوقية في عهده لتصل إلى أقصى اتساع لها من أفغانستان شرقاً إلى آسيا الصغرى غرباً وبلاد الشام جنوباً، وتوفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٥٤. الطيب بامخرمة (الطبيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ت ٩٧٤هـ/١٠٥٤م): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحبب جمعة مكري و خالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط ١، ٢٠٠٨م، ج ٣، ص ٤٨٥.

(٣) أمين (حسين): تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٨٢.

(٤) البساسيري: أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي، يعود نسبه إلى بلدة بسا في بلاد فارس، ترعرع مملوكاً إلى أن تملكه الأمير البويهبي بهاء الدين فيروز، حيث بدأ حياته العسكرية كعبد ترك في خدمته، وتدرجت به المناصب حتى أصبح من كبار قادة الجند الأسفهلارية الذين يمثلون كبار قادة الجند في بغداد، فعظم شأنه واستفحل أمره وقويت شوخته وانتشر ذكره، وقُتل بعد سنة من دخول بغداد أي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٩٢. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٣، ص ١٣٤٧.

(٥) ابن المسلمة: هو علي بن الحسن بن أحمد بن مسلمة، أبو القاسم، كان شيخاً ثقة، استوزره الخليفة القائم بأمر الله، ولقبه رئيس الرؤساء، عرف بحبه للعلم، وسمع منه الكثير من الشيوخ، وقُتل أثناء حركة البساسيري سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٢١٦.

الدعم من الخلافة الفاطمية في مصر، وابن المسلمة طلب من طغرل بك المساعدة في القضاء على البساسيري^(١).

وإزاء هذه الأخطار التي هددت الخلافة العباسية داخلياً وخارجياً، فكر الخليفة العباسي القائم بأمر الله في استدعاء الأتراك السلاجقة لحمايته، وضبط الأمور في العراق، كان طغرل بك ذكياً لماحاً، فلم تكن تلك الأخطار التي كانت تعاني منها الخلافة العباسية خافية عليه، فانتهاز الفرصة لمواصلة جهود السلاجقة لبسط نفوذهم على العراق^(٢).

وما أن دخل طغرل بك بغداد حتى بدأ بتسيير أمور الحكم بمساعدة وزيره عميد الملك أبي نصر منصور بن محمد الكندري^(٣)، أما البساسيري فسرعان ما فرَّ هارباً إلى الرحبة شمال نهر الفرات منتظراً الفرصة المناسبة للعودة إلى بغداد مرةً أخرى، وبالفعل جاءت الفرصة، حيث طلب العون من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لمساعدته في دخول بغداد وطرد السلاجقة منها^(٤)، منتهزاً فرصة خروج طغرل بك من بغداد لمحاربة أخيه غير الشقيق إبراهيم ينال^(٥)، حيث دخل البساسيري إلى بغداد وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وضرب السكة باسمه^(٦)، لكن الحال لم تدم للبساسيري سوى

(١) ابن العماراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٩٤.

(٢) البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/١٠٧٢م): تاريخ بغداد، تح بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ١١، ص ٤٧. سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ٢٠١٣م، ج ١٨، ص ٤٩١.

(٣) عميد الملك: محمد بن منصور بن محمد الكندري أبو نصر، أول وزراء الدولة السلجوقية، استوزر طغرل بك لإتقانه العربية والفارسية على حد سواء، استمرت وزارته ثماني سنوات وشهوراً، ولما توفي طغرل بك وخلفه السلطان عضد الدولة ألب أرسلان السلجوقي، أمر عضد الدولة بالقبض على عميد الملك، وأنفذه إلى (مرو الروذ) حيث مكث معتقلاً عاماً كاملاً، ثم قتل في سجنه سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٣٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١١٣. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): نزهة الألباب في الألقاب، تح عبد العزيز السديري، مكتبة الراشد، الرياض، ط ١، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٣٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١١.

(٥) إبراهيم ينال: هو أخ طغرل بك، شغل دوراً بارزاً في إقامة السلطنة السلجوقي حيث قاد جيشاً سيطر من خلاله على همدان وكنغارو، استعان به البساسيري من أجل الثورة ضد السلاجقة، قتل سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٣، ص ١٣٥١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١١١.

(٦) المقرئزي (أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط ١، د.ت، ج ٢، ص ٢٥٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٧٦.

عام واحد، فسرعان ما تمكن طغرل بك من الانتصار على أخيه إبراهيم ينال، ثم عاد إلى بغداد وتمكن من قتل البساسيري والقضاء على ثورته سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م^(١).

بدأ طغرل بك ببسط سلطانه على العراق، فاستقر جنده في بغداد، واستأثر بالسلطة دون الخليفة العباسي حيث أقام نظاماً جديداً للحكم في بغداد، اتبعه معظم السلاطين من بعده، وهو الفصل بين سياسة الخليفة وسلطانه الروحي، وبين السلطات في المدينة، ومنذ هذا العهد استقر الأمر في بغداد، على أن الخلفاء هم القادة الروحيون، بينما سلاطين السلاجقة هم الحكام الفعليون المدنيون، وانزوى الخليفة العباسي في قصره، وفوض الأمر كله إلى السلطان طغرل بك، وأصبح لا يستطيع التصرف حتى في أملاكه الخاصة، بل صار يعيش من إقطاعات مقررة لسد نفقاته الخاصة^(٢).

وقد بلغت الجرأة بطغرل بك أن أقدم سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م على طلب الزواج من ابنة الخليفة القائم بأمر الله، وهكذا يكون السلطان السلجوقي قد تخطى بعمله هذا كل التقاليد العباسية، إذ لم يسبق لأمر أعجمي أن تقدم لمصاهرة البيت العباسي من قبل، وكانت العلاقات بين السلطان السلجوقي والخليفة العباسي قد ساءت قبل مشروع الزواج واستاء الخليفة أكثر من طلب الزواج هذا، ولكن عوامل الضعف والخوف جعلت الخليفة يوافق -مجبوراً- على هذه المصاهرة^(٣).

لقد قصد طغرل بك من وراء هذه الزيجة تحقيق أهداف سياسية بحتة، تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج، ولكن هذه الزيجة لم ينجم عنها شيء، فقد كان طغرل بك عقيماً، بالإضافة إلى تقدمه في السن، كما أنه كان وقت الزواج عليلًا لم ينعم بعروسه فمات طغرل بك دون أن يترك ولداً يخلفه في السلطنة^(٤)، وكان ذلك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م عن عمر يناهز السبعين عاماً^(٥).

كانت وفاة طغرل بك دون عقب يحكم من بعده، أو ولي عهد يرثه سبباً في إثارة التنازع حول عرش السلاجقة، حيث برزت مشكلة ولاية العهد، فمن خلف طغرل بك على عرش هذه السلطنة الشاسعة؟ وكانت وفاة جغري بك داود، الأخ الأكبر لطغرل بك سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م المبكرة، سبباً

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٦٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٩٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٧٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٢٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٧٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٨٩.

(٤) علي (وفاء): الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٩١.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٨٣. الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٣٠٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٧٢.

آخر من أسباب النزاع حول العرش السلجوقي، فقد مات جغري بك تاركاً عدداً من الأبناء، أكبرهم وأقواهم ألب أرسلان الذي خلفه في حكم خراسان ومرو وما وراء النهر^(١).

تطلع ألب أرسلان أن يلي حكم السلاجقة بعد وفاة عمه وأبيه^(٢)، وكان السلطان طغرل بك قد تزوج بأرملة أخيه جغري بك، وكان لها ابن من جغري بك هو سليمان، استطاعت بحسن دهائها أن تؤثر في طغرل بك وتجعله يختار ابنها سليمان ولياً لعهدده على الرغم من صغر سنه الذي لم يتجاوز الرابعة ببضعة أشهر، والسؤال المطروح هنا كيف لقائد كطغرل بك، الذي تمكن من السيطرة على مناطق واسعة، وأن يشكل سلطاناً مهيباً، وهو المعروف بحنكته وذكائه، أن يُسيّر من قبل زوجته في تعيين سليمان ولياً للعهد؟ هنا يفسر هذا السؤال الدور الذي بدأت تشغله المرأة في عصر سيطرة السلاجقة السلجوقي^(٣).

وبعد رحيل طغرل بك كما ذكر أعلاه، نفذ وزيره - أبو نصر الكندري - وصيته، بأن يكون سليمان سلطاناً على السلاجقة، وأجلسه على العرش السلجوقي في مدينة الري، وأمر أن تُقرأ الخطبة باسمه، متجاهلاً أخاه الأكبر ألب أرسلان الذي أبلى بلاءً حسناً مع عمه طغرل بك، وهكذا برزت إلى الوجود مشكلة التنازع على العرش السلجوقي بصورة هددت كيان الدولة، وأطلقت الفتنة برأسها تؤذن بحدوث اشتباك بين الطرفين لكن سرعان ما حسم ألب أرسلان مشكلة العرش السلجوقي، فأصبح سلطاناً على السلاجقة، وأصبح سليمان أخوه ولياً لعهدده^(٤).

ولكن وما أن أعلنت الخطبة باسم ألب أرسلان في الري سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وما كاد العام ينصرم، حتى تجددت مشكلة سلطنة السلاجقة، والمطالبة بعرشها، ففي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م أعلن " شهاب الدولة قتلش بن أرسلان" ابن عم جغري بك أنه أحق بالسلطنة من ألب أرسلان، فتوجه إلى الري، وتمكن من الاستيلاء عليها، وأعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة، لكن ألب أرسلان جهز جيشاً قوياً، ثم نشبت معارك بين الطرفين، انتهت بمقتل القائد المتمرد قتلش ودخول ألب أرسلان الري، وبذلك أصبح سلطاناً على السلاجقة دون منازع أو شريك^(٥).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ١٤٧. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٧.

(٢) أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٨٠. حسنين (عبد النعيم): إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٨٥. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٨٥. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٩، ص ١٤٤.

(٥) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٣١-٣٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٩٢.

ولكن لم يهنأ ألب أرسلان بفتح الري ودخولها، وإعلان نفسه سلطاناً على السلاجقة، حتى قاد أخوه "قاورد بن جغري بك داود" تمرداً آخر عليه في كرمان^(١)، وبسط سلطانه على شيراز^(٢)، واعتصم بقلعة اصطخر^(٣)، فسار إليه ألب أرسلان بجيش وهزمه، وأمنه وأخذ منه القلعة^(٤).

لم يكد الأمر يستتب مرة أخرى لألب أرسلان، حتى فوجئ بفتنة أخرى، قادها هذه المرة عمه بيغو أكبر السلاجقة سناً، ووالي هراة الذي عزَّ عليه أن يكون تابعاً لابن أخيه، فأعلن العصيان، لكن ألب أرسلان سار إليه بجيش، وقاتله قرب هراة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م وانتصر عليه انتصاراً حاسماً، وتعهد بيغو بعده بطاعة ألب أرسلان^(٥).

وهكذا استطاع ألب أرسلان القضاء على كل الحركات المناوئة له، فبسط سلطانه على أرجاء الدولة السلجوقية، واستتب الأمر له، وتوطد سلطانه، وبدأ يعمل على التمكين لدولته الشاسعة وزيادة رقعتها من خلال متابعة الأعمال التوسعية للسلاجقة، فأرسل قائده أئمز بن أوق الخوارزمي^(٦) في حملة إلى جنوب بلاد الشام، وانتزع الرملة وبيت المقدس ودمشق من يد الفاطميين^(٧)، في الوقت الذي تمكَّن فيه ألب أرسلان من الانتصار على الدولة البيزنطية في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م

(١) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس وكران وسجستان، وقصبتها السرجان، ومن مدنها الققص والبلوص، كثيرة الزرع والمواشي. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤.

(٢) شيراز: بلد عظيم مشهور، قسبة بلاد فارس وتقع في وسطها. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤١٤. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٠.

(٣) اصطخر: بلدة عظيمة في بلاد فارس من مدن كرمان. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢١١.

(٤) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٧٤.

(٥) أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٨٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٠، ص ٢٨٤.

(٦) أئمز بن أوق: أحد القادة الرؤساء التركمانيين، وأول من ملك دمشق من الأتراك، فأزال حكم الفاطميين عنها وقطع الخطبة للمستنصر الفاطمي، وأقامها للخليفة العباسي القائم بأمر الله، عُرف بقسوته وظلمه، قُتل سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م على يد تاج الدولة تنش. ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١هـ/١١٧٦م): تاريخ دمشق، تح عمرو العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م، ج ٧، ص ٣٤٨. ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م): زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢٠٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٣٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٢٦. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٩، ص ٢٣٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٥٨٥. العليمي (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح عدنان نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت، ج ١، ص ٣٠٥.

شمال بحيرة فان في أرمينيا، بعد أن أسر الإمبراطور البيزنطي رومانوس^(١)، وتعدُّ هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، وهي تجسد أكبر كارثة حلت بالدولة البيزنطية، وأتت مؤشراً على نهاية دور هذه الدولة في حماية الباب الشرقي لأوروبا من ضغط المسلمين، ولم تعد القوة العسكرية البيزنطية قادرة على الدفاع عن حدود آسيا الصغرى من انتشار السلاجقة الذين ما لبثوا أن أسسوا دولة خاصة بهم وهي دولة سلاجقة الروم.

قُتل السلطان ألب أرسلان وهو في طريقه لغزو تركستان على يد يوسف الخوارزمي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، بعد أن أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه، لكن مشكلة الأحقية بعرش السلاجقة بدأت تطل برأسها من جديد، حيث قوبل ملكشاه بمؤامرة قادها عمه قاورد بن داود والي كرمان، الذي أيقن أن حلمه القديم قد أصبح ممكناً بعد وفاة أخيه ألب أرسلان، فأعد جيشاً كبيراً سار به من كرمان عابراً نهر جيحون، والتقت قوات الفريقين على مقربة من همذان سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م حيث دارت معركة كبيرة، تمكن فيها ملكشاه من هزيمة عمه قاورد الذي أُسر وانتهى به الأمر مقتولاً، لكن ملكشاه أبقى كرمان بيد سليمان شاه بن قاورد وتوارثها أبناؤه إلى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م^(٢).

اتسعت الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه لتبلغ أقصى امتداد لها من كاشغر على حدود الصين والهند شرقاً إلى أنطاكية وآسيا الصغرى غرباً، مروراً ببلاد فارس وبلاد ما وراء النهر والعراق، وبلاد الشام جنوباً، وذلك بعدما سقطت دمشق على يد قائده أئمز سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م وأقيمت الدعوة للخليفة العباسي المقتدي بأمر الله^(٣)، وأسند ملكشاه المناطق التي سيطر عليها في بلاد الشام لأخيه تاج الدولة تنتش سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، وذلك من أجل متابعة السيطرة عليها، فأسس هذا الأخير دولة سلاجقة بلاد الشام^(٤)، كما عين أحد أقاربه ويدعى سليمان بن قتلش بن أرسلان والياً على آسيا الصغرى التي كانت تتبع بلاد الروم، لمتابعة السيطرة عليها فأسس دولة سلاجقة الروم.

(١) ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن محمد ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م): تاريخ دمشق، تح سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٦٧. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١١٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٠١.

(٢) الراوندي (محمد بن علي بن سليمان ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م): راحة الصدور وآية السرور، تر إبراهيم الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٩٨. الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١٥٨. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٢٩. أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٤٢.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١٨١. ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٨٩. طقوش (محمد): تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٩م، ص ١٢٦-١٢٧.

وبعد وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أخذت السلطنة بالتراجع، حيث أدت الصراعات والحروب التي أعقبت وفاة السلطان ملكشاه إلى ضعفها وفقدانها لوحدها وتماسكها، وعمَّ الفساد، واضطربت أحوال السكان وهجر الفلاحون أراضيهم، وانتشرت المجاعات، وقد وصف ابن الأثير هذه الحالة فقال: ".... والحروب تطاولت، وعمَّ الفساد فصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة، والبلاد مخربة والقرى مُحَرَّقة، والسلطنة مطموعةً فيها، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين ... شمل البلاد الخراب وطمع عدو الإسلام فيه ... " (١)، ويموت ملكشاه يمكن القول أن دور المجد والقوة الذي عرفته السلطنة السلجوقية قد انتهى، لتبدأ مرحلة الضعف والصراع بين السلاطين، حيث قُطع ما بينهم من رحم، وكثر حنثهم ونقضهم للعهود (٢).

كان اختيار الشخص الذي يجلس على عرش السلاجقة بعد ملكشاه المشكلة الأولى التي مزقت وحدة السلاجقة، وأشعلت الفتنة والحروب الداخلية في دولتهم، وقد أطلت هذه المشكلة برأسها عندما بدأ النزاع بين ولده الأكبر **بركياروق** من زوجته زبيدة خاتون، وبين ولده محمود من زوجته ترکان خاتون، حيث كان **بركياروق** الابن الأكبر لملكشاه مؤيداً من أنصار الوزير نظام الملك، الذين كانوا يرون أن الابن الأكبر أحق بالعرش بعد أبيه، وأما محمود فكان الابن الأصغر لملكشاه، وهكذا انقسم السلاجقة إلى معسكرين متنازعين، يجاهر كل منهما الآخر بالعداء، محمود يعسكر في بغداد، و**بركياروق** في أصفهان (٣)، وبعد عدة معارك أخذت كفة **بركياروق** ترجح على كفة أخيه محمود، واعترف به الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله سلطاناً على السلاجقة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

في تلك الأثناء ظهر مُطالب جديد بعرش السلاجقة هو تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان عم **بركياروق**، الذي كان حاكماً على بلاد الشام من قبل أخيه ملكشاه، فلما بلغه نبأ وفاة أخيه ملكشاه، وجد أن أبناء أخيه ليسوا في سن تؤهلهم لتولي عرش السلطنة، والإمساك بزمام الأمور في الدولة، وأيقن أنه أحق بالعرش منهم، فأعلن نفسه سلطاناً، وتحرك على رأس جيش كبير نحو حلب، فبسط سلطانه عليها سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ثم سيطر على انطاكية والرها وحران والرحبة، فتحرك **بركياروق** على رأس جيش كبير لقتال عمه تتش، ودارت بين الطرفين رحى معركة فاصلة بالقرب من الري سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م انتهت بهزيمة تتش ومصرعه، وبذلك تمكن **بركياروق** من القضاء على أهم خصومه على الإطلاق (٤).

(١) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٩١.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٣.

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٩، ص ٤٥٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٣، ص ٢٥.

(٤) الذهبي: العبر، ج ٢، ص ٣٥٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ١٤٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣٣، ص ٢٤. طقوش: تاريخ السلاجقة، ص ١٥٧.

ولم يكد السلطان بركياروق يستريح من خطر عمه تنتش، حتى واجه ثورة أخرى في أذربيجان أشعلها أخوه محمد، الذي كان يرى بأنه أحق بالعرش من أخيه، وهكذا اشتعلت نيران الحروب الداخلية من جديد، فتحرك محمد على رأس جيش كبير من أذربيجان متوجهاً إلى همدان ثم الري، وبدوره بركياروق جهز جيشاً وفير العدد، قوي التسليح، وتقابل الطرفان بالقرب من زنجان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، حسمت المعركة لصالح محمد، أما بركياروق فقد فرّ هارباً من وجه أخيه، ومع ذلك لم تنتهِ هذه المعركة الصراع، حيث توالى الحروب بين بركياروق ومحمد خمس سنوات متتالية تبادلاً فيها النصر والهزيمة، لكن جاءت وفاة بركياروق ٤٩٨هـ/١١٠٤م لتنتهي النزاع وتضع الحرب أوزارها^(١).

تولى السلطان محمد (٤٩٨ - ٥١١هـ / ١١٠٥ - ١١١٨م) سدة الحكم، إلا أن عهده شهد العديد من حركات التمرد والعصيان التي قام بها أمراء من العائلة السلجوقية والأمراء التابعون لهم^(٢)، إضافة إلى ذلك كانت الدولة قد فقدت قوتها وهيبتها، فسيطر سنجر على الأجزاء الشرقية منها (خراسان وبلاد ما وراء النهر) وأصبح حاكمها الفعلي^(٣)، واستقل أبناء تاج الدولة تنتش في بلاد الشام، وأبناء سليمان بن قتلمش في آسيا الصغرى، وخضعت كرمان لأبناء قاورد السلجوقي^(٤).

لكن ما لبث أن عاد الصراع حول السلطنة بعد وفاة محمد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/١١١٨م على الرغم من أنه كان قد أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابنه محمود، الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، والذي حظي باعتراف الخليفة العباسي المسترشد بالله بسلطنته، غير أن ذلك لم يرضِ عمه سنجر بن ملكشاه حاكم خراسان وما وراء النهر، فأعلن الثورة ضده ونصب نفسه سلطاناً لسلاجقة خراسان، في حين نُصب محمود بن محمد بن ملكشاه سلطاناً لسلاجقة العراق، وبذلك أضحى هناك سلطنتان في آن واحد، لكن الأمور لم تبق هكذا لمدة طويلة، إذ سرعان ما أنزل سنجر الهزيمة بابن

(١) حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٠٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٩٥-٣٩٦. أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٣) الياقعي (عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ١٥٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢١٢.

(٤) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٥٨. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٩، ص ٢٦٨. حسنين (عبد النعيم): دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٩٦.

أخيه السلطان محمود سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ليعترف به الخليفة العباسي سلطاناً على جميع السلاجقة^(١).

كان حكم سنجر بمثابة عودة إلى عصر السلاجقة الكبار (طغرل بك، ألب أرسلان، ملكشاه) باعتبار أنه أعاد الوحدة إلى السلاجقة وجعلهم يخضعون لأمرة سلطان واحد، يُخطب له من كاشغر على حدود الصين إلى حدود بيزنطة^(٢)، ورغم ذلك، فقد قبل السلطان سنجر بشفاعة زوجة أخيه في ابنها محمود ابن محمد بن ملكشاه، فوعده بولاية العهد، وأتابه عنه العراق سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، وزوجه من ابنته "ماه ملك خاتون"، ورغم تبعية لعمه سنجر، فقد حمل محمود لقب سلطان واعترف به الخليفة العباسي المسترشد بالله، وقد نتج عنه قيام دولة سلاجقة العراق ومركزها همذان بزعامه محمود (٥١٣-٥٢٥هـ/١١١٩-١١٣٠م) وسلاجقة خراسان ومركزها الري بزعامه سنجر (٥١٣-٥٥٢هـ/١١١٩-١١٥٧م).

وأمام هذه الأحداث والظروف، استغل الخليفة المسترشد بالله العباسي هذا الأمر وأخذ يعمل من أجل القضاء على نفوذ السلاجقة واسترجاع هيبة الخلافة العباسية، التي كانت قد خسرتها من سنوات خلت، فكيف سارت مجريات الأمور؟ وكيف انتهى به المطاف؟

ببيع المسترشد بالله بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر سنة ٥١٢هـ/١١١٩م، وقبيل خلافته اشتدت حالة التنافس بين السلاطين السلاجقة الطامحين للسلطة كما ذكر سالفاً، إذ تحارب السلطان محمود بن محمد مع عمه السلطان سنجر من جهة، ومع أخوته (طغرل، مسعود، وسلجوق شاه) من جهة أخرى، ونشبت بين هؤلاء الأخوة صراعات امتدت طوال مدة حكم السلطان محمود ٥١١-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م^(٣)، وأدت إلى انشغال السلاطين عن أمر العامة وترك إدارة الأقاليم لنوابهم، الذين استغلوا ذلك، فتعدوا على السكان ومارس العديد منهم أعمال الظلم والتعسف؛ ففي سنة ٥١٢هـ/١١١٩م قام صاحب شحنة^(٤) بغداد الأمير منكبرس^(٥) بمصادرة أموال الناس وظلم الأهالي، وأشاع الرعب بينهم، فاقتفى أرباب الأموال وانتقل جماعة منهم إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه،

(١) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٩٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٤٨. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١٣-١١٤.

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٦٠. الياضي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ١٩٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٣١-٢٣٧. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٨٢.

(٤) وتعني رئيس الشرطة أو الحرس. الخطيب (مصطفى): معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٦٩.

(٥) كان من القادة السلاجقة، عرّف بالظلم الشديد والسيرة السيئة، قتله السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه سنة ٥١٣هـ/١١٢٠م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٢٤١.

وبطلت معاش الناس وكثر أصحاب الفساد^(١)، كما لجأ بعض نواب السلاجقة إلى فرض المزيد من الضرائب، ففي سنة ٥١٥هـ/١١٢٢م عزم السلطان محمود على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق^(٢) بالإنفاق الباعه بدفع ثلثي ما يأخذون من الدلالة^(٣) فزاد في الأمر ذلك وكثر الأذى، وفي أكثر الأحيان كانت الضرائب تُجبي أكثر من مرة في العام نفسه نتيجة لتغيير القادة^(٤)، ومما زاد في تردي أحوال الأهالي حدوث الفيضانات وغرق المحاصيل وانتشار الأمراض والأوبئة^(٥) وارتفاع الأسعار بشكل كبير، عجز معه الناس عن تأمين قوت يومهم^(٦)، فأمر الخليفة المسترشد بالله أن يتعامل الناس بالدرهم، عشرة بدينار والقرضة اثنا عشر بدينار^(٧).

كما انحل أمن البلاد وتزايد نشاط العيارين، ففي سنة ٥١٢هـ/١١١٩م عظم أمرهم خاصة في الجانب الغربي من بغداد، ولم يستطع صاحب الشحنة القضاء عليهم، فنهبوا محال الناس واستولوا على أموالهم^(٨) واشتد تمردهم، وأخذوا يقطعون الطرق ويتعرضون للأهالي واستولوا على زوارق قادمة من الموصل إلى بغداد سنة ٥١٤هـ/١١٢١م، وفتكوا بأهل السواد عدة مرات، ودخلوا بيوتهم وأخذوا ما فيها^(٩)، وأدت هذه الاضطرابات بمجملها إلى تردي أوضاع الناس المعيشية، فهجر سكان الأرياف أراضيهم، وتراجع الانتاج الزراعي، وارتفع معدل البطالة^(١٠).

كان الخليفة المسترشد بالله مطلعاً على ما آلت إليه علاقة الخلفاء مع السلاطين وتعدّيهم على الخلافة قبل توليها، وكان يدرك أن هذه الأوضاع المتردية ناجمة عن سياسة السلاجقة في العراق، وسعيهم لتحقيق مصالحهم بغض النظر عن أحوال السكان، وقد عبّر عن رفضه لهذا الحال حين قال: "فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمد، فقسّ قلوبهم، وكثير منهم فاسقون"^(١١).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٤٧. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٧٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٨٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٧٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٧٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٩٠.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٣ ١١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٣٢.

(٥) شهدت العراق انتشار الأمراض والأوبئة في سنوات: ٥١٢هـ/١١١٩م، ٥١٧هـ/١١٢٤م، ٥١٨هـ/١١٢٥م.

(٦) ارتفعت مستويات الأسعار في سنوات ٥١٢هـ/١١١٩م، ٥١٦هـ/١١٢٣م، ٥١٧هـ/١١٢٤م، ٥٢٠هـ/١١٢٧م.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٠٧.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٩، ص ٨٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٢٦.

(٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٨٥. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٨١.

(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٣٠.

(١١) حسن (إبراهيم حسن): تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط ١٤، ١٩٩٦م، ج ٤، ص ٥٧.

في البداية سار المسترشد بالله على نهج من سبقه من الخلفاء بهدف استرضاء السلاجقة والتودد لهم، فكان يعلن تأييده للمنتصر منهم في حال حدوث نزاع بينهم، فعندما بويغ بالخلافة سنة ٥١٢هـ/١١١٩م استمر في الخطبة للسلطان محمود بن محمد، لكن سرعان ما تغيرت سياسته بعد انتصار سنجر على محمود سنة ٥١٣هـ/١١٢٠م بعد نزاع بينهما، فخطب لسنجر، ولما عفا السلطان سنجر عن ابن أخيه محمود، خطب المسترشد بالله لهما في آن واحد^(١)، ونأى المسترشد بنفسه ولم يتدخل في النزاعات بين الأمراء السلاجقة كما حصل سنة ٥١٢هـ/١١١٩م بين مسعود وأتابكه البرسقي من جهة ودبيس بن صدقة^(٢) ومنكبسر متولي شحنة بغداد من جهة أخرى^(٣)، وقد كان المسترشد مضطراً أن يقف على الحياد ومع ذلك، عمل على التقرب من العامة للاعتماد عليهم فيما يخطط له، فتراه يُصدر قرارات تخص كافة مفاصل الحياة الاقتصادية، حيث أسقط من الإقطاع المختص كل جور، وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت العادة به، وأسقط ما استحدثه السلاطين من ضرائب^(٤).

ويمكن تقسيم الصراع بين المسترشد بالله والسلاجقة إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى (٥١٧-٥٢٥هـ/١١٢٤-١١٣١م)

أدرك الخليفة المسترشد بالله أن السلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي، وأنهم كانوا قادرين على إزالة ما يشكله دبب بن صدقة من تهديد، لكنهم أرادوا إبقاءه أداة ضغط على الخليفة لتحقيق أهدافهم والحد من طموحاته، وهذا ما ذكره ابن الجوزي حين قال: " فإن دبب كان يعادي المسترشد بالله، ويكره خلفته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارعة المسترشد... "^(٥)، فبادر الخليفة إلى الاعتماد على جيشه الخاص في مواجهة تهديدات دبب، فاستعد الخليفة لمواجهته فجمع عساكره واستغل مركزه الديني في استنهاض أهل بغداد^(٦)، فاشتبك مع دبب في معركة كبيرة قاتل فيها الخليفة بنفسه، وانتصر فيها، وقد مثّل هذا الانتصار نقطة تحول مهمة، فلأول مرة وقف الخليفة بوجه السلاجقة يحاربهم في معركة كبيرة من خلال انتصاره على أداتهم في

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٨٥.

(٢) دبب بن صدقة: دبب بن صدقة بت منصور، نور الدولة، صاحب الحلة وأمير بادية العراق، كان من الأشداء الشجعان، بقي أميراً على الحلة، قُتل على يد مملوك أرمني سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م بأمر من السلطان مسعود السلجوقي. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٧٨ وما بعدها. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٤٥.

(٤) ابن العرمان: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٢١٠.

(٥) المنتظم، ج ١٧، ص ٣٠٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٦٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٢١.

بغداد - على ما ذكره ابن الجوزي - فشككت هذه المعركة تحولاً في سير العلاقة بين السلاطين والخلفاء العباسيين، وعاد الخليفة إلى بغداد بعد انتصاره وهو يعلم ما سيترتب على هذا الانتصار من تحولات، فعمل على تحصين المدينة، حيث بدأ مع أهل بغداد ببناء سور حول المدينة، فتنبّه السلاجقة لما يحدث هناك وأدركوا أن الخليفة المسترشد بالله بات يشكل خطراً على نفوذهم في العراق، وأنه يسعى للاستقلال فيها^(١).

توضحت الصورة لمجريات الأحداث أكثر إثر انتصار آخر حققه الخليفة المسترشد على طغرل - أخي السلطان محمود الذي كان يحكم ساوة وآرة وزنجار - ودبيس، عندها دبّ الخوف بقلب السلطانين محمود وسنجر، فأظهر سنجر تبعيته للخليفة، حيث سجن دبيس تقريباً له، وبدأ يفكر في الخطر الذي يشكله الخليفة وما يتمتع به من قوة روحية وعسكرية، على الرغم من ذلك كان الخليفة المسترشد يعلم بنوايا سنجر، فعمد إلى شق صف الأسرة السلجوقية عندما تحالف مع السلطان محمود ليشكلا جبهة واحدة ضد سنجر^(٢)، لكن الأخير أرسل إلى ابن أخيه محمود ينصحه بأن يترك التحالف مع الخليفة المسترشد قائلاً له: " أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يكر بي وبك، فإذا اتفقتما عليّ ، فرغ مني وعاد إليك "^(٣)، تزامنت هذه التحذيرات من السلطان سنجر مع شكوى الأمير برنقش الزكوي متولي شحنة بغداد من الخليفة المسترشد، وبناء على ذلك قرر السلطان محمود نقض الاتفاقية مع الخليفة والسيطرة على بغداد، فأرسل جيشاً حاصرها، واستمر هذا الحصار، حتى حصل اللقاء مع جيش الخلافة سنة ٥٢١هـ/١٢٨م، وكانت نتيجته مقتل الكثير من جند الخلافة، مما اضطر الخليفة لقبول الصلح حقناً للدماء، عندها دخلت قوات السلطان بغداد وسيطرت عليها^(٤).

المرحلة الثانية (٥٢٥-٥٢٩هـ/١١٣١-١١٣٥م)

استمر المسترشد بالله خاضعاً للسلطان محمود ينتظر فرصة أخرى للاستقلال، وقد جاءت هذه الفرصة عندما توفي السلطان محمود، فاستغل المسترشد بالله الظروف التي ساعدته على بناء خلافته من جديد، فأصبح يحكم دولة تمتد من الموصل شمالاً حتى البصرة جنوباً، كما كوّن جيشاً قوياً بأمره، أخضع به معظم مناطق العراق^(٥)، وعلى الرغم من العلاقة الطيبة التي كانت تجمعها بالسلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه أخ السلطان محمود، إلا أن الأخبار بدأت تصله بأن مسعود قد جمع العساكر

(١) سلمان (حمود): علاقة الخليفة المسترشد بالسلطنة السلجوقية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، عدد ٣، ص ٢٠١م، ص ٥٠٨.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٣٤٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٨٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٦٣-٢٦٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩٩.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٦٦.

متجهاً إلى بغداد بعد أن سيطر على همدان، وبدوره بادر المسترشد إلى الاستعداد لملاقاة مسعود وقتاله، فرحب بالأمراء الخارجين على سلطته وتحالف معهم، وخرج بجيشه وهو واثق بالنصر حيث كان يفوق جيش السلطان مسعود بالعديد، لكن السلطان مسعود كان يحظى بدعم أمراء آخرين، فتلقى الدعم من أمرائه عماد الدين زنكي وداود بن محمود السلجوقي^(١)، والتقى الجيشان في منطقة بدايبرج بالقرب من همدان في العاشر من رمضان سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، فدارت الدائرة على جيش الخليفة وحلت به الهزيمة، وأسر هو وكبار رجال دولته، وقد طالبت مدة أسره حتى بلغت سبعة وستين يوماً إلى أن قُتل في الأسر^(٢).

تأتي أهمية ما قام به الخليفة المسترشد بالله بأنه شكل صحوه الخلافة العباسية في وجه السيطرة السلجوقية، فقد كانت أشبه بالثورة ضد التسلط السلجوقي على الخلافة العباسية في العراق.

وتسلم سدة السلطة من بعد المسترشد بالله ابنه الراشد أبو جعفر (٥٢٩-٥٣٢هـ/١١٣٤-١١٣٧م)، فسار على سياسة والده في صراعه مع السلاجقة من أجل تقوية الخلافة سياسياً وعسكرياً، كما عمل على الاهتمام داخلياً بالمظالم ورد الأملاك الخاصة لأصحابها الذين صودرت منهم، وقبض على أصحاب السلطان مسعود في بغداد وصادر ثرواتهم^(٣)، وحصّن بغداد ودوّن العساكر في ديوان الجند^(٤)، إلى جانب وقوف العامة من أهل بغداد إلى جانبه وتطوعهم في جيش الخلافة^(٥).

أقام الخليفة الراشد تحالفاً مع حلفاء السلطان مسعود بالأمس وأعدائه اليوم، وهما عماد الدين زنكي أمير الموصل، والسلطان داوود بن محمود السلجوقي، الذي كان حاكماً لأذربيجان، فعمل الخليفة على قطع الخطبة عن السلطان مسعود وجعلها للسلطان داوود ابن أخي مسعود محاولاً تأليب السلاجقة على بعضهم البعض لإضعاف نفوذهم^(٦)، وكان الراشد قد تصدى لرسول السلطان مسعود عند قدومه إلى بغداد للمطالبة بأموال قد تمّ الاتفاق عليها بين مسعود والخليفة المسترشد بالله قبل مقتله

(١) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٩٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٥٦. سلمان: علاقة الخليفة المسترشد بالسلطنة السلجوقية، ص ٥١٣.

(٢) ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ص ٥٠. ابن واصل (محمّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج ١، ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٣٠٠. ابن ظافر الأزدي (علي بن منصور بن حسين ت ٦٠٣هـ/١٢١٦م): أخبار الدول المنقطعة، تح عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي، الأردن، ط ١، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٤٤.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٣٩٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٧١.

(٦) ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٤٦. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٦، ص ٥٥.

سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ومقدارها أربعمائة ألف دينار، وأعلن الراشد رفضه لدفع الأموال والاستعداد لمحاربة مسعود قائلاً "ليس بيننا وبينكم إلا السيف"^(١)، وعندما وصل السلطان مسعود على رأس جيش إلى بغداد فرض الحصار عليها، فتراجع أمراء التحالف أمام جيوش السلطان مسعود لخشيته من قوته، بعدما ظهر لهم ضعف الخليفة، إلى جانب ما كان عندهم من خلاف، خاصة أن مسعود أرسل إلى الأمراء في جيش زنكي يحرضهم على قتل أميرهم، فخشي زنكي على نفسه وانسحب إلى الموصل سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م بعدما أقنع الخليفة الراشد بالخروج معه^(٢) وانتهى به الأمر مخلوعاً.

وبالرغم من استمرار الراشد في محاولته لجمع العساكر ومقاومة السلاجقة عند خلعه، حيث قوي أمره، وتقل في ديار بكر وأذربيجان وعاد إلى أصفهان، إلا أنه أخفق في محاولته وقتل بتدبير من السلطان مسعود^(٣).

وبسبب خوف السلاجقة من استمرار محاولات الخلفاء لاسترداد نفوذهم وجمعهم الجند، عمد السلطان مسعود على مبايعة الخليفة المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) ومن ثم تجريده من كافة الأموال والآلات الخاصة بالحرب والسفر، لكن المقتفي سار على نهج أسلافه لمقاومة التسلط السلجوقي، إلى أن تم له النجاح في إزالة الكثير من مظاهر النفوذ السلجوقي في العراق، فمنذ بداية حكمه أخذ يتحين الفرصة لتأكيد سلطة الخلافة، فأمر سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م بالشروع في عمارة سور بغداد وحفر الخنادق وتحصينها وإلزام المزارعين الكبار والتجار للقيام بالنفقات اللازمة لذلك^(٤)، وتمكّن في هذا العام من استغلال المعارضة ضد السلطان مسعود والحصول على موافقته في إنشاء جيش خاص بالخلافة العباسية في بغداد، وذلك بسبب تعرض بغداد لهجوم من قبل جماعة من الأمراء المعارضين للسلطان مسعود، وعدم قدرة السلطان الحضور لصد هذا الاعتداء بسبب استمرار الخلاف بين السلاطين السلاجقة^(٥)، وقد استثمر الخليفة

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٥٠.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٠٣. ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص ٥٢-٥٣. ابن العديم: زبدة الحلب، ص ٣١٣. أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٨.

(٣) ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٤٠. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٠.

(٤) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٦٩. الزهراني (محمد): نظام الوزارة في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٥٩.

(٥) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٦٩. الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١٢٠.

ذلك بجدارة، وعين عون الدين يحيى بن هبيرة^(١) وزيراً له لما أظهر من الحنكة السياسية والبراعة في اتخاذ القرارات.

عمل الخليفة المقتفي على إعادة هبة الخلافة العباسية عسكرياً مُستغلاً موت السلطان مسعود سنة ١٠٤٧هـ/١١٥٢م، فقام باسترداد أملاك الأمراء السلاجقة من أصحاب السلطان في بغداد ووزعها على حاشيته وأمرائه^(٢)، وجهاز الجيوش التي أرسلت إلى الحلة والكوفة وواسط لإخضاعها لسيطرة الخلافة العباسية، كما أرسل سنة ١٠٤٨هـ/١١٥٣م الجيوش إلى واسط من أجل الدفاع عنها ضد ملكشاه ابن أخي مسعود الذي تولى السلطنة بعده^(٣)، وفي العام نفسه أرسل الجيوش إلى بلد اللحف^(٤) فأخضعها لسيطرة الخلافة العباسية^(٥).

وقد تابع المقتفي انتصاراته العسكرية، فتمكن من السيطرة على تكريت سنة ١١٥٠هـ/١١٥٥م بعد أن حاصرها ونصب عليها المناجيق^(٦)، لكنه أخفق من فتح دقوقا^(٧) على الرغم من قيادته للجيش بنفسه^(٨).

وأمام كل هذه الأحداث يمكن تحديد سمات العصر الذي عاش فيه ابن حمدون، وما هي انعكاسات هذه الأحداث والحروب على كافة المستويات التي سترخي حتماً بظلالها على أي منتج سواء كان علمياً أو أدبياً، ويبدو أن ابن حمدون كان في صلب الحدث، فقد ولي عدة مناصب جعلته على بيئة من خفايا عصره.

(١) ابن هبيرة: عون الدين ، يحيى بن هبيرة، دخل بغداد في صباه واشتغل بالعلم، قلد الأشراف في المخزن، ثم ديوان الزمام ثم وصل الى الوزارة في عهد المقتفي، واستمر بالوزارة للخليفة المستجد بعد وفاة والده سنة ١١٦٠هـ/١١٦٥م لكنه مات مسموماً سنة ١١٦٥هـ/١١٦٥م . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦. ص ٢٣٠ وما بعدها.

(٢) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيذر ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م): الجواهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلطين، تح سعيد عاشور، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٦٨.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٨، ص ٨٥. المشهداني (محمد): المقتفي لأمر الله ، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ط ١، ١٩٩٠، ص ١١١.

(٤) اللحف: صقيع معروف في ضواحي بغداد، سمي بذلك لأنه لحف جبل همدان ونهاوند. الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٥٧.

(٦) أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ٢٩.

(٧) دقوقا: من مدن العراق بين أربيل وبغداد. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥٩. الحميري (محمد بن عبد الله ابن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٤٤.

(٨) أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ٢٩.

والسؤال المطروح هنا، ما هو دور العلامة ابن حمدون^(١) في تلك الانتصارات التي حققها الخليفة المقتفي لأمر الله؟

شكلت خلافة المقتفي لأمر الله أول ظهور لابن حمدون على الساحة السياسية والعسكرية في العراق، حيث عينه الخليفة المقتفي في منصب عارض للجيش، وكان هذا المنصب على قدر كبير من الأهمية، حيث كانت مهمته اختيار خيرة الجنود والمقاتلين لضمهم لجيش الخلافة العباسية، فضلاً عن قادة الجيش من الأمراء وكبار قادة الكتائب، إضافة إلى مهام أخرى^(٢).

على الرغم من القوة العسكرية للسلاجقة، فقد تمكن الخليفة العباسي المقتفي من تحقيق تلك الانتصارات، فارضاً سيطرته على الكثير من مدن العراق، وهذا ما يفسر الدور الكبير الذي شغله ابن حمدون في تلك الانتصارات من خلال إشرافه المباشر على تلك الأعمال العسكرية.

وقد رافقت تلك الانتصارات العسكرية التي كان يحققها الخليفة المقتفي لأمر الله أزمات داخلية، كانت تنهش جسد الخلافة، حيث أن الأيادي السلجوقية لم تهدأ في بث النعرات والفتن لضرب نسيج المجتمع في العراق، ولعل أهم تلك الأزمات هي حركة العيارين المدعومة - كما يبدو - من قبلهم، فكان لهذه الحركة أثر كبير في مجرى الأحداث داخل المجتمع العراقي.

يبقى السؤال المطروح هنا، هل كانت حركة العيارين حركة اجتماعية ظهرت للدفاع عن حقوق المجتمع ورد الظلم عن أفراد؟ - كما يُفترض بها - أم كان لهذه الحركة دور في إضعاف نسيج المجتمع العراقي؟

على الرغم من أن بعض المصادر التاريخية تحاول تسويق نشاط حركة العيارين في تلك المرحلة على أنها ردود فعل على انفلات حبل الأمن في بغداد نتيجة تغلغل السلاجقة، إلا أن بعض المصادر الأخرى تحدثت عن تحالف كبير بين العيارين والسلاجقة من أجل تمزيق وحدة الصف العراقي، ففي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م قام العيارين بعمليات نهب وسرقة للمحلات في بغداد، ويعلق ابن الأثير على ذلك بقوله: "وفي هذه السنة زاد أمر العيارين وكثروا لأمنهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاروت أخي زوجة السلطان، لأنهما كان لهما نصيب في الذي يأخذه العيارين"^(٣)، وكان نائب الشحنة ايلدكز شديداً وصارماً فأخبر السلطان مسعود السلجوقي بحقيقة الوضع حينما اتهمه مسعود

(١) ولد العلامة ابن حمدون سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م وتوفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، وسيأتي البحث على ذكره بالتفصيل.

(٢) سيأتي البحث على ذكر أهمية هذا المنصب عند الحديث عن الوظائف التي تقلدها ابن حمدون.

(٣) الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٢٨.

بالتقصير أمام العيارين، فأجابه: "يا سلطان العالم إذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك وأخا امرأتك فأبي قدرة على المفسدين"^(١)، مما يؤكد تواطؤ العياريين مع السلاجقة ضد الخلافة في بغداد.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الخليفة المقتفي قد أبدع في استغلال الخلاف بين أمراء البيت السلجوقي، فحاول ضرب السلاجقة بعضهم ببعض، فقدم المساعدة العسكرية للسلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه - الذي كان حاكماً على سلاجقة خراسان - عند قدومه إلى بغداد طالباً المساعدة ضد السلطان محمد شاه بن محمود بن ملكشاه سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، فألبسه الخليفة خلعاً السلطنة وأرسل معه جيشاً لمحاربة محمد شاه وقعت الحرب بين الطرفين في تبريز وانتهت بهزيمة سليمان شاه، عاد الجيش العباسي إلى بغداد بعد أن منى بهزيمة كبرى^(٢)، بعد ذلك تعرضت بغداد لحصار من قبل السلطان محمد شاه انتقاماً من الخليفة المقتفي، بيد أن جيش الخليفة تمكن من التصدي للسلطان محمد شاه وأجبره على الانسحاب إلى همدان لحماية ملكه من السلطان ملكشاه بن محمود الذي سار إلى همدان للاستيلاء عليها^(٣).

وبعد توالي تلك الأحداث بقليل توفي المقتفي، فخلفه ابنه **المستجد بالله** أبو المظفر يوسف (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)، الذي عمل على إضعاف النفوذ السلجوقي في العراق، فوجه اهتمامه لكافة الأمور في الدولة بمساعدة وزير والده ابن هبيرة ومساندته^(٤)، **وابن حمدون** الذي ولاه الخليفة منصب ديوان الزمام، حيث كان هذا المنصب على قدر كبير من الأهمية لما له من دور في مراقبة الأمور المالية للدولة، فضلاً عن متابعة عمل بقية دواوين الدولة، ولم يغفل الخليفة عن متابعة الأعمال العسكرية، فقام بالكثير منها، إلى جانب نشره للعدل والصلاح في أراضي الخلافة ومنع الظلم والفساد، وتمكّن من صد جميع الهجمات التي تعرضت لها أراضي الخلافة آنذاك كما حصل سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م عندما استطاع الوقوف في وجه صاحب خوزستان شملة التركماني أثناء هجومه على الماهكي^(٥)، حيث أرسل المستجد الجيوش للدفاع عنها فتمكنوا من إجبار شملة على الانسحاب^(٦).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٢٨.

(٢) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٠، ص ٤٥٧. الراوندي: راحة الصدور، ص ٣٨٣.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ٣٨٣. أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ٣٠. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٥٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٧٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٠.

(٥) قلعة كانت بيد الأكراد والأتراك منذ أيام المقتدر، وهي قريبة من منطقة اللحف. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٥٠.

(٦) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٦٤٧.

كانت خلافة المستنجد من أهم المراحل التاريخية التي مرَّ بها ابن حمدون خلال حياته، فقد تجرَّع فيها كأس الحظوة والرفعة من جهة، وكأس المرارة والقهر من جهة أخرى، ففي الوقت الذي نال فيها ابن حمدون الحظوة الكبيرة عند الخليفة المستنجد وولاه أهم المناصب في الدولة، فقد أودعه الخليفة نفسه في السجن دون معرفة الأسباب، ولكن بالاطلاع على الوضع الداخلي الذي كان سائداً داخل قصر الخلافة، يتبين بأنه كان محاطاً بالمؤامرات والوشايات، وبالتالي برزت لوحة جديدة من اللوحات المؤثرة بابن حمدون وكتابه التذكرة الحمدونية.

فقد شغلت الجواري دوراً مؤثراً في الحياة السياسية باستغلالهن الحظوة التي تمتعن بها عند الخلفاء في فرض آرائهن، حيث قرين واستبعدن بعض رجالات الدولة، وهنا لا بد من طرح تساؤل يتعلق بابن حمدون، وهو، هل من الممكن أن يكون ابن حمدون أحد هؤلاء الرجال؟

أوردت المصادر التاريخية عن الكثير من المؤامرات التي كانت تحاك من قبل الجواري في ظل حكم الخلفاء العباسيين، فعلى سبيل المثال، ما حصل مع الخليفة المستنجد عندما توفي والده الخليفة المقتفي لأمر الله، فقد كان للخليفة المقتفي محظية وهي أم ولده أبو علي الحسن، ولما اشتد مرض الخليفة استعانت بأحد رجال الدولة واسمه أبو المعالي بن الكيا الهراسي^(١) لجعل ولاية العهد لابنها^(٢)، فاشتراط عليها توليته الوزارة، واستعانت بالجواري لقتل المستنجد بن المقتفي لأمر الله^(٣)، وكان للمستنجد خادم صغير يرسله بشكل مستمر للتعرف على أخبار والده، فرأى الجواري بأيديهن السكاكين، ورأى بيد أبي علي وأمه سيفين، فعاد إلى المستنجد فأخبره بما رآه، وأرادت المكيدة له، فأرسلت للمستنجد، تقول أن والده قد حضره الموت ليحضر، فلما أراد الدخول لبس الدرع وأخذ بيده السيف، فلما دخل ثارت عليه الجواري، فضرب واحدة فجرحها، وسرعان ما دخل الحرس وتمكنوا من قتل بعض الجواري، وقبض المستنجد على أخيه أبي علي وزوجة أبيه وأمر بسجنهما^(٤)، وبويع المستنجد بعدها بالخلافة، وتلقي هذه الرواية المهمة الضوء على الوضع الداخلي المضطرب الذي كان سائداً داخل البيت العباسي في بداية عصر المستنجد، لذلك فمن غير المستبعد أن تكون نهاية ابن حمدون وهو مبيت في السجن، جاءت نتيجة وشاية أو مؤامرة حيكت ضده.

(١) ابن الكيا الهراسي: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الملقب بعماد الدين، فقيه شافعي، من أهل طبرستان، درّس في المدرسة النظامية، ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وتوفي سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٧١. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٧١. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢١١.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٢٥٦. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٦٤٥. العزايزة (وجدان): المرأة في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ٨٥.

توفي الخليفة المستجد سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بمؤامرة من قائد جيشه قطب الدين قايمار، وتسلم الخلافة بعده ابنه أبو محمد الحسن المستضيء (٥٦٦-٥٧٧هـ/١١٧٠-١١٨١م)، وسيقف البحث هنا عن الحديث حول الخليفة المستضيء باعتبار أن الخليفة المستجد كان آخر الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم محمد بن الحسن بن حمدون (٤٩٥-٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٦م).

ب. بداية حملات الفرنجة (الصليبية)

إذا كانت الأراضي في مشرق الخلافة قد شهدت صراعات سياسية وعسكرية طاحنة، فإن أراضي بلاد الشام أي غرب الخلافة، لم تكن أقل ضراوة منها، فقد شهدت هذه المنطقة قدوم الحملات الصليبية على البلاد العربية الإسلامية.

تعد الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمن (٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) امتداداً لفكرة الصراع الطويل والمرير بين العالمين الشرقي والغربي، لذلك خرجت الحملات من الغرب الأوروبي متسترة بالدين وبحجة حماية الأماكن المقدسة وأوروبا المسيحية من الإسلام، وأسباب هذه الحروب كثيرة، منها مباشرة ومنها غير مباشرة ولا مجال لذكرها هنا، إلا أنه يمكن القول أن الحملة الصليبية الأولى (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) بدأت بعد مؤتمر كليرمونت في فرنسا، الذي جمع وفود جميع الشعوب الأوروبية من أمراء ورؤساء كنائس ووفود الملوك، وخطب فيه البابا أوربان الثاني خطابه الشهير باللغة الفرنسية التي ألهم فيها مشاعر الحاضرين، وكان محوره يدور حول استعادة بيت المقدس والأراضي المقدسة من المسلمين^(١).

انطلقت الحملة الصليبية الأولى -العامة- سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م من فرنسا سالكة الطريق نحو القسطنطينية، وفي آسيا الصغرى ألحق سلاجقة الروم بزعامة قلعج أرسلان الهزيمة بالصليبيين بقيادة بطرس الناسك قرب قونية^(٢)، ولكن بالمقابل كان التجهيز في فرنسا وإيطاليا على أعلى الدرجات من قبل الأمراء والاقطاعيين، وسيرت الجيوش الصليبية من جديد، وكان عددها أربعة، حيث تابعت تقدمها وتمكنت من الانتصار على قلعج أرسلان بموقعة ضوريوم سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م بمساعدة البيزنطيين وإمبراطورهم إيكسوس كومنين.

تفرق بعد هذه الموقعة أمراء وقادة الحملة عن الحملة الصليبية، ومنهم بلدوين دي بولليون أو ما يُعرف بالأول، واتجه إلى الرها، وتمكن من السيطرة عليها بمساعدة أهلها، وبذلك تأسست إمارة الرها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م كأول إمارة صليبية، وتابعت بقايا الحملة زحفها من قونية نحو أنطاكية في أقصى شمال بلاد الشام، والتي تعد من المدن المشهورة بمناعة حصونها وأبراجها، لكن سرعان ما

(١) عاشور (سعيد): الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م، ج ١، ص ٣١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٩٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ٧.

سقطت تحت هجمات الصليبيين^(١)، وبذلك تأسست ثاني الإمارات الصليبية وهي أنطاكية سنة ١٠٩٨م/٤٩١هـ على يد بوهيموند النورماندي، ثم تابعت المجموعات الباقية من الحملة بزعامه ريموند الصنجيلي الطريق الساحلي نحو بيت المقدس متفادية الدخول في صراع مع المدن الساحلية، طرابلس، بيروت، صور، صيدا، وتمكنت من الدخول بسرعة إلى بيت المقدس^(٢).

كانت مدينة بيت المقدس تابعة للخلافة الفاطمية في مصر، وكان يتولاها افتخار الدولة^(٣) من قبل الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي، وقد حاصر الصليبيون المدينة مدة أربعين يوماً من رجب ٤٩٢هـ/ ٧ حزيران ١٠٩٩م^(٤)، لكنها سقطت بأيديهم على الرغم من احتياطات حاكمها الفاطمي، فاستبيحت المدينة، وتعرضت لأبشع أنواع المجازر التي شهدتها التاريخ، فقد كان إبادة المسلمين في مدينة القدس شبه تامة، وبذلك تأسست مملكة بيت المقدس اللاتينية.

وبعد سقوط بيت المقدس، حدثت نزاعات بين الأمراء الصليبيين واستقرت الأمور على تعيين غودفري دي بولليون أخ بلدوين على عرش القدس، فترك ريموند المدينة وتوجه نحو طرابلس محاولاً السيطرة عليها، إلا أنه لم يفلح، واستمرت المحاولات الصليبية في الهجوم عليها، وأمعنوا في حصارها، وقد طلب صاحبها فخر الملك بن عمار النجدة من الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م^(٥) ولم يحصل على مبتغاه وعاد بخفي حنين، وأخيراً تمكّن برترام بن ريموند بمساندة أسطول جنوي من تشديد الحصار على طرابلس براً وبحراً، وفي نهاية المطاف دخولها سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، ونقض الجنويون الاتفاقية التي كانت قد وُقعت لتسليم المدينة، فأخذوا ينهجون ويحرقون البيوت ويقتلون كل من صادفهم من المسلمين، وفي غمرة هذه الفوضى أتى الحريق على مكتبة بني عمار المشهورة بدار العلم، والتي كانت تحتوي على عدد كبير من المخطوطات في مختلف المعارف الإنسانية^(٦).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٦٠ وما بعدها. أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ٢٩٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥٥.

(٢) برجوي (سعيد): الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٦٢.

(٣) لم تذكر المصادر التاريخية التي وقف عليها البحث سوى لقبه، وأنه كان حاكماً على بيت المقدس نيابة عن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٤، ص ١٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٤٨.

(٤) الصوري (وليم): تاريخ الحروب الصليبية، تر حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٩٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤١٨. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٦٠٠.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ١٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٨٠.

ج. ظهور الأتابكة

عمل السلاجقة على تقسيم الأقاليم الخاضعة لهم على شكل إقطاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة، وكانوا يلحقون قائداً بكل واحد من الأمراء صغار السن، كان يحمل لقب أتابك، ليعاونه في إدارة شؤون الحكم، ويتحمل مسؤولية تربيته العسكرية، وبفعل صغر سن الأمير، وافتقاره إلى الخبرة والتجربة في الشؤون العامة، قفز الأتابكة إلى الواجهة السياسية، وأضحوا أصحاب النفوذ الفعلي في إدارة الولايات التي يُعهد إلى الأمراء بحكمها أو التي يُعهد إليهم بحكمها من قبل السلطان، وكان طبيعياً أن يحل الأتابكة محل الأمراء السلاجقة في الحكم بعد تصدع الدولة السلجوقية على إثر وفاة ملكشاه وفي ظل انقسام الأمراء السلاجقة على أنفسهم، وتأسيسهم إمارات وراثية، غير أن هذا الأمر لم ينطو على قطيعة محددة مع السلاطين السلاجقة، بل على العكس من ذلك، فقد استمروا في الحفاظ على موقف من الخضوع تجاه السلاطين، وتقبل هؤلاء من جانبهم هذا التطور السياسي دونما أي احتجاج^(١).

ويُعد ظهير الدين طغتكين مؤسس **اتابكية دمشق** (الدولة البورية) الذي تولى السلطة بعد وفاة سيده دقاق بن تنش بن ألب أرسلان سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م^(٢)، والتي استمرت حوالي نصف قرن (٤٩٨-٥٤٩هـ/١١٠٤-١١٥٤م).

بعد حوالي ربع قرن أسس عماد الدين زنكي **أتابكية الموصل** التي توسعت في عهده (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) حيث ضم سنجار وحران وإربيل والرقعة، وينتمي عماد الدين إلى أسرة تركية، وقد تولى أبوه ألق سنقر^(٣) ولاية الموصل وحلب، عُرف عماد الدين بالشجاعة في سن مبكرة، وقد التقى حوله ممالك أبيه، وذاع صيته حين اشترك في قتال الصليبيين في طبرية سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م، فأظهر بسالة في القتال والفروسية^(٤)، كانت أولى الانجازات التي حصدها عماد الدين السيطرة على حلب سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م وبالتالي أصبحت الموصل وحلب تحت سيطرته، وأصبح مسؤولاً عن حركة الجهاد ضد الصليبيين^(٥)، ثم تمكّن سنة ٥٢٧هـ/١١٣٠م من فتح حصن الأثارب بعد انتصاره على

(١) هاميلتون (ج): صلاح الدين الأيوبي، تر يوسف أبيض، دار بيسان، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٥٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٢٣ وما بعدها. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٥١٩.

(٣) ألق سنقر: قسيم الدولة، ويُعرف بالحاجب، جد البيت الأتابكي بالموصل، كان مملوك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، وعندما تولى تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان السلجوقي مدينة حلب سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م استتابه فيها واعتمد عليه لأنه مملوك أخيه ولكنه عاد فعصى. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٤١.

(٤) ابن الأثير: الباهر، ص ١٩.

(٥) ابن الأثير: الباهر، ص ٣٧-٣٨. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ٣٧.

الصلبيين، ثم توالى انتصاراته متوجةً بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م بعد أن حاصرها ثمانية عشر يوماً حتى أخذها عنوة، كما حاصر قلعتها وسيطر عليها^(١).

كانت أتابكية عماد الدين في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م قد شملت حلب والموصل ومدينة الرها وشرق نهر الفرات، لكن الموت فاجأه عندما كان يحاصر قلعة جعبر، فانقسمت الأتابكية بين ولديه محمود وغازي، فحصل ابنه الأمير غازي على القسم الشرقي ومقره مدينة الموصل، في حين حصل ابنه الأصغر نور الدين محمود على القسم الغربي ومقره مدينة حلب، وكانت أملاكه تتاخم الدولة البورية في دمشق، لذلك تابع محمود عمل أبيه في القضاء على أتابكية دمشق السلجوقية لتوحيد كلمة المسلمين في بلاد الشام.

وفي هذه الأثناء وصلت أصداء سقوط الرها إلى أوروبا، فكان لوقعها الصدمة الكبرى، فانبرى البابا أيوجين (أوجان) الثالث يحرض ملوك أوروبا من أجل إرسال حملة صليبية جديدة، فاستجاب لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث ملك ألمانيا^(٢)، فكانت الحملة الصليبية الثانية.

كُتب لهذه الحملة الإخفاق منذ البداية عندما سار كل من الملكين مستقلاً عن الآخر، فخرج كونراد الثالث ٥٤١هـ/١١٤٦م من أوروبا متوجهاً إلى المشرق، وبعد شهرين تبعه لويس السابع، وقد منيت قوات الملك الألماني بهزيمة ساحقة عندما عبرت من نيقية إلى بلاد الشام، في الوقت الذي تابع لويس السابع بجيشه المسير براً، فوصل برفقة كونراد الثالث وبلدوين الثالث ملك بيت المقدس، وضربوا حصاراً على دمشق، ولكنه باء بالإخفاق وآثروا الانسحاب، خاصة بعد أن وصلتهم أخبار بتحريك نور الدين باتجاه دمشق وأخيه غازي من الموصل، وبذلك أخفقت هذه الحملة وعادت تجر أذيال الخيبة والفشل، وكان ذلك سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٣١. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠٦. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٥، ص ٣١٠.

(٢) المطوي (محمد): الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦٩.

(٣) طقوش (محمد): تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ٢٦٠.

وفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٣م تمكن نور الدين محمود من السيطرة على دمشق وإنهاء الدولة البورية، بعد أن فرض الحصار عليها وأجبر مجير الدين أبى^(١) الذي كان آخر أتابكة هذه الدولة على الهرب إلى بغداد، وبذلك تمكن نور الدين من السيطرة على دمشق ويسط سيطرته عليها^(٢).

وتابع نور الدين انتصاراته فظفر بالانتصار على الصليبيين ووضع كامل بلاد الشام تحت نفوذه، وهنا بدأت فكرة السيطرة على مصر، التي كانت تقع تحت حكم الخلافة الفاطمية، في الوقت الذي تعيش فيه هذه الخلافة أواخر أيامها في ظل آخر خلفائها العاضد لدين الله^(٣)، فأرسل نور الدين ثلاث حملات بقيادة أسد الدين شيركوه في السنوات ٥٥٩هـ/١١٦٤م، ٥٦٢هـ/١١٦٧م، و ٥٦٣هـ/١١٦٨م، تمكن خلالها من الدخول إلى مصر وتولي وزارتها سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م^(٤).

لم يستمر أسد الدين في منصبه سوى شهرين وخمسة أيام حيث توفي في ٢٢ جمادى الثاني سنة ٥٦٤هـ/ آذار ١١٦٩م، فولى الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله صلاح الدين يوسف ابن أخ شيركوه منصب الوزارة، وما إن استقر صلاح الدين في الوزارة حتى قامت ثورة العبيد التي قادها جوهر الخسي متحالفاً مع الصليبيين، وكادوا أن ينزلوا هزيمة بصلاح الدين لولا مساعدة الخليفة العاضد له فتمكن من القضاء عليهم^(٥)، وفي هذه الأثناء أيقن عموري الأول ملك بيت المقدس أنه أصبح بين فكي كماشة، نور الدين محمود من الشام وصلاح الدين من مصر، وقد مهد لمطامعه بأن تزوج من ابنة أخ الإمبراطور البيزنطي أمانوئيل كومنين، وعندما طلب منه المساعدة في احتلال مصر، أرسل له مائتي سفينة تحمل الذخيرة والمؤن والرجال^(٦)، اتجه الأسطول البيزنطي بالاشتراك مع الصليبيين وقائدهم إملريك الأول وضربوا حصاراً على دمياط في صفر ٥٦٥هـ/١١٦٩م، هنا طلب صلاح الدين العون من نور الدين محمود، الذي بدأ يُغير على القوات الصليبية في بلاد الشام لقطع طرق الإمدادات، وصمد أهل دمياط أمام هذا الحصار الذي طال أمده حتى نفذت المؤونة، وهنا بدأ الشقاق

(١) مجير الدين أبى: أبو سعيد، صاحب دمشق، وهو ابن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن طغتكين، ولد في بعلبك في ولاية والده عليها، وقدم معه إلى دمشق، تولى الحكم في دمشق بعد وفاة والده، وعندما شرع نور الدين محمود في حصار دمشق استسلم له ورحل إلى حمص ومنها إلى بغداد وبقي فيها حتى وفاته سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٣٦٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٣١.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٥٠٥. ابن الأثير: الباهر، ١٠٦. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) تولى الحكم من سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م حتى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م الذي شهد سقوط الخلافة الفاطمية.

(٤) المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٢٩٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٣٨.

(٥) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٤١. المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٣١٢.

(٦) البرجوي: الحروب الصليبية، ص ٣٤٣.

بين البيزنطيين والصليبيين كما تعرضوا لخسائر فادحة، وفي الوقت نفسه تعرض الصليبيون لهجوم قوي في بلاد الشام^(١) على يد نور الدين، كل ذلك ساهم بانسحاب الحملة الصليبية تجر أذيال الخيبة.

كان الخليفة المستنجد بالله العباسي في بغداد قد أرسل لنور الدين محمود معاتباً على تأخير إقامة الدعوة له في القاهرة، فاغتنم نور الدين فرصة ذهاب نجم الدين أيوب والد صلاح الدين إلى القاهرة وبعث معه رسالة يحثُ فيها صلاح الدين للتعجيل بإقامة الخطبة للخليفة العباسي، واتفق أن اشتد المرض على الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، لذلك أمر صلاح الدين جميع خطباء القاهرة ومصر بقطع الخطبة للخليفة العاضد وأن يُخطب للخليفة المستضيء العباسي بعد أن تولى الخلافة عقب وفاة والده المستنجد يوم الجمعة ٧ محرم ٥٦٧هـ/ ١٠ أيلول ١١٧١م ثم توفي العاضد بعد ثلاثة أيام دون أن يعلم بأنه آخر الخلفاء الفاطميين^(٢).

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص ١٤٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٦٤. المقرئ: اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٣٣٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٦٣. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٧.

جدول بأهم الاحداث التي وقعت في حقبة ابن حمدون

الحدث	تاريخ وقوعه
معركة الداندانقان	١٠٣٩هـ/١٠٣٩م
دخول طغرل بك بغداد	١٠٥٥هـ/١٠٥٥م
معركة ملاذكرد	١٠٦٣هـ/١٠٦٣م
تولي السلطان محمد بن ملكشاه سدة الحكم	١١٠٤هـ/١١٠٤م
بداية حملات الفرنجة	١٠٩٦هـ/١٠٩٦م
تولي السلطان سنجر سدة السلطنة	١١١٩هـ/١١١٩م
نشاط حركة العيارين في بغداد	١١٢١هـ/١١٢١م
حصار بغداد من قبل السلاجقة	١١٢٨هـ/١١٢٨م
دخول عماد الدين زنكي إلى حلب	١١٢٨هـ/١١٢٨م
انتصار السلاجقة على الخليفة العباسي المسترشد بالله	١١٣٥هـ/١١٣٥م
حصار بغداد الثاني وموت الخليفة الراشد بالله	١١٣٥هـ/١١٣٥م
الحملة الصليبية الثانية	١١٤٩هـ/١١٤٩م
وفاة محمد بن الحسن (أبو نصر) أخ ابن حمدون	١١٥٠هـ/١١٥٠م
وفاة الحسن بن محمد (أبو سعد) والد ابن حمدون	١١٥١هـ/١١٥١م
تولي الخليفة المستجد بالله سدة الخلافة	١١٥٩هـ/١١٥٩م
أسناد وظيفة ديوان الزمام لابن حمدون	١١٦٢هـ/١١٦٢م
وفاة ابن حمدون	١١٦٦هـ/١١٦٦م

جدول من صنع الطالب

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن حمدون

إن دراسة الحياة السياسية والاقتصادية في عصر من العصور لها من الأهمية بمكان أنها تنعكس بدرجة كبيرة على الحياة الاجتماعية، وعليه كان النشاط الاجتماعي للناس في عصر سيطرة السلاجقة متأثراً بشكل كبير بالعوامل السياسية والاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك.

والواقع أن الحياة الاجتماعية في هذا العصر لا تختلف كثيراً عما كانت عليه في الحقبة السابقة، ذلك أنه لم تحدث تطورات كبيرة تستلزم ذلك، على أن غلبة العنصر السلجوقي، إضافة إلى مجريات الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية، أدت إلى إيجاد ظواهر معينة، كان لها أثر واضح في حياة الناس الاجتماعية.

أما فئات المجتمع فكان أهمها فئة السلاطين وحكام الأقاليم، ثم فئة القادة وأمراء الجند، ثم فئة الموظفين، وكان السلاجقة قبل قيام دولتهم يغلب عليهم الميل إلى التنقل والارتحال، فلم يكونوا يألفون حياة المدن، فلما قامت دولتهم، غيروا أسلوب حياتهم، فسكنوا المدن وبنوا الدور والقصور، وعاشوا حياة اجتماعية تختلف مظاهرها كثيراً عن مظاهر حياتهم البدوية قبل قيام الدولة السلجوقية، وقد كان كثير من سلاطين السلاجقة غير مثقفين^(١) ثقافة تتفق مع ازدهار الثقافة العربية الإسلامية وربيها في ذلك العصر، فوجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى كثير من الموظفين للاستعانة بهم في مختلف الأمور، فصارت فئة الموظفين من أكثر الفئات أهمية في المجتمع، واختلف نفوذ أفرادها باختلاف مناصبهم ومدى اتصالهم بالسلطان السلجوقي، فعُدَّ الوزراء والحجَّاب والكتَّاب من أكثر الموظفين نفوذاً ووصولاً لأصحاب القرار^(٢).

وكان للطرق الصوفية مكانة مهمة في المجتمع، فأثَّرت تعاليمها في ميل الناس إلى حب الوحدة، والميل إلى الاعتكاف والانزواء، ويُلخص ابن جبير الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً آنذاك عندما زار بغداد عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م فيقول عن أهلها: "وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، فالغريب فيهم معدوم الإرفاق، متضاعف الإنفاق، لا يجد من أهلها إلا من يعامله بنفاق، أو يهش إليه هشاشة انتفاع واسترفاق، كأنهم من التزام هذه الخلقة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ..."^(٣).

هذه الأوضاع الاجتماعية التي ظهرت بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والدينية المضطربة، كانت سبباً في محاولة بعض الفئات الاجتماعية لإصلاح المجتمع بالقوة، كمنظمتي

(١) حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٧٣.

(٢) حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٧٤.

(٣) ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير ت ٦١٤هـ/١٢١٧م): الرحلة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت، ص ٨١.

الأخوة الفتيان والعيارين، اللتين اتخذتا من السلاح وسيلة لأخذ حقهما، والضرب على أيدي الظلمة، وتقديم المساعدة للمحتاجين، وكانت تعاليم هذه المنظمات أو غيرها أكثر تماشياً مع نفوس السكان، فانضوى كثير منهم تحت لوائها، وعلى صعيد آخر ساهم بعضها في تمزيق وحدة المجتمع من خلال تحالف بعض رجالها مع السلاجقة كما سبق وذكر.

وظهر الرقيق في هذا العصر كقوة اجتماعية لها أهميتها، وصل الكثير منهم إلى درجة الإمارة، وشغلوا دوراً هاماً في الإدارة في عصر السلاجقة.

ومن فئات المجتمع أهل الذمة^(١)، وهم المسيحيون واليهود الذين كانوا يعيشون في المجتمع ويتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني، ويقيمون شعائرهم الدينية في حرية وأمن تام دون أي مضايقات يتعرضون لها^(٢).

وقد سمح السلاجقة لشخصية المرأة بالظهور والمشاركة في الأحداث بصورة كبيرة، فاشتركن في اختيار الوزراء، وإدارة الحروب، وتدبير المؤامرات ضد الخصوم، ومن أشهر النساء اللاتي ظهرت شخصياتهن في عصر سيطرة السلاجقة، ترکان خاتون زوجة ملكشاه، وزبيدة خاتون إحدى زوجات ملكشاه وأم ابنه الأكبر بركياروق^(٣)، إضافة إلى بعض الأميرات وذوات الشأن.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل كان يعني وصول بعض الخواتين الأميرات السلجوقيات لمكانة عالية في المجتمع، دليلاً على أن المرأة في عصر سيطرة السلاجقة قد تمتعت بمكانة مرموقة؟

الجدير بالذكر أن جميع المعلومات التي وردت في المصادر التاريخية التي أرخت لتلك الحقبة، وتناولت موضوع المرأة ودورها في الحياة السياسية والعسكرية في عصر السيطرة السلجوقية، كانت تخص فئة الخواتين والأميرات السلجوقيات فقط، لكن ما هو وضع المرأة في المجتمع؟ وهل حظيت بمكانة مرموقة بين العامة؟ هذا ما يحض جميع الباحثين لتتبع مكانة المرأة بعيداً عن سدة السلطة.

إن عدداً لا بأس به من المصادر التاريخية تحدثت عن نساء تعلموا ودرسوا الفقه والحديث والقرآن الكريم، ومنهن من عمل في التدريس، لكن بالمقابل وجب التنويه إلى أن السماح للمرأة بالتعلم والتعليم اقتصر فقط على العلوم الدينية والشرعية، وهذا يمكن تسويغه بأن هذه العلوم كانت هي السائدة في ذلك العصر، وإذا ما تمّ البحث فيما ورد في العديد من المصادر التاريخية، فيلاحظ غياب لأي

(١) حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٧٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٢. حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٥٣. حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص ١٨٠.

ذكر لامرأة برعت في فن من الفنون، أو مارست مهنة من مهن المجتمع، فلا تظهر المرأة القاضية، أو التاجرة، أو الطيبية أو غير ذلك من المجالات.

ثالثاً: الأوضاع الاقتصادية في عصر ابن حمدون

تتحدث المصادر التاريخية التي تناولت الحقبة السلجوقية في العراق عن الكوارث والأزمات الاقتصادية التي كثيراً ما اجتاحت البلاد في هذا العصر، وقد انفق الكثير من المصادر في وصف حالات الجذب والقحط والفيضانات والدمار التي كان من نتائجها حصول أزمات خانقة نجم عنها أضرار كثيرة^(١).

إن طبيعة البحث لا تقتضي تتبع معلومات عن تلك الكوارث واستقصاء المعلومات عنها لضيق المجال، ومع ذلك فلعل من المناسب الإشارة إلى نموذج من ذلك كالذي حصل سنة ٥١٥هـ/١١٢١م حيث نزلت بالعراق نازلة عنيفة، فقد استمر هطول الأمطار مدة طويلة، زادت فيه عن أقصى الحدود المحتملة، وكانت تلك الأمطار كثيفة وشاملة، فأهلكت الزرع والضرع، ونزل الثلج الذي دام خمسة عشر يوماً، مما تسبب في إهلاك الأشجار^(٢)، وفي مقابل تلك الصورة الكالحة، وما نجم عنها من أزمة حادة، تقدم المصادر صوراً جانبية من البذخ والإسراف في روايات متواترة، فابن الجوزي يروي مثلاً أخبار حفل زفاف الأميرة خاتون ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة المقتدي بأمر الله وما أنفق فيه من أموال طائلة^(٣)، فيما يروي المؤرخ ابن كثير في تاريخه تكاليف زفاف الخليفة العباسي القائم بأمر الله من ابنة أخ السلطان طغرل بك^(٤)، هذا إذا ما أضيفت النتائج السلبية للصراعات العسكرية والنقائل على السلطة، وأثره على الاقتصاد بكل فروعه.

وجدير بالذكر أن الاقتصاد في عصر سيطرة السلاجقة، كان يعتمد بالدرجة الأولى على الزراعة، فصالح الزراعة وفسادها له تأثير هام وعظيم على اقتصاد الناس، وبتوسع الدولة السلجوقية، والحرص على ضمان وسلامة وحماية ثغورها وحدودها وإصلاح أمر البلاد، مما حدا بالوزير نظام الملك وضع نظام جديد للإقطاع، لأنه أدرك أن النظام القديم بما يحمله من أبعاد يمثل خطراً على السلطة المركزية وعلى الأمن، فاتخذ إجراءً وقائياً بأن فرّق اقطاع القائد أو الجندي الواحد في بلاد مختلفة، ولم يجعله جملة واحدة في موضع واحد، حتى لا يقوى المُقطّع بما يكون له من عصبية وقوة

(١) مما أوردته المصادر حول هذه الأزمات على سبيل المثال، ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٤٠. ابن الأثير:

الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٨٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٩٦.

(٣) المنتظم، ج ١٦، ص ٢٨٦.

(٤) البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٨٥.

قد تكون خطراً على كيان الدولة على حد قول البنداري^(١)، ولقد حدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المُقطعين، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البنداري "خدماً عن عصمة ولاياتهم يوصلونها، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالات الخدمات للحضرة، والوصول بالعساكر الجمة"^(٢)، ولقد وضع نظام الملك ضمانات واضحة تحوطاً من استغلال أصحاب الإقطاعات للناس ذكرها بالتفصيل في كتابه سياست نامه^(٣).

لقد قُسم العراق في عصر سيطرة السلاجقة إلى عدة إقطاعات، وُزعت بين أفراد البيت السلجوقي والولاة، واستمر على هذه الصورة طيلة ذلك العصر، لوجود فئة عسكرية كانت تتمثل بولاة الشَّحَن وقادة الجيش فضلاً عن الجند، وقد استمر هذا النظام في عصر الزنكيين والأيوبيين^(٤)، وهناك نوع آخر من الإقطاع عادة ما كان يجري على أرض الموات بقصد إحيائها، وربما على الأرض العشيرية، وهي الأرض العامرة التي توفي صاحبها دون وارث^(٥)، من الأمثلة على ذلك أن الخليفة المقتفي لأمر الله منح أحد الأتابكة الزنكيين قريتي الصريفين^(٦)، وحربى^(٧)، ملكاً له^(٨)، ومن نماذج الإقطاع أيضاً، التسليك الذي كان يمنحه السلاطين السلاجقة لخلفاء وأمراء البيت العباسي أو أفراد عائلة الخليفة، حيث يديرونها بالنيابة عنهم.

وقد كانت موارد العراق المالية تذهب إلى خزينة السلطان السلجوقي ليتصرف فيها بحرية تامة وكأنها خزانته الخاصة، ففي هذا الصدد يذكر السيوطي أنه في عام ١١٣٦هـ/١١٣٦م أخذ السلطان مسعود جميع ممتلكات الخليفة المقتفي، ولم يترك له إلا العقار الخاص، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار، فردَّ عليه المقتفي ردّاً قوياً^(٩).

(١) تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٥.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٦.

(٣) نظام الملك (الحسن بن علي بن إسحاق ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سياست نامه، تح يوسف بكار، دار الثقافة، قطر، ٢، ١٣٩م، ص ١٧٤.

(٤) الدوري (عبد العزيز): مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، البصرة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٧٨.

(٥) الماوردي (علي بن محمد بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ص ٣٥٦.

(٦) صريفين: قرية كبيرة قرب عكبراء. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٠٣.

(٧) حربى: بلدة تقع على الضفة اليمنى لمجرى نهر دجلة. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٨) ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٢.

(٩) تاريخ الخلفاء، ص ٣١٠.

والمصادر التاريخية لا تسعف البحث بمعلومات وافرة عن الزراعة، ولكن يتضح من إشاراتٍ عابرة، عرض لها المؤرخون والرحالة أن الزراعة كانت منتعشة في هذه الحقبة إلى حد ما، فقد جاء أن والي العراق السلجوقي مجاهد الدين أبو الخير بهروز الرومي، الذي تولى شحنة بغداد، قام بأعمال جليلة، مثل تعميره للمحولة المعروفة بالمجاهدية، أو بثق النهروان، حيث جمع لها الرجال وعمرها، وبنى سداً^(١) لمدينة بهرز^(٢)، وقد ذكر بنيامين في رحلته سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م عن بغداد، أن استدارتها بلغت عشرين ميلاً، وأن الرياض والحقول تمتد حولها، وكذلك بساتين النخيل لا مثيل لها في العراق^(٣)، وجاء في رحلة ابن جبير للعراق عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م وصف جيد أظهر فيه العمران الزراعي للمنطقة من جنوب العراق إلى شماله، مبتدئاً بالكوفة ذاكراً جميع المدن على طريق بغداد بما كانت تحويه من خيرات وأشجار وازدهار للزراعة وقنوات المياه^(٤)، ومن الواضح أن الزراعات المتنوعة ظلت منتشرة في العراق كما كانت سابقاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الحقبة هي تالية لعهد ابن حمدون، حيث شهدت نوعاً من توقف الصراعات وعودة هيبة الخلافة العباسية مع تداعي السلطنة السلجوقية.

تعد الصناعة الركن الثاني من أركان النظام الاقتصادي بعد الزراعة، وقد توافرت في العراق المواد الأولية التي تحتاج إليها الصناعة للتطور إضافة إلى الأيدي العاملة، وسهولة تصريف المصنوعات في الأسواق، فإن تلك الصناعات قد كثرت وتنوعت واعتمدت في ذلك على المنتجات الزراعية والحيوانية، وتقدمت الصناعة في هذا العصر تقدماً ملحوظاً لما حظيت به العراق من توافر للمادة الخام على اختلاف أنواعها وتعددتها، حيث كانت الدولة السلجوقية والخلافة العباسية تنتج العديد من أنواع المحاصيل هذا إلى جانب ثروتها الحيوانية والسمكية، مما ساعد على ازدهار الصناعات القائمة على تلك المواد كصناعة المنسوجات والصناعات الغذائية المتعددة وصناعة العطور وغيرها من الصناعات الأخرى^(٥).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٨.

(٢) بهرز: بلدة تقع إلى الشرق من بغداد، وتبعد عنها أربعة فراسخ (٢٠ كم). الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٦٤.

(٣) بنيامين التطيلي (بنيامين بن الرابي يونة ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م): الرحلة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٤.

(٤) ابن جبير: الرحلة، ص ٧٩.

(٥) عبد اللطيف (صفا): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق إبان عهد السلاجقة، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، السودان، ٢٠١٧م، ص ٧٦.

كانت صناعة النسيج من أهم الصناعات التي ازدهرت في العراق والمشرق العربي الإسلامي خلال الحقبة السلجوقية، فانتشرت في بغداد صناعة نسيج الحرير منذ وقت مبكر^(١)، وخاصة ما عُرف بالعتابيات^(٢).

كما اشتهرت بغداد بإنتاج نوع من المنسوجات يُسمى البغدادي^(٣)، أما مدينة الموصل فقد حازت منسوجاتها على شهرة كبيرة في الشرق والغرب، وكذلك أنشئت دور الطراز التي كانت تصنع المنسوجات والأقمشة لأفراد الشعب^(٤).

واشتهرت صناعة الزجاج في هذه الحقبة، فصنعت منه العديد من التحف مختلفة الأشكال خاصة وأن الصانع السلجوقي قد تمكّن من الوصول إلى نوع من الزجاج الأبيض المضغوط الشبيه بالبلور الصخري، الذي يستعمل في تلك الآونة، وكان له أثره الواضح في تقدم الصناعة، استخدم صناع هذه الحرفة في ذلك الوقت عدة أنواع لصناعة وزخرفة الزجاج سواء كان المضغوط أو المحفور أو استخدام الأسلاك الملفوفة لتزيينها، كذلك برعوا في صناعة التحف الزجاجية الصغيرة، التي كانت على عدة أشكال مختلفة مثل الحيوانات أو الأسماك الزجاجية الصغيرة^(٥).

كما راجت صناعة التحف المعدنية التي استخدمت في عدة أغراض، فمنها ما كان يُستخدم في تزيين العماير الدينية والمدنية مثل القناديل وشماع^(٦) المساجد والأبواب المصفحة بالبرنز المطعم بالذهب والفضة، كذلك استخدمت في القصور في المناضد والموائد والثريا والأطباق والأباريق والكؤوس^(٧).

(١) ديمان (م.س): الفنون الإسلامية، تر أحمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٦٣.

(٢) العتابيات: وهي ثياب حريرية سميت بذلك نسبة إلى حي العتابية بالجانب الغربي من بغداد، وقد ذاعت شهرته في سائر الأنحاء فقلدت صناعتها مدن أخرى. القرشي (عبد القادر بن محمد بن نصر الله ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خان، كراتشي، د.ت، ج ١، ص ١١٤.

(٣) وهو نسيج من الصوف أو الحرير يخاط من ذهب وفضة اقتصر استعماله على لبس السلاطين لارتفاع ثمنه. حتي (فيليب): تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦، ١٩٩١م، ج ٢، ص ٤٢٣.

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٦١.

(٥) حسن (زكي): الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٢٩٦.

(٦) الشماع: جمع شمعدان، وهو عمود ذو أصبع واحد أو أكثر تُركّز في أطرافه شموع للزينة والإضاءة. عمر

(أحمد): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١٢٣٥.

(٧) ماهر (سعاد): الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٦.

أما صناعة الحلي فقد كان لها نصيباً وافياً من الشهرة، فانتشرت هذه الصناعة بشكل كبير وقد خصص لها سوقٌ خاصٌ عُرف بسوق الصاغة^(١)، وقد تخصص أهل الذمة في هذا المجال، وأقام السلاطين السلاجقة داراً عُرف بدار العيار أنشئت خصيصاً لمراقبة تجارة الحلي وذلك حرصاً منهم الحفاظ على حقوق الناس وأموالهم^(٢)، هذا وقد امتازت الحلي في عصر السيطرة السلجوقية بالأشكال التي تحتوي رسوماً على هيئة حيوانات أو طيور أو صور آدمية، وكانت معظمها تتكون من الأقراط والدلايات التي أصبحت أكثر وتطوراً عما سبقها^(٣).

وكان لصناعة السفن أثر مهم في الحياة الاقتصادية، وتفنن صناع السفن فيها، فقد كانت من الصناعات المهمة في العراق، وتنوعت استعمالاتها سواءً للحرب أو للتجارة، وتعددت أنواع السفن حتى بلغت ستة وثلاثين إذ تصنع بعض هذه المراكب من خشب الصاج، واشتهرت أنهار العراق بالسفن المصطفة على جوانبها، ومنها مدينة البصرة، التي تميزت بتلك الصناعة خاصة السفن الصغيرة المسماة بالزوارق، التي كانت تُستخدم للملاحة في الأنهار الصغيرة^(٤).

وثالث خصائص النظام الاقتصادي هي التجارة، التي تقدمت بشكل ملحوظ في هذا العصر سواء على صعيد التجارة الداخلية أو التجارة الخارجية.

تُعرف التجارة الداخلية بأنها التي تجري بين الريف والمدينة، أو بين مناطق الأرياف فيما بينها، أو بين المدن نفسها، وتتمثل التجارة الداخلية في هذا العصر، بنقل البضائع والسلع المختلفة بين مدن العراق، من خلال تبادل كميات كبيرة من السلع، مثل: الحبوب والفواكه والتمور والسكر والأرز والتوابل والمنسوجات والخشب والزجاج وغيرها، وقد نشطت التجارة الداخلية بمدينة بغداد التي كانت تعدُّ مركز الأسواق، إذ كان لموقعها الجغرافي الأثر الكبير في ازدهار التجارة الداخلية وطرق التجارة بين الشرق والغرب^(٥)، فقد امتازت بكثرة تجارها وأسواقها وتعددتها، خاصة بالجهة الشرقية منها، إذ كانت حافلة بالأسواق العظيمة من حيث الترتيب والتنسيق^(٦)، كذلك اشتهرت البصرة بأسواقها المتنوعة التي كانت تأتيها البضائع من ثلاث جهات متفرقة^(٧)، وكان أكثر ما يتداول في هذه الأسواق، أنواع التمور التي

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٩٩. عبد اللطيف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص ٨٠.

(٢) ماهر: الفنون الإسلامية، ص ١٣٠.

(٣) ديمان: الفنون الإسلامية، ص ١٤٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١، ص ١٦٠.

(٥) النوري (عبد العزيز): تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٥.

(٦) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ٨٣.

(٧) ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفرنامه، تح يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ص ١٥٠.

امتازت فيه مدينة البصرة، إذ كان بها من الأصناف ما يقارب ثلاثمائة وستون صنفاً، بالإضافة إلى أنواع السلع الأخرى التي وجدت فيها^(١)، أما مدينة الكوفة، فقد اشتهرت بحسن أسواقها التي كان يتداول بها ما امتازت به من أنواع الفواكه والأسماك والتمور وما إلى ذلك من أصناف السلع والصناعات الأخرى^(٢).

ونشطت في هذا العصر التجارة الخارجية بين مدن العراق من جانب، وبين البلاد والأقاليم المجاورة من جانب آخر، ونتيجةً لكثرة القوافل التجارية عمل السلاجقة على تمهيد الطرق ورصفها، وأقاموا عليها المنازل والفنادق والاستراحات، وكان يُسمح للتجار بالإقامة في هذه الأماكن مقابل رسوم معينة يقومون بدفعها حسب وضع التاجر ومركزه المالي^(٣)، وكان طريق الحرير من أهم الطرق التي تمر في بغداد، حيث كان يُنقل من خلاله الكثير من المنتجات وأهمها الحرير، إضافة إلى طريق خراسان العظيم الذي كان يربط بغداد بمدن ما وراء النهر^(٤).

رابعاً: الحركة العلمية والفكرية في عصر ابن حمدون

بالعلم تنهض الدول، ولعلَّ أهم ما تميزت به الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، اهتمام حكام تلك الدول بالنواحي العلمية، وقد شهد عصر سيطرة السلاجقة نهضة علمية كبرى، ازدهرت نتيجة اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء، حتى أصبح البلاط السلجوقي مركزاً ثقافياً عامراً بالعلماء والشعراء^(٥).

وقد كان لانتشار الفرق الدينية والمذاهب المختلفة التي اتخذت من العلم وسيلة ونهجاً لتحقيق أهدافها عظيم الأثر في تلك النهضة، حيث صنفت الكتب الموضحة والمدافعة عن تلك المذاهب، ومما لا شك فيه أن ازدهار ونشاط حركة الترجمة في الدولة العباسية سابقاً انعكس إيجابياً على ازدهار النهضة العلمية حتى عصر سيطرة السلاجقة، واتساع مجالات الفكر الإسلامي، ونضج مَلَكَات العلماء وطلاب العلم في البحث والتأليف^(٦)، وكان لمراكز التعليم في الحقبة السلجوقية دورها في

(١) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): التبصر بالتجارة، تح حسن التونسي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٥م، ص ٤٠. ابن الفقيه (أحمد بن محمد بن إسحاق ت ٣٦٥هـ/٩٥١م): البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٨٧. عبد اللطيف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص ٨٥.

(٢) ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٥٤.

(٣) لسترنج (كي): بلدان الخلافة، تر بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص ٤٢٥.

(٤) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٥١.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ٥.

(٦) حسنين: دولة السلاجقة، ص ١٧٠.

النهضة العلمية بداية من المساجد، وهي من أهم وأول المؤسسات العلمية، فقد ضمنت حلقات لتدريس مختلف العلوم الدينية من قراءة القرآن، وحديث، وفقه، وتفسير، وعلوم اللغة، ثم الكتاتيب حيث يتلقى فيها الصبيان حفظ القرآن الكريم، والكتابة والحساب، أما بالنسبة للمدارس، فقد كانت المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك من أهم المدارس في عصر سيطرة السلاجقة، وهي على قدر كبير من الكفاءة، والتي هيأت لطلابها أسباب العيش، وذلك بفضل الأوقاف الكثيرة التي أوقفها نظام الملك على تلك المدارس حتى أصبحت مثلاً يُحتذى لما بعدها من دور العلم، ومراكز التعليم، خاصة وأن تركيز نظام الملك ومن جاء بعده كان مُنصباً على اختيار أكفأ العلماء للتدريس في تلك المدارس، وقد خُصص لكل علم من العلوم مدرس متخصص يعاونه مُعيد يقوم بإعادة الدرس وشرحه بعد فراغ المدرس من درسه^(١).

ولقد كان للأربطة دور في النهضة العلمية، وهي في الأصل دور عبادة، كان الهدف من بنائها في بداية الأمر مراقبة الثغور الإسلامية خشية من مباغته الأعداء للدولة، وكان القاطنون بهذه الثغور يُعدّون من المجاهدين في سبيل الله، ولذلك اتسم طابعها بالسمة الحربية، وقد عكف أولئك المجاهدون على قضاء وقتهم في التفقه في الدين، ساعدهم على ذلك خزائن الكتب التي ألحقت بالأربطة، ونتج عن ذلك أن ظهرت للمرابطين في تلك الثغور آثار علمية، وكتب مصنفة نتيجة مواظبتهم على المطالعة والدرس^(٢).

أدى الاهتمام بالناحية العلمية في هذه الحقبة إلى تقدم العرب والمسلمين في كثير من العلوم، مستفيدين من الترجمة والاقتباس من التراثين اليوناني والفارسي، ولم يقف بهم الأمر عند الاقتباس، بل كانوا يستنبطون ويضيفون، فكانت المحصلة كثرة المؤلفات باللغتين العربية والفارسية في مختلف أنواع العلوم كالطب، والفلسفة، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، والجغرافيا، وهو ما أثّر في الدارسين ودفعهم إلى الأمام بأطراف من مختلف العلوم والفنون في عصرهم، والحرص على إظهار ذلك في كتاباتهم^(٣).

أ. دور الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة في تقدم الحركة العلمية في عصر ابن

حمدون

كان الخلفاء العباسيون يحتفون بأهل العلم في هذا العصر، وكانوا هم أنفسهم من محبي العلم ومريديه، يقول ابن الفوطي عن الخليفة القائم بأمر الله: "وكانت أيامه منيرة بالعدل، مزهرة بالعلم

(١) حسنين: دولة السلاجقة، ص ١٧١.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٣٧.

(٣) حسنين: تاريخ السلاجقة، ص ١٧٣.

والفضل ليلاً ونهاراً، يستأنس بالعلماء ومحاضرتهم، والأدباء ومحاورتهم^(١)، وكان هؤلاء الخلفاء يعقدون مجالس العلم والمناظرة بحضور جمع عظيم من رجال العلم والفقهاء، ففي عام ٥٤١هـ/١١٤٦م استقبل الخليفة المقتفي لأمر الله العالم قطب الدين أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي، حيث "أقبل عليه المقتفي وقبَّله، ورفع به وبجلَّه، وأمره بالجلوس في جامع القصر"^(٢)، وكان للمجالس العلمية والأدبية تقاليد معينة، ينبغي على الحاضرين مراعاتها، وقد أوردها الصابئ ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م في كتابه رسوم دار الخلافة^(٣).

من المعروف تاريخياً أن السلاجقة كان ينقصهم العلم لطبيعتهم البدوية، وقد كان ذلك دافعاً لاهتمام بعض السلاطين بالعلم والعلماء وطلاب العلم، حيث تنافسوا في إنشاء المدارس ودور العلم للطلاب، وحرصوا على دعوة العلماء البارزين للتدريس والتوجيه، إضافة إلى تقريب العلماء، وحضور مجالسهم، ودعوتهم إلى القصور لسماع آرائهم ونصائحهم وأخبارهم.

والملاحظ أن كثيراً من العلماء قد ألفوا كتباً قدموها للخلفاء، فقد صنَّف الطبيب سعيد بن هبة الله ت ٤٩٤هـ/١١٠٠م للخليفة المقتدي بأمر الله كتاب "المغني في الطب" قال فيه "ولما رأى العبد الخادم هذه الأيام الزاهرة، والمناقب الباهرة، أثر أن يُصنف لمولاه كتاباً طبياً، مختصراً مغنياً، في معرفة الأمراض وأسبابها وعلاقتها ومداواتها لاضطرار الناس إلى وجود الصحة واعتمادهم طلبها"^(٤)، وفي عصر الخليفة المسترشد بالله صنَّف الشاشي كتاب العمدة وقدمه للخليفة^(٥).

وقد تولى الوزارة لدى الخلفاء العباسيين ببغداد في هذا العصر عدد من الوزراء كان للكثير منهم نشاط علمي ملموس، ولعلَّ الوزير يحيى بن هبيرة كان من أعظمهم اهتماماً بالعلم، وتشجيعاً للعلماء، ولقد كانت مجالس الوزراء، تعقد بكثرة في شهر رمضان، حيث يُقدم طعام الإفطار، ثم تتعقد الندوات بعد الصلاة، وتُطرح الأسئلة المختلفة، ويتبارى الحاضرون في عرض وجهات النظر، ولقد اشتهر الوزير ابن هبيرة من بين وزراء هذه الحقبة بمجالسه العلمية، كيف لا وقد كان من علماء عصره

(١) ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، ١٩٩٥م، ج ٣، ص ١٥٩.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٣٢٥.

(٣) هلال الصابئ (هلال بن المحسن بن إبراهيم ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): رسوم دار الخلافة، تح ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٤٧ وما بعدها.

(٤) ابن هبة الله (سعيد بن هبة الله ت ٤٩٤هـ/١١٠٠م): مخطوطة المغني في الطب، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، د.ت، ورقة ١، وجه ١.

(٥) السبكي (عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تح محمد الطنايح وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢م، ج ٧، ص ٢٥٩.

المعدودين، فلقد قَدِمَ بغداد في صباه واشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، وحصل من كل علم بطرف، وقرأ القرآن وختمه بالقراءات والروايات، وقرأ النحو، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس، ولازم الكتابة، وحفظ ألفاظ البلغاء، وألف مجموعة من الكتب أهمها كتاب "الإفصاح عن شرح معاني الصحاح" الذي ظل العلماء من بعده يتدارسونَه زمنًا طويلاً^(١)، وعندما تولى الوزارة بالغ في تقريب خيار العلماء والفقهاء والمحدثين، واجتهد في إكرامهم، فكانوا يحضرون مجالسه العلمية ليلاً نهاراً، وكان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره^(٢)، وكان أبو محمد الأشتري من علماء المالكية، وقد استقدمه الوزير ابن هبيرة من بلاط نور الدين محمود زنكي الذي وجهه إليه، فأكرمه الوزير غاية الإكرام، فكان يحضر مجلس علمه، وقد وقعت بينهما مشادة سببها أن الوزير ذكر في مجلسه حديثاً انفرد به أحمد بن حنبل، فادعى الأشتري أن مالكا رواه أيضاً، فردَّ عليه الحاضرون وأحضر الوزير كتاب المفردات لأحمد، فوجد فيها الحديث، فبقي الأشتري على إنكاره بأن أحمد بن حنبل قد انفرد بذكر الحديث^(٣).

ومن الوزراء الذين كان لهم اهتمامات علمية، وعناية بالعلماء، الوزير عبد الله بن يونس بن أحمد البغدادي ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م كان فقيهاً متكلماً، ولي الوزارة للخليفة الناصر لدين الله، وكان حافظاً للقرآن، والفرائض، والحساب، والعلم بالنحو والجبر والهندسة^(٤)، والوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد، الملقب ظهير الدين الروذرواري^(٥) الذي ورَّز للخليفة المقتدي بأمر الله ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، وتذكر المصادر أنه تعلَّم ودرس، وقرأ الفقه والأدب، قال الأصفهاني: "وكان عصره أحسن العصور، وزمانه أنضر الأزمان، ولم يكن في الوزارة من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله"^(٦) وعمل ذليلاً على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه.

(١) ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج ١، ص ٥٢٨. الباباني (اسماعيل): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) الذهبي: المختصر المحتاج إليه، ج ٣، ص ٢٤٨. ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ت ٧٩٥هـ/١٣٩٣م): ذيل طبقات الحنابلة، تح عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٢٢٩.

(٣) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ج ١، ص ٢٢٩. سليمان (محمد): من أخلاق العلماء، دار الشعب، القاهرة، د.ت، ص ١١٩.

(٤) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٥٠. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥١٣.

(٥) نسبة إلى روذروار وهي كورة بالقرب من نهاوند. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٨.

(٦) العماد الأصفهاني (محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): خريدة القصر وجريدة العصر، تح محمد الأثري، مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٥م، ج ١، ص ٧٨.

أما بالنسبة للسلطين السلاجقة، فعلى الرغم من أن الأوائل منهم كانوا جفاة وغير مثقفين، لكنهم اضطروا إلى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشؤون الإدارية والسياسية، مما هيا لهم الفرصة للتفرغ لهواياتهم الخاصة من جهة، وترك المجال واسعاً أمام وزرائهم للتصرف بحرية كبيرة في توجيه أمور السلطنة من جهة أخرى، وخصوصاً خلال وزارة نظام الملك، الذي تمتع بسلطات واسعة في إدارة شؤون البلاد، ومع مرور الزمن ونتيجة اختلاط السلطين برجال السياسة والفكر من وزراء وعلماء، عرفوا معنى العلم، وقدروا العلماء، وحظوا لديهم بالتشجيع ومنحهم كل اهتمام، فمثلاً، ينقل البنداري أخبار تأزم العلاقة بين علي بن الحسن الماوردي^(١) والسلطان السلجوقي طغرل بك نتيجة رسالة نقلها الماوردي من الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى السلطان، حيث ضمن هذا الكتاب الطعن والقدح في طغرل بك، وعلى الرغم من ذلك لم يغير السلطان في معاملته للماوردي، الذي يذكر في تاريخه قائلاً: "ولم يتغير عن عادة إكرامي وشيعة احتراممي"^(٢)، وزاد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان من اهتمامه بالعلم والعلماء حتى نُقلَ عنه أنه صَنَّفَ رسالة في وصف مملكته وأخباره^(٣)، كما قام بإنشاء المدارس والربط، يجب التنويه هنا، أنه هو الذي أسس سنة ٤٦٧هـ/١٠٢٦م المرصد المشهور في بلدة المراغة^(٤)، وعيّن فيه جماعة من أعيان المنجمين، من بينهم عمر الخيام^(٥)، وأبو المظفر الإسفرازي^(٦)، وميمون بن النجيب الواسطي^(٧) وغيرهم، وأنفذ عليه من الأموال شيئاً عظيماً، وبقي الرصد دائراً فيه إلى أن مات السلطان ملكشاه، حيث توقف بعد موته^(٨)، وكان السلطان أبو

(١) سيورد البحث ترجمته أثناء الحديث عن الموارد في الفصل الثاني.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٩٩.

(٣) الباباني: هدية العارفين، ج، ص ١٩٣.

(٤) مراغة: بلدة عظيمة ومشهور في أذربيجان. الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٣. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٦٢.

(٥) عمر الخيام: عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري، أبو الفتح، من أهل نيسابور، مولداً ووفاء، كان عالماً بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ، وصنف الكثير من الكتب منها "شرح ما يشكل من مصادرات أقليدس" و "مقالة في الجبر والمقابلة" وتوفي سنة ٥٠٥هـ/١١٢١م. ديورانت (ول): قصة الحضارة، تر زكي محمود، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج ١٣، ص ٣٣٩.

(٦) أبو المظفر الاسفرازي، وقيل المظفر بن إسماعيل، أبو حاتم الإسفرازي، فلكي مهندس، كان معاصراً لعمر بن إبراهيم الخيام، وبينهما مناظرات، غلب عليه الاشتغال بعلم الهيئة والأثقال والحيل الهندسية، ونسبته إلى إسفرار وهي مدينة بين هراة وسجستان، توفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م. الجزري (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٥٥.

(٧) لم تذكر المصادر التي وقف عليها البحث أي ترجمة له.

(٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠٩. أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٩٢. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٢٥٥.

القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه واحداً ممن تخصصوا في علوم متنوعة، فقد عُرف باضطلاعهم بعلوم العربية، وبأنه حافظٌ للأشعار، عارفٌ بالتواريخ والسير، شديد الميل إلى أهل العلم والخير^(١)، وعليه فقد كانت قصور السلاطين عامرة بعلماء الدين والشعراء والأدباء ورواد العلم والمعرفة، ابتداءً من عهد ألب أرسلان ومن جاء بعده، حيث كان للأدب والعلم ازدهار واسع، ولقد حرص السلاطين السلاجقة على ارتباط الحكماء والأطباء بهم، وانقطاعهم إلى قصورهم، فقد شارك أغلبهم مشاركة حسنة في التقدم العلمي، لاسيما أولئك العلماء الذين كانوا يعرفون لغات متعددة^(٢).

وأظهر العالم أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني^(٣) الولاء التام للسلطان طغرل بك، وكان في أوائل المستقبلين للسلطان عند عودته من قتال البساسيري^(٤)، إلى جانب هذا أوكلت إلى العلماء في عصر السلاجقة مهام أخرى، وكانت رمزاً للعلاقة المباشرة بينهم وبين السلاطين والأمراء، منها التدخل للإصلاح بين السلطان والأمراء أو بين السلاطين أنفسهم، فقد عمل كمال الملك السميرمي^(٥) على إزالة الخلاف بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وعمه سنجر، قائلاً للسلطان محمود: "هذا عمك، وهو في مقام والدك، والكبير في البيت، والرأي موافقته، وأنا أسير إليه عنك وأصلح الحال بينكما"^(٦) فوافق السلطان محمود، وسار كمال الملك إلى السلطان سنجر، وأقنعه بقبول الصلح وإنهاء الحرب، فاستجاب له السلطان سنجر^(٧).

ومن مظاهر العلاقة بين السلاطين والعلماء في الدولة السلجوقية مهابة السلاطين من العلماء، فالمعروف أن العلماء تمتّعوا برأي مسموع، لذلك لم يجد السلاطين السلاجقة أفضل من العلماء ليكونوا

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٨٢. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٢٦.

(٢) عسيري (مريز): الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م، ص ١٦٤.

(٣) أبو عبد الله الدامغاني: محمد بن علي بن الحسين الدامغاني، ولد بالدامغان سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م برع في الفقه، وانتهت إليه الرياسة في مذهب أبي حنيفة، وولي قضاء القضاة في بغداد توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٩٤. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٤٨٦ وما بعدها.

(٤) سعادة (صفية): تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج، بغداد، ط ١، ١٩٨٨، ص ١١٠.

(٥) كمال الملك السميرمي: أبو طالب علي بن أحمد، من مدينة قرب أصفهان، يُقال سميرم، ولي ديوان الإشراف وولي وزارة للسلطان محمود، وعرف عنه الحزم والفضل وغزارة العلم توفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٨، ص ٧٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٩٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٣٢٥.

(٦) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٨٩.

(٧) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٥٥.

عوناً لهم على تسيير دفة حكم البلاد، وقبول نصحتهم، والإنصات لتوجيهاتهم، فهذا هو العالم أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي، وكان من أحسن الناس كلاماً في الوعظ، وأرشقهم عبارة، وأحلاهم إشارة^(١)، وعظ في بغداد، وحضر عند السلطان مسعود فوعظه قائلاً له "يا سلطان العالم أنت تهب مثله لمطرب، ومغن بقدر هذا المأخوذ من المسلمين تهبه لي، وتحسبني ذلك المطرب، وتركه للمسلمين، وافعله شكراً لما أنعم الله به عليك من بلوغ الأغراض، فأشار بيده إن قد فعلت، فارتفعت الضجة بالدعاء"^(٢)، ومن العلماء أيضاً، أبو العباس أحمد بن أبي غالب البغداداي^(٣) فقد زاره السلطان مسعود السلجوقي في المسجد، فتشاعل عنه بالصلاة، وما زاده على أن قال "يا مسعود اعدل، وادع لي"^(٤).

ومن جملة نصائح نظام الملك للسلطين السلاجقة، ما حدث سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م بعد عصيان قتلش بن أرسلان على ألب أرسلان، وهزيمته أمامه، وأسر ألب أرسلان لعسكره، فلما أراد قتل الأسرى، شفع فيهم نظام الملك، فعفا عنهم وأطلقهم^(٥)، وأيضاً أبو حامد الغزالي^(٦) الذي صنف كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" وهو عبارة عن نصائح وتوجيهات للسلطانين محمد وسنجر ابنا ملكشاه السلجوقي، ومن جملة نصائحه للسلطان سنجر أنه قال له: "أسفاً إن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك تنقض بالأطواق الذهبية"^(٧)، وتحمل عبارة الغزالي للسلطان بأن المصائب والضرائب قد أثقلت كواهل الناس دون أن يتخذ اتجاهها شيئاً في الوقت الذي تطوق الأطواق الذهبية رقاب خيل السلطان، وفي هذا تنبيه إلى أن رفع الضرائب أولى من صرف الذهب حلية للخيل، وتابع النصيحة بقوله: "انظر إلى الناصح الصامت - أي الموت - ماذا تقول بلسان الحال؟ أيها الملك إذا أوقفك في مقام المؤاخذه والسؤال، وقالوا لك: ماذا فعلت بعبادنا الذاكرين لكلمة لا إله إلا الله، الذين جعلناهم رعيته، وأعطيناك عدة مواش، فاهتممت بها، حتى خصصت لها كل رجة

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٧، ص ٢٣٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٨، ص ٤٩.

(٣) أبو العباس البغداداي: المعروف بابن الطلاية، ولد سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م كان مشغلاً بالعلم كثير العبادة، ومشهوراً بالزهد، توفي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٢٦٠ وما بعدها.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٧، ص ٢٩٤. اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٠١٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٤١ وما بعدها.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٩٣.

(٦) سيورد البحث ترجمته عند الحديث عن الموارد في الفصل الثاني.

(٧) الندوي (علي): رجال الفكر في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٧.

خصبة، وغفلت عن عبادنا، ولماذا قدمت حرمة مواشيك على أعزتنا، فماذا عندك من الجواب على هذا السؤال؟^(١).

من الضروري أن تكون علاقة السلاطين بالعلماء علاقة حسنة، تقوم دائماً على إظهار الاحترام والتقدير لهم، إذ ليس من المنطق أن تكون علاقتهم بهم سيئة، وهم في حاجة ماسة إلى تأييدهم وتعاونهم، والاستفادة من علمهم.

ب. حركة التأليف وخزائن الكتب والمراكز العلمية في عصر ابن حمدون

من أبرز مظاهر النشاط العلمي في العراق في عصر سيطرة السلاجقة، الإقبال على التأليف والتصنيف بشكل يلفت نظر القارئ خصوصاً في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والدراسات الإنسانية الأخرى، فقد تنوعت المصنفات فيها من مبسوطات، ومختصرات وشروح، ولعلّ ما يثير الإعجاب طاقات هؤلاء العلماء، وما أوتوه من قدرة على صياغة مؤلفاتهم بلغة بليغة سهلة، وما يثير الانتباه ظهور عشرات المصنفات للمؤلف الواحد، وفي مختلف الفنون، وهكذا جرى تأليف تلك الموسوعات العلمية في اللغة والأدب والتاريخ وعلوم الشريعة الإسلامية.

إن مؤلفات هذا العصر كثيرة جداً، شملت علوم اللغة العربية والفقه والأدب، حتى أنه ليس بالإمكان حصر ما ظهر من الكتب بسبب ذلك الحشد الهائل منها، على أنه يكفي للدلالة على نشاط حركة التأليف والتصنيف أن الإمام الغزالي ت ٥٠٥هـ / ١١١١م الذي كان من رجال العصر، صنف حوالي أربعمئة كتاب ورسالة في مختلف الصنوف^(٢)، كذلك الإمام أبو الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م الذي قيل عنه " أن كتبه أكثر من أن تعد"^(٣).

وقبل الحديث عن خزائن الكتب في هذا العصر، لابد أن يقف البحث على بعض المسائل المهمة التي لها علاقة بأدبيات الكتب والمكتبات التي أوردها العلماء المسلمون في كتاباتهم.

(١) الغزالي (محمد بن محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ / ١١١١م): أيها الولد، تح جميل حبيب، مطبعة واوفاست، بغداد، د.ت، ص ٢٩.

(٢) بدوي (عبد الرحمن): مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٢، ١٩٧٧م، ص ١٨.

(٣) ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٣، ص ١٤١.

ومن هذه المسائل كيفية التعامل مع الكتاب، وذلك أن للتعامل مع الكتب آداباً يذكرها ابن جماعة في تذكرته فيقول: "ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، أو مخدّة أو مروحة، ولا مكبساً ولا مسنداً ولا متكاً، ولا مقتلة للبق وغيره، ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد"^(١).

ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو إعادتها أن يتفقدتها المشتري أو المستعير أو مالکها بأن يتعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه وتصفح أوراقه^(٢)، ولعل من الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها بعض العلماء والخلفاء في هذه الحقبة وقف الكتب رجاء الأجر، وللمحافظة عليها من التلف، أو انتقال الملكية بعد الموت، فكانوا يفضلون وقفها ليستفيد منها طلبة العلم، كما فعل العالم محمد بن ناصر بن علي البغدادي ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م حيث أوقف كتبه قبل وفاته^(٣)، وعبد الله ابن المبارك الذي باع ملكاً له واشترى بثمنه كتاب "الفنون" لابن عقيل وكتاب "الفصول" ووقفهما للمسلمين^(٤).

وبالعودة إلى خزائن الكتب، فقد وجب التنويه أن الكثير من الخزائن أنشئت في الحقبة التي سبقت الإطار الزمني للبحث بمئات السنين، لكن وجب ذكرها لأن أثرها الحضاري امتد إلى حياة ابن حمدون (٤٩٥-٥٦٢هـ/١١٠١-١١٦٦م) وما بعده، ولأن الإرث العلمي والفكري لا يشتمل فقط على سنوات حياته فقط، فالإرث واحد، والحضارة واحدة، وعليه وجب ذكر أي صرح علمي أقيم قبل حياة ابن حمدون ولو كان بعجالة، مما له الأثر الواضح في التذكرة الحمدونية من حيث تنوع مصادرها وغناها.

كانت **خزائن الخلفاء** وما حوته من كتب من أهم موارد العلم والمعرفة، فخزينة الخليفة القائم بأمر الله ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م الموروثة عن سبقة من الخلفاء كانت مميزة^(٥)، بينما حوت خزانة الخليفة المقتدي بأمر الله ت ٤٧٧هـ/١٠٨٤م الكثير من النفائس، وذكر أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م أنه ألف للخليفة المقتدي كتابين أولهما كتاب "تقويم الأبدان"، وثانيهما كتاب "الإنسان" وأن النسخ الأولى من هذين المؤلفين أودعت في خزانة المقتدي، التي قال

(١) ابن جماعة (محمد بن إبراهيم بن سعد الله ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تح محمد العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، ٢٠١٢م، ص ٦١.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص ٦١.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٥٦.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٤٠. عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ١٨٠.

(٥) الصابئ: رسوم دار الخلافة، ص ٣.

فيها ابن جزلة "ستقصر في ذلك خدمة خزائن سيدنا مولانا الإمام العادل المقتدي بأمر الله" ^(١)، ثم يشير إلى الكتاب السابق الذي أهده إلى الخليفة المقتدي بقوله: "ولما أنعم بقبول الكتاب الذي سميتُه تقويم الأبدان، بادرت بتركيب كتاب ثانٍ سميتُه منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان" ^(٢).

وقد اقتدى الوزراء والأمراء بخلفائهم، وعملوا على تأسيس دور للكتب ورعايتها ودوام استمرار الوقف لها وإمدادها، ويعدُّ الوزير ابن هبيرة ت ٥٦٠هـ/١١٦٤ والذي وزر للخليفة المقتدي وابنه المستجد واحداً من أعظم وزراء العصر علماً وسياسة، وقد عاش قبل أن يلي الوزارة حقبة طويلة من حياته طالباً في سوق الأدب واللغة والنحو حتى أصبح عالماً نابغاً، ويذكر حاجي خليفة أنه كانت له خزانة كتب جيدة، وترك عدة مؤلفات ^(٣).

لم تساهم خزائن الخلفاء لوحدها في الاهتمام بالعلم، بل كان لإسهامات خزائن الكتب العامة وخزائن المدارس دور مهم في رفع المستوى الثقافي الذي مهد الطريق لابن حمدون، ومن أهم هذه الخزائن التي سبقت قدوم السلاجقة خزانة الوقف بالبصرة التي أنشأها أبو علي بن سوار الكاتب على عهد عضد الدولة، وأشار إليها المقدسي عند حديثه عن مدينة رام هرمز ^(٤) حين قال "وبها دار كتب كالتي بالبصرة، والداران جميعاً اتخذهما ابن سوار ... إلا أن خزانة البصرة أكبر وأمر وأكثر كتباً" ^(٥)، وقد ذكرها الحريري في مقاماته حين قال على لسان الحارث بن همام "..... واستسّر عني حيناً، لا أعرفُ له عريناً، ولا أجدُ عنه مَبِيناً، فلَمَّا أُبْتُ منْ غُرْبَتِي، إلى مَنبِتِ شُعْبَتِي، حضَرْتُ دارَ كُتُبِهَا التي هي مُنْدَى المتأدِّبين، ومُلْتَقَى القاطنين منهم والمتعربين..." ^(٦).

ومن المعروف أن خزانة المدرسة النظامية، قد حوت كل نادر ونفيس في كل فن من المؤلفات، لاسيما وأن هذه الخزانة قد أوقف عليها، إضافة إلى محتوياتها الأصلية، الكثير من الكتب والمكتبات،

^(١) ابن جزلة (علي يحيى بن عيسى ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م): منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوطة بدار الوثائق البريطانية، ورقة ١/ظهر ١.

^(٢) ابن جزلة: منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوطة بدار الوثائق البريطانية، ورقة ١/ظهر ١.

^(٣) حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح محمد ياللقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ١٧٩٥. عواد (كوركيس): خزائن الكتب القديمة في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م، ص ١٨٢.

^(٤) رام هرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، وهي كورة من كور الأهواز، عرفت بكثرة أشجارها وتنوعها. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧. ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ٢٤، ص ٩٣.

^(٥) المقدسي (محمد بن أحمد المقدسي ت نحو ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٤١٣.

^(٦) الحريري (القاسم بن علي ت ٥١٦هـ/١٢٢م): مقامات الحريري، مطبع المعارف، بيروت، ١٨٧٣م، ص ٢٩.

فالخليفة الناصر لدين الله العباسي أوقف عليها من خزائنه الخاصة^(١)، وقد أوقف العالم أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الزيدي ت ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م خزانة كتبه بمسجد الزيدي في بغداد، حيث ذكر سبط بن الجوزي أنه "اشتري داراً بدرب دينار الصغير ببغداد، وبنائها مسجداً، واشتري كتباً ووقفها على المسجد لينتفع بها الناس"^(٢)، كما أوقف كلاً من أبو الخير صبيح بن عبد الله الحبشي ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، وعمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي الذي قدم بغداد سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م كتبهما في المسجد نفسه^(٣).

ويندر أن يرى أحد من العلماء في هذا العصر إلا وله **خزانة كتب خاصة**، وقد أشارت المصادر إلى بعض تلك الخزائن المشهورة، والتي كان لأصحابها فضل في وقفها على طلبة العلم، فالخطيب البغدادي الحافظ علي بن أحمد ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م كان يمتلك مكتبة ضخمة أوقفها على المسلمين^(٤)، أما أبو الحسن محمد بن هلال الصابئ الملقب بغرس النعمة ت ٤٨٠هـ/ ١٠٧٨م فقد ذكر ابن الجوزي أنه "قد ابتنى بشارع ابن أبي عوف دار كتب، وأوقف فيها نحواً من أربعمئة مجلد في فنون العلوم، ورتب بها خزانة يقال له ابن الأفساسي العلوي وتكرر إليها العلماء سنين كثيرة"^(٥)، بينما ذكر أن عدد الكتب التي أوقفها غرس النعمة هو أربعة آلاف مجلد^(٦)، وكان لابن الدهان النحوي الأديب أبو محمد سعيد بن المبارك ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م خزانة كتب أفنى عمره في تحصيلها، وعندما غرقت بالمياه، أُشير إليه أن يبخرها باللائن^(٧)، فبخرها وصعد البخور إلى رأسه فأصيب بالعمى^(٨)، وذلك ما يدل على ضخامتها، بينما أُلّف علامة العصر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م ما يناهز المائتين من المصنفات، وكان جماعاً للكتب، كثير القراءة والاطلاع، وكانت له خزانة كتب ضخمة

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٦٥.

(٣) عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ١٩٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ١٣٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٦١.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٦٤.

(٧) اللان: ضرب من العلوك، يُستخرج منه صمغ يُعلك ويستعمل عطراً ودواءً، وفيه شيء من الرطوبة يذوق بيد اللامس. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١٣، ص ٣٨٥.

(٨) الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م): نكت الهميان في نكت العميان، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٣٨.

تبعثرت بعد وفاته^(١)، وكان قد اطلع على خزانة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي ت ٥٦٧هـ/١١٧١م وقال فيها: "كانت أحمالاً"^(٢).

ج. أهم المراكز العلمية في عصر ابن حمدون

بما أن ابن حمدون كان من أهم الأدباء والعلماء الذين نشؤوا وعاشوا في العراق، لذلك وجب التركيز على المراكز الفكرية التي كانت عامرة بالعلم في تلك الحقبة كونها أثرت بشكل مباشر في فكر ابن حمدون، حيث أن بغداد لم تنفرد بكونها مركزاً فريداً للعلم والأدب، بل نافستها في العراق مراكز أخرى امتازت بنشاط الحركة العلمية والأدبية والفكرية، فيقول المقدسي: "إن إقليم العراق إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء... أخرج كل فقيه ومقري وأديب وحكيم وزاهد ونجيب"^(٣)، فقد اشتهرت الموصل بازدهار الحركة العلمية وخصوصاً بعد أن اتخذها الأتابكيون عاصمة لملكهم ابتداء من سنة ٥١٢هـ/١١٢٧م، ولم يأل كل منهم جهداً في تشجيع الحركة الفكرية، فأنشؤوا المدارس والمعاهد المختلفة، ودور الحديث والقرآن والأريطة، واستقدموا العلماء، وأغدقوا عليهم الهبات والعطايا الوافرة، وجعلوا من الموصل مدينة علم وأدب وفن، ونى من الموصل عدد من الشيوخ والعلماء والشعراء، ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن فضل الزمان ت ٥٨٥هـ/١١٨٩م الذي كان عالماً بشتى المجالات، متبحراً في علوم كثيرة كالحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق^(٤).

وكانت مدينة واسط مركزاً من مراكز الحياة الفكرية في العراق في هذه الحقبة، وتفيض كتب المحدثين والمفسرين والقراء والتراجم والمؤرخين كالخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن الديبشي، وابن النجار بأخبار العلماء الواسطيين، وكان من علماء العصر الذين كانت لهم مجالس علمية في جامع واسط، عبد الله بن منصور الباقلائي الواسطي ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م الذي كان عالماً بالقراءات ووجوهها^(٥)، وأبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المعروف بابن المنذائي الواسطي ت ٦٠٥هـ/١٢٠٨م الذي كان أسند أهل زمانه، ويشغل الناس بواسط حتى وافته المنية^(٦).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣.

(٢) ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م): صيد الخاطر، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٤١.

(٣) أحسن التقاسيم، ص ١١٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٧٧. عسيري: الحياة العلمية، ص ١٩٦.

(٥) الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٠٧. ابن الجزري (محمد بن محمد بن يوسف ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م): غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت، ج ١، ص ٤٦٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٤٢.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٤٣٨. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٨٣.

أما مدينة البصرة ثغر العراق، وعاصمة الجنوب، فقد ازدهرت فيها الحياة العلمية، وزخرت بعدد كبير من العلماء البارزين في علوم اللغة والأدب، على رأسهم الأديب المشهور الحريري صاحب المقامات ت ٥١٦هـ/ ١٢٣م وغيره من العلماء الذين نبغوا في العلوم العربية والشرعية، وكانت المكتبات والمساجد العامة الملحقة بها أسمى ما يتوق إليه العلماء وطلاب العلم، لذلك فقد كانت هذه الأماكن محل اجتماع العلماء ورواد المعرفة^(١).

كما شغلت حلة بن مزيد^(٢)، مكاناً علمياً مرموقاً في العراق، فقد ظهرت فيها النهضة الفكرية منذ تأسيسها على يد الأمير صدقة بن منصور الأسدي عام ٥٠١هـ/ ١٠٧م^(٣)، ولمعت فيها كوكبة من الأدباء والعلماء وشيوخ الحديث أمثال ابن البطريق الأسدي الحلي ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م الذي كان من كبار شيوخ الحديث ومن أعلام الفقهاء والمتكلمين، وعميد الرؤساء هبة الله بن حامد أبو أيوب الحلي ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م اللغوي النحوي الشاعر الذي وصفه ياقوت الحموي بقوله: "عنه أخذت تلك البلاد الأدب"^(٤)، ولقد انتعشت الحياة الأدبية والشعر في عهد بني مزيد، فكان أمراؤهم يحبون الأدب والشعر، ولهذا فإنهم أغدقوا على الشعراء الذين ما كادوا يسمعون عن كرمهم وحبهم للشعر حتى توافدوا إليهم في الحلة، فالشاعر محمد بن صالح ابن الهبارية ت ٥٠٩هـ/ ١١١٥م ألف كتاب "الصادح والباغم" على طريقة "كليلة ودمنة" في ألفي بيت، ألفه لصدقة بن منصور^(٥)، والشاعر أفضل الدولة الأبيوردي ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م مدح الأمير صدقة بقصائد عدة، كما شارك في المسابقات الأدبية التي كانت تعقد تحت رعايته^(٦).

ولمعت ثلثة من العلماء بالموصل أسهموا في الارتقاء بالحركة العلمية وتطورها، من أبرز هؤلاء بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م، الذي ولد بالموصل ودرس بها الدين واللغة والتاريخ والأدب، ثم ارتحل إلى بغداد حيث درس في المدرسة النظامية وعمل معيداً بها، وبعد عودته إلى مسقط اشتغل بالتدريس، له مصنفات حسان أهمها النواذر

(١) الحريري: المقامات ، ص ٢٦.

(٢) حلة بن مزيد: مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد، أفخر بلاد العراق وأحسنها. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٧٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٥٦.

(٤) معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٦٤.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٩٠. أبْن العجمي (أحمد بن إبراهيم بن محمد ت ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م): كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٩٧.

(٦) الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٣٧٥. القفطي (علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): المحمدون من الشعراء، تح حسن معمر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م، ٤٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٤٥.

السلطانية والمحاسن اليوسفية^(١)، ويليه أبو الحرم المكي بن ريان ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م الذي كان عالماً بالنحو واللغة والقراءات والفقه والحساب، والذي لم يكن في زمانه مثله، فقد رحل إليه الطلاب من كل مكان، وكانت حلقات درسه تبدأ من الصباح الباكر وتستمر حتى الليل^(٢).

وقد ماثلت مدينة إربل^(٣) جارتها الموصل في نشاط الحركة العلمية في هذا العصر، وتجلّى ذلك في تأسيس المدارس العديدة من قبل الحكام الأتابكة، حيث تخرّج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسة في البلاد الإسلامية، مثل ابن خلكان المؤرخ المشهور ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وأبو البركات ابن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفي ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م الذي نبغ في مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة، وكان يعقد المجالس العلمية التي تضم الأدباء والشعراء والفقهاء^(٤).

كما اشتهرت **سنجار**^(٥) إحدى مدن الجزيرة كمركز نشطت فيه العلوم والآداب في هذه الحقبة، ونسب إليها جماعة كبيرة من أهل العلم.

ولم يقتصر نشاط العلم على سنجار فقط بل نبغ في **جزيرة ابن عمر**^(٦) عدد من العلماء، أشهرهم أبو طاهر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الفقيه الذي جمع بين العلم والعمل، وقدم بغداد وتعلّم بها، ثم رجع الجزيرة ودرّس بها وأفتى إلى أن توفي عام ٥٧٧هـ/١١٨١م^(٧)، ومنهم أبو القاسم عمر بن محمد الجزري الفقيه ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م^(٨).

وبعدّ عصر سيطرة السلاجقة عصر انتشار المدارس في العالم العربي الإسلامي وخصوصاً في العراق، والذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أن المدارس في العراق خلال هذا العصر كانت أهم وأعظم أماكن التعليم، فقد غصت المدارس النظامية وغيرها من المدارس في العراق بآلاف طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ممن كانوا يَفِدُون للدراسة في هذه المدارس، وخاصة نظامية بغداد.

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٨٤. ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): طبقات الشافعيين، تح أنور الباز، دار الوفاء، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٨٤٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٥٠.

(٣) إربل: وهي أربيل الحالية، قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، تعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين، قام بعمارته الأمير مظفر الدين كوكبري. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٧. القزويني: آثار البلاد، ص ٢٩٠.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٤٧.

(٥) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل مسير ثلاثة أيام. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٦) جزيرة ابن عمر: بلد فوق البصرة بينهما مسير ثلاثة أيام. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٨.

(٧) الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٨.

(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٤٤. اليافعي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٦٠.

ولقد انتشرت النظاميات في العراق والمشرق الإسلامي بعد إنشاء نظامية بغداد، فيقول السبكي في حديثه عن نظام الملك " .. وبنى مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرور، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل، ويُقال أن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة"^(١).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، ماهي الأسباب التي دفعت بنظام الملك لبناء هذه

المدارس؟

لقد تعرض الكثير من المؤرخين إلى الأسباب التي دعت نظام الملك إلى إنشاء النظاميات، كما ناقش الموضوع العديد من الباحثين المحدثين، ويمكن القول أن الدوافع وراء إنشاء المدارس النظامية لم تقتصر على سبب واحد، فكان هناك أسباب دينية بالدرجة الأولى إضافة إلى أسباب شخصية وأخرى سياسية.

فقد كان العراق يخضع للسيطرة البويهية ذات المذهب الشيعي قبل دخول السلاجقة الذين كانوا على المذهب السني، وكان لانتصار السلاجقة على البويهيين ودخولهم بغداد الأثر الكبير في تشجيع نظام الملك لبناء المدارس النظامية، إضافة إلى ذلك، فقد كان الصراع العسكري والسياسي بين السلاجقة والخلافة العباسية من جانب، والإسماعيليون النزاريون الذين كانوا يتخذون من قلعة ألموت مقراً لهم في بلاد فارس من جانب آخر، الأثر الكبير في إنشاء هذه المدارس فقد كان الصراع فكراً أيضاً، ولعلّ الخلفية المذهبية لنظام الملك شغلت دوراً كبيراً في هذا الأمر، فالسلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفي، وقد دخلوا في خلاف شديد مع الأشاعرة والشوافعة، كالذي حصل مع الإمامين الجويني^(٢) والقشيري^(٣) والشوافع في نيسابور في عهد السلطان طغرل بك، حيث نتج عن هذا الصراع هجرة أعداد كبيرة منهم إلى العراق وبلاد فارس والحجاز، وقد استقر الجويني بمكة المكرمة، ولم يستطع القشيري العودة إلى نيسابور إلا بعد عشر سنوات^(٤)، ومما لاشك فيه أن لهذه الحادثة الوقع العظيم عند نظام الملك الذي كان يتدرج في المناصب حتى أصبح وزيراً للدولة السلجوقية في عصر

(١) طبقات الشافعية، ج٤، ص٣١٣.

(٢) الجويني: أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الفقيه الشافعي، له مصنفات كثيرة في الفن وكان الغزالي من تلامذته. السبكي: طبقات الشافعية، ج٥، ص١٦٥.

(٣) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين، وكانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه ت عام ١٠٧٢هـ/١٠٧٢م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠٥. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٥ وما يليها.

(٤) ابن الجوزي: المنظم، ج١٢، ص١٧١. السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٨٩.

أقوى سلاطينهم ملكشاه، وهناك من حاول إظهار أن السبب المذهبي هو الأساس في إنشاء المدارس، وفي ذلك يقول ابن العديم "وكان نظام الملك يتعصب للشافعية كثيراً، فكان يولي الحنفية القضاء، ويولي الشافعية التدريس، ويقصد بذلك أن يتولى الشافعية الاشتغال بالفقه، فيكثر الفقهاء منهم، ويشتغل القضاة بالقضاء فيقل اشتغالهم بالفقه ويتعطلون"^(١)، وأياً كانت الأسباب فقد ساعدت هذه المدارس على نشر الثقافة والعلم، وأمدت أجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة، والتي كان لانضمامها إلى جهاز الدولة آثاره البعيدة على دقة التنظيم، كما أن هذه المدارس قد أمدت المدارس التي أنشئت فيما بعد بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار، قدم بعضهم من بلاد الأندلس والمغرب حيث تلقوا علومهم في المدارس النظامية، وقد حوت المدرسة النظامية أسماء الكثير من الأساتذة والمعيرين والوعاظ الذين ذكرتهم المصادر التاريخية، وقد أنفق نظام الملك على إنشاء المدرسة النظامية ببغداد الكثير من الأموال، ويمكن تصور تلك المبالغ من خلال وشاية أعدائه لدى السلطان ملكشاه حين قالوا "إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية"^(٢)، لكن بالمقابل عملت النظاميات على تقييد الحركة العلمية في بعض جوانبها، من خلال التصدي للعلوم الفلسفية أو علم الكلام، وعدم دعم العلوم البحتة كالطب والكيمياء وغيرها واقتصارها على العلوم الفقهية والشرعية وبعض جوانب اللغة العربية والأدب.

لقد ظهر الكثير من المدارس الأخرى غير المدارس النظامية، وقد أشار أحد الباحثين المعاصرين إلى ثمان وثلاثين مدرسة متنوعة في بغداد وحدها^(٣)، بعضها يمثل اتجاهاً مذهبياً واحداً، في حين أن كثيراً منها كانت تدرس على أساس نظام المذهبيين أو حتى المذاهب الأربعة.

فمن المدارس الحنفية مدرسة تركان خاتون المتوفاة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م التي أسست باسم ابنة طراج زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي بالجانب الشرقي من بغداد^(٤)، والمدرسة التنشية ببغداد، التي أنشأها الأمير خمارتكين بن عبد الله التنشي في حدود عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م^(٥)، والمدرسة المغيثة، وقد سميت بذلك نسبةً لبانيها السلطان مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي المتوفى عام

(١) بغية الطلب، ج ٥، ص ٢٤٩٤.

(٢) الطروشني (محمد بن الوليد بن محمد ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م): سراج الملوك، د. دار نشر، القاهرة، ط ١، ١٨٧٢م، ص ١٠٤.

(٣) معروف (ناجي): نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، ١٩٦٦م، ص ١٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٨١.

(٥) الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٧٨.

٥٢٤هـ/١١٣٠م، وتولى التدريس فيها كبار العلماء^(١)، والمدرسة الموفقية التي بناها موفق بن عبد الله الخاتوني خادم السيدة خاتون زوجة الخليفة المستظهر العباسي المتوفى سنة ٥٢٦هـ/١١٤١م^(٢).

أما المدارس الشافعية فكان منها على سبيل المثال لا الحصر، المدرسة التاجية التي تنسب إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزيان بن خسرو فيروز ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م^(٣)، ومدرسة قراح ظفر^(٤)، والمدرسة الثقتية التي أسسها ثقة الدولة علي بن محمد بن يحيى بن الحسن الدريني وافتتحها عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م^(٥)، والمدرسة الكمالية التي أسسها كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي ت ٥٥٦هـ/١١٦٠م وافتتحت سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م^(٦).

وانتشرت أيضاً المدارس الحنبلية، فمنها مدرسة المخرمي التي بناها القاضي أبو سعد المبارك المخرمي قاضي باب الأزج ت ٥١٣هـ/١١١٩م^(٧)، ومدرسة أبي شجاع التي بناها بهرام بن بهرام أبو شجاع البيع ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م^(٨).

د. الإنتاج العلمي والأدبي في عصر ابن حمدون

على الرغم من أن السيطرة السلجوقية تمثل في المنظور السياسي حقبة ضعف سياسي للعراق، فقد وصلت خلاله عناصر خارجية إلى مقاليد الحكم، إلا أن الحركة العلمية نشطت وسارت في خطوط واتجاهات مغايرة، ومن الصواب الربط بين الحالة السياسية والحركة الفكرية في المشرق العربي الإسلامي في هذا العصر، حيث أن الحالة العلمية تتوافق إيجاباً بتحسين الحالة السياسية التي تعيشها الدولة والعكس بالعكس، لكن في هذا العصر كانت النتيجة مغايرة، حيث كان لظهور الكثير من الفرق في هذا العصر وتنافر المذاهب الإسهام بصورة غير مقصودة بتنشيط الحركة العلمية في البحث والتقصي، حيث اتخذت هذه الفرق من العلم وسيلة لتحقيق أهدافها المختلفة في الوصول لعقول الناس

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٥٢٤. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٦٠.

(٢) القرشي: الجواهر المضية، ج ١، ص ٦٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٩، ص ٣١٣. ابن العبراني: الإنباء، ص ٣١٣.

(٤) قراح ظفر: قراح محلة من عدة محال في بغداد، وظفر اسم رجل. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦١.

(٥) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٤٤. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٧، ص ٣٦٩.

(٦) الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٦٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١١٣.

(٧) ابن أبي يعلى (محمد بن محمد ت ٥٢٦هـ/١١٣١م): طبقات الحنابلة، تح محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢٥٨. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٦٦.

(٨) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٤٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٤٣٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩٧.

واستمالتهم، كما كان للجدل الكبير الذي احتدم بين هذه الفرق الأثر الكبير في تنشيط النهضة العلمية، فتطورت الحركة العلمية، وحصل تركيز كبير على الدراسات الشرعية واللغوية والآداب وعلم الكلام.

كانت الدراسات الشرعية بكل فروعها من أهم المجالات التي ازدهرت في هذه الحقبة، ونشطت القراءات القرآنية في هذا العصر في العراق، وظهر عدد من علماء القراءات يضيق المجال لذكرهم جميعاً، لكن سيكتفي البحث بذكر من عاصر منهم ابن حمدون، ويأتي على رأسهم أبو بكر الخياط المقيري ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م^(١) مسند عصره في القراءات، وعلى الرغم من أنه توفي قبل ولادة ابن حمدون، إلا أنه من الأهمية بمكان ذكره لما كان له من أثر كبير في هذا المجال، والعلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي ت ٥١٣هـ/١١١٩م المقيري الأصولي المتكلم شيخ الحنابلة في عصره، وصاحب كتاب "الفنون"^(٢)، إضافة إلى ومحمد بن الحسين بن بNDAR، أبو العز القلانسي ت ٥٢١هـ/١١٢٧م شيخ العراق ومقيري القراء بواسطة، وصاحب التصانيف المشهورة، قرأ على عدد من مشاهير قراء العصر، ورحل إليه الناس للقراءة من نواحي العراق، ومن مصنفاته كتاب "الإرشاد" وكتاب "الكفاية الكبرى"^(٣)، ومن قراء العصر الحسين بن محمد، أبو عبد الله البغدادي ت ٥٢٤هـ/١١٠٩م، الذي كان عالماً بالقراءات، وصنف كتاب "الشمس المنيرة في التسعة الشهيرة"^(٤).

كما كان لعلم التفسير نصيب وافر من الاهتمام، فقد برز في العراق خلال الحقبة المدروسة علماء أجلاء، يأتي في مقدمتهم أبو القاسم الحسين ابن محمد بن مفضل الراغب الأصبهاني ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م، الذي كان له اليد الطولى في الدراسات القرآنية في هذا العصر، ومن أشهر كتبه "محاضرات الأدباء"، ومن مؤلفاته في القرآن "رسالة منبهة على فوائد القرآن"^(٥)، من المفسرين المبرزين أيضاً إسماعيل بن محمد أبو القاسم التيمي الأصبهاني ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م الذي كان إماماً في التفسير والحديث واللغة والأدب، وصنف كتاباً جاء في ثلاثين مجلداً سماه "الجامع" وكتاب "التفسير باللسان الأصبهاني"، وكان أهل بغداد يقولون: "ما دخل بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه"^(٦).

(١) الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٢٣٧. عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ٣١٤.

(٢) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٢٥٩. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٧٩. الذهبي: معرفة القراء الكبار، ص ٢٦١.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٠٦. الباباني: هدية العارفين، ص ٤٨٩.

(٤) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ص ٢٦٥. ابن الجوزي: غاية النهاية، ص ٢٥١. عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ٢٤٤.

(٥) الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٥٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٢٠.

(٦) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥): طبقات المفسرين، تج علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٦م، ص ٣٧.

ومن العلماء الذين نبغوا في هذه الحقبة، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م الذي كان من أئمة العلم بالدين والتفسير وكتابه الموسوم "بالكشاف" على قدر كبير من الأهمية، أما العلامة أبو الفرج بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، فقد كان مبرزاً في التفسير في هذا العصر، ومن مصنفاته "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر"، و"زاد المسير في علم التفسير"^(١).

ولا ينفصل علم التفسير عن علم الحديث الذي عني به المسلمون عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين للرواية، وقد اهتموا بالحديث في جميع العصور منذ بدأ تدوينه وتنقيته، وتميز صحيحه من حسنه، وضعيفه وغريبه، وقد تطور علم الحديث وتفرعت عنه جملة من العلوم الخاصة بالمصطلح، وعلم الإسناد، وضمَّ هذا العصر عدد عظيم من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه، سيقف البحث هنا على أهم من عاصر ابن حمدون من علماء الحديث، فالشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م كان علامة زمانه، سمع من أعيان المحدثين ورحل إلى مكة وسمع بها، ودخل الشام وسمع بدمشق وطرابلس، ودخل الديار المصرية وسمع بها، وخرج له الخطيب خمسة أجزاء تسمى "بالسراجيات"، من كتبه "مصارع العشاق"، "مناقب السودان"، وكتاب "الخرقي" في فقه الحنابلة^(٢)، واشتهر في هذا العصر أيضاً محمد بن طاهر بن أحمد الشيباني المقدسي الحافظ ت ٥٠٧هـ/١١١٣م، أحد العلماء الفضلاء، رحل في طلب العلم والحديث إلى مصر والشام والجزيرة.... وغيرها ومن مصنفاته "أسماء رجال من الضعفاء"، و"التذكرة في غرائب الأحاديث والمنكرة"، وكتاب "السماع"، وكتاب "المنثور"، و"الناسخ والمنسوخ"، أما أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي ت ٥٠٩هـ/١١١٥م فقد رحل في طلب الحديث، وجمع لنفسه معجماً للشيوخ الذي أخذ عنهم الحديث وجاء في ثمانية أجزاء ضخمة، وجمع تاريخاً لبغداد، ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادي^(٣).

بينما توسعت الدراسات اللغوية من نحو وأدب وغيرها وازداد الاهتمام بها كثيراً لأسباب متعددة ومختلفة، فباستيلاء السلاجقة على الحكم في خراسان وصل الأتراك الذين ينتمون ثقافياً إلى مناطق آسيا الوسطى إلى السلطة والحكم، فورثوا دولة السامانيين، وحيث أنهم كانوا أقل سوية حضارية من المناطق الجديدة التي وصلوا إليها، فإنهم اقتبسوا وتأثروا بثقافتها ونظمها، وهكذا قدر للغة الفارسية أن

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٤٠. السيوطي: طبقات المفسرين، ص ٦١. الداودي (محمد بن علي بن أحمد ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م): طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٢٨٠.

(٢) الحموي: معجم الادباء، ج ٢، ص ٧٧٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٥٧. ابن رجب: ذيل طبقات الحابلة، ج ١، ص ٢٣٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٤٤. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٤٢. عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ٣٢٢.

تواصل سيادتها خلال الحقبة السلجوقية إذ أصبحت لغة الحكم والسياسة والأدب، وإزاء هذه التطورات فقد كان من المتوقع أن يحصل الصراع اللغوي والتأثيرات المتبادلة في الأثر اللغوي بالمفردات، وأن يحصل الكثير من التسامح على حساب قواعد اللغة العربية وضبط ألفاظها والحديث بالفصحى، وبذلك قام الكثير من علماء اللغة كرد فعل على الوضع الجديد بجمع مصادر الكلمات ومفردات لغة العرب في معاجم خاصة، ثم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد، والرسائل اللغوية على الموضوعات، مثل غريب القرآن، غريب الحديث، غريب الفقه، واللغات وغيرها، ويمكن تخيل مدى تأثير هذا الصراع اللغوي في شخص ابن حمدون وفي تذكرته الموسوعية.

وممن ألف في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م^(١) الذي صنف كتاب "المفردات في غريب القرآن"، وأيضاً أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م حيث ألف كتاب "تهذيب غريب الحديث"^(٢)، أما المؤلفات التي تبحث في المعرب فإن من أهم الكتب التي ظهرت في هذه الحقبة هو كتاب "المعرب" لموهوب بن أحمد الجواليقي ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م شيخ أهل اللغة في هذا العصر، وقال عنه ابن الأنباري: "لم يعمل في جنسه أكبر منه"^(٣)، وفيه قال ابن خلكان: "كان إماماً في فنون الأدب وهو من مفاخر بغداد"^(٤)، وممن كتب في لحن العامة أبو محمد القاسم بن علي الحريري ت ٥١٦هـ/١١٢٢م الذي صنف في اللغة كتابه "درة الغواص في أوهام الخواص" نبه فيه على كلمات يستعملها الكتاب في غير مواضعها^(٥).

لقد حفلت هذه الحقبة بظهور طائفة كبيرة من علماء النحو، وهنا يُذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ممن عاصر ابن حمدون، يحيى بن علي بن محمد التبريزي - سبق ذكره - وقد كان إماماً في اللغة والنحو والأدب، رحل إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه، وولي التدريس بالنظامية، والإشراف على خزائنها حتى وفاته، ومن أهم مصنفاته "أسرار الصنعة في النحو"، و"تهذيب إصلاح المنطق"، و"شرح الحماسة"، و"شرح ديوان المتنبي"^(٦)، وغيرها، ومن رجال النحو البارزين في هذا العصر أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد المعروف بابن الشجري البغدادي ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م له مصنفات

(١) سبق ووردت ترجمته.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٧٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٩٧. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٩.

(٣) ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٣، ص ١٩٨٥م، ص ٢٩٣.

(٤) وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٥) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٧٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٣.

(٦) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٧٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٩١.

عديدة، منها، "ما اتفق لفظه واتفق معناه"، و"شرح اللمع لابن جني"، و"شرح تصريف الملوكي"^(١)، ومن نحاة العصر المعدودين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن الخشاب البغدادي ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م الذي كان أعلم أهل زمانه في النحو، قال ابن العماد: "وانتهت إليه الإمامة في النحو"^(٢) ومن مصنفاته "المرتجل في شرح الجمل" للجرجاني، و"شرح اللمع لابن جني"، و"أسئلة في البلاغة"، و"غريب اللغة"، و"الرد على الحريري في مقاماته"، وكان للوزير ابن هبيرة بصمات جليلة في علم النحو، قال عنه ابن الجوزي: "وكانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض"^(٣) وصنف مصنفات حسنة، منها "اختلاف العلماء"، و"الإفصاح عن معاني الصحاح"، و"الطاس والطالس في علم السيمياء"^(٤)، ومن المعروفين في النحو في العراق الحسن بن صافي البغدادي ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م الفقيه الأصولي المصنف في النحو وفنون الأدب، له ديوان شعر، ومدح النبي S بقصيدة مشهورة، صنف مصنفات مهمة، منها "الحاوي في النحو"، و"العمدة في النحو"، و"المنتخب في النحو"، و"التذكرة السفرية" ...^(٥).

وقد عظم حظ الأدب والشعر في هذا العصر، سيما وأن هذا العصر حفل بأدباء أجلاء وشعراء فحول في العراق، عنوا بتدريس المأثور من شعر ونثر، بروايته واختياره ونقده، كما ألفوا في فنون الأدب وبلاغته وتاريخه وطبقات رجاله، ولقد كان النتاج الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين المرأة التي عكست الوضع الاجتماعي والفكري، ويصدق هذا على الأدب بكافة صورته، من خطابة وكتابة وقصص وشعر ونثر.

فالنثر الفني، هو ما يرتفع بأصحابه من لغة الحديث المادية، ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضرورياً من التنسيق والتنميق والزخرف، فيختارون ألفاظه وينسقون جملة^(٦)، والنثر الفني في هذا العصر يشمل الخطابة، والرسائل الديوانية، والتوقيعات، والإخوانيات، والقصص والمقامات، ولقد نشأ منذ أوائل هذا العصر طبقة جديدة من الخطباء والوعاظ، وهم من كانوا يعرفون بالمذكرين، وكانت الغالبية العظمى منهم من الصوفية، وهكذا شاع في هذا العصر القصص والوعظ

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٤٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٢٨١.

(٢) شذرات الذهب: ج ٦، ص ٣٦٥.

(٣) المنتظم: ج ١٨، ص ١٦٦.

(٤) السيمياء: أو علم معاني الألفاظ، مبحث من مباحث علم اللغة، يبحث في المنطق واللغة وأساليب التعبير، كلمة يونانية معربة أصلها (سيما) ومعناها العلاقة أو الرمز. دوزي (رينهارت): تكلمة المعاجم العربية، تر محمد النعيمي، وزارة الثقافة، العراق، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٣١٤. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٤٦٩. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٦٧.

(٦) الفخوري (حنا): الجامع في الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ص ١٠٣٠.

والتذكير بالآخرة، والتخويف من النار، فكثرت الوعاظ وامتألت بهم المساجد والطرق، وظهرت أخبار هذا الوعظ مستفيضة في كتب الأدب العربي، وكان ابن الجوزي أشهر من برع في هذا المضمار^(١).

والمقامات وهي لون من ألوان الكتابة الإنشائية في هذا العصر^(٢)، ومما لا شك فيه أن أعظم من عمل المقامات كان أبو القاسم بن علي الحريري ت ٥١٦هـ/١١٢٢^(٣).

ويكاد الدارسون يجمعون على أن الشعر العربي دخل منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي مرحلة من الركود والجمود، إذ قلما ما وجد ابتكار أو تجديد يمكن أن يُشار إليه، إلا ما عرف "بالدوبيت"، أو الرباعية التي تعدُّ التطور الوحيد الذي ظهر في الشعر خلال عصر سيطرة السلاجقة، فقد شاع ذلك وذاع في هذه الحقبة، بعد أن أخذه شعراء العراق عن الفرس، ثم انتشر من العراق إلى الأقطار الأخرى من العالم العربي الإسلامي^(٤).

ومع أن هذه الحقبة تمثل مرحلة التأثير الحضاري والامتزاج الثقافي المتبادل، فإن الحياة الأدبية قد أفرزت خلال هذه الحقبة العديد من الشعراء لا يمكن رفعهم إلى درجة فحول الشعراء، كما لا يمكن اعتبارهم عيالاً على الشعر^(٥).

وتميز هذا العصر -أيضاً- وخصوصاً في العراق بالتوسع في المعاجم والتراجم التاريخية، والاهتمام بالوقائع التاريخية والتاريخ السياسي للدول عامة، فضلاً عن الاهتمام بالتاريخ المحلي، وذلك لكثرة المعارف وتفرعها، وتنوع الفنون، ووفرة الكتب، واتصال العلماء بعضهم ببعض، وتوفر ثقافة علمية واسعة.

فقد اتسعت الدراسات التاريخية، فصار موضوع التاريخ في هذا العصر شاملاً للحياة السياسية والعقلية والعقائد والأخلاق والأدب وسائر العلوم، ويمكن أن يتبين ذلك من خلال النظرة إلى تنوع الدراسات التاريخية في هذا العصر، - ليس في العراق فقط بلد ابن حمدون بل سائر البلاد العربية الإسلامية - والتي احتوتها كتب التراجم، التي تعدُّ من أهم أنواع الكتابة التاريخية في هذه المرحلة، فقد

(١) عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ٣٧٣.

(٢) سيأتي البحث على شرح معنى المقامات عند الحديث عن موارد ابن حمدون.

(٣) سيأتي البحث على ذكر ترجمة الحريري ومقاماته عند الحديث عن موارد ابن حمدون.

(٤) الدوبيت: لفظ مركب من كلمتين أولاهما (دو)، فارسية بمعنى اثنين، وثانيهما (بيت) عربية تعني الوحدة الشعرية، ويسميه العرب بذلك لأن وزن شطر البيت فيه أربعة تقاعيل مختلفة، وإذا شطر كان البيت فيه أيضاً رباعي الأجزاء، وهو ضرب من الشعر استحدثه العرب المولدون على وزن الشعر الفارسي المسمى دوبيت على وزن فعلن متفاعلن فعولن فعلن، وقد يتساوى عروضه وضربه في الوزن وروي القافية. مجموعة من الباحثين: الموسوعة الإسلامية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٨٠٩.

(٥) ضيف (شوقي): تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٣٢٣.

عني بها المؤرخون المسلمون في هذا العصر عناية فائقة، فما إن يظهر أحد من المتخصصين في أي فرع من فروع العلم والمعرفة إلا وتناولته كتب التراجم بالكتابة عن تفاصيل حياته ودراسته وتخصصه وإسهاماته العلمية وشيوخه وتلامذته، والمجال هنا يضيق عن ذكر المؤرخين الذين نبغوا في هذه الحقبة، وما قدموه من إسهامات حضارية في رفد الكتابة التاريخية على أنواعها^(١).

أما بالنسبة للعلوم البحتة كالطب والكيمياء والرياضيات، فالناظر للوضع العام من اضطرابات وصراع وحروب، يظن بأن هذه العلوم أصابها الجمود والكساد، لكنها حققت منجزات جيدة انعكست في شيوخ التجارب العلمية في مختلف الاختصاصات، وتعميم عمليات التقطير وتركيب الأدوية والعقاقير والمستحضرات الكيماوية، والتوسع في استخدام الأقيسة والأرصاء الفلكية.

وبعدُ العرب المسلمون في مقدمة الشعوب التي اهتمت في **الطب** وإنشاء البيمارستانات، ولقد أنشأ العرب المسلمون البيمارستانات في الكثير من المدن والأمصار في الشرق والغرب، وكان أغلبها ثابتاً مستقراً، وبعضها متنقل إلى حين تظهر الحاجة إليه، ذلك أن ينقل من مكان إلى آخر حسب ظروف انتشار الأمراض والأوبئة أو مع حركة الجيوش^(٢)، ويعدُّ علي بن عيسى الكحال أشهر كحالي العرب، المتوفى أوائل هذه الحقبة بالعراق، والذي وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه " كان مشهوراً بالخدمة في صناعة الكحل، متميزاً فيها، ويقتهى بكلامه في أمراض العين ومداواتها"^(٣)، وقد صنف اثنين وثلاثين كتاباً في علم الرمذ، أشهرها كتابه تذكرة الكحالين، ومن أطباء هذه الحقبة ابن جزلة البغدادي ت ٤٩٢هـ/١٠٩٨م إمام الطب في عصره، وأيضاً أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن ت ٤٩٤هـ/١١٠٠م من الأطباء المتميزين في صناعة الطب، وكان معاصراً لابن جزلة وواحداً من أساتذته، عاش في خلافة المقتدي بالله وخدمه بصناعة الطب، كما خدم ولده الخليفة المستظهر بالله، ومن مصنفاته "المغني في تدبير الأمراض"^(٤).

وقد عاش خلال عصر السيطرة السلجوقية عدد من جهاذة الرياضيات والفلك، حيث استفاد بعض السلاطين والوزراء السلاجقة من قدراتهم الرياضية في تنفيذ مشاريعهم العلمية والفلكية منهم صاعد بن الحسن بن صاعد أبو العلاء الطبيب الفلكي ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م الذي صنف في الفلك

(١) عسيري: الحركة العلمية في العراق، ص ٤٢٥.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر، كان ابن المرحم طبيباً في مارستان السلطان السلجوقي، وهو مارستان سيار وكان يحمل في عسكر السلطان على أربعين جملاً. القفطي (علي بن يوسف بن إبراهيم ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٢٩٨.

(٣) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٣٣٣.

(٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٣٤٣.

كتاب "التشويق التعليمي في علم الهيئة"^(١)، وممن برز في الدراسات الرياضية والفلكية أبو القاسم هبة الله بن الحسين المشهور بالبديع الاسطرلابي ت ٥٣٤هـ/١١٣٩م الذي وصفه ابن أبي أصيبعة بقوله: "من الحكماء الفضلاء، والأدباء النبلاء، طبيب عالم، وفيلسوف متكلم، غلبت عليه الحكمة، وعلم الكلام الرياضي، وكان متقناً لعلوم النجوم والرصد"^(٢) صنف عدة كتب منها "المعرب المحمودي"، و"إصلاح الآلة الشاملة للخندي"، أما أبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي ت ٥٣٥هـ/١١٤١م فقد برع في الرياضيات وصنف فيها "شرح المقالة العاشرة من كتاب أصول اقليدس"، و"رسالة في الجبر والمقابلة".

إضافة إلى ما قدمه علماء هذا العصر من مآثر في الطب والرياضيات والفلك، كانت لهم دراسات في الكيمياء التي انتهج العرب فيها وغيرها من العلوم الطبيعية منهج التجربة العلمية، ففي العراق على سبيل المثال لا الحصر تورد المصادر نموذج فريد من العلماء جعله المؤرخون من أعظم علماء الكيمياء في تاريخ الإسلام وهو فخر أبو إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي العميد الوزير المعروف بالطغرائي ت ٥١٥هـ/١١١٩م ومن تصانيفه "جامع الأسرار"، وكتاب "تراكيب الأنوار"، وكتاب "حقائق الاستشهاد في الدفاع عن الكيمياء ضد ابن سينا"، وله "الجوهر النظير في صناعة الاكسير"، وله قصيدتان في الكيمياء^(٣).

والسؤال المطروح هنا، هل مثلت هذه الحركة العلمية أوجهاً في مختلف صنوف العلوم

وفروعها؟

على الرغم من كثرة المصنفات التي ألُفت في هذا العصر، لكن جدير بالذكر أن جُلَّ ما ألف كان في ميادين علوم الشريعة واللغة والتراجم والتواريخ والدراسات الشرعية، إضافة إلى ما ألفه الصوفيون من كتب، أما العلوم العقلية كالطب والهندسة والكيمياء والعلوم البحتة فلم تكن واسعة الانتشار، حيث وجد مؤلف واحد نبغ هنا أو هناك، ويمكن الاستنتاج هنا أن هذه العلوم لم تكن تلق الدعم الكافي من قبل الدولة العباسية أو السلطنة السلجوقية على حد سواء، وبالمقابل فإن الدراسات الفلسفية ودراسة المنطق وعلوم الأوائل، قد تقلصت وكسدت سوقها، بعد صراع طويل مع معارضيتها من رجال الدين الذين رفعوا لواء التصدي لتلك العلوم، وكان في مقدمتهم أبو حامد الغزالي الذي حارب المذاهب الفلسفية بشكل كبير، وجاءت المدارس النظامية لتتابع تلك الحرب، فلم تأل جهداً في التصدي لكل من اشتغل في الفلسفة، بحجة أن هذه الدراسات الفلسفية كانت تؤدي إلى ظهور الأفكار الإلحادية

(١) الباباني: هدية العارفين، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٢) عيون الأنباء، ص ٣٨٠.

(٣) الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٠٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٨٥. ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج ٣، ص ٤٨٩.

والبعد عن دين الإسلام الحنيف، ومن جانب آخر يردُّ أصحاب علم الكلام أن ميدانهم يشحذ الذهن، ويطور مهارة الجدل، وينظم عملية التفكير العقلي، فالفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م أول من رسم طريق الفلسفة الإسلامية وترك حوالي مائتين وثلاثين رسالة في الفلسفة، لم تحوِ أي أفكار إلحادية، أو ما يخالف الدين الإسلامي، بل كانت جل هذه المؤلفات توفيقاً بين الدين والفلسفة، أما الفيلسوف الفارابي فيشير إلى أن الإيمان بالعقيدة هو المنطلق الرئيسي في النظام الفلسفي، فيعبر عن ذلك بقوله: "إن أول ما ينبغي أن يبتدئ به المرء هو أن يعلم أن لهذا العالم وأجزائه صانعاً، بأن يتأمل الموجودات كلها، هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلة أم لا، فإنه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنه وجد" ثم يتابع الفارابي بقوله: "فالأول هو الذي ينبغي أن يُعتقد فيه أنه هو الإله، وهو السبب القريب لوجود الثواني ولوجود العقل الفعال" (١).

وبعد استعراض تطور الحركة العلمية خلال العصر الذي عاش فيه ابن حمدون، يُطرح السؤال هنا، كيف ساعد تقدم الحركة الفكرية والثقافية في العراق خلال هذه الحقبة التي عاشها ابن حمدون على تأليفه لموسوعته الموسومة بالتذكرة الحمدونية؟

كان لنشاط الحركة العلمية وكثرة خزائن الكتب والمكتبات الأثر الكبير في تأليف ابن حمدون لتذكرته، حيث أن ابن حمدون عندما شرع في جمع وتصنيف تذكرته كانت المكتبات تذخر بعدد كبير من المؤلفات والمصنفات، وكثير من الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون -كموارد لتذكرته- كانت موجودة في تلك المكتبات، خاصة أن هذه المكتبات بقيت تحافظ على نفسها على الرغم من الحروب والصراعات التي كانت تنشب بين السلاجقة مع بعضهم البعض من جانب، والسلاجقة والخلفاء العباسيين من جانب آخر، وهذا ما كفّل لابن حمدون السرعة في تأليفه لتذكرته، فالمادة الأدبية والتاريخية والشعرية موجودة، وما بقي على ابن حمدون إلا تصنيفها وترتيبها وتبويبها.

ويبدو أن التذكرة الحمدونية جاءت لتلبي رغبة عامة لدى المجتمع العراقي في تلك الحقبة، فقد ملّ الناس من الموسوعات الضخمة والمصنفات الكبيرة، لذلك أراد ابن حمدون أن يُوصل القارئ لمبتغاه بسرعة وسهولة وتكلفة أقل، إلى جانب الجودة في المختارات التي تضمنتها التذكرة، وهذا ما أكد عليه ابن حمدون في مقدمة التذكرة، هذا ويمكن استقراء الوضع المادي للسكان في تلك الحقبة حيث أن اقتناء التذكرة الحمدونية وشرائها كان أيسر من اقتناء الموسوعات الضخمة، والتي تضم عدداً كبيراً من المجلدات، فمن المؤكد أن ثمنها سيكون مرتفعاً.

(١) الفارابي (محمد بن محمد ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م): السياسة المدنية، تح فوز نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت،

جدول بأهم العلماء الذين عاصروهم ابن حمدون

اسم العالم	مجال العلم	تاريخ الوفاة
سعيد بن هبة الله	الطب	١١٠٠هـ/١٤٩٤م
علي بن عقيل البغدادي	القراءات القرآنية	١١١٩هـ/١٥١٣م
أبو العز القلانسي	القراءات القرآنية	١١٢٧هـ/١٥٢١م
الحسين بن محمد البغدادي	القراءات القرآنية	١١٠٩هـ/١٥٢٤م
محمود بن عمر الزمخشري	التفسير	١١٤٤هـ/١٥٣٨م
الراغب الأصفهاني	التفسير والأدب وعلوم القرآن	١١٠٨هـ/١٥٠٢م
إسماعيل بن محمد الأصبهاني	التفسير	١١٤٠هـ/١٥٣٥م
ابن الجوزي	التاريخ والتفسير والأدب	١٢٠٠هـ/١٥٩٧م
جعفر بن أحمد بن الحسين السراج	الأدب والحديث	١١٠٦هـ/١٥٠٠م
محمد بن طاهر المقدسي	الحديث	١١١٣هـ/١٥٠٧م
هبة الله بن المبارك السقطي	الحديث	١١١٥هـ/١٥٠٩م
الخطيب التبريزي	علوم القرآن والأدب	١١٠٨هـ/١٥٠٢م
الحريري	الأدب	١١٢٢هـ/١٥١٦م
موهوب بن أحمد الجوالقي	الأدب	١١٤٤هـ/١٥٣٩م
ابن الشجري	الأدب	١١٤٨هـ/١٥٤٢م
ابن الخشاب البغدادي	الأدب	١١٧١هـ/١٥٦٧م
الاسطرلابي	الفلك	١١٣٩هـ/١٥٣٤م
محمد بن عبد الباقي البغدادي	الفلك	١١٤٠هـ/١٥٣٥م
الحسين بن علي الطغرائي	الكيمياء	١١١٩هـ/١٥١٥م

جدول من صنع الطالب

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف ابن حمدون

أولاً:	مولده ونسبه وأسرته
ثانياً:	حياته العلمية
ثالثاً:	الوظائف التي تقلدها
رابعاً:	وفاته

أولاً: مولده ونسبه وأسرته^(١)

ولد العلامة أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب في شهر رجب سنة ٤٩٥هـ/تموز ١١٠١م، ولم تذكر المصادر التاريخية - عند ترجماتها له - مكان ولادته على وجه الدقة، لكن كلمة (البغدادي) قد تشي بأن مسقط رأسه كانت بغداد من ناحية، وتشـي أيضاً بأن أصله بغدادي^(٢)، ويُعرف اختصاراً في كتب التاريخ "ابن حمدون البغدادي"، ومن الملاحظ أن كنية "ابن حمدون"، قد تكررت مرات عدة في كتب الأدب والتاريخ على السواء، ولكن الأسر التي حملت هذه الكنية كان لا يجمعها في الغالب إلا التسمية، فضلاً عن الشأن السياسي والثقافي المهم الذي شغلته هذه الأسر في حقبة متفاوتة قديماً، فعلى سبيل المثال اشتركت عائلة ابن حمدون صاحب التذكرة مع عائلة بني حمدون التي كان نفر من أفرادها ندماء لعدد من خلفاء بني العباس، وقد اشتهر منهم إبراهيم بن إسماعيل^(٣) الذي كان نديماً للمتوكل، وابنه أحمد بن إبراهيم^(٤) ويكنى أبو عبد الله، الذي كان ينادم المتوكل أيضاً، ومن بعده من الخلفاء، وأبو محمد بن حمدون الذي نادم الخليفة العباسي المعتمد وتوفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م^(٥)، وقد أنكر هذه العلاقة بين الأسرتين ابن صاحب التذكرة الحسن بن محمد حين سأله ياقوت الحموي قائلاً: "حمدون الذي تنسبون إليه، أهو حمدون نديم المتوكل ومن بعده من الخلفاء؟ فقال: لا، نحن من آل سيف الدولة بن حمدان بن حمدون من بني

(١) تجدر الإشارة إلا أن عماد الدين الأصبهاني وابن خلكان، هما أول من انفردا بذكر ترجمة لابن حمدون وأسرته، أما بقية كتب التاريخ والتراجم فقد اعتمدت عليهما في نقل الترجمة، وترجم ياقوت الحموي لابن صاحب التذكرة، وذكر أنه ترجم لابن حمدون في كتابه معجم الأدباء ولكن هذه الترجمة سقطت من النسخة المطبوعة التي اعتمد عليها البحث.

(٢) العماد الأصبهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٣) إبراهيم بن إسماعيل: بن داود، أصله من الفرس، كان كاتباً، ونامد الخليفة المتوكل العباسي، واشتهر أخوه حمدون بمنادمة الخليفة المعتمد ومن بعده من الخلفاء، وكان إبراهيم من أفحل الشعراء، له قصائد كثيرة أوردها الصفيدي. الصفيدي: الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ٢١٣.

(٤) أحمد بن إبراهيم: أبو عبد الله، أشهر بني حمدون الندماء، كان عالماً بالأدب والأخبار، كان نديماً للمتوكل العباسي، ونامده مدة خلافته، ثم نادم الخليفة المستعين من بعده مدة خلافته أيضاً، كانت إقامته ببغداد، ومن كتبه (أسماء الجبال والمياه والأودية) و (كتاب بني مرة بن عوف) و (كتاب بني النمر بن قاسط)، و كتاب (بني عقيل)، وتوفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م. الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ١٦٤. الصفيدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٣٣. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ٢، ١٩٧١م، ج ١، ص ١٣٤.

(٥) انفرد ياقوت الحموي بترجمة قصيرة له، حيث ذكر أنه ولد سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م، وتوفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، وأنه نادم الخليفة المعتمد واختص به، وله معه أخبار كثيرة. الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ١٦٨.

تغلب^(١)، لكن سواء إن صح ما قال ابن صاحب التذكرة أم لا، فإن المصادر التاريخية لم تذكر ما يثبت صلة ابن حمدون الكاتب وأسرته، بأسرة بني حمدون الندماء.

ترعرع ابن حمدون في بيت عُرف بالفضل والرياسة والرواية^(٢)، ومن أسرة مرموقة، ويبدو أن الفضل في رياسة هذه الأسرة لا يعود إلى أبعد من والد ابن حمدون وهو أبو سعد الحسن بن محمد بن علي، إذ لا تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن الجد، وإنما تعزو إلى الحسن بن محمد المكنى أبو سعد - والد ابن حمدون - بداية تلك السيادة حيث تذكر كيف أنه كان من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف والحساب، وله تصنيف في معرفة "أو تصريف" الأعمال، وهذا يدل على رسوخ قدمه في شؤون الدواوين، وقد عمّر طويلاً، وتوفي يوم السبت في العاشر من جمادى الأولى سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م، أي في خلافة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/ ١١٣٥-١١٦٠م) حيث كان طاعناً في السن^(٣).

لقد أوردت المصادر التاريخية أسماء أخوين اثنين لابن حمدون، أكبرهم يُسمى أيضاً محمد ويفترق عن ابن حمدون بكنيته ولقبه، وكان أكبر منه، وهو أبو نصر الملقب بغرس الدولة، ولد سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م كان من العمال وكتاب الدواوين، حيث كتب في الديوان من سنة ٥١٣- ٥٤٥هـ/ ١١١٩-١١٥٠م، وقال الصفدي في ترجمته: "كان منفرداً بالمهمات، ولم يثبت رسائله لأنها كانت تنتال عليه انثيالاً ويكتبها ارتجالاً، وله كتاب "الرسائل وتاريخ الحوادث"^(٤)، وقد توفي أبو نصر قبل وفاة والده بستة أشهر، والأخ الثاني - يبدو أنه الأوسط عمراً - أبو المظفر، لم تتحدث المصادر التاريخية عنه بشيء، ولكن ابن الفوطي انفرد بحديث قليل عنه، حيث ذكر أنه نصر بن الحسن البغدادي الكاتب، ويكنى أبو المظفر، ويُلقب بغرس الدين، ومن خلال التدقيق برواية ابن الفوطي، فلقبه "الكاتب" يمكن أن يشي بأنه عمل مثل إخوته كاتباً في أحد دواوين الدولة، ويبدو أيضاً أنه كان شاعراً حيث قال ابن الفوطي: "كاتب عجيب الكلام على طريقة الحيص ببص"^(٥).

(١) معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٠١٣.

(٢) المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م): التكملة لوفيات النقلة، تح بشار معروف، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٨٢.

(٤) الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٥) مجمع الآداب، ج ٢، ص ٤١٩.

وكان لابن حمدون - صاحب التذكرة - ولدٌ واحد وهو الحسن بن محمد ويُكنى أبو سعد^(١)، ويُلقب بتاج الدولة، ولد في صفر سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م وقد ورث عن أبيه شغفه بالكتب^(٢)، يقول فيه ياقوت: "وكان رحمه الله من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكي النفس، طاهر الأخلاق، عالي الهمة.... وكان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهارها المعينة ما لم يحصل لكثير أحد"^(٣)، تولى عدة مناصب في الدولة منها النظر في البيمارستان العضدي^(٤)، وكتابة السكة بالديوان العزيز^(٥)، ولأن دوام الحال من المُحال، فقد انقلبت الأيام عليه، وقعد به الدهر، وأخذ يبيع كتبه لينفق من ثمنها على معيشتة، وقد وصف ياقوت الحموي ما حلَّ به وصفاً مؤثراً، وكان أبو سعد ممن يملكون خطأً رائفاً، حيث كتب الكثير من الكتب صغيرة كانت أم كبيرة، وصححها على المشايخ الذين لقيهم، مثل أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني^(٦)، والنقيب أبي جعفر أحمد بن محمد العباسي^(٧)،

(١) يمكن النظر كيف أن ابن حمدون فقد أخاه أبا نصر، وفي السنة التالية فقد أباه، وفي السنة التي تلتها رزق بابنه فسماه باسم جده وكناه بكنيته.

(٢) لقد وهم بعض المؤرخين مثل سبط ابن الجوزي وابن كثير وابن العماد الحنبلي والذهبي بأن أبا سعد هذا هو مؤلف التذكرة الحمدونية، حيث اختلط الأمر عليهم بينه وبين والده ابن حمدون صاحب التذكرة، وهذا ما يجانب الصواب. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ١٨٧. الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٤٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٥. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٠.

(٣) معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٠١٣.

(٤) يقع هذا البيمارستان على طرف الجسر من الجانب الغربي من مدينة بغداد، تكفل بإنشائه عضد الدولة بن بويه، وافتتحه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م، وكان يتم فيه معالجة جميع أنواع الأمراض، ويشرف عليه كادر من الأطباء الأكفاء، وكان المرضى يفحصون بعناية كبيرة وتدوّن أسماؤهم في سجلات خاصة لمعرفة سير المرض فيهم ومتابعته يوماً بعد يوم، وكان يقدم لهم الغذاء والدواء مجاناً، ويظلون تحت الرعاية حتى الشفاء التام. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٦، ص ٤٧٣.

(٥) كانت مهمة هذا الديوان نقش شارات الخلافة على السكة (العملة). السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٧.

(٦) محمد بن عبيد الله: أبو بكر الزاغوني، كان من الفقهاء الأجلاء، سمع على يد ابن البصري وأبي النصر الزينبي، ولقب بالمُجلّد، وحدث عنه الكثير مثل ابن عساكر وابن الجوزي وغيرهم، وكان مبدعاً في فن التجليد، فأقره الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله من أجل تجليد خزانة كتبه، توفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٨م. ابن نقطة (محمد بن عبد الغني ابن أبي بكر ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) : إكمال الإكمال، تح عبد القيوم عبد النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٩م، ج ٣، ص ٦٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٢٧٨. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٢.

(٧) أحمد بن محمد العباسي: علامة وفقه جليل، تولى نقابة الهاشميين بمكة، وحدث عنه الكثير من الفقهاء والتلاميذ، عرف عنه الصدق والزهد والتعب، وحدث في بغداد وأصبهان، وتوفي سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٨، ص ١٣٦. الذهبي: العبر، ج ٣، ص ٢٢. ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٨٣.

وأبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي^(١)، وأبي المعالي محمد بن محمد بن اللّحاس^(٢)، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان^(٣) وغيرهم^(٤)، وسببت له حادثة السجن التي تعرض لها أبوه^(٥) زمن الخليفة المستجد بالله العباسي، عقدة نفسية فقد صنّف عدداً من الكتب لم يجرؤ على إظهارها خوفاً مما طرق أباه^(٦)، وقد توفي أبو سعد تاج الدولة سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م ودفن بمقبرة موسى بن جعفر بباب التبن في بغداد، وقال الحموي في ذلك: "وهو كان آخر من بقي من هذا البيت القديم والركن الدعيم، ولم يخلف إلا ابنة مزوجة من ابن الدوامي، وما أظنها معقبة أيضاً"^(٧).

(١) محمد بن أبي ربيع الغرناطي: محمد بن عبد الرحيم بن سليمان، أبو حامد، ولد في غرناطة ورحل إلى الإسكندرية، وحدث بدمشق، وسمع ببغداد، ودخل خراسان، ثم رجع إلى الشام وأقام ب حلب، وتوفي بدمشق. وصنف كتاب (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب)، وتوفي سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٠٢. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٥، ص٢٥٧.

(٢) ابن اللّحاس: محمد بن محمد، كان من الشيوخ الثقات، حدث عنه الكثير كالسمعاني ومحمد بن المبارك، وكان شيخاً صالحاً عفيفاً صدوقاً، حسن الأخلاق، توفي سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤٦٦. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦، ص٣٤١.

(٣) محمد بن عبد الباقي: أبو الفتح، المعروف بابن البطي، محدث بغداد في وقته، رعاه أبوه منذ الصغر فسمع من كبار الفقهاء، وحدث عنه الكثيرون مثل ابن الجوزي وابن عساكر وغيرهما، وكان حريصاً على نشر العلم، وكان شيخاً صالحاً، حسن الطريقة، مليح الأخلاق، محباً للحديث، صدوقاً، أميناً، وتوفي سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤٨٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٣.

(٤) ابن الديبثي (محمد بن سعيد ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م): ذيل تاريخ بغداد، تح بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٢٠.

(٥) سيأتي البحث على ذكر هذه الحادثة.

(٦) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج١، ص١٨٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٢، ص١٣٩.

(٧) معجم الأدباء، ج٣، ص١٠١٣.

ثانياً: حياته العلمية

عُرف ابن حمدون بالفصاحة^(١)، والمعرفة التامة بالأدب والكتابة والبلاغة، ولم يكن هذا غريباً عن مؤلف نشأ في بيتٍ اشتهر أفرادُه بالرواية والرياسة والكتابة، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان كريم الأخلاق، جميل العشرة، حسن السيرة^(٢)، وعبر عن ذلك العماد الأصفهاني بقوله: "كلف باقتناء الحمد، وابتناء المجد، وفيه فضل ونبل، وله على أهل الأدب ظل"^(٣)، ويمكن أن يُستدل من قول العماد بأنه كان يُقَرَّب أهل الأدب ويشملهم بعطفه، وتدلُّ التذكرة على أنه كان شغوفاً بالأدب والتاريخ إلى جانب ما يحتاج إليه الكاتب من فروع الثقافة الأخرى.

وللأسف لم تذكر المصادر التاريخية التي ترجمت لابن حمدون أي شيء عن تعليمه في الفتوة والصبا، ولا عن شيوخه، ما خلا الإشارة إلى شيخٍ واحد فقط هو إسماعيل بن الفضل الجرجاني^(٤)، وقد سمع منه ابن حمدون الحديث سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م، عندما كان عمره خمسة عشر عاماً^(٥)، ذكر ابن الدبيثي أن ابن حمدون روى عن الجرجاني بسند ينتهي إلى ابن عباس، فقال: "قرأت على الأجل أبي سعد الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن حمدون، قلت له: أخبرك والدك أبو المعالي محمد بن الحسن، قراءةً عليه وأنت تسمع، فأقر به، قال: أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني قدم علينا بغداد، قراءةً عليه وأنا أسمع، في صفر سنة عشر وخمس مئة بالمسجد المعلق المقابل لباب النوبي المحروس، قيل له: أخبركم أبو محمد عبد الرحمن بن سعيد بن محمد السعيد، قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الغطريف العبدي، قال: حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، قال: حدثنا محمد بن كثير العبدي، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن أبي جهم مولى ابن سالم، عن عبيد الله بن العباس من ولد العباس، عن ابن عباس قال: أمرنا رسول الله S بإسباغ الوضوء ونهانا، - ولا أقول نهاكم- أن نأكل الصدقة ولا ننزي حماراً على فرس"^(٦).

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٨، ص ١٥٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٨٠. الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤هـ/ ٣٦٢م): فوات الوفيات، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ٩٧٤م، ج ٣، ص ٣٢٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٧٤.

(٣) خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) الجرجاني: أبو القاسم بن أبي عامر التميمي، الجرجاني، أصله من جرجان، وقدم إلى بغداد سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م أثناء قيامه بالحج، وحدث عن بعض شيوخها، وروى عنه المبارك بن كامل، وروح بن أحمد الحديثي قاضي القضاة ويحيى بن هبة الله البزاز وغيرهم، ولم تذكر المصادر التي وقف عليها البحث تاريخ وفاته. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٤١.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ١٣٦.

(٦) تاريخ ابن الدبيثي، ج ١، ص ٢٧٤.

أما عن تلامذة ابن حمدون، فقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء أربعة تلاميذ فقط، تفقهوا على يد ابن حمدون، وهم " ولده أبو سعد الحسن^(١)، وأحمد بن طارق القرشي^(٢)، وأبو المعالي أحمد بن يحيى بن هبة الله^(٣)، وأبو العباس أحمد بن الحسن العاقولي^(٤)، وغيرهم^(٥)، لكن المصادر التاريخية - التي وقف عليها البحث - لم تذكر ما هي العلوم التي أخذها هؤلاء عن ابن حمدون، وما هي الفروع التي سمعوها منه.

لقد كان ابن حمدون يؤلف شيئاً من النظم، وقد أورد له العماد الأصبهاني في الخريدة ثلاث مقاطع، واعتمدت المصادر على ما أورده العماد، فلم يرد فيها شيء من الشعر زيادة عما أورده، أما هذه المقاطع: إحداها جاءت في وصف مروحة الخيش، وقد قالها ابن حمدون على طريقة اللغز، حيث قال العماد: "وأنشدني لنفسه في مروحة الخيش ملغزاً^(٦):

مُقَيَّدَةٌ تجري حَبِيسٌ طليقُها	ومُرْسَلَةٌ معقولةٌ دونَ قَصْدِها
وتسري وقد سُدَّتْ عليها طريقُها	تُمرُّ خفيفَ الريحِ وهي مقيمةٌ
وقد ضَرَبَتْ إلى النَبيطِ عروقُها	لها من سليمانَ النبيِّ وراثَةٌ
وَتُمَطِّرُ والجوزاءُ ذاكَ حريقُها	إذا صَدَقَ النَّوْءُ السِّمَّاكِيَّ أمحلتُ
لذلك كانت كلُّ روحٍ صديقُها	تحيتها إحدى الطبائعِ إنَّها

(١) تقدم الحديث عنه.

(٢) أحمد بن طارق الكركي: أبو الرضا بن أبي السرايا التاجر، من ساكني دار الخلافة ببغداد، ولد سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م كان من خيرة الفقهاء، حيث كان حريصاً على حضور المجالس ولقاء المشايخ وتحصيل الأصول، وسافر كثيراً لطلب العلم إلى مصر والشام إضافة لعمله في التجارة، وتوفي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٢، ص ٨٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٦٣. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥٠٤.

(٣) أحمد بن يحيى: من الفقهاء الأجلاء، طلب الحديث بنفسه وكتب بخطه الكثير وبالع في الطلب وحصل الأصول وأكثر من الشيوخ وكتب الكثير من الأجزاء والكتب الكبار كمسند أحمد بن حنبل والطبقات الكبرى لابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب والصحيحين، قال ابن النجار: كتبت عنه وكان صدوقاً حسن الطريقة متديناً عفيفاً، توفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. ابن الديبشي: تاريخ ابن الديبشي، ج ٢، ص ٤٣١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٥٠.

(٤) العاقولي: أحمد بن الحسن، أبو العباس، البغدادي، ولد سنة ٥٢٦هـ/، وقرأ القراءات على أبي الكرم الشهرزوري، وروى الكثير، وأقرأ الناس، وكان حسن السيرة، صادقاً، عفيف الأخلاق، توفي سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م. الذهبي: العبر، ج ٣، ص ١٤٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٥٩.

(٥) ابن الديبشي: تاريخ ابن الديبشي، ج ١، ص ٢٧٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ١٣٦.

(٦) العماد الأصبهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٥.

أما الثانية فقد كانت أبياتاً يبدو أن ابن حمدون يمدح فيها أحد رجالات الدولة العباسية، فيقول:

وحاشا معاليك أن يُستزادَ وحاشا نوالك أن يقتضى

ولكنما أسترزى الحظوظ وإن أمرتني النهى بالرضا

والثالثة هجاء، وهذه المقطوعة الثالثة تدلُّ على خفة روح وميلٍ إلى الدعابة، وفيها يقول:

يا خفيف الرأس والعقل معاً وثقيلَ الروح أيضاً والبدنُ

تدّعي أنك مثلي طيبٌ طيب أنت ولكن باللبن!^(١)

فضلاً عن قصيدة وردت في التذكرة الحمدونية في باب المشاهدات الشخصية سيأتي البحث على ذكرها في قادم الصفحات.

(١) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٥ .

ثالثاً: الوظائف التي تقلدها

ولد محمد أبو المعالي في رجب سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م أي في خلافة المستظهر بالله العباسي (٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م) وكان عمره حوالي ثماني عشرة سنة يوم توفي هذا الخليفة، وعاصر خلافة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١٠٩٤-١١٣٤م) والراشد (٥٢٩-٥٣٠هـ/١١٣٤-١١٣٥م) والمقتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) وجانباً من خلافة المستجد (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)، ولا يُعرف - على وجه اليقين - كيف كانت دراسة ابن حمدون ، ونشاطه قبل توليه مناصب في الدولة إبان العقد الثالث من حياته، لكن يمكن التخمين، أن أباه وأخويه -وهم من عمال الدولة المشهورين في بغداد آنذاك- قد مهدوا له السبيل لبلوغ أبواب الخلافة العباسية أيام الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي، ولكن بالمقابل من المؤكد أن ابن حمدون كان في هذه المرحلة المهمة من حياته، قد عُرف في الدواوين، ولمع اسمه عند النخبة من المثقفين، وفشت سمعته الحميدة بين الساسة والأدباء والكتّاب والمترجمين، وذلك بفضل أخلاقه وإخلاصه، وإتقانه فنون السياسة والأدب، إلى جانب صيت أسرته، ونسبه، وهو الذي في سعيه "كلف باقتناء الحمد، وابتناء المجد، وفيه فضل، ونبل، وله على أهل الأدب ظل" ^(١)، أي أن وجود أبيه وأخوته ضمن دائرة السلطة لم يكن هو السبب الوحيد في تولي ابن حمدون أولى وظائفه في خدمة الخليفة المقتفي.

قلد الخليفة المقتفي ابن حمدون وظيفة "عارض الجيش" وكانت هذه الوظيفة درجة من درجات الترقى في وظائف الدولة، فما هي المهمات الموكلة لصاحب هذه الوظيفة؟

أطلق هذا الاسم على الموظف الذي يتقلد الإشراف على ديوان عرض الجيوش، ويتولى العارض عادة تنظيم سجلات الجنود وصرف مرتباتهم، وهو المسؤول عن تهيئة وتسليح الجيش وإعداد تموينه ^(٢)، وقد يتولى العارض أمر مساعدة الشحنة في استعراض الجيش وانتقاء المقاتلين عند الحاجة، لذلك عُدت وظيفة العارض من الوظائف المهمة في العصر العباسي من الناحية العسكرية التي تهتم بالربط والضبط، ولأهمية هذا المنصب كان لعارض الجيش نواباً ينوبون عنه أثناء غيابه لسبب من الأسباب، وبرز دور العارض أيضاً في التنظيم والتدريب وعرض المقاتلين بغية تمييزهم حسب كفاءتهم، فيختار من ذوي الشكيمة ومن المعروفين بالقوة والبأس ممن تفتنوا في الفروسية والمبارزة في القتال ^(٣).

ويبدو أن ابن حمدون بقي في منصبه كعارض للجيش إلى أن توفي الخليفة المقتفي، واختص ابن حمدون بعد ذلك بالخليفة الجديد (المستجد بالله)، فقد قرّبه الخليفة منه، واعتمد عليه، حيث كان

(١) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج١، ص ١٨٤، وعنه نقلت باقي المصادر التاريخية.

(٢) عباس (إقبال): الوزارة في عهد السلاجقة، تر حمد حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٥٧.

(٣) السلومي (عبد الله): ديوان الجند، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢٢٠.

ابن حمدون يذاكره^(١)، ونتيجة ذلك، قام الخليفة بعزل محمد بن عبد الله^(٢) متولي ديوان الزمام سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م، ونصّب بدلاً منه ابن حمدون^(٣)، ويبدو أن ابن حمدون قد وصل إلى أعلى درجات الثقة بالنسبة إلى الخليفة حتى تمكّن من الوصول لهذا المنصب المهم، فما هي مهمات صاحب هذا المنصب؟

يُعدُّ ديوان "الأزمة" أو "الزمام" من أهم الدواوين، ويعود الفضل في تأسيسه إلى الخليفة العباسي المهدي، وكانت مهمته الأساسية القيام بمراجعة أعمال بقية الدواوين في الدولة، حيث كان له مندوبٌ في كل ديوان من الدواوين، ومهمته مراجعة حسابات الديوان الذي يراقب عليه، ورفع ذلك إلى صاحب ديوان الزمام الذي بدوره يقوم برفعها إلى الخليفة، ولم يكن عمل الديوان قاصراً على مراجعة الحسابات فقط كوسيلة لضبط النواحي المالية، بل كان إلى جانب ذلك يتتبع كل ما من شأنه ضمان مصلحة خزينة الدولة بما يمتد معه نطاق عمله ليشمل مراجعة الكفاءة الإدارية بالتعبير المعاصر، وقد عدّ في بعض الأحيان منصب متولي ديوان الزمام أهم من منصب متولي بيت المال نفسه^(٤)، وهذا ما يدل على المكانة المرموقة التي وصل إليها ابن حمدون حتى تمكّن من الحصول على هذا المنصب المهم، ومن المرجح أن الخليفة المستجد هو من أطلق على ابن حمدون لقب "كافي الكفاة"^(٥)، أو "كافي الدولة"^(٦)، ويبدو أن ابن حمدون لم يدم في منصبه أكثر من ثلاث سنوات، حيث تغيرت نفس الخليفة عليه، وانتهى به الأمر محبوساً في سجنه.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢) محمد بن عبد الله: أبو المظفر، تولى ديوان الزمام منذ عهد الخليفة المقتدي لأمر الله سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م، ولما توفي المقتدي وتولى ولده المستجد، أقره على منصبه حتى عزله سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م، وتوفي سنة ٥٦١هـ / ١١٦٥م.

ابن الديبشي: تاريخ ابن الديبشي، ج ١، ص ٣٦٦.

(٣) ابن الديبشي: تاريخ ابن الديبشي، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) حسن (إبراهيم حسن): النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١٧٧.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٦) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤.

رابعاً: وفاته ٥٦٢هـ/١١٦٦م

لقد كُرت الأيام بأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

يبدو أن ابن حمدون في حقبة توليه ديوان الزمام، قد انتهى من تأليف كتابه "التذكرة الحمدونية" لكنه لم يكن يعلم أن كلفته ستكون هلاك نفسه وقضاء حتفه، فقد ذاع صيت تذكرته في البلاد، وأقبل على قراءتها الحاضر والباد، لما فيها من النصوص الشعرية الغزيرة، والقصص التاريخية القيمة، والفنون النثرية الكثيرة، والمعارف الإنسانية الرائقة، لكن الخليفة المستنجد بالله وقف في تذكرته " على حكايات ذكرها نقلاً عن التواريخ توهم في الدولة غضاضة، ويعتقد للتعرض فيها عراضة، فأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل في نصبه إلى أن رسم"^(١).

السؤال المطروح هنا، ما هي الأسباب التي أدت بالخليفة المستنجد إلى إلقاء ابن حمدون في

السجن؟

إن الإجابة على هذا السؤال يحتاج الكثير من التدقيق والتمحيص، ولا يمكن في ضوء الروايات القليلة التي تحدثت عن هذا الأمر، تحديد التهمة الموجهة لابن حمدون، ولا تعيين النصوص التي ظنها الخليفة غمراً وتعريضاً، فأثناء دراسة الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون في تأليفه تذكرته، لم يقف البحث على روايات ذكرها ابن حمدون كان الهدف منها النيل من هيئة الدولة العباسية أو الحط من قدرها، إلا ما خلا رواية واحدة فقط تناول فيها ابن حمدون موت الخليفة المستنجد^(٢)، ولكن إذا ما صح قول المؤرخين بأن الخليفة المستنجد، قد وقف على بعض الروايات، التي وردت في التذكرة، فمن المرجح أن هذه الروايات قد جاءت في الباب التاسع والأربعين المخصص للتاريخ، ولكن هذا الباب والذي يليه قد سقطا من النسخة المطبوعة المحققة التي اعتمد عليها البحث أثناء دراسة الموارد.

لقد كانت أسرة بني حمدون تعيش في كنف العباسيين، وتنعم بعطفهم، وحتى لو أظهر ابن حمدون ميلاً شيعياً في تذكرته، فأكبر الظن أن هذا الميل كان معروفاً لدى الخلفاء الذين عمل لهم بنو حمدون، وهو شيء موروث من بني حمدان إن صحت النسبة إليهم، وذلك لم يكن أمراً يُحاسب عليه أصحابه، ويودعون في غياهب السجون، وإذا ما افترض أن الخليفة المستنجد، الذي جعل لابن حمدون مكانة خاصة وكفل له تقدماً في حضرته واختصاصاً بخدمته، أخذ عليه بعض التقصير في شؤون العمل أو الاستخفاف ببعض الأمور، فأخرج غضبه في صورة أخرى، فكان لبعض الحاسدين والوشاة اليد في ذلك، مما كان مألوفاً في تلك الحقب، إذ كانت الوشاية صادقة أو كاذبة - جزءاً من الصراع السياسي والإداري على مناصب الدولة العباسية، ولها سطوة كسطوة السيف في القضاء على

(١) العماد الأصفهاني: خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤. وعنه نقلت سائر المصادر التاريخية.

(٢) سيأتي البحث على ذكر هذه الروايات أثناء الحديث عن المشاهدات الشخصية لابن حمدون.

الخصوم، ولا سيما إذا ما صادفت تلك الوشائيات آذاناً مصغية من نحو ما حصل مع ابن حمدون الذي لم يستطع الدفاع عن نفسه طوال مدة حبسه، إزاء ما توهمه الخليفة أو أساء تأويله، فأما ما أصاب ابن حمدون من عقوبة كانت بتشنيع الجائرين، دون أن يُغفل الوضع المضطرب الذي كانت تمر به الدولة العباسية، حيث كثرت عليها التشنيعات الضارة، وإذا كان ابن حمدون قد قال شيئاً فهم بأنه ضد الخلافة العباسية، فقد كان حسن النية في قوله، فأدى ذلك إلى استغلال قوله وتوجيهه، ومهما كانت النيات فالمرء يُحاسب على ما أبدى، وأيام الحرب وضعها دقيق، وتُحاسب على أدنى زلة، وقد قيل قديماً:

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَثْرَتُهُ فِي الرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ

لكن بالاطلاع على مقدمة التذكرة، يقول ابن حمدون أنه بدأ بتأليف كتابه " حين بدّل الصفو بالكدر، وغيّرت بني الأيام الغير، وفسد الزمان، وخان الإخوان، وأوحش الأنيس، وخيف الجليس، وصار مكروه العزلة مندوباً." فهذه المقدمة يمكن أن تشي بأن ابن حمدون كان يعاني من المؤامرات والدسائس، وإلا لماذا يمكن لابن حمدون أن يقول بأن أقرب الناس إليه قد خانوه وغدروا به؟

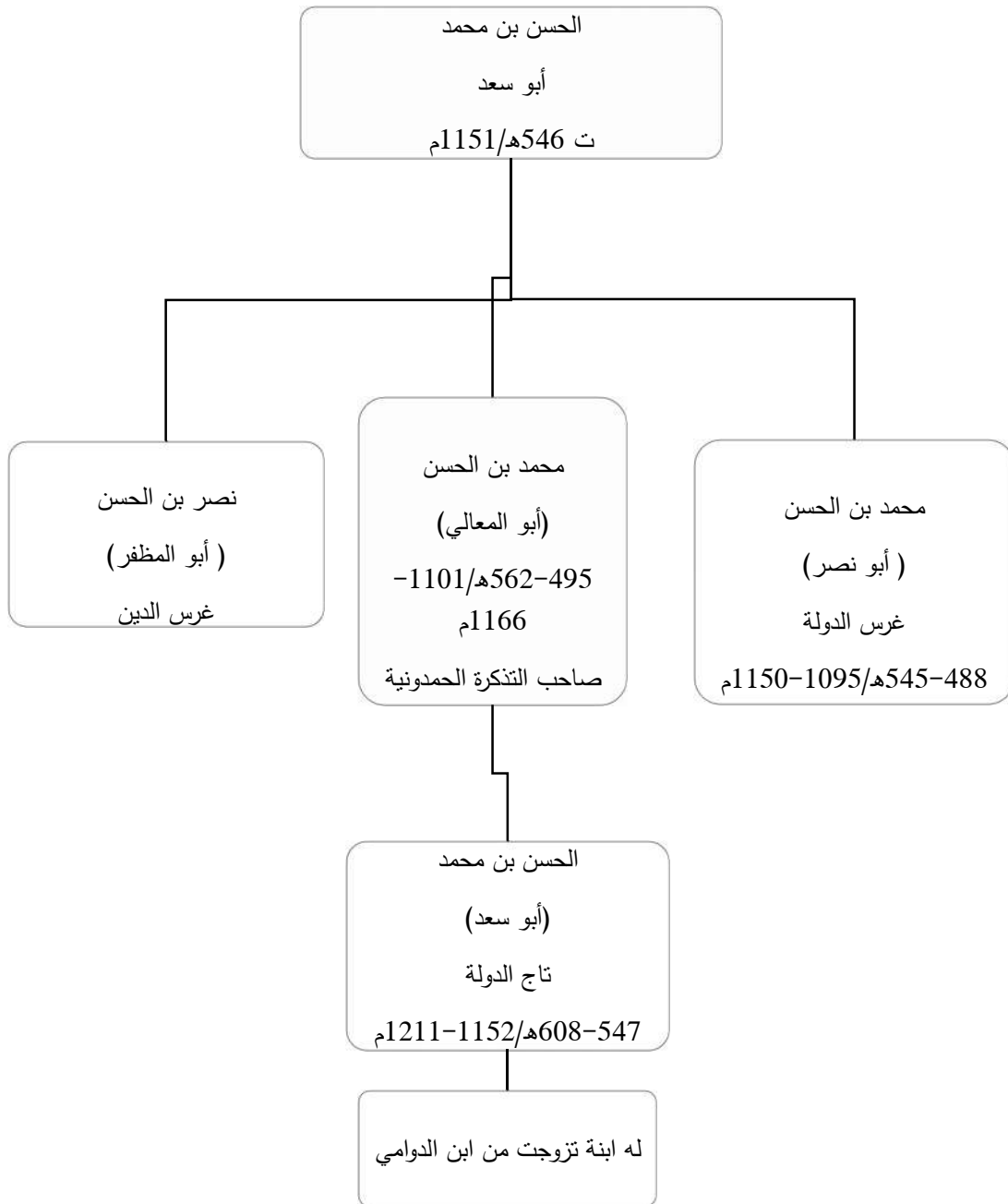
ومن جانب آخر، فإن المكانة التي حظي بها ابن حمدون في كنف الخليفة المستجد، جعل الأخير يثق به كثيراً، وبذلك اطلع ابن حمدون على الكثير من أسرار الدولة، وخفايا بيت الخلافة العباسي، فهل من الممكن أن يكون ابن حمدون قد أفشى سراً أو اشترك بمؤامرة كانت تهدد الخليفة؟ هذا ما لم تذكره المصادر التاريخية بين صفحاتها، لذلك تبقى أسباب حبس ابن حمدون مثار جدال لا قطع فيها حتى تتجلى-ربما- بالعثور على مخطوطات تكشف ذلك مستقبلاً.

أما مدة الحبس فلا تتحدث عنها المصادر التاريخية، ولعلها صادفت لديه مرضاً وقهراً نفسياً فقضى نحبه في أوائل سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م حسب قول العماد الأصفهاني وابن خلكان^(١)، أو في الحادي عشر من ذي القعدة من العام نفسه حسب قول ابن الديبشي^(٢)، ودفن بمقابر قریش.

(١) خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٢) تاريخ ابن الديبشي، ج ١، ص ٢٧٣.

شجرة نسب ابن حمدون



مخطط من صنع الطالب

الفصل الثالث: دراسة منهج ابن حمدون في كتاب التذكرة الحمدونية

- أولاً: الخطة العامة لكتاب التذكرة الحمدونية**
- ثانياً: منهج ابن حمدون في التذكرة**
- ثالثاً: أهمية التذكرة الحمدونية**
- رابعاً: مخطوطات التذكرة في مكتبات العالم**

لم يكن ابن حمدون من الرواد الأوائل الذين ارتادوا ميدان أدب المحاضرات، بل كان هناك من قبله الذين هدتهم قرائحهم، وأثمرت جهودهم كتباً مهدت الطريق أمامه، فعند حديث حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون" عن أدب المحاضرات، ومن ألف في مضماره من الكُتَّاب، يقول: "... ومن الكتب المصنفة فيه: ربيع الأبرار، والعقد الفريد، والتذكرة الحمدونية، وريحانة الأدب...."^(١)، فما هو أدب المحاضرات؟ وما هي موضوعاته؟

جاء في معنى كلمة محاضرات من خلال كتب اللغة "أن الرجل الحضر: هو ذو البيان، والحاضر: القوم إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم"^(٢)، وفي معنى آخر أن أدب المحاضرات كذلك "من حاضر القوم وجالسهم وحادثهم بما يحضره، ومنه فإن حسن المحاضرة أي حسن الحديث، وأن يحاضر كإنسان بحق فيذهب به مغالبة أو مكابرة"^(٣).

أما في الاصطلاح، فقد أخذ صاحب كتاب مفتاح السعادة من كل جانب بطرف، وقد أسهب وفصل في تعريفه، فهو عنده "علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير، مناسب للمقام من جهة معانيها الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص"^(٤)، وكلّ يأخذ من منهل علم المحاضرات سواء كان متكلماً أم سامعاً، أم قارئاً لتلك الحكايات، كما أنه حدد غرضه وهو "تحصيل تلك الملكة" إذ لا يتسنى ذلك لكل متحدث، وهذا بسبب الفائدة التي ينالها مختص هذا العلم وهي "الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير، على ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيها الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه"^(٥)، أما اليوسي في محاضراته يرى أن "كتب المحاضرات هي كل كتاب أدبي تنوعت مواده وجمع محتواه بين الفائدة والإمتاع، وكان على شاكلة الكتب، وهي أحد العلوم التي تتفرع عن علم الأدب العربي"^(٦).

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٠٩.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٩.

(٣) الأزهرى (محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ/٩٨١م): تهذيب اللغة، تح محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٤، ص ١٩.

(٤) مصطفى (أحمد): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٠٨٥م، ج ١، ص ٢٠٨.

(٥) مصطفى: مفتاح السعادة، ج ١، ص ٢٠٩.

(٦) اليوسي (الحسن بن مسعود بن محمد ت ١١٠٢هـ/١٦٩٠م): المحاضرات في الأدب واللغة، تح محمد حجي وأحمد إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ١، ص ت.

واهتم الكُتَّاب بعلم المحاضرات اهتماماً واضحاً انعكس على كثرتها وتعددتها، وقد تنوعت حسب أغراض المؤلف وذوقه وتخصصه، فجاء منها النحوي والبلاغي والاجتماعي، وغير ذلك من المجالات الأخرى، فهذا الجاحظ يُعنى في الأدب الصرف بالأحداث الاجتماعية في عصره كالشعبوية ونحوها، وكذلك المبرد يُعنى أشد عناية في جانب الأدب بمسائل النحو والصرف، واتسع مضمون كتب المحاضرات من لهو ومجون، إلى وعظ وزهد وتصوف إلى غير ذلك من الأغراض.

انقسمت كتب المحاضرات، من حيث أنماط تأليفها إلى أربعة أنماط، شمل معظمها التأليف بالموضوعات، يليه من حيث الكم التأليف بالشخصيات، ثم التأليف بالتضاد، وأقلها كتب المحاضرات الدينية.

ومن الذين ألفوا في الموضوعات على سبيل المثال ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م وكتابه "عيون الأخبار" حيث قسم كتابه إلى عشرة كتب صغيرة يختص كل منها بموضوع مستقل عن بقية الموضوعات الأخرى، وابن عبد ربه ٣٢٧هـ/٩٣٨م وكتابه "العقد الفريد" الذي رتب مؤلفه في خمسة وعشرين كتاباً حمل كل واحد منها اسم جوهرة لأنه تخيرها من جواهر الأدب، وصولاً للكاتب التتوخي ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م الذي ألف كتاب "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" وقد بدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها مصادر قصصه وأخباره، وأسباب جمعها مُورداً أنواعها الكثيرة من قصص الملوك، والكتاب مُوجه إلى العامة بمختلف طبقاتهم وظروفهم، يلي هؤلاء المؤلفين أبو حيان التوحيدي ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م في كتابيه "الإمتاع والمؤانسة" و"البصائر والذخائر" مع اختلاف منهجه في كليهما، حيث قسم كتاب الإمتاع والمؤانسة إلى أربعين ليلة غير متماثلة في عدد الموضوعات ويبني كل ليلة على السؤال الذي يوجه من قبل الوزير أبي عبد الله العارض الذي كان ينادمه، وكل ليلة تجمع موضوعات شتى بدون ترتيب أو تبويب، أما كتابه "البصائر والذخائر" فقد انتقى مادته وفق شروط معينة من حيث طول الرواية والقيمة والندرة والإبداع، فيما ألف الحسين بن محمد بن المفضل الملقب بالراغب ت ٤٠٢هـ/١٠١١م كتابه "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" وجاء في أربعة أجزاء، قسم كل جزء منها إلى حدود وفصول، بلغت جملة حدوده خمسة وعشرين حداً في مختلف الموضوعات، مع الإشارة إلى أن كتاب التذكرة الحمدونية هو ضمن هذا النوع من مؤلفات أدب المحاضرات التي عُنت بالتأليف بالموضوعات المتنوعة.

أما نمط التأليف بالشخصيات فقد تمَّ التركيز على شخصيات وصفاتها وبعض سلوكياتها في تلك الحقبة الزمنية، ومن الذين ألفوا في هذا المضمار على سبيل المثال، الجاحظ ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م وكتابه "البخلاء" والتتوخي وكتابه "المستجد من فعلات الأجواد" وابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وكتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" وغيرهم من المؤلفين.

بينما حمل النمط الثالث وهو التأليف **بالتضاد**، قاعدة وبضدها تتضح الأشياء، ولعلّ أبرز المؤلفات في هذا المجال، كتاب الجاحظ " المحاسن والأضداد" فقد بدأ الجاحظ كتابه بمقدمة، وقسمه إلى عدد كبير من الفصول وكان منهجه في معظم المصنف أن يذكر محاسن الموضوع المطروح كاملة، ثم يعقبها بالأضداد، كأن يتحدث عن العدل ويعقبها بالجور، أما الإمام البيهقي ت ٩٣٢/٣٢٠م وكتابه " المحاسن والمساوي" فكان يتحدث عن موضوع، ثم يليه بضده، مثل محاسن ومساوي طلب الرزق، ومحاسن ومساوي المشورة، ومحاسن ومساوي المسامرة، وأرق ذلك ببعض أبيات الشعر عندما يجد هناك حاجة للشواهد الشعرية.

وعدّ التأليف **بالمحاضرات الدينية**، إحدى الأنواع المطروقة الأخرى، وكان في مقدمتها الماوردي ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وكتابه " أدب الدين والدنيا"، حيث رتب كتابه لعدة فصول وأبواب تضمن آداب الدين والدنيا والعلم والنفس والعقل وغيرها من الأمور الدينية والدنيوية.

أولاً: الخطة العامة لكتاب التذكرة الحمدونية

تعدّ التذكرة الحمدونية من أنفس المجاميع الأدبية والتاريخية التي كنّزتها المكتبة العربية الإسلامية، لما حوته من معارف أدبية وتاريخية وفروع شتى، حيث يجد فيها القارئ إذا ما أراد الموعظة، أو التسلية، أو النادرة، أو الفائدة الأدبية، إضافة إلى التجربة الذاتية، ضالته فيها، وهو كتاب ضخم ذكر الصفدي والكتبي أنه جاء في اثني عشر مجلداً^(١)، وقال العماد في وصفه للكتاب: " وألف كتاباً كبيراً سماه التذكرة، وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة"^(٢)، وقال ابن الديبشي: "جمع كتاباً حسناً سماه (التذكرة) يحتوي على فنون من العلم أجاد فيه وأحسن في جمعه"^(٣)، وقال ابن خلكان: "وصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود، وهو من الكتب الممتعة"^(٤)، وليس بين هذه الأقوال فروق، فهي مترادف أو يكمل بعضها بعضاً، حيث أجمع كل المؤرخين -الذين جاؤوا على وصف التذكرة- على أنها تعد من أحسن الموسوعات الأدبية والتاريخية.

قال ابن حمدون في مقدمة كتابه: "هذا كتاب جمعته من نتائج الأفكار، وطرف الأخبار والآثار، ونظمت فيه فريد النثر ودرره، وضمنته مختار الشعر ومحبره، وأودعته غرر البلاغة وعيونها، وأبكار

(١) الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٦٣. فوات الوفيات، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٢) خريدة القصر، ج ١، ص ١٨٤.

(٣) تاريخ الديبشي، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٨٠.

القرائح وعُونَهَا، وبدائع الحِكم وفنونَهَا، وغرائب الأحاديث وشجونَهَا" ^(١)، فهو يصف جهداً جباراً بُذل ليرى كتاب التذكرة النور، ولم يدع ابن حمدون من خلال مقدمته للكتاب، أنه جمع أجود المختارات من الشعر والنثر، بل كان يقيد ما يظنه متصل المعنى بالباب الذي يعقده، وقد نزهه عما يمكن وصفه بأنه غث، وأكّد على ذلك قائلاً: "وهو مصروف عن الإسهاب الممل إذ كان مطيئة العثار والإرداء، ومصدوقاً عن الاختصار المخل فإنه مَظِنَّة الخيبة والإكداء، وهما طرفان مذمومٌ بهما الإفراط، وخير الأمور الأوساط" ^(٢)، فقد عرف ابن حمدون ما يتمتع القارئ، وما يشعره بالملل والضجر أو بالإحباط، ولكن هذا لا يمنع أن هناك بعض الأشياء التي أوردتها ربما سهواً، حيث أنه في بعض الحالات أعاد ذكر الرواية نفسها في أكثر من موضع، كما أنه لا يعني أن غاية كل قارئ المتعة أو كنز المعلومات، فمنهم من يكون باحث عن المعرفة، وقد توقع ذلك ابن حمدون بأن هناك من يصفه بغير ما عمل له بالرغم مما بذل في سبيل جمعه وكتابته وترتيبه، فلم يترك جهداً في الاختيار، لذا جعل لنفسه خطأ دفاعياً فذكر أنه غير ملزم أن يقدم ما يرضي جميع الأذواق وذلك لاختلاف الآراء، ولتعدد وجهات النظر وزوايا البحث وكثرة الاختيارات، وقد عبّر ابن حمدون عن ذلك بقوله: "ولا يلزمني أن يكون لكل الناس رضا فقد يروق للرجل لفظٌ وهو للآخر قذّي، يُلْذُّ له معنىٌ ويجده سواه أذى، والعالم في المقاصد شتى الطرق أخفاف، والاختيارات لها ائتلاف واختلاف" ^(٣)، ولم يغلق الحمدوني الباب أمام آراء النقاد، وأعطى الرخصة للنقد البناء والعقل المصلح والقلم المصحح، فقال: "رحم الله امرأً وقف من كتابي هذا على خللٍ فأصلحه وزللٍ فاستدركه، فإني نقلته والقلب عليل، والخاطر كليل، والأثر قد قوَّض خيمه وارتحل" ^(٤).

وفي مقدمة التذكرة يلمس القارئ أن ابن حمدون كان يعاني نوعاً من العزلة، حيث أنه فضل معايشة الكتب على معايشة الناس، فقد كتب ابن حمدون كتابه والوحدة قد ضربت سياجها حوله، وقيدته العزلة بسلاسلها، وجعلت بذلك كل محبوب مكروهاً لديه، فيذكر أنه بدأ بتأليف كتابه "حين بدّل الصفو بالكدر، وغيّرت بني الأيام الغير، وفسد الزمان، وخان الإخوان، وأوحش الأنيس، وخيف الجليس، وصار مكروه العزلة مندوباً، ومأثور الخلطة محظوراً، وأضاعت آثار الوحدة في القلوب فأنارتها، وحكمت العقول بفضيلة التخلي فاخترتها، فوجدت الكتاب خير صاحب وقرين، وأفضل رفيق

(١) ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): التذكرة الحمدونية، تح إحسان عباس وبكر عباس،

دار صادر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٢٢.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٢٣.

(٣) التذكرة، ج ١، ص ٢٣.

(٤) التذكرة، ج ١، ص ٢٤.

وخدين، لا يخون ولا يمين، ولا يماكر ولا يناكر، ولا يعصي ولا ينافر، المفضي إليه بسرّه مستظهر آمن، والمصاحب له وادع ساكن، مأمون الهفوة والزلة، محمود الخلوة والخلة..^(١).

افتتح ابن حمدون تذكرته بمقدمة عامة يصف فيها ما حوته التذكرة وكيفية تأليفه لها، ومن خلال افتتاحية ابن حمدون يمكن تلخيص خطة الكتاب بالنقاط التالية:

١. بدأ ابن حمدون كتابه بمقدمة احتوت الثناء على الله بما هو أهل له، ثم تبعها بنجوى عميقة المعنى تخللها الشكر على النعم، والاستعاذة من النقم أقوالها وأفعالها، وختمها بالصلاة على النبي S وعلى آله وصحبه الأخيار، فيقول ابن حمدون في مقدمة كتابه: "بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بخير يا كريم، اللهم إنا نحمدك على ما أوليت من الآلاء والمنن، وأبليت من البلاء الحسن، وأفضلت علينا من إنعامك مبدياً ومعيداً، وأفضت لنا من إحسانك مسدياً ومفيداً، ونشكر لك على ما ألهمتنا من الشكر، وجعلته وهو منحة منك أوفى عدة لنا وذخر، ونسألك العصمة من الزيغ والزلل، ونعوذ بك من الخطأ والخلط، ونأمل منك توفيقاً يقينا مزلّة العائرين، ويحمينا من مذمة العائيين.

اللهم وكما آتيتنا قلوباً واعية، فاجعلها إلى شكر نعمك داعية، وبما خصصتنا من فضيلة البيان، فاكفنا بلوى العُجب والافتتان، واحرسنا من إساءة نتوهمها إحساناً، وعي فاضح نظنه بياناً، وأرنا ما خفي عنا من عيوبنا، وواراه الهوى عن بصائرنا وعيوننا، وسلّمنا من معرة الأقوال وهذرها، وجنبنا مضرّة الأفعال وكدرها، وصلّ على حبيبك مولانا وسيدنا محمد المختار، وعلى آله الأبرار وصحبه الأخيار، صلاة تعلي بها شريف درجته، وتتجز له بها وعده في أمته، حتى يسعهم عفوك السابغ، وتوردهم من تجاوزك وصفحك منهلك السائغ"^(٢).

٢. ذكر كيفية جمعه للكتاب فقال: "هذا كتاب جمعته من نتائج الأفكار وطرف الأخبار، والآثار، ونظمت فيه فريد النثر والدرر، وضمنته مختار الشعر ومحبره... " ويلاحظ هنا أن ابن حمدون قال جمعته، ولم يقل ألفته، أي أن ابن حمدون حفظ حق غيره عندما نقل نتائج أفكارهم، وما أبدعوه في كتبهم.

٣. وصف الوقت الذي قام فيه بجمع هذا الكتاب والزمن الذي عاش فيه بنفس مكسورة لما عانى في تلك الأيام من الخيانة والوحشة وانعدام الثقة بمن حوله.

(١) التذكرة، ج ١، ص ٢٢ .

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٢١ .

٤. ذكر دواعي تأليفه إذ ألفه ليكون " تذكرة للناسي، وتبصرة للساهي، وكل من يجد في هذا الكتاب لمراده مستمتعاً، ويسلك منه مراده نهجاً متسعاً، فيستخرج منه أدباً يقدح من زناذه قبساً، ويكشف بضيائه لبساً..." لذا سماه التذكرة ليكتب فيه ما يتذكره أو يُذكر به غيره.

٥. عمد إلى وصف كيفية ترتيب كل باب، فيقول: "إذ شَرَفْتُ كل باب بأن أبدأه بأي من كتاب الله سبحانه وتعالى، وأثر من رسوله S، وقَدِّمْتُ أمامه تحميداً يكون مشيراً إلى معناه، وطلاعية لمقصده، وختمته بطرفٍ من نوادره، وملح من غرائبهِ، ليستريح إليها اللغب الطليح من كلال الحد، ويأمن معها الدئب الحريص من ملال الجد، خلا بابي الافتتاح والخاتمة فإنهما لله خالصان، وللاِنْقَاز من هفوات القلب واللسان مؤملان".

٦. وصف أبوابه وصفاً مُفَصَّلاً من حيث عددها وتقارب فصولها، وتناسب معانيها، ولم ينس ذكر الهدف من ذلك الترتيب، حيث أراد أن يقرب على متصفحه ما يريد انتزاعه بمعرفة مكانه، وذكر ابن حمدون أنه ابتداء كتابه بالمواعظ والآداب الدينية، وختمه بالأدعية المستحبة المروية. ٧. ختم افتتاحيته بدعوى واضحة، وإذن صريح لمن يجد خلافاً في هذا الكتاب أن يبادر بإصلاحه، وأكد على الحالة النفسية السيئة التي لازمته عند جمعه لتذكرته، فكان قلبه عليلاً وخاطره كليلاً مما جعله يختم الكتاب دون مراجعة أو تنقيح، فلم يكد يعاود لحظه، ولا تتبع غلط الوهم واليد، فكأنه كان في سباق مع الزمن.

ولفظة التذكرة أقرب إلى أن تدل على مقيدات مرسلّة لا يضبطها ضابط، تقف فيها الموعظة إلى جانب النادرة، إلى جانب الفائدة العلمية، إلى جانب التجربة الذاتية^(١)، ولكن ابن حمدون شاء لتذكرته التبويب، قسمها في خمسين باباً وجعل كل باب يحتوي على فصول، وهذا التقسيم لم يكن غريباً على ما أُلّف من موسوعات أدبية وتاريخية في ذاك العصر، حيث أن إخضاع التذكرة لهذا التنظيم الواعي قد جعل لها منهجاً ومخططاً شأنها شأن معظم كتب الأدب من أمثال عيون الأخبار والعقد الفريد ونثر الدر في المحاضرات ولباب الآداب ومحاضرات الراغب وربيع الأبرار وغيرها.

إذاً قسم ابن حمدون تذكرته إلى خمسين باباً، وكل باب احتوى على فصول عدة جاءت على الشكل التالي:

(١) ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ١١.

الباب الأول: في المواعظ والآداب الدينية وسير السلف الأول والصالحين

وجاء في أربعة فصول:

الفصل الأول من كلام الرسول S ، **والفصل الثاني**: كلام القرابة f وآدابهم وآثارهم ومواعظهم، **والفصل الثالث**: كلام الصحابة f ومآثر أخبارهم وسيرهم، **والفصل الرابع**: في أخبار التابعين وسائر طبقات الصالحين f وكلامهم ومواعظهم.

الباب الثاني: في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملك والرعية

وجاء في خمسة فصول:

الفصل الأول: في الحكم والآداب التي نطق بها الحكماء والعلماء، **الفصل الثاني**: في السياسة والآداب الملكية وما يجب للولاة وعليهم الرعية وما يلزمهم من تقبّل الأخلاق المرضية، **الفصل الثالث**: سياسة الوزراء والكُتّاب وأتباع السلطان في خدمة ولائهم وآداب نفوسهم، **الفصل الرابع**: الآداب والسياسة التي تصلح للجمهور، **الفصل الخامس**: أخبار السياسة والآداب.

الباب الثالث: في الشرف والرياسة والسيادة وما هو من خصائصها ومعانيها

وقد قسمه ابن حمدون إلى عدة مواضيع: الأولى: رياسة العلم والدين، الثانية: الحلم والعفو والصفح، الثالثة: حفظ الجوار وحمي الذمار.

الباب الرابع: في محاسن الأخلاق ومساوئها

يقول ابن حمدون في مقدمة هذا الباب: "هذه سمة تجمع معاني لو أتيت بها في باب واحد طال فأمل، وبعد على ذي الحاجة إليه مكان ملتسمه، إذ كانت تحوي الآداب والسياسة، والهمّة والسيادة، والصدق والوفاء، والجود والسخاء، والبأس والصبر، والقناعة والتواضع، وغير ذلك من خلال الخير والفضائل، وأضدادها من المساوىء والردائل، فأفردت لكل واحد من هذه وعكسها بابا تطلب فيه، ويسرع إليه تأمل مبتغيه..."^(١).

(١) التذكرة، ج ٢، ص ١٧١.

الباب الخامس: في السخاء والجود والبخل واللؤم

تحدث في هذا الباب عن السخاء والجود، فأورد الكثير من القصص الروايات التي وقعت بين يديه وتتمحور حول هذا الموضوع، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "قال يحيى ابن خالد لابنه جعفر: ما دام قلمك يرعف فأطره معروفا" ^(١)، وقال في موضع آخر: "وقال الخثعمي:

لا تبخلنّ بدنيا وهي مُقبلةٌ فليس يُنفذها التبذيرُ والسرفُ

وإن تولّت فأحرى أن تجودَ بها فالحمدُ منها إذا ما أدبرتْ خَلْفُ ^(٢)

الباب السادس: في البأس والشجاعة والجبن والضراعة

يقول ابن حمدون في مقدمة هذا الباب: "تذكر في هذا الباب ما جاء في البأس والشجاعة، والجبن والضراعة، والحرب والمقارعة، وما استعمل فيها من الآراء والمكايد، ونصب للأعداء فيها من الأشرار والمصايد، وتسمية أبطال الإسلام وقائليهم، ومن مات منهم حتف أنفه فلم يضّرهُ إقدامه، ولا دنا بخوضه الغمرات حمامه، وأتبع ذلك بنوادر من هذين النوعين، يرتاح لها المتأمل من كلال الجدّ والأين" ^(٣)، ويورد روايات وأشعار ضمت معنى الباب الذي كُتبت فيه، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "ولحق أبو الطيب المتنبي الأوائل بقوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني" ^(٤)

وفي مكان آخر يورد ابن حمدون رواية لأكثم بن صيفي فيقول: " قيل لأكثم بن صيفي ^(٥): صف لنا الحرب، فقال: أقلوا الخلاف على أمرائكم، فلا جماعة لمن اختلف عليه، واعلموا أن كثرة

(١) التذكرة ، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢) التذكرة ، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٣) التذكرة ، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٤) المتنبي (أحمد بن الحسين بن الحسن ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م): ديوان المتنبي، تح عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٤م، ص ٤١٢. التذكرة ، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٥) أكثم بن صيفي: بن رياح بن الحارث التميمي، حكيم العرب في حقبة ما قبل الإسلام، وأحد المعمرين. عاش زماناً طويلاً، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي S وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه، وله أقوال وحكم كثيرة. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ١٩٩. ابن حجر العسقلاني (أحمد ابن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، تح عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٥٠.

الصياح من الفشل، فتنبتوا فإن أحزم الفريقين الركين، وربّ عجلة تُعقبُ ريثاً، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل، وتحفظوا من البيات"^(١).

الباب السابع: في الوفاء والمحافظة والأمانة والغدر والملل والخيانة

أورد ابن حمدون ضمن هذا الباب الكثير من الروايات والأشعار التي جاءت ضمن الوفاء والغدر والأمانة وغيرها، وعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "روي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله S يقول: من آمن رجلاً ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافراً"^(٢)، وفي مثال آخر يقول: "قال عارف الطائي:

غدرت بأمرٍ أنت كنت دعوتنا إليه وشرّ شيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى وطعائمه إذا هو أمسى جُلّه من دم الفصد^(٣)

الباب الثامن: في الصدق والكذب ويتصل به فصل في العهود والمواثيق وأقسام العرب

تناول ابن حمدون في هذا الباب الصدق والكذب وما قيل فيها على مر العصور، مُورداً قصصاً كثيرة تحدثت عنهما، على سبيل المثال، ذكر ابن حمدون: "ومن كلام لعلّي بن أبي طالب عليه السلام: علامة الإيمان أن تُؤثر الصدق حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك"^(٤)، وقال في موضع آخر: "قال قائل: رأيت أرسطاطاليس في النوم فقلت: أيّ الكلام أحسن؟ فقال ما صدق قائله. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما استحسنته سامعه، قلت: ثم ماذا؟ قال: كلّ كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمنزلة"^(٥).

الباب التاسع: في التواضع والكبر والخيلاء والعجب

خصّ ابن حمدون هذا الباب للحديث عن صفتين إنسانيتين، وهما التواضع والكبر، وأفرد لهما الكثير من الأحاديث النبوية الروايات التاريخية والقصص التي تحدثت عن هاتين الصفتين، فعلى سبيل المثال يقول ابن حمدون: "وقال S: من تعظّم في نفسه واختال في مشيته لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان"^(٦)، وفي مثال آخر قال: "قال عديّ بن أرطاة لإياس بن معاوية: إنك لسريع

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٢) الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت ٣٦٠هـ/٩٧١م): المعجم الكبير، تح حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٢٠، ص ٤١. التذكرة، ج ٣، ص ٨.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ٣٨.

(٤) التذكرة، ج ٣، ص ٤٩.

(٥) التذكرة، ج ٣، ص ٦١.

(٦) التذكرة، ج ٣، ص ٩٣.

المشيئة، قال ذاك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة، وهو منقول من قول عمر d وقد قيل له مثله فقال: هو أنجح للحاجة، وأبعد من الكبر، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾^(١).

الباب العاشر: في القناعة واللفظ والحرص والطمع

جاء هذا الباب في الحديث عن بعض الصفات الحميدة والسيئة كالقناعة والحرص والطمع، ويورد ابن حمدون الكثير من الروايات التي تناولت هذه الصفات، فعلى سبيل المثال لا الحصر يورد: "ويقال: لا تخلق نفسك بالحرص فتذهب عنك بهجة الوقار"^(٢)، وفي موضع آخر يقول: "قال أبو ذؤيب:

والنفس رغبة إذا رغبته وإذا ترد إلى قليل تنفع"^(٣)

الباب الحادي عشر: في صون السر وذم السعاية والنميمة

ذكر فيه ابن حمدون حفظ السر والأمانة مع آيات وأحاديث وأشعار وروايات تناولت هذا الجانب، على سبيل المثال يقول: "وقال عمرو بن العاص: إذا أنا أفشيت سرّي إلى صديقي فأذاعه، فهو في حلّ، فليل له: وكيف ذاك؟ قال: أنا كنت أحقّ بصيانتِهِ"^(٤)، ويورد صاحب التذكرة شعراً حول هذا الموضوع فيقول: "وقال آخر:

إذا ضاقت صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق"^(٥)

الباب الثاني عشر: في العدل والجور

يقول المؤلف في مطلع هذا الباب: "العدل شيمة تستوجب الصفة بالكمال، ومن أوتيها ملك نفسه، ومن ملكها نجا"^(٦)، ثم يذكر الروايات التي تحدثت عن هذا الجانب، على سبيل المثال لا الحصر يقول ابن حمدون: "قال الأحنف: إذا دعيتك نفسك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله على عقوبتك، وانتقام الله لهم منك، وذهاب ما أتيت إليهم عليك"^(٧)، وفي رواية أخرى: "ولّى الرشيد عاملاً

(١) سورة لقمان، الآية ١٩. التذكرة، ج ٣، ص ٩٧.

(٢) التذكرة، ج ٣، ص ١١٧.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ١١٧.

(٤) التذكرة، ج ٣، ص ١٥٠.

(٥) التذكرة، ج ٣، ص ١٥٣.

(٦) التذكرة، ج ٣، ص ١٧٠.

(٧) التذكرة، ج ٣، ص ١٧٣.

خراج طساسيج السواد، فقال لجعفر ويحيى: أوصياه؛ فقال جعفر: وقّر واعمر، وقال يحيى أنصف وانتصف، وقال الرشيد: يا هذا أحسنّ واعدل. ففضّل الناسُ كلام الرشيد، ففيل لهما: لم نقصّ كلامكما عن كلامه؟ فقال جعفر: لا يَعتدُّ هذا نقصاناً إلّا مَنْ لا يعرفُ ما لنا وما علينا، إنما أمرنا بما علينا أن نأمر به، وأمر أمير المؤمنين بما له أن يأمر به" (١).

الباب الثالث عشر: في العقل والحنكة والتجارب والحمق والجهل

ذكر ابن حمدون في مقدمة هذا الباب: "فضيلة العقل أنّ الله عزّ وجلّ لم يخاطب إلّا أهله، وجعل التكليف عليه، ورفع به درجاتهم لديه، وجعل جميع مخلوقاته التي لا تعقل، وإن عظمت جثة وقوة وبطشاً، آلة وخداماً وسخرياً للعقلاء" (٢)، ثم يذكر ابن حمدون بعضاً من الذكر الحكيم والأحاديث النبوية وأقوال آل البيت والصحابّة، تبعه بذكر بعض أقوال الأدباء والحكماء ونظم الشعراء التي تناسب هذا الباب، على سبيل المثال يورد قائلاً: "قال لقمان لابنه: يا بنيّ إنّ غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسن العقل، لأنّ العبد إذا حسن عقله غطّى ذلك عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه خالقه. وكفى بالمرء عقلاً أن يسلم الناس من شرّه" (٣).

الباب الرابع عشر: في المشورة والرأي صوابه وخطئه

أتى في هذا ما قيل في المشورة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأقوال آل البيت والصحابّة ثم ما ذكره الحكماء والأدباء في المشورة، فعلى سبيل المثال يقول ابن حمدون: "وقال عليّ كرم الله وجهه: من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ" (٤)، وفي موضع آخر يقول: وقال ابن المقفّع: لا يقذف في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيقطعك ذلك عن المشورة، فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع، ولو أنك أردت الذكر لكان أحسن الذّكرين عند الألباء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه" (٥).

الباب الخامس عشر: في العهود والوصايا

بدأ ابن حمدون هذا الباب على عادته بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية، ثم قسم الوصية إلى قسمين: الأول وصية الوفاة، والثاني: وصايا التّأديب والإرشاد، ثم تبعه بذكر أهم الوصايا التي حفلت

(١) التذكرة، ج ٣، ص ١٧٧.

(٢) التذكرة، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ٢٣٢.

(٤) التذكرة، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٥) التذكرة، ج ٣، ص ٢٩٩.

بها كتب الأدب والتاريخ، كوصية أكثم بن صيفي، ووصايا الأمام علي d لابنه الحسن ووصيته لمالك ابن الحارث الأستر حين ولاه مصر، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الباب ضم عهداً من قبل الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله بتنصيب الجاثليق على المسيحيين في بغداد، وقد نقله ابن حمدون عن أخيه الذي كان كاتباً في ديوان الخلافة^(١).

الباب السادس عشر: في الفخر والمفاخرة

أورد ابن حمدون آيات وأحاديث وأشعار وقصص تحدثت عن الفخر، فعلى سبيل المثال، يورد: "وقال علي بن الحسين: لا يفخر أحد على أحد فإنكم عبيد والمولى واحد"^(٢)، وفي موضع آخر يقول: "تفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال الفرزدق: أنا ابن محيي الموتى، فأنكر سليمان قوله، فقال: قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾"^(٣)، وجدي فدى المؤودات فأحياهن، فقال سليمان: إنك مع شعرك لفقير، وكان صعصة بن ناجية جد الفرزدق أول من أحيا المؤودات، وخبره في أخبار العرب يورد"^(٤).

الباب السابع عشر: في المدح والثناء

يتصل في هذا الباب فصلان: الشكر، والاعتذار والاستعطاف، ويقول ابن حمدون في مطلع هذا الباب: "وألحقت هذين الفصلين بالباب لأنهما في معناه، فالشاكر مثن، والمعتذر والمستعطف راغب، وكلاهما في المعنى راج ومادح، وحقيقة المدح وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها ويكون نعتاً حميداً له، وهذا يصح من المولى في حق عبده"^(٥)، فيذكر ابن حمدون جميع ما وقع بين يديه من قصص وروايات وأشعار في المدح والاعتذار وغير ذلك، وما يميز هذا الباب بأن المادة الشعرية غزيرة جداً، حيث اعتمد عليها ابن حمدون بشكل كبير، فعلى سبيل المثال قال ابن حمدون: "قال الأخطل:

كريمٌ مُنَاخِ القَدْرِ لا عاتَمُ القَرَى ولا عند أطرافِ القنا بهيوبٍ

(١) سيرد الحديث عن هذا العهد في الفصل المخصص للمشاهدات الشخصية.

(٢) التذكرة ، ج٣، ص ٣٩٠.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٢.

(٤) التذكرة ، ج٣، ص ٣٩٧.

(٥) التذكرة ، ج٤، ص ٨.

ملاحم نَقَاضِ التَّراثِ طُلُوبٍ^(١)

كَأَنَّ سَبَاعَ الْغِيلِ وَالطَّيْرَ تَعْتَفِي

الباب الثامن عشر: في التهاني

وجاء في ثمانية فصول:

الفصل الأول: في الفتوح، **الفصل الثاني:** الولاية، **الفصل الثالث:** الخلع وما كتب عليها، **الفصل الرابع:** الولد وما كتب فيه، **الفصل الخامس:** النكاح، **الفصل السادس:** المواسم، **الفصل السابع:** الإياب، **الفصل الثامن:** شواذ التهاني.

الباب التاسع عشر: في المراثي والتعازي

وجاء في خمسة فصول:

الفصل الأول: مراثي الأكابر والرؤساء، **الفصل الثاني:** مراثي الأهل والإخوان، **الفصل الثالث:** ما جاء من المراثي والتعازي في الصغار والأطفال، **الفصل الرابع:** مراثي النساء، **الفصل الخامس:** شواذ المراثي والتعازي.

الباب العشرون: في العيادة والمرض

وهو باب صغير نسبياً إذا ما قورن ببقية أبواب التذكرة، جمع فيه ابن حمدون كل ما يتعلق بالمرض وطرق العلاج وغير ذلك، ثم ختم الباب بذكر بعض النوادر، على سبيل المثال يقول ابن حمدون: "دخل عبد الوارث بن سعيد على رجل يعوده فقال له: كيف أنت؟ قال: ما نمت مذ أربعون ليلة، فقال: يا هذا أحصيت أيام البلاء فهل أحصيت أيام الرخاء؟!"^(٢)، وفي موضع آخر يقول ابن حمدون: "قال قبيصة بن ذؤيب: كُنَّا نسمع نداء عبد الملك من وراء الحجرة في مرضه: يا أهل النعم لا تستقلوا شيئاً من النعم مع العافية"^(٣).

(١) الأخطل (غياث بن غوث ت ٩٢هـ/٧١٠م): ديوان الأخطل، تح مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط٢، ١٩٩٤م، ص ١٨١. التذكرة، ج٤، ص ١٧.

(٢) التذكرة، ج٤، ص ٣٣٣.

(٣) التذكرة، ج٤، ص ٣٣٩.

الباب الحادي والعشرون: في المودة والإخاء والمعاشرة والاستئزارة

قال ابن حمدون في مقدمة هذا الباب: "المودة والإخاء سبب للتآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة حصن منيع وركن شديد، بها يُمنع الضيم، ويُدرك الوتر، وتُثَال الرغائب، وتُتَجَّج المطالب" (١)، جمع فيه ما يخص المودة والإخاء في تسلسل منطقي بعد الباب السابق، حيث ذكر آداب الزيارة بما فيها آداب زيارة المريض، وهو أيضاً قصير جمع فيه بين الإخاء والمودة، وميَّز بين إخوان السوء وإخوان الخير، وألحق ذلك بفصل في الاستئزارة، على سبيل المثال لا الحصر قال: "ونظر فيثاغورس الحكيم إلى رجلين لا يكادان يفترقان فقال: أيّ قرابة بين هذين؟ فقيل له: ليس بينهما قرابة ولكنهما متصادقان، قال: فلم صار أحدهما فقيراً والآخر غنياً؟ يريد لو كانا صديقين لتواسيا" (٢)، ومما قاله ابن حمدون في الزيارة: "كتب الحسن بن وهب إلى صديق له يدعوه: افتتحت الكتاب - جعلني الله فداك - والآلات معدّة، والأوتار ناطقة، والكأس مَحْثُوثَة، والجوّ صاف، وحواشي الدهر رفاق، ومخايل السرور لائحة، ونسأل الله تعالى إتمام النعمة بتمام السلامة من شوب العوائق وطروق الحوادث، وأنت نظام شمل السرور، وكمال بهاء المجلس، فلا تحرمنا ما به ينتظم سرورنا وبهاء مجلسنا" (٣).

الباب الثاني والعشرون: في الهدايا

يلخص ابن حمدون في مطلع هذا الباب ما جاء فيه بقوله: "هذا باب نذكر فيه ما جاء في استحباب الهدية والنّديب إليها، وموضع كراهيتها، والمنع من قبولها، وما يحسن إهداؤه منها ويجمل موقعه، وما يوجب الذمّ ويجنبه، وأوصاف المتهادي منها، وملحاً من نوادرها، لتكمل المعاني لطالبها، وتجري على مقاصد المتمثل بها" (٤)، على سبيل المثال يورد قائلاً: "وما أحسن قول القائل: أكرم الهدايا علم نافع، ونصيحة موثوق بها، ومدحة صادقة" (٥)، ويقول في موضع آخر: "أهدى أحمد بن يوسف إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه: الأئس سهّل سبيل الملاطفة، فأهديت هدية من لا يحتشم إلى من لا يعتنم ما لا أكثره تبجّحاً، ولا أقلّله ترفعاً" (٦).

(١) التذكرة، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٣) التذكرة، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ٨.

(٥) التذكرة، ج ٥، ص ١٠.

(٦) التذكرة، ج ٥، ص ١١.

الباب الثالث والعشرون: في الهجاء والمذمة

وجاء في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العتاب والاستزادة، **الفصل الثاني:** التعريض بالذم والوقوف دون التصريح،
الفصل الثالث: شكوى الزمان، مع الملاحظة أن فصول هذا الباب قد جاءت بعد الباب الثاني والعشرين دون ذكر اسم الباب، ثم ذكره المؤلف بعد ذلك.

الباب الرابع والعشرون: في الإغراء والتحريض

بدأ ابن حمدون هذا الباب بخطبة للإمام علي عليه السلام، وأتبعه بذكر العديد من المواقف التي تحث على القتال والصبر، وما نتج عن تلك المواقف من لحظات سعيدة كالزواج، أو مواقف حزينة انتهت بالقتل، وقد دعم هذا الباب بالعديد من الأشعار والروايات، فعلى سبيل المثال يقول: "قدّم هدية بن الخشرم ليقاد بآبن عمه زيادة، وأخذ ابن زيادة السيف وقد ضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف درهم، فخافت أمّ الغلام أن يقبل ابنها الدية ولا يقتله، فقالت: أعطي الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك ونكح أمك، فقتله"^(١).

الباب الخامس والعشرون: في التقرّيع والتوبيخ

ضمّ هذا الفصل كلمات توبيخ قيلت بسبب تخاذل أو غدرٍ وغير ذلك، وهذا الفصل صغير نسبياً، حيث ضم معظمه خطباً، على سبيل المثال قال ابن حمدون: "ومن كلام عليّ عليه السلام يوبّخ أهل العراق على تخاذلهم عن حرب أهل الشام: أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياء، ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، دفاع ذي الدين المطول، لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحقّ إلّا بالجد، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أيّ إمام بعدي تقائلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، ومن رمى منكم فقد رمى بأفوق ناصل، أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكُم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم، أقولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق؟"^(٢).

(١) التذكرة ، ج٥، ص١٩٦.

(٢) التذكرة ، ج٥، ص٢١٠.

الباب السادس والعشرون: في الوعيد والتحذير

بدأ ابن حمدون هذا الفصل بذكر آيات من القرآن الكريم التي تناولت الوعيد، ثم يتابع بسرد العديد من الروايات والأشعار التي تتناول الموضوع نفسه، على سبيل المثال ذكر صاحب التذكرة: "قطع على قوم بالبادية فكتب الحجاج إلى عمرو بن حنظلة: أما بعد فإنكم أقوام قد استخفتم هذه الفتنة فلا على حق تقيمون، ولا عن باطل تمسكون، وإنني أقسم بالله لتأتينكم مني خيل تدع أبناءكم يتامى، ونساءكم أيامى، ألا وأيما رفقة مرّت بأهل ماء، فأهل الماء ضامنون لها حتى تأتي الماء الآخر. فكانت الرفقة إذا وردت أهل الماء أخذوها حتى يوردها الماء الآخر"^(١).

الباب السابع والعشرون: في الأوصاف والنعوت

أورد ابن حمدون في مقدمة هذا الباب: "ويشتمل هذا الباب على أربعين نوعاً: الخيل وما يتبعها، وصف البغال والحمير، الإبل، الفيل، الأسد، وحش الفلاة وسباعها، القنص وآلاته وأماكنه من الحيوان، الطير، أنواع شتى من الحيوان، الحية، الهوام والحشرات، النساء: لباسهن وزينتتهن، الغلمان السودان، السماء والنجوم وما يتعلق بها، الليل والصباح وما جاء في طول الليل وقصره، السحاب والغيث وما كان منهما، الرياح، الخصب والمحل، المياه والغدران والأنهار، السفن والبحر، الرياض والأزهار، النخل والشجر، الحرب والجيش، السلاح والجنن"^(٢)، أنواع القتل والجراح، الأبنية والمعقل، الديار والرسوم، الفلاة، السير والسرى، البيان والمحاورة، القوافي، الكتاب والقلم وآلاتهما، النار والحر وما يتنوع منهما، القر^(٣) والصلاء^(٤)، المأكّل والأكول، القدر، الملاهي، الشواذ، النوادر".

الباب الثامن والعشرون: في الشيب

وجاء في خمسة فصول:

الفصل الأول: الفجيلة بالشيب وحلوله، **الفصل الثاني:** الرضا به والتسلي عن نزوله، **الفصل**

الثالث: الخضاب، **الفصل الرابع:** أخبار المعمرين، **الفصل الخامس:** النوادر.

(١) التذكرة، ج ٥، ص ٢٢٩.

(٢) الجنن: جمع جُنَّة، والجُنَّة ما استتر به من السلاح. ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ٩٤.

(٣) القر: يعني البرد الشديد. الفراهيدي (الخليل بن أحمد بن عمرو ت ١٧٠هـ/٧٨٦م): العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د.ت، ج ٥، ص ٢١.

(٤) الصلاء: اسم للوقود الذي يُصطلى به. نشوان الحميري (نشوان بن سعيد ت ٥٧٣هـ/١١٧٨م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح حسين العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م، ج ٦، ص ٣٨٠١.

الباب التاسع والعشرون: في الغزل والنسيب

وقسمه ابن حمدون لاثنتين وعشرين نوعاً: شدة الغرام والوجد، الإعراض والصد والهجر، الشوق والنزاع، ذكر الوداع، المسرة باللقاء عند الإياب، الطيف والخيال، الرقة والنحول، البكاء والهمول، إحماد المواصلة ولذة العناق، شكوى البين والفراق واحتمالهما، الأرق والسهاد، تعاطي الصبر والتجلد، العذول والوشاة والرقيب، وصف المحبوب، طيب الأفواه، وصف الثغر، إسرار الهوى وإعلانه، عشق الحلائل، غزل العباد وتساهلهم، أخبار من قتل بالكمد.

الباب الثلاثون: في الخطب

عرض ابن حمدون في هذا الباب سبعون خطبة قيلت في مناسباتٍ مختلفة، وقد افتتح ابن حمدون هذا الباب بذكره خطبة الرسول S في حجة الوداع، ثم تلاها خطب مختلفة، وبلغ عدد خطب الإمام علي عليه السلام تسع خطب، على سبيل المثال يقول ابن حمدون: "ومن خطبة له عليه السلام:

نحمده على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلّى، الباطن بكلّ خفيّة، الحافظ لكل سريرة، العالم بما تكنّ الصدور وما تخون العيون، ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً نبيّه وبعيّه، شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان والقلب اللسان"^(١).

الباب الحادي والثلاثون: في المكاتبات والرسائل

ذكر صاحب التذكرة في افتتاحية هذا الباب: "الرسائل والمكاتبات أبسط من الشعر مقالاً، وأفسح مجالاً، وإن كان أربابها أقلّ عدداً فإنّهم أشرف محلاً ومحتداً، وقد ذكر الصابي الفرق بين المترسل والشاعر فأجاد، وحكم فأنصف، وسأذكر رسالته هذه في أثناء الباب، وقد اقتصرنا على ما تضمن معنى بديعاً، ولفظاً فصيحاً، أو سيرةً مُعربة، أو قضيةً مُعجبة، وتجنّبت الإكثار إذ كان استقصاء فنونها واستغراق فصولها يحتاج إلى كتاب مفرد، ويكون وإن أطيل مختصراً، وكانت القدماء توجز المكاتبات وتختصرها، وتقنع من الألفاظ بمبلغها، وترى الإطالة عجزاً والإيجاز إعجازاً"^(٢)، على سبيل المثال قال: "فصل من كتاب للمأمون، وقد ولى عبد الله بن طاهر^(٣) في فتنة: ممتدة إلى الفتن

(١) التذكرة، ٦، ص ٢٤٢.

(٢) التذكرة، ٦، ص ٣١٤.

(٣) عبد الله بن طاهر: هو ابن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أبو العباس، أمير خراسان، من أشهر الولاة في العصر العباسي، ولاه الخليفة المأمون إمرة الشام ومصر وخراسان، وأثبت مقدرة فائقة على الإدارة، توفي بنيسابور سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ٢١٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ١٢٥.

أعناقُهُمْ، متطلعةً إليها أنفسهم، مرتاحةً لها قلوبُهُمْ، مُصِيخةً إلى دعواها أَسْماعُهُمْ، فلم تُذَكَّ للفتنة نازٍ إلا منهم ساعر يَشْبُ ضِرَامَهَا، إما مُوجفًا ركابه، مُبدياً صفحته في مباشرتها، وإمّا مُورِيّاً عن نفسه يدبّ الحَمَر، وَيَسْتَتِرُ تحت الشُّبّه، ليحسب أنه بمعزلٍ عنها، ونافذُ كَيْدِهِ يسري في تسهلها^(١).

الباب الثاني والثلاثون: في شوارد الأمثال

ذكر ابن حمدون: "وهي اثنان وسبعون فصلاً: شواهد من الكتاب العزيز، من كلام الرسول عليه السلام، منتهى التمثيل في لفظ أفعال التفضيل، والحنكة والتجارب، الأخذ بالحزم والاستعداد للأمر، الاغترار والتحيل والأطماع، البرّ والعقوق، الحمية والأنف، الحلم والثبات، الصدق والكذب، وصف الرجل بالتدبير والفعل الجميل، التمسك بالأمر الواضح، التوسط في الأمور، التساوي في الأمر، المجازاة، التفريق والزّيال، حفظ اللسان، التصريح والمكاشفة، التسويف والوعد والوعيد، المكر والمداينة، الضرورة والمعذرة والأعذار، تعذر الكمال المحض، تعلّق الفعل بما يبعد، والامتناع عنه ما اتّصل المانع أو فعله ما استمر الشيء، وضع الشيء في موضعه، وضع الشيء في غير موضعه، إصلاح المال، تسهيل الأمور ودفع الأقدم بالأحدث، العداوة والشماتة والرمي بالعصبية، الاتفاق والتحابّ والاستمالة، قوة الخلق على التخلّق، دليل استعان بمثله، النفع والضّرّ وفي معانيهما، النفع من حيث لا يحتسب، المبالغة، الأمر النادر، الجبن والذل، الجهل والحمق، البلية على البلية، خيبة الأمل والسعي، العدة تأوي إليها^(٢)، ألزم الأمور بصاحبها، الجاني على نفسه، الإحالة بالذنب على من لم يجنبه، لقاء الشيء بمثله أو أشد، تنافي الحالات، الرضا بالميسور إذا تعذّر المنشود، الأمر المضاع والمهمّل، ارتفاع الخامل، خمول النبيه، الشرّ وراءه الخير، ضد ذلك، الخطأ والاختلاط، الجميل يكدّر بالمنّ، اغتنام الفرصة، اللقاء، تعذر الأمر وما يعرض من دونه، طلب الحاجة، التعجيل وفوت الأمر، سوء المكافأة وظلم المجازاة، الظن، التبرّي من الأمر، الاستهانة وقلة الاحتفال، المشاركة في الرخاء والخذلان في الشدة، والرخاء والسعة، المعجب بخاصة نفسه، الساعي لنفسه في صلاحه، اليسير يحيي الكثير، الشدة والداهية، الدعاء".

(١) التذكرة، ٦، ص ٣٢٣.

(٢) ذكر ابن حمدون في باب الأمثال: "ما جاء في العدة بارتحالها فيجدها" وأورد فيها ثلاثة أمثال، منها "إلى أمه يلهف اللهفان"، ويقصد بذلك أي أن المرء يحتاج إلى نصرة أهله عند المصاعب، ويذكر ابن حمدون مثلاً آخر يقول فيه "كل ضبّ عند مرادته" ثم يشرح ابن حمدون المثل بقوله: والمرادة: الحجر الذي يرمى به، ويُقال: إن الضب قليل الهداية فلا يتخذ جحره إلا عند حجر يكون علامةً له، فبه يرميه الطالب له، فهو كالعدة له. التذكرة، ج ٧، ص ١٠٣.

الباب الثالث والثلاثون: في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة

أورد ابن حمدون روايات تتناول موضوع الأجوبة المسكتة، حيث سجل في هذا الباب الكثير من المواقف التي سجلت ذلك، معتمداً على روايات وقصص وأشعار، على سبيل المثال يقول: "دخل وفد على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام، فقال عمر: ليتكلم أسنكم، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إن قريشاً لتري فيها من هو أسن منك، فقال: تكلم يا فتى" ^(١)، وقال في مكان آخر: "غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه اشترى جارية، فاشتريت غلامين، فبلغ الخبر زوجها فجاء مبادراً وقال لها: ما هذا؟ فقالت: أما علمت أن الرحى أحوج إلى بغلين من البغل إلى رَحَوَيْنِ، بع الجارية حتى نبيع الغلامين، ففعل ذلك" ^(٢).

الباب الرابع والثلاثون: في كبوات الجياد وهفوات الأمجاد

تحدث ابن حمدون في هذا الباب عن السقطات التي وقعت فيها بعض الشخصيات من أدباء وشعراء وقادة وغيرهم، وقد ألحق فيه فصلاً خاصاً بسرقات الشعراء وسقطاتهم أمثال الفرزدق وذي الرمة وغيرهم، وعلى سبيل المثال يورد قائلاً: "وقال قتادة: ما نسيت شيئاً قط، ثم قال: يا غلام ناولني نعلي، قال: النعل في رجلك" ^(٣).

الباب الخامس والثلاثون: في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم، وغرائب من عوائدهم، وجمل من بلاغتهم، وعجائب من أكاذيبهم، وفنون من سيرهم ووقائعهم.

حرص في هذا الباب على ذكر عوائد العرب كوأد البنات وغيرها، كثير من هذه العوائد كانت غريبة، وذكر بعض من أخبار شعراء ما قبل الإسلام، وأورد بعضاً من أيام العرب كيوم حليلة، وكذلك وفود النعمان بن المنذر على كسرى ^(٤).

الباب السادس والثلاثون: في الكهانة والقيافة والزجر والعيافة والفأل والطيرة والفراسة

بدأ ابن حمدون هذا الباب بتأكيده على نهى الله عز وجل عن الطيرة، ثم أتبعه بذكر للأحاديث الشريفة ثم تابع على المنوال نفسه عند الحديث عن الكهانة والفراسة، وأعطى لموضوع الباب حقه الكامل من الروايات والأشعار، على سبيل المثال أورد رواية عاصرها بنفسه فقال: "ولما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد ونزل بذات مرج وقع على الشمسية التي ترفع على رأسه

(١) التذكرة ، ج٧، ص ١٦٩.

(٢) التذكرة ، ج٧، ص ٢٤٧.

(٣) التذكرة ، ج٧، ص ٢٦٧.

(٤) التذكرة ، ج٧، ص ٣٨٢.

طائر من الجوارح وألحّ، كلما نقرّ عاد؛ فتفاعل الناس له بذلك وسرّ هو به. فقال له إنسان يعرف بملك دار: هذا جارح ومنقبض الكف وليس فيه بشرى بل ضدها. وأقبل السلطان في جيشه، وكانت الكسرة وقبض على المسترشد، وقتل من بعد^(١).

الباب السابع والثلاثون: في اليسر بعد العسر والرخاء بعد الضّر

جمع ابن حمدون في هذا الباب القصص التي جاء فيها الفرج بعد الشدة، والعبرة التي تحملها، وعلى سبيل المثال قال: "أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن، فلما حضر أمر بضرب عنقه، فقال: يا أيها الأمير أخرجني إلى غد، قال: وأي فرج لك في تأخير يوم واحد؟ ثم أمر برده إلى السجن. فسمعه الحجاج وهو يذهب به إلى السجن يقول:

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج: والله ما أخذه إلا من كتاب الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢) وأمر بإطلاقه^(٣).

الباب الثامن والثلاثون: في الغنى والفقر

بدأ ابن حمدون هذا الباب بآيات من القرآن الكريم وأحاديث ثم قصص من الصحابة والزهاد والأدباء والحكماء، كذلك جاء ببعض الشعر والحكم التي تناسب موضوع الباب، على سبيل المثال ذكر: "وقيل للقيمان: أي الناس أعلم؟ قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه، قيل: فأَي الناس أغنى؟ قال: من رضي بما أوتي، قيل: فأَي الناس خير؟ قال: المؤمن الغني، قيل: الغنى من المال؟ قال: بل الغنى من العلم، فإن احتاج الناس إليه وجدوا عنده علماً، وإن لم يحتج الناس إليه أغنى نفسه"^(٤)، وقال وقال في موضع آخر: "قال حكيم: احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل، على أن الرضى بالفقر قناعة، والرضى بالذل ندالة"^(٥).

الباب التاسع والثلاثون: في الأسفار والاعتراب

جاء هذا الباب مشابهاً لبقية أبواب التذكرة، فقد أورد ابن حمدون في مطلع آيات من القرآن الكريم ثم تلاه أحاديث نبوية، ثم قصصاً لعدد من الشخصيات حول السفر والاعتراب، كما أورد أخبار

(١) التذكرة، ج ٨، ص ٢٧-٢٨.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

(٣) التذكرة، ج ٨، ص ٥٣-٥٤.

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ٨٩.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٩٦.

أخرى في فائدة السفر واستقبال الرسائل ومواقف الوداع وجاء بفضائل بعض البلدان وحب الوطن، وعلى سبيل المثال قال: "قيل لرجل أراد السفر: تموت في الغربية، قال: ليس بين الموت في الوطن والموت في الغربية فرق، لأن الطريق إلى الآخرة واحد" (١).

الباب الأربعون: في تنجُز الحوائج والحث عليها والسعي فيها

وجاء هذا الباب في عدة مواضيع: الوعد والاقتضاء به، والإنجاز والمطل، الشفاعة، ما جاء في السؤال، على سبيل المثال قال ابن حمدون: "قال عليّ عليه السلام: فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها" (٢).

الباب الحادي والأربعون: الإذن والحجاب، متيسره ومتصعبه

أورد ابن حمدون في مطلع هذا الباب: "قد جاء في الباب الأول ما جاء في النهي عن الحجاب تورعاً، وفي باب السياسة ما يعتمد عليه الحاجب تأديباً، ونذكر الآن ما جاء في أدب الاستئذان وسبب الحجاب، وأقوال من مني بذل الحجاب وبلي بغلظة البواب، وما اعتذر به عن ذلك، ومن ترفع عن احتماله، والشكر لتيسره، والذم على تعسره والنوادر منه" (٣)، على سبيل المثال ذكر قائلاً: "قيل: لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية والعمال من شدة الحجاب للوالي، ولا أهيى للرعية والعمال من سهولة الحجاب، لأن الرعية إذا وثقت بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم، فإذا وثقت بصعوبته هجمت على الظلم" (٤).

الباب الثاني والأربعون: في الحيل والخدائع المتوصل بها إلى نجح المطالب والمقاصد

هذا الباب من الأبواب القصيرة جداً، اشتمل على بعض الأخبار وقليل من الأمثال التي جاءت على لسان الحيوان، وبعض حيل الحروب والنوادر، على سبيل المثال قال ابن حمدون: "لما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بالعهد، تخلف رجلٌ مذكورٌ من الفقهاء، فأحضره وقال له: لم تخلفت عن البيعة؟ قال: عاقني يا أمير المؤمنين عائق، فأمر بقراءة كتاب البيعة، فلما قرئ قال: يا أمير المؤمنين، هذه البيعة في عُنقي إلى قيام الساعة، فلم يفهم الرشيد ما أراد وقدّر أنّه إلى قيام الساعة، وذهب ما كان في نفسه" (٥).

(١) التذكرة، ج ٨، ص ١١٧.

(٢) التذكرة، ج ٨، ص ١٥٣.

(٣) التذكرة، ج ٨، ص ١٩٦.

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ١٩٧.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٢٢٢-٢٢٣.

الباب الثالث والأربعون: في الكناية والتعريض

بدأ ابن حمدون هذا الباب بقوله: "الكنايات لها مواضع، فأحسنها العدول عن الكلام الدّون إلى ما يدلّ على معناه في لفظ أبهى ومعنى أجلّ، فيجىء أقوى وأفخم في النفس؛ ومنه اشتقت الكنية، وهو أن يعظّم الرجل فلا يدعى باسمه، أو وقعت على ضربين: لمن لا ولد له على سبيل التفاؤل أن يكون له ولد يدعى باسمه، أو على حقيقة أو يُكنى باسم ابنه صيانة لاسمه"^(١)، وضمّ هذا الباب ما ورد من كنايات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبعض الروايات التي تحدثن عن الكنايات والتورية، فعلى سبيل المثال قال ابن حمدون: "وقال لقمان لابنه: كل أطيب الطعام ونم على أوطأ الفراش، كتّى عن إكثار الصيام وإطالة القيام فإذا أطال الصيام استطاب الطعام، وإذا أطال القيام استمهد الفراش"^(٢)، وفي موضع آخر قال في التورية: "ومن مליح التورية وعجيبها مع توخي الصدق في موطن الخوف قول أبي بكر الصديق d وقد أقبل رسول الله S وهو رديفه عام الهجرة، فقليل له: من هذا يا أبا بكر؟ فقال: هذا رجل يهديني السبيل"^(٣).

الباب الرابع والأربعون: في الخمر والمعاقر

وقال ابن حمدون في مطلع هذا الباب: "نضمّنه ما جاء في تحريمها والنهي عنها، وأخبار من تركها تنزّها وترفعاً، أو تحرّجاً وتحوّباً، ومن حتّ عليها ودعا إليها خلاعةً وتطريباً، وما قيل في مدحها وذمّها، ونفعها وضرّها، وأوصافها ونعت آنيّتها وظروفها، وأخبار معاقريها، والمشهور من أسمائها وصفاتها، دون الغريب الوحشي، وغير ذلك من الفنون المتعلقة بها، الموردة في أماكنها"^(٤).

الباب الخامس والأربعون: في الغناء والقيان

بدأ هذا الباب بقوله: "نذكر فيه ما جاء في حظره وإباحته، وأخبار من سامح نفسه في استماعه، وأهواء الناس فيه، وملحاً من أخبار المغنّين والقيان، ونسأل من الله حسن التجاوز والغفران، وأن يسبل على ما أفضنا فيه من اللغو أستار الصّفح والعفو، إنّه جواد كريم"^(٥)، حيث خصص هذا الباب لأخبار وأشعار القيان وخاصة في العصرين الأموي والعباسي، مع ذكر مشاهير القيان، وعلى سبيل المثال قال ابن حمدون: "ومن أكابر المغنّين ومقدّمهم يحيى بن مرزوق المكيّ مولى بني أمية، وكان يكتّم ولاءه لخدمته خلفاء بني العباس، فإذا سُئل عن ولاءه انتهى إلى قریش، وعمر مائة وعشرين سنة،

(١) التذكرة، ج ٨، ص ٢٧٨.

(٢) التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٤.

(٣) التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٤.

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ٣٣٨.

(٥) التذكرة، ج ٩، ص ٨.

ومات وهو صحيح العقل والسمع والبصر، وقدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته، فخرج أكثرهم وبقي يحيى بالعراق، وولده يخدمون الخلفاء، وآخرهم أحمد ابن يحيى كان يخدم المعتمد^(١).

الباب السادس والأربعون: في المؤكلة والنهم والتطفل وأخبار الأكلة والمآكل

وجاء في ستة فصول:

الفصل الأول: آداب الأكل والمؤكلة، **الفصل الثاني:** الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها، **الفصل الثالث:** الجشع والنهم وأخبار الأكلة، **الفصل الرابع:** التطفل وأخبار المتطفلين، **الفصل الخامس:** أوصاف الأطعمة وفنونها، **الفصل السادس:** نوادر هذا الباب.

الباب السابع والأربعون: في أنواع السير والأخبار وعجائبها، وفنون الأشعار وغرائبها.

يُعدُّ هذا الباب من أكبر الأبواب وأكثرها شمولاً واتساعاً وتنوعاً في الموضوعات والسر والأخبار، فأتى بأخبار السيرة النبوية والشورى وأخبار الإمام علي عليه السلام واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ولكن ابن حمدون لم يحسن ترتيب هذه الأحداث، فبدأ هذا الباب بذكر وفاة الرسول S ثم عاد وذكر خبر نزول الرسول في خيمة أم معبد، وبعدها أتى بخبرٍ عن ظهور النبي S، كما شمل هذا الباب أخباراً ضُمَّت مختلف العصور من الراشدي والأموي وصولاً للعباسي، حيث شكل هذا الباب بما ورد فيه من روايات مادةً تاريخية قيمة.

الباب الثامن والأربعون: في الملح والنوادر

قال ابن حمدون: "وابتدأته: بمزح الأشراف والأفاضل وفكاهتهم، والرخصة فيه ثم جعلته من بعد اثني عشر نوعاً: نوادر الأعراب، نوادر الشعراء والأدباء، نوادر الظرفاء، نوادر مواجن النساء، نوادر في التعصب والتحزب، نوادر المخنثين، نوادر ذوي العاهات والأدواء، نوادر الخلعاء، نوادر الأغبياء والجهلاء وعيهم وتصحيفهم وغلطهم، نوادر المتبئين والقصاص والممخرقين، نوادر المجانين، نوادر السفلة وأصحاب المهن والسوقة"^(٢).

الباب التاسع والأربعون: جمل من التاريخ^(٣).

(١) التذكرة، ج ٩، ص ٤٦.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٢٩.

(٣) سقط هذا الباب من النسخة المطبوعة.

الباب الخمسون: في الأدعية^(١).

بالاطلاع على أبواب التذكرة يمكن تنظيمها تحت اسم "الأدب" ما عدا الباب التاسع والأربعين المخصص للتاريخ، حيث أن الأبواب يمكن أن تقع تحت العناوين التالية:

أ. الأبواب التي تتحدث عن الأخلاق كالسخاء والبخل والشجاعة والجبن والوفاء والغدر والصدق والكذب... إلخ (من الباب الرابع حتى الباب السادس عشر).

ب. الأبواب ذات النزعة الأدبية الشعرية: كالمدح والتهنئة والثناء والهجاء والعتاب... إلخ (الباب السابع عشر حتى الباب التاسع والعشرين).

ج. الأبواب القائمة على فنون النثر: كالخطابة والكتابة والأمثال والأجوبة المسكتة (الباب الثلاثون حتى الباب الثالث والثلاثين).

د. ثم أبواب لا يربطها رابط، وكان يمكن أن يدرج بعضها فيما تقدم كالباب الرابع والأربعين "الخمير" فإنه كان يمكن أن يلحق بالأبواب ذات النزعة الشعرية^(٢).

ويبدو أن هذا التنظيم الذي أراده ابن حمدون للتذكرة كان شكلياً، ولم يوفق ابن حمدون إلا في تسهيل مهمة القارئ في الوصول إلى مبتغاه من أبواب الكتاب، حيث أن الأبواب ذات الموضوع المتشابه جاءت متباعدة، فعلى سبيل المثال إن الباب الثاني في "الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملوك"، لا يمكن أن ينفصل عن الباب الثاني عشر "العدل والجور" وعن الباب الرابع عشر "المشورة والرأي" وعن الباب الحادي والأربعين "الحجاب"، فكل هذه الأبواب تتصل بالسياسة، ولهذا عمد ابن قتيبة في كتابه "عيون الأخبار" إلى إيرادها متعاقبة، فقسم ابن قتيبة كتابه إلى عشرة كتب صغيرة، وأورد الفصول التي كانت تحمل بين طياتها معنى الموضوع نفسه بشكل متعاقب، فالكتاب الأول "كتاب السلطان" والكتاب الثاني "كتاب الحرب" والكتاب الثالث "كتاب السؤدد"^(٣)، وسار ابن عبد ربه في "العقد الفريد" على نهج ابن قتيبة، فقسم كتابه إلى خمس وعشرين جوهرة كريمة، وجاءت أيضاً الفصول التي عنيت بالآداب الدنيوية متعاقبة^(٤).

(١) سقط هذا الباب من النسخة المطبوعة.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ١٣.

(٣) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ١، ص ١٠.

(٤) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٥.

ثانياً: منهج ابن حمدون في التذكرة الحمدونية

عُرف ابن حمدون بالفصاحة والمعرفة التامة بالكتابة والأدب، وتجدر الإشارة إلى أن كتابه- موضوع البحث- اعتمد على الجمع أكثر من التأليف، مما يخفي ملامح أسلوبه الخاص والمباشر، ورغم ذلك فقد جعل في كتابه فنوناً أجاد فيها، وحاول جهده تصنيفها وترتيبها في فصولٍ وأبواب.

أ. منهج ابن حمدون في جمع مادته

انتهج ابن حمدون في مطلع كل باب من أبواب الكتاب أن يبدأ بأدعية، ويبدو أن ابن حمدون قد استقى ذلك من أبي حيان التوحيدي وكتابه "البصائر والذخائر"، تحمل هذه الأدعية بين طياتها دلالةً على محتوى الباب الذي تتقدمه، مع الفرق الكبير بين الأدعية التي كان يصدر بها أبو حيان أجزاء البصائر والأدعية التي كان يبدأ بها ابن حمدون أبواب تذكرته، من حيث التراكيب والألفاظ الإبداعية الجميلة، فقد تفوق عليه أبو حيان بشكل كبير، ومن هذه الأدعية على سبيل المثال، الدعاء الذي بدأ به ابن حمدون في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجود والبخل واللؤم"، إذ قال: "بسم الله الرحمن الرحيم رب أنعمت فزد، الحمد لله الكريم الجواد، السابغ فضله على العباد، معطي الرغبات ومنيلها، ومنهض عثرات الكريم ومقيلها، سمح فأفضل، ومنح فأجزل، أحمدته على سعة عطائه وأثني عليه بنعمه وآلائه، وأعوذ به من شح الأنفس" (١).

ويلي الدعاء -الذي في مطلع كل باب- مقدمة موجزة يسرد فيها ابن حمدون الخطوط العريضة لذلك الباب، على سبيل المثال، قال ابن حمدون في مطلع الباب الثاني والعشرين الموسوم بـ **باب الهدايا**: "هذا باب نذكر فيه ما جاء في استحباب الهدية والندب إليها، وموضع كراهيتها والمنع من قبولها، ويحسن إهداؤه منها ويجمل موقعه.. " (٢)، ومن خلالها يفهم القارئ ما الذي سيدور في الصفحات التالية لذلك الموجز، وفي بعض الأبواب كان ابن حمدون يبدؤها بخطبة، أساس جملها السجع والكلمات المؤكدة بالمترادفات، وعلى سبيل المثال ما ذكره ابن حمدون في افتتاحية الباب الخامس والعشرين الموسوم **"ما جاء في التقريع والتوبيخ"** فيقول: "وأعود على نفسي بالتوبيخ والتعنيف، لما اطمأنت إليه من التعليل والتسويق، وأسأله توفيقاً للتنبّه من سنة الغفلة، والتيقّظ لاغتنام أيام المهلة.. " (٣).

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) التذكرة، ج ٥، ص ٨.

(٣) التذكرة، ج ٥، ص ٢٠٧.

ومن كتاباته، أن يُدلي بتعريف قصير للمصطلح الذي يريد استخدامه، فعلى سبيل المثال، قوله بالتعريض: "التعريض هو العدول عن التصريح إلى الكناية والإشارة"^(١)، ومن ثم يوضح ما له علاقة بما سيأتي به في الأسطر "وإنما يتعلق الفصل ما عدل به صريح الذم إما إبقاء وأما مراقبة"، وأحياناً يتحدث عن عنوان الباب بأسلوب أدبي راقٍ، يُذكر مثلاً كلامه في افتتاحيته للباب الثامن والأربعين الموسوم "في المَلَح والنوادر" حيث قال: "النوادر رَوّاحة، وبها للمكدود استراحة، لا سيما إذا أثقله عبء الجدّ، وعاد باحتماله كليل الحدّ، وهي صادرة عن مزح قد رَخّص فيه، ودعابة لم يخل منها كل شريف ونبيه"^(٢).

وقد شرح منهجه ذلك باختصار من حيث بدأ كل باب بالذكر الحكيم وختمه بطرف من النوادر والملح، "ليستريح إليها اللغِبُ"^(٣) الطليح^(٤) من كَلال الحدّ، ويأمن معها الدئب الحريص من ملال الجدّ، خلا بابي الافتتاح والخاتمة فإنهما لله خالصان، للإنقاذ من هفوات القلب واللسان مؤملان"^(٥)، لكنه لم يلتزم بذلك في بعض الأحيان، حيث أن هناك أبواباً لم يختتمها بالنوادر وغيرها لم يفتتحها بالذكر الحكيم.

ومن أسلوبه كذلك، أن يورد الشخصيات ومعها نبذة قصيرة جداً، تكاد لا تقي بحق الشخصية التي تحدث عنها، ولا يعطي لها ترجمة بل يذكر بعض صفات صاحبها، أما بالنسبة للشعراء فقد كان يكتفي بذكر الشاعر دون تعريفه، أو ذكر نسبه فقط أو بلده وشيء من هذا القبيل، لكنه كان حريصاً معظم الأحيان على إسناد كل شعر لشاعره، واكتفى في بعض الأحيان بقول الشاعر وقد أفرد لكيفية توثيق الشعر لديه فصلاً خاصاً.

ومن خلال دراسة الموارد، سجّل البحث ملاحظات عدة حول بعض الروايات التي نقلها ابن حمدون:

١. في بعض الحالات كان ابن حمدون يورد الرواية وينسبها لأكثر من قائل في الوقت ذاته، فعلى سبيل المثال، أورد رواية في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجود والبخل واللؤم" قولاً نسبته لعلي بن الحسين d هو: "ومن كلام له: أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل،

(١) التذكرة، ج ٥، ص ٦٢.

(٢) التذكرة، ج ٩، ص ٣٦٢.

(٣) اللغِب: يعني الرديء من الكلام. ابن الأثيري (محمد بن القاسم بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م): الزاهر في معاني كلمات الناس، تح حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٧٦.

(٤) الطليح: يعني المُعيي والمهزول. ابن سيده (علي بن إسماعيل بن سيده ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م): المخصص، تح خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٥) التذكرة، ج ١، ص ٢٣.

وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه" ^(١)، وأورد ابن حمدون القول نفسه منسوباً للإمام الحسين d ^(٢)، ومرة أخرى منسوباً لخالد القسري ^(٣)، وفي مثال آخر أورده ابن حمدون، فقال: "كفى بالقناعة ملكاً، وبحسن الخلق نعيماً، من اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة، ما أقبح الخشوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى، الطمع مورد غير مصدر، وضامن غير وفٍّ، وربما شرب الماء قبل ريّه، وكلّما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده. والأمانى تعمي البصائر. أزرى بنفسه من استشعر الطمع". فهذا القول ينسبه ابن حمدون تارة لابن المعتز ^(٤) وتارة أخرى للإمام علي d ^(٥).

وهذا ما يدفع لطرح السؤال الآتي، ما هو السبب الذي جعل ابن حمدون ينسب الرواية الواحدة لأكثر من قائل؟

صنّف ابن حمدون تذكرته مُعتمداً على عدد كبير من الموارد المتنوعة، وهذا ما فرض عليه أن ينقل ما وقع بين يديه من روايات من تلك المصادر، وكما سبق وذكر فقد كان ابن حمدون يمرُّ بحالة نفسية سيئة، إضافة إلى أنه عندما بدأ بتأليف تذكرته كان يبدو وكأنه في سباق مع الزمن، فقد ذكر بأنه لم يكن يملك الوقت الكافي لمراجعة ما كتبه، حتى أنه طلب من المطلع على تذكرته أن يعفو عنه بسبب أي خطأ قد وقع فيه، لذلك من المرجح أن ابن حمدون عندما نقل عن موارد المختلفة لم يجرِ عملية تدقيق في الروايات، وبذلك أخذ الروايات كما وردت في مصادرها الأصلية سواء كانت صحيحة أم خاطئة، أو كانت منسوبة لشخص أم لآخر.

٢. في بعض الحالات، كان ابن حمدون يذكر الرواية نفسها في أكثر من موضع، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون الرواية التالية "لقي كعب عبد الله بن سلام فقال: يا ابن سلام مَنْ أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد إذ علموه؟ قال: الطمع، وشدة الحرص، وطلب الحوائج إلى الناس"، فهذه الرواية، تكررت في موضعين مختلفين ^(٦)، وفي مثال آخر أورده ابن حمدون من العصر العباسي، قال: "ومثله ما رفع إلى المأمون أنّ قاضياً له كان يعضّ الخصوم فوقّع في الرقعة يشنق" وردت هذه الرواية في

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ١٠١.

(٣) التذكرة، ج ٢، ص ٣٠١.

(٤) التذكرة، ج ٣، ص ١٣١. وسيأتي البحث على ذكر ترجمة ابن المعتز عند الحديث عن الموارد الشعرية لابن حمدون.

(٥) التذكرة، ج ٣، ص ١١٦.

(٦) التذكرة، ج ٣، ص ١٣٦ - ج ٣، ص ١٢٥.

موضعين مختلفين من التذكرة^(١)، وقد ورد في التذكرة العديد من الأمثلة التي جاءت على شاكلة هذه الحالة^(٢).

وعلى غرار ما تقدم سابقاً يُطرح السؤال التالي، ما هو سبب تكرار الرواية نفسها في أكثر من موضع ضمن أبواب التذكرة الحمدونية؟

من المؤكد أن ابن حمدون عندما شرع في تأليفه تذكروته، اعتمد على عدد كبير من الكتب والمصنفات من مختلف العلوم، حيث أن تنوع أبواب التذكرة فرض عليه تنوعاً في موارده، ويبدو أن ابن حمدون استغرق لتأليف تذكروته سنوات عدة، لذلك من المرجح أنه عندما كان يبدأ بتأليف أحد أبواب التذكرة كان يجمع كل ما وقع بين يديه من مادة أدبية وتاريخية وشعرية تفيد معنى الباب الذي يكتبه، فكان من غير المستبعد أن يكون ابن حمدون قد سهى وأعاد كتابة رواية كان قد سبق وكتبها في موضع آخر.

٣. ذكر ابن حمدون في بعض من أبواب التذكرة روايات تارةً نسبها لقائل، وتارةً أخرى ذكرها دون نسب، على سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "وقال آخر: قومي عارٌّ عليّ وأنت عارٌّ على قومك" فهنا أورد ابن حمدون في الباب السادس عشر الموسوم "في الفخر والمفاخرة" هذه الرواية دون ذكر الراوي^(٣)، مع العلم أنه كان قد ذكر هذه الرواية في الباب الثالث الموسوم "في الشرف والرئاسة والسيادة" منسوبة لسقراط، حيث قال ابن حمدون: "عير شريف النسب سقراط بسقوط نسبه، فقال: نسبي عار عليّ، وأنت عار على نسبك"^(٤).

٤. في بعض الحالات كان ابن حمدون يذكر الرواية نفسها في موضعين مختلفين من الكتاب، مع وجود اختلاف أيضاً في الرواية في كلا الموضعين، ويبدو أن هذا يدل على أن ابن حمدون قد نقل الرواية من مصدرين مختلفين، على سبيل المثال لا الحصر قال ابن حمدون: "عتب عبد الله بن طاهر على كاتب له فنحاه فرفع إليه رقعةً يعتذر فيها، فوقع عبد الله بين سطورها: قلّة نظرك لنفسك حرّمك سنيّ المنزلة، وغفلتك عن حظّك حطّتك عن أعلى الدرجة، وجّهلك موضع النعمة، أحلّ بك الغير والنقمة، وعماك عن سبيل الدعة، أسلكك طريق المشقة، حتى صرت من قوة الأمل معراضاً شدة الوجّل، ومن رخاء العيش معتقياً يأس الأبد، وحتى ركبت مطية المخافة بعد مجلس الأمن والكرامة، وصرت موضعاً للرحمة بعد أن كنت

(١) التذكرة، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر: التذكرة، ج ٦، ص ٢٧ - ج ٨، ص ١٠٣ - ج ٨، ص ٢٨٨ - ج ٨، ص ٢٩١ - ج ٩، ص ٣٦٨.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ٤٥١.

(٤) التذكرة، ج ٢، ص ١٦٣.

موضع الغبطة، على أني أرى أملك أمريك بك أدعاهما إلى المكروه إليك، وأوسع حاليك لديك
أضعفهما متنفساً عليك، كقول القائل:

إذا ما بدأت امرءاً جاهلاً ببرّ فقصر عن حمّله
ولم تلقه قابلاً للجميل ولا عرّف العزّ من دله
فسمه الهوان فإنّ الهوان دواء لذي الجهل من جهله^(١)

٥. يبدو أن ابن حمدون كان ينقل الرواية من أكثر من مصدر، ويجمع بين تلك المصادر ويقوم بعملية الدمج بينهما، لتخرج الرواية بأبهى حلّة أدبية، على سبيل المثال لا الحصر، أورد:
"وقال الحطيئة:

إذا همّ بالأعداء لم يثن همّه كعاب عليها لؤلؤ وشنوف
أخذ المعنى وبعض اللفظ كثير (المقصود كثير عزّة الشاعر) فقال لعبد الملك:
إذا ما أراد الغزو لم يثن همّه حصان عليها عقْد دُرّ يزينا^(٢)

وبذلك جمع ابن حمدون روايته من مصدرين مختلفين الأول ديوان الحطيئة، والثاني كتاب الحماسة للبحريري، وفي مثال آخر أورد ابن حمدون الرواية التالية: "وقال محمد بن العلاء السجزي: لما ولي عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة دفع إليّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة فيها تهنئة بالوزارة فأوصلتها إلى عبيد الله بن سليمان، وفيها:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا فأسعفنا في من نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أنمها ودع أمرنا إن المهمّ المقدم

فضحك وقال لي: يا أبا عليّ، ما ترى كيف لطّف بشكوى حاله في تهنئته؟ امض إليه فأبلغه سلامي وجئني برقاعه في حوائجه. فمضيت وجئته برقاعه، فوقّع في جميعها بما أحب^(٣).

اعتمد ابن حمدون في هذه الرواية على مصدرين هما البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وكتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، وقد تعددت الأمثلة في التذكرة حول هذه الحالة^(٤).

٦. لم يكن ابن حمدون ينقل رواياته بشكل حرفي من المصادر، بل كان في كثير من الأحيان ينقل الرواية بتصرف وبأسلوبه الأدبي، فعلى سبيل المثال لا الحصر نقل ابن حمدون رواية تتناول الحديث الذي دار بين معاوية وجروة بنت مرة، وهي رواية طويلة نقلها ابن حمدون من

(١) التذكرة، ج ٥، ص ٢١٤ - ج ٥، ص ٥٩.

(٢) التذكرة، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٣) التذكرة، ج ٤، ص ١٥٧.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ٣، ص ٥٣ - ج ٣، ص ٣١٩.

كتاب أخبار الوفادات من النساء على معاوية بن أبي سفيان للعباس بن بكار، حيث نقل ابن حمدون هذه الرواية بتصرف فاخترل منها ما يفيد معنى الباب الذي يتناوله^(١)، وفي رواية أخرى قال ابن حمدون: "قال الجاحظ: كنا نسمع باللثيم الراضع، وهو الذي يرضع الخلف لئلا يسمع صوت الحلب أو يضيّع من الشخب شيئاً، ثم رأيت أبا سعيد المدائني قد صنع أعظم من ذلك، اصطبغ من دَنّ خلّ حتى فني وهو قائم ولم يخرج منه شيئاً"^(٢)، حيث أن الجاحظ أورد هذه الرواية في كتابه البخلاء ولكن مع بعض الاختلاف دون أي تغيير في المعنى.

٧. في بعض الحالات، نقل ابن حمدون بعض الروايات التي فيها غموض واضطراب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أورد ابن حمدون الرواية التالية: "قيل جاء ابن قريعة فاتفق أن مداماً كان يلعب بالأربعة عشر من يرسل له، فانظره إلى أن يفرغ من دسسته، ثم نهض مدام فاستأذن له، وخرج فأوصله، وقال له الوزير: أين كنت؟ قال: عند مدام، قال: وماذا كان يصنع؟ قال القاضي: كان مقابلاً لخدام آخر وبين أيديهما دست كسرايح البدور، موزعة جنسا من الحبوب الرياحية على لونين مختلفين، وفي أيديهما كفتان يصكّان بهما الأرض صكاً، فإذا انتصبا ماتلين، وتخالفا في الحالين، سرّ أحدهما واستبشر واغتاظ الآخر واستشاط، وإذا اضطجعا في.... غمّ صاحبهما إياساً، ونكّس رأسه، وهذى وسواساً، ودعا عليهما، ولا ذنب لهما، فقال المهلبى: لو نظم هذا شعراً لحسن"، ففي هذه الرواية يُلاحظ أن الاضطراب والغموض واضح فيها بشكل كبير، فالشخص الذي يُدعى مدام غير معروف، وكيف يمكن للوزير أن يسأل ويجيب القاضي، ومن هو هذا القاضي؟ هذا ما يجعل الخبر غامض^(٣).

وتميزت المادة الشعرية والنثرية التي نقلها ابن حمدون بخصائص وسمات عديدة أهمها:

١. في بعض الأحيان، نسب ابن حمدون بعض الأبيات الشعرية لغير قائلها على خلاف بقية

المصادر، فعلى سبيل المثال، ذكر ابن حمدون بيتين شعريين على أنهما لحاتم الطائي لم

يردا في الديوان^(٤)، ونُسبا في الأغاني لابن هرمة^(٥)، والبيتان هما:

وإذا تنوّر طارقٌ مستتبّحٌ	نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَيَّ كلابي
وَعَوَيْنَ يستعجلنّه فلقينه	يَضْرِبُنّه بِشراشِرِ الأذنانِ

(١) التذكرة، ج ٤، ص ٤٢.

(٢) التذكرة، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ٩، ص ٣٥٤.

(٤) التذكرة، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٥) سيأتي البحث على ذكر ترجمته عند الحديث عن الموارد الشعرية.

وفي موضع آخر ذكر ابن حمدون بيتين شعريين على أنهما لابن هرمة^(١)، وقد أجمعت باقي المصادر على أنهما للخريمي^(٢)، والبيتان هما:

إذا شُدُّوا عمائمهم ثنوها على كَرَمٍ وإنَّ سَقَرُوا أناروا
يبيعُ ويشترى لهم سواهم ولكنَّ بالطعانِ هُم تجارُ

وقد تعددت الأمثلة على هذه الحالة^(٣).

٢. أورد ابن حمدون الكثير من الأبيات الشعرية والتي نسبها لشعراء لم تثبت هذه الأبيات في دواوينهم، فعلى سبيل المثال أورد ابن حمدون بيتان شعريان لجميل في الباب التاسع والعشرين الموسوم "في الغزل والنسيب" لم يردا في ديوانه وهما^(٤):

أظنُّ هواها تاركِي بِمُضِلَّةٍ من الأرضِ لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
محبُّها حبُّ الأولى كان قبلها وحَلَّتْ مكاناً لم يكنْ حُلٌّ من قبلُ

وفي موضع آخر أورد ابن حمدون في الباب الثالث والعشرين الموسوم "في الهجاء والمذمة" بيتان شعريان لابن الرومي حيث قال ابن حمدون: "ولم أجدها في مجموع شعره" والبيتان هما^(٥):

قُبُلُكَ والدُّبُرُ مدُّ بذلتهما تكفُّلاً أنْ تعيشَ في رَغَدٍ
وسَعَتْ هذا فعشتَ في سعةٍ وقامَ هذا فقامَ بالأودِ

ونقل ابن حمدون في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجو" بيتاً شعرياً للشريف الرضي - وهو من شعراء الدولة العباسية - لم يرد في ديوانه، والبيت هو:

ذخائرُ العُرفِ في أهله وخُزَّانُ أموالِه السائلونا

وقد تكرر ورود هذه الحالة في التذكرة^(٦).

٣. كان ابن حمدون يأتي بأكثر من موقف لشاعر واحد مرفقاً إياه بالشعر الذي وُلِدَ من تلك التجارب، مثل تلك المواقف التي حدثت مع الفرزدق، أحدها مع مروان بن الحكم، وهي رواية طويلة أرفقها ابن حمدون بالشعر الذي قاله الفرزدق في تلك الحادثة، وكان الشعر:

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٢) الخريمي: هو إسحاق بن حسان، ويكنى أبا يعقوب، كانت متصلاً بالبرامكة وكثير المدح لهم، وشعره جيد، توفي سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م. الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١١١. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٨٤٢.

(٣) على سبيل المثال، التذكرة، ج ٥، ص ١٦٥ - ج ٥، ص ٢١٦.

(٤) التذكرة، ج ٦، ص ٥٥.

(٥) التذكرة، ج ٥، ص ١٥٢.

(٦) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ٥، ص ٣٩٧ - ج ٦، ص ٧٢ - ج ٦، ص ١٦٨.

وقفتُ بأعلى ذي قسيٍّ مطيتي أميُّلُ في مروانَ وابنِ زيادِ
فقلتُ عبيد الله خيرهما أبا وأدناهما من رَأْفَةٍ وسدادِ

وثاني هذه المواقف حدثت مع إحدى نساء بني عقيل، والشعر الذي رافق تلك التجربة، وهكذا أورد له العديد من المواقف وكأنه يخبر ببعض الجوانب من حياته^(١).

٤. لم تخلُ التذكرة في بعض صفحاتها من الحشو أحياناً، وتكرار لبعض الأبيات الشعرية في

مواضع متعددة من تذكرته، فعلى سبيل المثال، أبيات العلوي البصري^(٢)

يلقى السيوفَ بوجهه وَيَحْرِهِ وَيَقِيمُ هَامَتَهُ مقامَ المَغْفَرِ
ويقول للطَّرِفِ اصطبرْ لشبا القنا فعقرتُ ركنَ المجدِ إنْ لم تعقرِ

فقد أورد ابن حمدون هذه الأبيات مرة في باب البأس والشجاعة، ومرة في الفصل الخاص بأقسام العرب^(٣)، فابن حمدون الذي لديه ما لديه من الأبيات الشعرية والمراجع، كان بإمكانه أن يأتي بأبياتٍ مختلفة، وفي مثال آخر، أورد ابن حمدون شعراً لدعلج في الباب الثالث والعشرين الموسوم "في الهجاء والمذمة" وقد ذكره مرتين في الباب نفسه^(٤).

ولكن ما سجّل في التذكرة حول الأحاديث النبوية مختلف عن الشعر والتاريخ، فقد سلط البحث الضوء

على بعض الملاحظات حول نقل ابن حمدون للأحاديث النبوية

١. في بعض الحالات، ورد في أكثر من مكان تداخل أكثر من موضوع معاً، حيث لم يورد ابن حمدون أي تمهيد يفصل بين موضوع الحديث الذي يذكره بالذي يليه ولا يوجد أي رابط بينهما، فعلى سبيل المثال ذكر ابن حمدون الحديث التالي: "قال S: لا يكمل عبد الإيمان حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، والصبر على بلاء الله، إنه من أحبّ الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان"^(٥)، والحديث الذي تلاه جاء عن خلق الذكر، "وقال S: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وأتّى لنا برياض الجنة في الدنيا؟ قال: خلق الذكر"، وجاء الحديث الذي بعده عن القناعة، قال ابن حمدون: "ومن كلامه S: من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤونة وفي لفظ: (ورزقه من حيث لا يحتسب) ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها،

(١) التذكرة، ج ٥، ص ١٢٧.

(٢) لم تذكر المصادر التي وقف عليها البحث أي معلومات حول هذا الشاعر سوى أنه من قبيلة عليّ التي كانت تقطن بالقرب من البصرة. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣) التذكرة، ج ٢، ص ٤٣٦ - ج ٣، ص ٧٣.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ١٤٣ - ص ١٦٨.

(٥) التذكرة، ج ١، ص ٣٧.

ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا وأقرب مما اتقى، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذاماً، ومن أرضى الناس بسخط الله وكلّهُ إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرّهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أحسن سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لأخرته كفاه الله أمر دنياه، فجميع هذه الأحاديث ذكرها ابن حمدون دون رابط واحد بينها في الموضوع، وهو الذي من المفترض أن يكون قد بنى كتابه على التصنيف والترتيب.

٢. كان ابن حمدون أحياناً يجمع بين حديثين يربط بينهما العطف، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "ومن كلامه S : المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيئات، والذي نفس محمد بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه" ^(١)، فهذه عدة أحاديث منفصلة جمعت معاً، فالحديث الأول، قال النبي S : المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ^(٢)، أما الحديث الثاني فهو، قال النبي S : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" ^(٣)، والحديث الثالث، قال النبي S : "والذي نفس محمد بيده لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه" ^(٤).

٣. في الفصل المعنون " من كلام الرسول S " خلط فيه بين كلام النبي S مع ما قاله بعض الصحابة عنه، على سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "قال عمر رحمه الله: ما اجتمع عند النبي S أدمان إلا أكل أحدهما وتصدّق بالآخر" ^(٥)، وكان ابن حمدون قد ذكر قبله حديثاً للنبي S وهو: "ومن كلامه عليه السلام: إنّ أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظّ من صلاة، أحسن من عبادة ربه وأطاعه في السرّ، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، عجّلت منيته وقلّ تراثه وقلّت بواكيه" ^(٦)، وأورد حديثاً بعد قول عمر d

(١) التذكرة، ج ١، ص ٤٣.

(٢) ابن ماجه (محمد بن يزيد ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م): سنن ابن ماجه، تح محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ١٢٩٨. (ر ح ٣٩٣٤)

(٣) النسائي (أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ/٩١٥م): السنن الكبرى، تح عبد الغفار البندري وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ٥، ص ٢١٤. (ر ح ٨٧٠١)

(٤) الطبراني: المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٢٢٧.

(٥) الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ١، ص ٢١٣. التذكرة، ج ١، ص ٥٠.

(٦) ابن ماجه: السنن، ج ٢، ص ١٣٧٨. (ر ح ١١١٧)

وهو: "قال رسول الله S : إياكم وخشوع النفاق، قالت عائشة: وما خشوع النفاق؟ قال: يخشع البدن ولا يخشع القلب".

لذلك كان من الأجدر أن يورد ابن حمدون قول الخليفة عمر d في الفصل المخصص لأقوال الصحابة، وقد تكررت هذه الحالة مراراً في هذا الفصل^(١).

٤. من الملاحظ أن الأحاديث النبوية التي أوردها ابن حمدون في تذكرته وردت متوناً بدون إسناد، حيث اكتفى ابن حمدون فقط بذكر "قال عليه الصلاة والسلام"، أو من كلامه S وغيرها، مما أوقعه في شباك الخلط بين أحاديثه S وأحاديث غيره .

٥. في بعض الأحيان، خلط ابن حمدون بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة والموضوعة^(٢)، ففي الفصل الذي خصه ابن حمدون لذكر أقوال النبي S أورد مجموعة من الأحاديث التي أجمعت العلماء أنها ضعيفة وعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "ومن كلامه S : طلب الجهاد حلال" فهذا الحديث أجمع العلماء على أنه ضعيف^(٣).

ولكن ابن حمدون بدوره سوغ هذا الأمر، فقال في بداية الفصل الثاني من الباب الأول: "قد اختلفت الرواة فيما جاء من مثل هذه الآداب والمواعظ اختلافاً شديداً، ونسبوا الكلمة منها إلى جماعة من القرابة والصحابة، وكثيراً ما نسبوا فقراً يتداولها الناس تارةً إلى رسول الله وتارةً إلى أهله وأصحابه رضوان الله عليهم، حتى أن الرضي أبا الحسن الموسوي رحمه الله كان مع شدة توقيه ومعرفته بكلام أبيه، في نهج البلاغة وهو الذي حققه من كلام علي عليه السلام واختاره ، كثيراً ما تحقق أصحاب الحديث أنه كلام النبي S ، وكذلك غيره فعل، نسب شطراً من كلامه إلى أولاده f ، ولعل أحدهم كان يذكر الكلمة رواية أو تمثلاً عن آبائه فيغفل الراوي الإسناد، وقد يقع التوارد في الكلمة كما يتفق الإيطاء^(٤) في الشعر"^(٥)، وربما كان السبب الأكبر في هذا الاضطراب هو الاهتمام بالقول نفسه وبمحتواه، أكثر من الاهتمام بمن قاله، أو كما يقول ابن حمدون: "إذ المقصود المذاكرة بمعانيه، لا

(١) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ١، ص ٥٢، ٥٦.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٣٧.

(٣) العجلوني (اسماعيل): كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ١١٠.

(٤) الإيطاء: يعني اتفاق قافيتين في قصيدة. السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) : مفتاح

العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١١٧.

(٥) التذكرة، ج ١، ص ٦٣.

نسبته إلى قائله"، وكما قال أبو حيان التوحيدي: "الحكمة نسبتها فيها، وأبوها نفسها، وحجتها معها، وإسنادها منتها، لا تفنقر إلى غيرها، ولا تستعين بشيء ويُسْتَعان بها" (١).

ولم يكتفِ ابن حمدون بذلك، بل نوّه حول اختلاف الناس في الحديث، فقال ابن حمدون: "وروي أن علياً عليه السلام سئل عن سبب اختلاف الناس في الحديث فقال: الناس أربعة: رجل منافق كذب على رسول الله متعمداً، فلو علم أنه منافق ما صدّق ولا أخذ عنه، ورجل سمع رسول الله S يقول قولاً أو رآه يفعل فعلاً ثم غاب ونسخ ذلك من قوله وفعله، فلو علم أنه نسخ ما حدّث ولا عمل به، ولو علم الناس أنه نسخ ما قبلوا منه ولا أخذوا عنه، ورجل سمع رسول الله S يقول قولاً فوهم فيه، فلو علم أنه وهم ما حدّث ولا عمل به، ورجل لم يكذب ولم يهمل وشهد ولم يغب، وإنما دلّ بهذا على نفسه" (٢).

لقد جاء ابن حمدون بهذه الأنواع ليبني لنفسه حصناً مانعاً من التناقض الذي يرد في الأحاديث التي يحتاجها في متن كلامه، وترك مسؤولية الاختلاف على أكتاف الرواة، وبذلك أراد أن يُبعد عنه أي ظنٍّ أو توهم بعدم معرفته بالحديث، والواضح أنه أجاد في ذلك متبعاً طريق الاعتدال والموضوعية في الكتابة.

ب. تعقيبات ابن حمدون وملاحظاته وشروحه

لم تكن شخصية ابن حمدون واضحة وجليّة في كتابه، ولم يطلق لنفسه العنان ليعبر عما في داخله من آراء وشروح، وظهرت شخصية ابن حمدون فقط في مقدمة كتابه حيث شرح الخطة العامة للكتاب وماهي الظروف التي ألف بها التذكرة، وفي مصادره الخاصة مما شاهده بنفسه، إضافة إلى بعض التعقيبات والشروح والملاحظات التي ذكرها تعليقاً على ما نقل ووثق، لذلك سيورد البحث بعض هذه التعقيبات والشروح على سبيل المثال لا الحصر.

من تعقيبات ابن حمدون على الأبيات الشعرية التي ذكرها، جاء ليوضح معنى البيت الذي يذكره أو ليؤكدده، ومن ذلك قول المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

(١) التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م): البصائر والذخائر، تح وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ج ٨، ص ٦٧.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٦٣.

يعقبُ ابن حمدون على هذا البيت بقوله: "لكنه لا يستغني عنها ولا يتم إلّا بها، لأن صاحب الرأي إذا عدمها ضلّ لُبّه، وانخلع قلبه، فلم يتمّ له كيدُهُ، وخانه دونه بطشه وأيده. والعرب تقول: الشجاعة وقايةٌ والجبنُ مقتلة، فانظر في من رأيت أو سمعت من قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً"^(١).

وكان ابن حمدون من خلال تعقيباته يصحح أو يشكك في بعض الروايات التي نقلها، ومنها ما أورده عند موت العباس بن المأمون وكيف جزع المعتصم على موته جزعاً شديداً وامتنع عن الطعام، ثم دخل عليه أعرابي فأنشده مُعزياً:

اصبر نكنْ لك تابعين وإنما صَبِرُ الجميع بحسن صبرِ الراسِ
خيرٌ من العباسِ أجركَ بعده والله خيرٌ منك للعباسِ

فلقّ ابن حمدون مُشككاً بالخبر بقوله: "كذا وجدت الخبر وأظنه سهواً، فإن العباس مات في حبس المعتصم، فكيف يجزع عليه هذا الجزع وهو كان المتهم بقتله!، وخبره حيث أراد الفتك بالمعتصم ومواطاة عُجيف^(٢) عليه مشهور،

وأظنه العباس بن الفضل بن الربيع^(٣) والمُعزى أبوه"^(٤).

وكثير من تعقيباته كانت شرحاً لمفردة رأى أن شرحها ضروريٌ لتوضيح المعنى، ومن ذلك شرح ما أورده من أبيات للأخطل بقوله:

ومهمه طامسٍ تُخشى غوائلُهُ قطعُهُ يَكُلُوهُ العينِ مسفَارِ
بحرّة كأتانٍ الضحل أضمرها بعد الرّيالة ترحالي وتسياري^(٥)

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٢) عجيف بن عنبة: تولى قيادة الجيش في عهد الخليفة العباسي المأمون، وبعد وفاته وتولي الخليفة المعتصم سدة الحكم، استاء من هذا الامر، لذلك عمل على تأليب العباس بن المأمون على المعتصم ووبخه لأنه بايع عمه، وعلى الرغم من أنهم كانوا برفقة المعتصم عندما غزا بلاد الروم وفتح عمورية، إلا أن عجيف كان يحيك مؤامرة بالتعاون مع بعض قادة الجيش، وما كان من الخليفة المعتصم بعد أن تمكن من فتح عمورية إلا أن ألقى القبض علي العباس وعجيف، فمات العباس محبوساً وتبعه عجيف بقليل، وكان ذلك سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م . الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٧١ . ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٠٩ . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٣٧٤.

(٣) من كبار الأمراء ولي حجة الأمين وكان شاعراً فصيحاً، وتوفي في حياة أبيه سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م . ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ت ٢٤٥هـ / ٨٦٠م): المحبر، تح ايلزة شتيتز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت، ص ٢٦٠ . ابن قتيبة(عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): المعارف، تح ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٣٨٤ . البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٤٠.

(٤) التذكرة، ج ٤، ص ٢٤٧.

(٥) الأخطل: ديوان الأخطل، ص ١١٣.

فعقّب شارحاً: "الضحل: الماء القليل، والربالة: السّمن" ^(١)، وفي مثال آخر، أورد ابن حمدون بيتين شعريين للنابغة، وعقّب شارحاً لمفردتين وردتا في الأبيات، والبيتان هما:

كانها ذو وشومٍ باتٍ مُنكرساً في ليلةٍ من جمادى أُخضَلت ديمًا
بات بحقفٍ من البقارٍ يَهْدُمُهُ إذا استكفّ قليلاً تُرِيهُ انهْدَمَا ^(٢)

فقال مُوضحاً: منكرس: منقبض، والبقار: أرض ذات رمال، والحقف من الرمل ما استدار ^(٣).

وله تعقيبات أيضاً عندما يجد اختلافاً في رواية الأشعار، وقد طرح ذلك في القسم الخاص باختلاف الرواية، فمثلاً عقّب ابن حمدون على شعر الأخطل:

وقد سرّني من قيس عيلان أنني رأيتُ بني العجلان سادوا بني بدر
فوضح ابن حمدون أن هذا البيت لم ينفع بني عجلان، كما لم يضر بني بدر، وعلّل لرأيه بأن البيت أخرجه الأخطل مخرج الشماتة "لأن صارت الذنابي قادة للرؤوس"، مع التنويه بأن قبيلة عجلان قد عُرفت بالغدر وقلة المرأة ونال منها كثيرٌ من الشعراء بقصائد هجوهم فيها ^(٤).

ولصاحب التذكرة تعقيبات مختصرة لكنها تضيف معنى مهم لما يذكره من أبيات، ومن ذلك الشرح الذي عقب به على الأبيات التي وجدها الفضل بن مروان ^(٥) في رقاع الناس وفيها أسماء مكررة في بيت شعر واحد، وقد وجهت لابن مروان الذي يبدو من الشعر أنه قد أوقع ظُلماً ما على كاتب هذه الرقعة، وليس من السهل معرفة هؤلاء الثلاثة ما لم يُعقّب عليها ابن حمدون وهي:

تَعَزَّزْتُ يا فضلُ بنَ مروانَ فاعتبرُ فقبلكَ ماتَ الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مَضَوْا لسبيلهم أبادتهم الأقيادُ والحبسُ والقتلُ

(١) التذكرة، ج ٥، ص ٢٥٩.

(٢) النابغة (زياد بن معاوية بن ضباب ت ١٨٠ هـ/٦٠٥ م): ديوان النابغة، تح محمد عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م، ص ٦٥.

(٣) التذكرة، ج ٥، ص ٢٧١.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ١٠٠.

(٥) الفضل بن مروان: هو الفضل بن مروان بن ماسرجس، أبو العباس، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، جيد الإثشاء، تولى الوزارة للخليفة المعتصم، أخذ البيعة له بعد وفاة أخيه المأمون، حيث كان المعتصم يحارب في عمورية، فاستوزره نحو ثلاث سنوات، واعتقله، ثم أطلقه، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة ٢٥٠ هـ/ ٨٦٤ م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٨، ص ٣٦٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٤٨.

وإنك قد أصبحت للناس ظالماً ستودي كما أودى الثلاثة من قبل
فيوضح ابن حمدون أنهم الفضل بن يحيى^(١) والفضل بن الربيع^(٢) والفضل بن سهل^(٣)، وكان
تعقيباً أجاب فيه على سؤال القارئ، من هم الفضل والفضل والفضل؟^(٤).

ويأتي بتعقيبات لبیت شعري آخر، يوضح الأشخاص الذين ذكروا في الشعر، مثل ذلك في
أبيات عبيد الله بن عبد الله^(٥) الذي قالها في حب امرأة من بني هذيل، والأبيات هي:

أحبك حباً لا يُحبك مثله	قريب ولا في العاشقين بعيد
أحبك حباً لو شعرت ببعضه	لجذت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الصبي مُدلهي	شهيد أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدي قاسم بن محمد	وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان علمه	وخارجة يبدي بنا ويعيد

(١) الفضل بن يحيى: بن خالد البرمكي، وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه
خراسان سنة ١٧٨هـ / ٧٩٢م فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م وكان الفضل
عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة، حيث مات في سجنه سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م.
مسكويه: تجارب الأمم، ج٣، ص ٥٢١. ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص ٢٠٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥،
ص ٣٨٦.

(٢) الفضل بن الربيع: بن يونس، أبو العباس: وزير وأديب، كان حاجباً للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، فلما آل
الأمر إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد واستوزر البرامكة، كان صاحب الفضل من كبار خصومهم، حتى ضربهم
الرشيد تلك الضربة، وكان للفضل اليد الطولى في ذلك، وبقي وزيراً إلى توفي الرشيد، وأبقاه الأمين على الوزارة، وظل
حتى ظفر المأمون بأخيه، فابتعد، وتوفي بطوس سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٤م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٤، ص ٣٠٣.
الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص ٢٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ١٠٩.

(٣) الفضل بن سهل: السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده (سنة
٨٠٥هـ / ٨٠٥م، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين
(الحرب والسياسة)، مولده ووفاته في سرخس (بخراسان) حيث توفي سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م. البغدادي: تاريخ بغداد،
ج١٤، ص ٣٣٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٤٨، ص ٣١٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص ٣٢.

(٤) التذكرة، ج٥، ص ٢٣٢.

(٥) عبيد الله بن عبد الله: بن عتبة بن مسعود الهذلي، ويكنى أبا عبد الله، كان أحد فقهاء المدينة السبعة ومن أكابرهم،
وهو مع ذلك شاعر فصيح، وروى عن كبار رجال الحديث، وكان ثقة بين الفقهاء، توفي في المدينة سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م
. ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ٢٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص ٣٩٤.

فيقول موضحاً: "أبو بكر: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب بن حزن، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وسابعهم عبيد الله قائل الأبيات، هم الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة الذين أخذ عنهم الرأي والسنن"^(١).

ومن تعقيباته أيضاً حين شرح أحد أبيات الشعر التي تحمل عادة من عادات العرب، وجاء ذلك في قول الحارث بن حلزة^(٢):

عنتاً باطلاً وظلماً كما نُعُ
تَرَّ عن حَجَرَةِ الرَّبِيضِ الظُّبَاءِ
فشرح تلك العادة قائلاً: "كان الرجل ينذر إذا بلغت إبلُهُ أو غَنَمُهُ مبلغاً ما ذبح عنها كذا، فإذا بلغت ضربها وعمد إلى الظباء يصطادها ويذبحها وفاءً بالنذر"^(٣).

ومن تعقيباته أيضاً إضافة معلومات لمعنى البيت الشعري، ومن ذلك تعقيبه على شعر العطار المغربي^(٤):

وكأسٍ تُرِينَا آيَةَ الصَّبْحِ والدُّجَى
فأولها شمسٌ وآخرها بَدْرُ
فقال: "والشمس عند الفلاسفة حمراء الجرم، صفراء الشعاع، والقمر أصفر الجرم أبيض النور"^(٥)، ثم يتابع الشرح مُدعماً ذلك بأبياتٍ شعرية أخرى.

وفي بعض الحالات كان ابن حمدون عند نقله لرواية فيها أبياتاً شعرية، يعتمد إلى توضيح هذه الأبيات وذكر قائلها، فعلى سبيل المثال أورد قائلاً: "اعترض الرشيد قينة ليشتريها فغنت:

ما نَقَمُوا من بني أُمَيَّةٍ إلـ
لا أَنَّهُم يَجْهَلُونَ إن غضبوا

(١) التذكرة، ج ٦، ص ١٤٥.

(٢) الحارث بن حلزة: بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، من شعراء ما قبل الإسلام، كان يسكن بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات. كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك، بالحيرة، ومعلطها: (أذنتنا ببينها أسماء) جمع بها كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم، وتوفي نحو سنة ٥٧٠م. المرزباني (محمد بن عمران ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): معجم الشعراء، تح ف. فرانكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٢٠٣. ابن سعيد المغربي (علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الاردن، د.ت، ص ٦٣٥.

(٣) التذكرة، ج ٧، ص ١٠٧.

(٤) اسمه عبد الله بن محمد العطار، كان من الشعراء المغاربة المشهورين، ولكن المصادر التاريخية والأدبية التي وقف عليها البحث لم تذكر معلومات وافية عنه. ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م): خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٤٦٣.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٣٦٣.

ثم تنبّهت فقالت:

وإنهم معدنُ النفاقِ فما تفسدُ إلا عليهم العرب

فقال: تبتاع، يا أمير المؤمنين، وتسني لها الجائزة، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها، قال: ذلك جزاؤها، وقال لها: أنت مني بحيث تحبين، فأغمي على الجارية".

ثم يعقب ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: "والشعر الذي غنّت لعبيد الله بن قيس الرقيات وهو:

ما نقموا من بني أمية إلـ لا أنهم يحلمون إن غضبوا

وأأنهم معدنُ الملوك فما تصلحُ إلا عليهم العرب"^(١)

أما تعليقات ابن حمدون على الروايات التاريخية التي ذكرها، فقد جاءت كتعقيب قصير، أو شرح صغير على خبر ذكره، وفي بعض الأخبار كان يشكك بصحته، فعلى سبيل المثال أورد ابن حمدون خبر نزول النبي S في خيمة أم مَعْبَدَ فقال: "عن هند بنت الجون: نزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خيمة خالتها أم معبد، فقام من رَفْدَتِهِ، فدعا بماء فغسل يده، ثم تَمَضَّمَصَ ومَجَّ في عَوْسَجَةٍ إلى جانب الخيمة، فأصبحت وهي كأعظم [...] بثمر كأعظم ما يكون في لونِ الوُرْسِ ورائحةِ العنبرِ وطعمِ الشَّهْدِ، ما أكل منها جائعٌ إلا شبع، ولا ظمآنٌ إلا رَوِيَ، ولا سقيمٌ إلا برئ، ولا أكل من وَرَقِهَا بغيرِ ولا شاةٍ إلا درَّ لبثُها، فكنا نسميها المباركة، وينتابنا من البوادي من يستسقي بها، ويتزوّد منها، حتى أصبحنا ذات يومٍ وقد تساقطَ ثمرها، وصغر ورقها، ففرعنا، فما راعنا إلا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنَّها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوكٍ من أولها إلى آخرها، وتساقطَ ثمرها، وذهبت نُضْرُثُها، فما شعرنا إلا [.....] علي رضي الله عنه، فما أثمرت بعد ذلك؛ وكنا ننتفع بورقها، ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دمٌ عبيطٌ، وقد ذبل ورقها؛ فبينما نحن فرعين مهمومين إذ أتانا خبرُ مقتلِ الحسين، وببست الشجرة على إثر ذلك وذهبت".

ويختتم ابن حمدون هذه الرواية بقوله: "وهذا خبر غريب، ولم يشتهر خبر الشجرة كما شهر أمر الشاة في خبر أم معبد، وقد تقدّم في أول هذا الباب، وهو من أعلام السير"^(٢).

ومن ذلك تعقيقه على قصة أورها عن الإمام علي d حين وجد الإمام علي درعاً له مع يهودي، واحتكما لشريح القاضي، الذي بدوره لم يجز شهادة الحسن بن علي، وحكم لليهودي بالدرع، وكان ذلك سبباً في دخول اليهودي الإسلام، فأجزاه الإمام علي بالدرع ويتسعمانة دينار، فعلق ابن

(١) التذكرة، ج ٧، ص ٢٠٣.

(٢) التذكرة، ج ٩، ص ١٥٩.

حمدون في نهاية الرواية بقوله: "وهذا الخبر يجمع معناه سياسة الدين والدنيا"^(١)، وعلى ما يبدو أن هذه الرواية تحمل بين طياتها بعضاً من المبالغة، إلا أن هذه الرواية إن صحّت فيمكن استنتاج منها عدة أمور، فعلى الرغم من المكانة التي حظي بها الإمام علي - وهو ابن عم سول الله S - ومع ذلك تساوى مع العامة، إضافة إلى أن القاضي شريح رفض شهادة ابنه الحسن على الرغم من اعتراض الإمام علي وتذكيره للقاضي بأنه سيد شباب أهل الجنة، ولكن القاضي فرق بين ذلك وبين الشرع حيث لا تجوز شهادة الابن لأبيه، أما تمسك الإمام علي بحقه والحرص على إرجاعه فهو أمر من أمور الدنيا، ثم بعد أن ثبت حقه، تنازل عنه برضاه، وهذا جمع بين سياسة الدين والدنيا.

كان ابن حمدون في بعض الأخبار التي ينقلها يأخذ من مؤلفي كتب التواريخ والتراجم، حيث كانوا ينهون روايتهم بقولهم : والله أعلم، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "وقد روي أن المأمون قال لأحمد حيث أشار بطاهر إنه خالع، فقال أحمد: فأنا أضمنه، وأنّ أحمد أهدى إلى طاهر خادماً كان ربّاه، وقرّر معه أن يسمّيه إن تغيّر عن الطاعة، وأنّ الخادم سمّاه في كامخ حيث فعل طاهر ما فعل، والله أعلم"^(٢).

وعمد ابن حمدون على شرح بعض المفردات المبهمة إذا وردت في خبر من الأخبار التي كان ينقلها، ومثل ذلك قول ابن حمدون: "قال معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس، فقال: خلق الناس أخفافاً: فطائفة للعبادة، وطائفة للتجارة، وطائفة خطباء، وطائفة للبأس والنّجدة، ورجرجة فيما بين ذلك يُكدّرون الماء ويُغْلون السّعرَ ويضيّقون الطريق".

فذيّل ابن حمدون روايته بشرح حيث قال : "الرّجرجة: شرارُ الناسِ ورذالُهم. وأصلُ الرّجرجة: الماء الذي قد خالطه كدّرٌ، وجَمْعُهُ رَجَارَجٌ"^(٣).

إن كل ما ورد لا يعدو كونه بعض التعقيبات ذُكرت على سبيل المثال لا الحصر، ولكن ملاحظات ابن حمدون لم تظهر على كامل هذا الكتاب الضخم، فعلى الرغم من أنه جمع هذا الكم الهائل من النتاج الأدبي والتاريخي وصنّفه ورتبه، إلا أن تعقيباته وإبراز شخصيته جاءت قليلة قياساً لحجم هذا الكتاب، كما أنه لم يسجل رأيه صراحة في الكثير من الروايات التي ذكرها، ولم يضع بصمته الخاصة بها، وكان بإمكانه فعل ذلك، لكنه لم يفعل بل اكتفى بهذا القدر.

(١) التذكرة، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) التذكرة، ج ٩، ص ١٧٧.

(٣) التذكرة، ج ٩، ص ٢٤٣.

ج. منهج ابن حمدون في نقله عن المصادر

كما سبق وذكر، فقد قسم ابن حمدون تذكرته إلى أبواب، وكل باب خصه بموضوع معين، وعليه فقد كان ابن حمدون يستقي مادته، سواء كانت قرآناً أم حديثاً أم شعراً أم نثراً من حكم ومواظ وخطب ووصايا وأمثال وروايات تاريخية، من مصادر كثيرة، فقد كانت روايات ابن حمدون في التذكرة على أربعة أنواع:

(١) كان ابن حمدون يبدأ روايته بكلمة "قال" دون نسبها لأحد، فمثلاً "قال بعض الأدباء"، وعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال بعض أهل الأدب: عشر فيهنّ الكمال: كرم الحسب، وشدة العقل، وصحة الدين، والسخاء، والمال، والحياء، والرفق، والتواضع، والشجاعة، وحفظ القرآن"^(١)، فهذه الحكمة الرائعة التي أوردها ابن حمدون، ونقلها عن أديب بليغ وحكيم، ولكن من هو هذا الأديب؟ هذا ما لم يذكره ابن حمدون، وقد نقل الكثير من الحكم والمواظ، ولكن جُهل قائلها، فعلى سبيل المثال، قال: "قيل: أكرم الوفاء ما كان عند الشدة، وألأم الغدر ما كان عند الثقة"^(٢)، ولكن مع إيراد هذا القول بقي المصدر مجهولاً، وفي الوعظ على سبيل المثال، ذكر: "قال بعضهم لابنه: كن جواداً بالمال في موضع الحقّ، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البرّ، والبخل بمكتوم السرّ"^(٣)، ويتضح من هذه الرواية أن أبا يُعلم ابنه، ولكن من هو هذا الأب والابن؟ فهذا غير معلوم، ولم يذكره ابن حمدون، ومثل ذلك قوله: "وقال أعرابي لابنه: يا ابن الأمانة! فقال: لهي والله أعذر منك حيث لم ترض إلا حرّاً"^(٤)، وفي مثال آخر أورد قائلًا: "قال رجل لآخر: مرحبا بأبي المنذر، فقال: ليست هذه كُنيتي، فقال: نعم، ولكنها كُنيتُ مسيلمة، يُعرّضُ بأنّه كذاب"^(٥).

وفي بعض الحالات يبدأ روايته بـ "يحكون" ثم يتابع بسرد الرواية، وعلى سبيل المثال قال ابن حمدون: "ويحكون في ضده أن قوماً خرجوا للصيد فطردوا ضبعاً حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي، فأجارها وجعل يطعمها، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ومرت، وجاء ابن عم له يطلبه، فإذا هو بغير، فتبعها حتى قتلها وقال:

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِ الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بَيْتَهُ أَحَالِيْبَ أَلْبَانٍ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) التذكرة، ج ٣، ص ٢٢.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٤) التذكرة، ج ٧، ص ١٩٨.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٣٠٤.

وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنْتُ فَرَّتُهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْتُ لِدَوِيِّ الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يَجُودُ بِمَعْرُوفٍ عَلَى غَيْرِ شَاكِرٍ^(١)

(٢) كان ابن حمدون يبدأ روايته مباشرة، دون ذكره لأي إسناد، حيث يورد الرواية كما نقلها من مصدرها، وهو الأسلوب الغالب في التذكرة، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال الحجاج لكاتبه: لا تجعلن مالي عند من لا أستطيع أخذه منه، قال: ومن لا يستطيع الأمير أن يأخذ منه ماله؟ قال: المفلس"^(٢)، وهكذا كان ابن حمدون يبدأ روايته بشكل مباشر، مع الإشارة إلى أن نقله عن هذه المصادر كان بطريقتين.

الأولى: نقلٌ بشكل حرفي من المصدر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "قال المساور بن هند لرجل: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا المساور بن هند، قال: لا أعرفك، قال: فتعساً ونكساً لمن لا يعرف القمر"^(٣)، فهذه الرواية نقلها ابن حمدون بشكل حرفي من كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي^(٤).

الطريقة الثانية: كان ينقل الرواية بتصرف ويضيف أسلوبه الأدبي الخاص، فمثلاً، نقل من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني^(٥) رواية حول "منافرة"^(٦) عامر وعلقمة وهي رواية طويلة جاءت بحوالي أربع صفحات، لذلك ما كان من ابن حمدون إلا أن يوضح بأنه اختصرها قائلاً: "من أخبار العرب المشهورة المنافسة بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب. وقد أكثر الرواة فيها وأطالت، فأتيت منها بأخصر ما يكون ويمكن، وحذفت الفضول"^(٧).

والسؤال المطروح هنا، لماذا كان ابن حمدون ينقل أغلب روايات التذكرة بشكل حرفي، وبعض الروايات بتصرف؟

لقد صرَّح ابن حمدون في مقدمة تذكرته، بأنه عمل على جمع أجود المختارات التي وقعت بين يديه من المصادر الأدبية والتاريخية، وذكر -أيضاً- بأن تصنيفه للتذكرة كان سريعاً، حتى أنه لم

(١) التذكرة، ج ٣، ص ٤٢.

(٢) التذكرة، ج ٨، ص ١٠٧.

(٣) التذكرة، ج ٣، ص ٩٤.

(٤) التوحيدي: البصائر والذخائر، ج ٧، ص ١٦٤.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م): الأغاني، تح سميع جابر، دار الفكر، بيروت

ط ٢، د. ت. ج ١٦، ص ٣٠٤.

(٦) المنافسة: أن يفخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه، ثم يحكما بينهما رجلاً آخر. الأزهرى: تهذيب اللغة،

ج ١٥١، ص ١٥١.

(٧) التذكرة، ج ٧، ص ٤٠٣.

يملك الوقت الكافي لمراجعتها، وبذلك نقل معظم مادته بشكل حرفي، ويبدو أن ابن حمدون تعمّد ألا يغير في النص الذي ينقله، من أجل عدم ظهور أي اختلاف بين ما ينقله وبين ما هو مدون في المصدر الأصلي، ومن جانب آخر، فإن طبيعة التذكرة الحمدونية من حيث تصنيفها وتبويبها، قد فرض على ابن حمدون أن تكون معظم رواياته قصيرة – إذا ما استثنيت بعض الأبواب التي تناولت أخبار العرب والخطب والوصايا – وهذا منهج أدب المحاضرات، لذلك كان ابن حمدون ينقل حرفياً من مصادره.

أما الروايات التي كان ابن حمدون ينقلها بتصرف، فجّلها كانت روايات طويلة، لذلك عمد إلى اختصارها خوفاً من أي ملل يمكن أن يصيب القارئ والمطلع على تذكرته، إضافة إلى ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المصدر الذي ينقل منه من حيث قرينه الزمني من الحدث الذي يسجله، ومن الأسباب التي جعلت ابن حمدون يسجل رواياته بتصرف، هو اعتماده على أكثر من مصدر لنقل الرواية نفسها، وبذلك كان يقوم بعملية جمع ودمج وتوليف بين المصادر حتى تخرج الرواية بحلة جديدة وبأسلوبه الأدبي الخاص.

(٣) في بعض الأحيان، كان ابن حمدون يذكر مصادره التي أخذ منها، لكن كان ذلك قليلاً بالنسبة لحجم التذكرة، فعلى سبيل المثال كان ابن حمدون يصرح باسم المؤلف الذي أخذ عنه كقوله: "قال أبو حامد الغزالي: العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معانٍ كما يطلق اسم العين مثلاً على معانٍ عدة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حدّ واحد، بل يفرّد كلّ قسم بالكشف عنه" (١)، أو "قال ابن المقفع فيما يتأدّب به السلطان: إنك إن تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك، وكيف يتفق لك رضى المتخالفين، أم ما حاجتك إلى رضى من رضاه الجور، وإلى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة؟ فعليك بالتماس رضى الأخيار وذوي العقول، فإنك متى تُصِيب ذلك تضع عنك مؤنة ما سواه، احرص أن تكون خبيراً بأمر عمالك، فإن المسيء يفرّق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك، وإن المحسن ليستبشر لعلمك فيه قبل أن يأتيه معروفك. ليعرف الناس من أخلاقك أنك لا تُعاجل بالثواب ولا بالعقاب، فإن ذلك أدوم لخوف الخائف ولرجاء الراجي" (٢)، أو "قال سهل بن هارون: ليس يواظب على باب السلطان أحدٌ فيلقي عنه الأنف، ويحتمل الأذى، ويكظم الغيظ، ويرفق بالناس، إلّا خلّص إلى حاجته" (٣)، وفي بعض الأحيان كان يصرح باسم المورد

(١) التذكرة، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) التذكرة، ج ١، ص ٣٥٤.

الذي أخذ منه، مثلاً " قال صاحب كليله ودمنة: الأدب يُذهِبُ عن العاقلِ السكرَ ويزيدُ الجاهلَ سكرًا، كالنهار يزيّدُ البصيرَ بصرًا ويزيدُ الخفّاشَ سوءَ بَصَرٍ " (١).
وقد بلغ عدد الموارد التي صرح بها ابن حمدون في تذكرته ستة عشر مصدرًا وهم : ابن المقفع، سهل بن هارون، الجاحظ، ابن قتيبة الدينوري، المبرد، أبو الفرج الأصفهاني، التنوخي، الصابي، ابن حبيب النيسابوري، ابن رشيّق القيرواني، بديع الزمان الهمذاني، الحريري، المفضل الضبي، الشريف الرضي، أبو حامد الغزالي، بينما ذكر في الحديث الصحيحين فقط.

والسؤال هنا، كيف يمكن معرفة الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون عند تأليفه للتذكرة في ظل العدد القليل المصرح به؟

تجدر الإشارة إلى أن تصريح ابن حمدون باسم صاحب المورد الذي أخذ عنه لا يعني بأنه كان يذكره في كل الروايات التي استقاها منه، فعلى سبيل المثال، صرح ابن حمدون باسم ابن قتيبة الدينوري مرة واحدة فقط كمورد اعتمد عليه، ولكن عند رصد عدد الروايات التي أخذها ابن حمدون من كتابه عيون الأخبار، يتبين أن عددها بلغ مائتين وسبعة وتسعين (٢٩٧) رواية، وهذا ما ينطبق أيضاً على أبو الفرج الأصفهاني الذي ذكره في التذكرة مرة واحدة، غير أنه اعتمد على كتابه الأغاني في ستمائة وستين (٦٦٦) رواية، وهذا ينسحب على كامل التذكرة، وما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر.

وعلى الرغم من ذلك، فكثير من الروايات التي نقلها ابن حمدون بشكل حرفي كانت تدل على المورد، فمثلاً، ذكر في الباب الثالث والأربعين الموسوم " في الكناية والتعريض " ألقاباً وكُنَى لأشخاص، وبالعودة إلى كتاب ربيع الأبرار للزمخشري يُلاحظ أن ابن حمدون نقل حرفياً ما مقداره ست صفحات بشكل متتالي دون أن يغير أي شيء في المضمون (٢)، ونقل أيضاً في الباب نفسه ما مقداره ثلاث صفحات بشكل متتالي من كتاب الملاحن لمؤلفه ابن دريد (٣)، وفي الباب السادس عشر الموسوم " في الفخر والمفاخرة " أورد ابن حمدون أربع روايات متتالية من كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني وردت في المورد المذكور في صفحة واحدة (٤)، وفي مثال آخر، اقتبس في الفصل التاسع عشر من الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب " عشرين (٢٠) رواية من كتاب الأغاني بشكل

(١) التذكرة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٢) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٣٦٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٥.

(٣) ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م): الملاحن، تح عبد الإله نبهان، منشورات وزارة الثقافة،

سورية، ١٩٩٢م، ص ١٠٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٤) الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضل ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٣٦. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ٤٥١.

متتالي وبمقدار عشرة صفحات كاملة^(١)، أما في الباب السابع والعشرين الموسوم "في الأوصاف والنوع" فحدث ولا حرج، فقد اعتمد ابن حمدون على كتاب التشبيهات لابن أبي عون وأخذ عنه صفحات كاملة أيضاً^(٢)، وفي الباب الثاني والثلاثين الموسوم "في شوارد الأمثال" استقى من كتاب الأمثال لابن سلام معظم صفحات هذا الباب، وسيوضح البحث خلال دراسة الموارد مقدار ما أخذ ابن حمدون من كل مورد من موارد التذكرة.

٤) بعض الروايات التي ذكرها ابن حمدون في التذكرة، كانت عن طريق مشاهدة شخصية، أو عن طريق سماعه لتلك الروايات ممن عاصره من قادة الدولة والفقهاء، حيث كان ابن حمدون يبدأ رواياته بقوله: "أخبرني الشيخ " أو "وكان في عصرنا كذا ... " أو "أما أنا فما رأيت... "، وبلغ عدد الروايات التي سجلها ابن حمدون كمشاهدة شخصية أربعين رواية، وقد أفرد لهم البحث فصلاً خاصاً.

بينما تجلت مشاهدات ابن حمدون الشخصية فيما نقل من بعض المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، فتارةً يصف ابن حمدون شخصاً كان مضرب مثلاً بالجود والكرم، وتارةً أخرى أورد أشعار هجاء لشعراء عاصره، ومن الواضح أن ابن حمدون قد استفاد كثيراً من تولي أخيه الكتابة في ديوان الخلافة العباسية، حيث نقل بعض الرسائل المهمة، منها، الرسالة التي نقلها عن أخيه وهي عهد بتنصيب بطرك للمسيحيين في بغداد، إضافة إلى تسجيله لأحداث وقعت داخل الخلافة العباسية، كالحريق الذي نشب في دار الخلافة، فقد نقل ابن حمدون رسالة أنشأها أخوه يهنئ الخليفة بالسلامة من هذا الحريق، وأيضاً رسالة أخرى صادرة عن ديوان الخلافة تهني مسعود بن قلع أرسلان بنجاحه بالتصدي للصليبيين، وفي رواية أخرى نقلها ابن حمدون تحدث فيها عن نشاط حركة العيارين والشطار في بغداد، وكأن ابن حمدون بهذه المشاهدات أراد أن يعبر عن حالة من الفلتان الأمني التي كانت سائدة آنذاك.

وبعد الاطلاع على منهج ابن حمدون في تذكرته، يُطرح السؤال التالي، هل تُعدُّ التذكرة الحمدونية موسوعةً تاريخيةً على الرغم من صبغتها الأدبية؟

يعتقد المطلع على التذكرة الحمدونية للوهلة الأولى بأنها كتابٌ أدبيٌّ بحت، بسبب ما حوته من مادة أدبية ضمت مختلف فروع اللغة العربية، فضلاً عن غزارة المادة الشعرية التي دونت فيها، إضافة إلى أن جلَّ الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون كانت موارد أدبية، لكن من جانب آخر، فقد شكلت

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني: ج ٨، ص ٣٣٧ وما بعدها. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ١٤٤.

(٢) ابن أبي عون (إبراهيم بن محمد ت ٩٣٣/هـ ٣٢٢م): التشبيهات، غني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كامبردج، بريطانيا، د.ت، ص ٧٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٣١٢.

التذكرة الحمدونية أحد المصادر التاريخية المهمة، حيث ضمت خطباً ووصايا وأخبار العرب وخاصة في حقبة ما قبل الإسلام، كما شكّل الباب الحادي والثلاثين مادة تاريخية عظيمة القيمة لما تضمنته من رسائل تلقي الضوء على الوضع الذي كان سائداً في مختلف العصور التي كُتبت فيها، أما في الباب الثلاثين الموسوم "في الخطب" فحدث ولا حرج، حيث حفظ هذا الباب روايات تاريخية قيّمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نقل ابن حمدون خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي عند موت عبد الله بن الزبير، قائلاً: "ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجّت مكة بالبكاء، فأمر الحجاج بجمع الناس إلى المسجد، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل مكة، بلغني إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها أهلها، فخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله. ولو كان شيء مانعاً للقضاء لمنع آدم حرمة الجنة، لأنّ الله تعالى خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنّته، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطئه، وأدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة، فاذكروا الله تعالى يذكركم"^(١).

فهذه الخطبة أوردها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية^(٢)، وهنا لا يمكن القول بأنها رواية ذات طابع أدبي لأنها وردت في التذكرة الحمدونية، ورواية تاريخية لأنها وردت عند ابن كثير، وبذلك فإن جميع مواد التذكرة الحمدونية من قصص وأشعار ووصايا وخطب شكلت مورداً مهماً للتاريخ العربي الإسلامي، حيث يمكن القول بأن التذكرة الحمدونية يمكن اعتبارها موسوعة تاريخية شاملة وإن كانت بحلّة أدبية.

وفي ختام الحديث عن منهج ابن حمدون في التذكرة يمكن اعتباره حيادياً، فلا تنم كتابته فيها عن ميل صاحبها، فليس فيها من ذاته إلا الاختيار الذي هو بدوره محكوم بالموضوع الذي يدونه، إضافة إلى ظهور بعض الميل الشيعي، وبعض الأدعية في فواتح الأبواب، والتي كانت من إنشائه، فضلاً عن بعض المشاهدات التي سبق الإشارة إليها، والتي لم يعرض ابن حمدون من خلالها لقضايا عصره إلا فيما ندر، وكان يمكن لابن حمدون من خلال تصنيفه لهذه التحفة الأدبية التاريخية النفيسة أن يلقي الضوء أكثر على الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التي عاصرها، لكنه لم يفعل، واقتصر حديثه على بعض المشاهدات هنا أو هناك، وربما كان له في ذلك عذر.

(١) التذكرة، ج ٦، ص ٢٧٤.

(٢) البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٢٠.

ثالثاً: أهمية التذكرة الحمدونية

شكل كتاب التذكرة الحمدونية إضافة قيّمة للمكتبة العربية الإسلامية، لما تتضمنه من صنوف علوم الأدب والتاريخ، فكان للتذكرة الفضل الكبير في كتب الأدب اللاحقة، حيث كانت من أهم المصادر التي قامت عليها هذه الكتب والموسوعات، إضافة إلى ذلك فالتذكرة دينٌ كبيرٌ على الأدب، بما حفظته من أشعار مفقودة، ولم تدوّن في دواوين أصحابها.

أ. أهمية التذكرة في الكتب والموسوعات اللاحقة

كان لابد لكتاب مثل التذكرة الحمدونية أن يتأثر بما سبقه من الكتب وأن يؤثر بما لحقه من كتب وموسوعات، ويأتي في مقدمة هذه الكتب التي استفادت من كتاب التذكرة، وصرح مؤلفوها بأنهم أخذوا عنه، كتاب "تذكرة الخواص" أو "تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة" لمؤلفه سبط ابن الجوزي ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وقد خص المؤلف كتابه في الترجمة لآل البيت عليهم السلام، وقسمه لاثني عشر باباً، وقد صرح سبط ابن الجوزي بأنه استفاد من كتاب التذكرة في رواية واحدة، فيذكر في كتابه: "وذكر ابن حمدون في كتاب (التذكرة) عن الزهري قال: حمل عبد الملك بن مروان علي بن الحسين مُقيداً فاتقله حديداً، ووكل به حفظة، قال: فاستأذنتهم في وداعه فأذنوا، فدخلت عليه والقيود في رجليه والغل في يديه وهو في قبة، فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وانت سالم فقال: يا زهري أتظن أن ما ترى علي وفي عنقي يكريني، أما لو شئت لما كان وأنه ليذكرني عذاب الله، ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال: لا جزت معهم على ذا ميلين من المدينة قال: فما مضت إلا أربع ليال وإذا قد قدم الموكلون الذين كانوا معه إلى المدينة يطلبونه فما وجدوه، فسألت بعضهم فقالوا: إنا نراه متبوعاً أنه لنازل ونحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده ووجدنا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته فقال: قد جاءني يوم فقده الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت فقلت: اقم عندي، قال: لا أحب، ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة" ^(١)، وقد أورد ابن حمدون هذه الرواية في الفصل الثاني من الباب الأول الموسوم "في المواعظ والآداب الدينية" ^(٢) ونقل السبط هذه الرواية من ابن حمدون ولكن بتصرف، حيث اختصر بعضاً منها، لكن دون تغيير في المضمون.

(١) سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م): تذكرة الخواص، تح محمد العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، بغداد، د.ت، ص ٣٤١.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ١٠٩.

وبعدُ كتاب "غرر الخصائص الواضحة" لمؤلفه محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط ت ٧١٨هـ/١٣١٨م من الكتب التي شكّل كتاب التذكرة أحد أعمدتها الرئيسية، فهذا الكتاب من مشاهير كتب الأدب، بنى الوطواط كتابه على ستة عشر باباً، وهي على الترتيب (الكرم واللؤم) و(العقل والحمق) و(الفصاحة والعي) و(الذكاء والتغفل) و(السخاء والبخل) و(الشجاعة والجبن) و(العفو والانتقام) و(الأخوة والعزلة)، وقد صرح الوطواط باعتماده على كتاب التذكرة من خلال روايتين وهما: الأولى: رواية حول أبي جعفر المنصور فيقول: "وقد حكى ابن حمدون في تذكرته أن المنصور حج في بعض السنين فحدا به سالم الحادي في طريقه يوماً بقول الشاعر:

أبلج بين حاجبيه نورُهُ إذا تغذى رفعتُ ستورُهُ

يزينه حياؤُهُ وخيرُهُ ومسكه يشوبُهُ كافورُهُ

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ثم قال: يا ربيع أعطه عشرة دراهم وفي رواية نصف درهم فقال سالم لا عيرنا أمير المؤمنين، والله لقد حدود لهشام ابن عبد الملك فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال المنصور ما كان له أن يعطيك من بيت مال المسلمين ما ذكرت يا ربيع وكل به من يستخرج منه هذا المال قال الربيع فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في خروجه وقفوله بغير مؤنة^(١)، وقد ذكر ابن حمدون هذه الرواية في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجد"^(٢)، مع اختلاف واضح في الروايتين، وخاصة في ترتيب أشطر البيتين الشعريين.

أما الرواية الثانية: فكانت حول عبد الله بن الزبير قال الوطواط: "ومن الحقد المستبشع والتشفي المستشنع ما ذكره ابن حمدون في تذكرته عن عبد الله بن الزبير حين ظفر بأخيه عمرو وكان يشابع بني أمية وهم دور قوم بالمدينة في هواهم، فلما ولي أخوه عبد الله الخلافة أخذه وأقامه للناس ليقنصوا منه فبالغ كل ذي حقد عليه في الاقتصاص، وكان عبد الله لا يسأل أحداً ادعى عليه شيئاً بينة ولا حجة، وكان أرياب الحقوق يدخلون عليه السجن يضربونه والقبح ينضح من ظهره على الأرض والحائط، فلما لم يبق أحد من ذوي الحقوق، أمر أن يرسل عليه الجعلان فكانت تدب عليه فتتقب لحمه وهو معقول لا يستطيع حركة حتى مات، فدخل الموكل به على عبد الله وفي يده عس لين يريد أن يسخر به وهو يبكي، قال له أمات؟ قال نعم، قال أبعد، ثم تناول العس فشرب ما فيه وقال لا تغسلوه ولا تكفونوه وادفنوه في مقابر المشركين فدفن بها"^(٣)، وأورد ابن حمدون هذه الرواية في الباب الرابع

(١) الوطواط (محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي ت ٧١٨هـ/١٣١٨م): غرر الخصائص الواضحة، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٣٧٧.

(٢) التذكرة، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٣) غرر الخصائص الواضحة، ص ٥٠٨.

الموسوم" في محاسن الأخلاق ومساوئها^(١)، ومع الإشارة إلى أن الوطواط قد نقل هذه الرواية بتصرف.

ومن الكتب التي أخذت من التذكرة كتاب "مجمع الآداب في معجم الألقاب" لابن الفوطي ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، جمع ابن الفوطي في هذا الكتاب بين معلوماته ومشاهداته الشخصية، وبين ما استقاه من كتب التاريخ والحديث والرجال، حيث ترجم لعدد كبير من رجال القرون السادس والسابع والثامن الهجرية/ الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادية، وقد اعتمد ابن الفوطي على ابن حمدون، وأخذ عنه بعض الترجمات لأشخاص، فعلى سبيل المثال، أورد ابن الفوطي ترجمة مجاهد الدين قايمار بن عبد الله قائلاً: "ذكره صاحب بهاء الدين محمد بن حمدون في تذكرته وقال: كان مجاهد الدين قايمار كلفاً بحبّ الحسنات وعاكفاً على فعل الخيرات فمما شاهدته من ذلك أنّه كان موثقاً لكلّ وافد إليه من بلادنا العراقية ملجأ لكلّ خائف يصل إليه منها"^(٢)، وذكر ابن حمدون هذه الرواية في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجود"^(٣).

ولا تخفى أهمية التذكرة الحمدونية بالنسبة للموسوعات الأدبية أيضاً، ويأتي في مقدمة هذه الموسوعات كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م، وهو كتاب ضخمة، عدّ من الموسوعات الأدبية الكبرى، جمع فيه النويري بين التاريخ والأدب، وقد قسمه مؤلفه إلى خمسة فنون: وهي أولاً: السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية، ثانياً: في الإنسان وما يتعلق به، ثالثاً: في حياة الحيوان، رابعاً: النبات: ويشتمل على قسم خاص في التداوي بها، خامساً: التاريخ، وقد صرح النويري بأنه اعتمد على كتب التذكرة في أكثر من موضع، فعلى سبيل المثال، قال النويري: "وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة .."^(٤) ثم يذكر الرواية نفسها التي ذكرها الوطواط حول أبو جعفر المنصور، وفي رواية أخرى، قال النويري في حديثه عن ملوك اليمن: "ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرته، ابنه إفريقش....."، لكن على ما يبدو بأن هذه الرواية التي تورد في كتاب التذكرة، وقد وردت في الباب المخصص للتاريخ الذي سقط من النسخة المطبوعة^(٥).

ومن الكتب التي اعتمدت على كتاب التذكرة، كتاب "ثمرات الأوراق في المحاضرات" لمؤلفه ابن حجة الحموي ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م وهو أحد مجاميع المختارات الأدبية الرفيعة، ومن خلال هذا

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢) مجمع الآداب، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٣) التذكرة، ج ٢، ص ٣٦١.

(٤) النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق

القومية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٥) نهاية الأرب، ج ١٥، ص ٢٩٣.

الكتاب، ينتقل ابن حجة من روايات عن الحكماء والأدباء، إلى طرفٍ عن اللغويين النحاة، إلى أقوال عن المحدثين والفقهاء، إلى نوادر عن الظرفاء والعشاق، منتقلاً بين مجالس الملوك، ومحافل الشيوخ، وخبايا التواريخ، وذخائر التصانيف، وقد اعتمد ابن حجة على كتاب التذكرة وقد صرّح بذلك، فعلى سبيل المثال، يقول ابن حجة: "وحكى ابن حمدون في تذكرته أن الحسن ابن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذي يزن وهو " (١)، ثم يتابع سرد الأبيات الشعرية، لكن هذه الرواية فقدت من كتاب التذكرة، ويبدو أنها قد وردت في البابين الأخيرين للذان سقطا من النسخة المطبوعة.

ب. أهمية التذكرة في حفظ الروايات والأشعار المفقودة

لقد حفل كتاب " التذكرة الحمدونية" بالكثير من أخبار الأدب والتاريخ، وشكل تحفة فنية رائعة على مر العصور، ولكن السؤال هنا، هل كان لكتاب التذكرة دورٌ في حفظ بعض الروايات التاريخية وتدوين أشعار لم يُعرف أصحابها؟ أو أشعار لم تُذكر في دواوين من قالها من الشعراء؟ أم كانت جميع المادة التي جمعها ابن حمدون موجودة ومثبتة في المصادر التي نقل عنها؟

لقد شكّل كتاب " التذكرة الحمدونية" أهمية كبيرة في حفظ الكثير من الروايات التاريخية والأشعار التي أوردها ابن حمدون في تذكرته، والتي لم تذكرها المصادر التاريخية ولا الدواوين الشعرية، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون رواية تتناول قدوم وفدي قریش وبني هاشم على معاوية بن أبي سفيان في الشام، وبالعودة إلى المصادر التاريخية يُلاحظ أن ابن حمدون قد نقل هذه الرواية من مؤلف مجهول (٢) قد أرخ للدولة العباسية الأولى وانفرد بذكر هذه الرواية، بينما لم تذكر معظم المصادر التاريخية هذه الرواية أبداً، وبذلك فقد حفظ ابن حمدون هذه الرواية من الضياع، وفي رواية أخرى نقلها ابن حمدون ذكر فيها عهداً مُرسلاً من الخليفة المقتفي لأمر الله بتتصيب بطرك للمسيحيين في بغداد، حيث يعدُّ هذا النص على درجة كبيرة من الأهمية، فقد انفرد ابن حمدون بذكره حيث لم تذكره المصادر التاريخية التي وقف عليها البحث (٣).

(١) ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت ٨٣٧هـ/٤٣٣م): ثمرات الأوراق، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، د.ت، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) سيأتي البحث على ذكر هذه الرواية بالتفصيل أثناء الحديث عن الموارد التاريخية.

(٣) سبق الإشارة إلى هذه الرسالة، وسيأتي البحث على ذكر هذا العهد عند الحديث عن المشاهدات الشخصية لابن حمدون.

بينما المواد الشعرية التي حفظتها التذكرة، كانت كثيرة جداً، وكان أثر التذكرة في حفظها واضحاً وجلياً، حيث ظهرت فيها أشعار لشعراء لا دواوين معروفة لهم، مما يدل على أن للتذكرة دوراً مهماً قامت به مع أمهات الكتب في إيصال هذا الشعر مروراً بالعصور التي تلت تلك الكتب.

وقد وجدت هذه الأشعار ماثلة في ثنايا الكتب القديمة مما يدل على أن صناعة ما قد تمت لدواوين شعرية فقدت لسبب أو لآخر، ومن ذلك شعر أورده ابن حمدون لمساور الوراق وهو يوصي ابنه:

شَمَّرَ قَمِيصَكَ واستعدَّ لقائِلٍ وأحْكُكُ جَبِينَكَ للشهودِ بِثُومٍ
واجعلْ صاحبَكَ كلَّ حَبْرٍ ناسِكٍ حَسَنَ التَّعَهُدِ للصلاةِ صَوْومٍ
وعليكِ بالغَنَوِيِّ فاجلسِ عندهُ حتى تصيبَ وديعةً لیتیم^(١)

ومساور الوراق، هو مساور بن سوار بن عبد الحميد، من أهل الكوفة، كان قليل الشعر، ولهذا لم يكن له ديوان شعري، وبذلك فقد حفظت التذكرة الحمدونية هذه الأبيات من الضياع.

وأورد ابن حمدون بعض الأشعار التي اختلفت المصادر حول نسبتها لكنها وجدت في دواوين أصحابها، وبذلك ساهمت التذكرة بحفظ نسب هذه الأبيات إلى قائلها ومن ذلك قول أبي الأسود الدؤلي في ابن عامر وكان صديقه ثم جفاه، ومنها:

ألم ترَ ما بيني وبينَ ابنِ عامرٍ من الودِّ قد بالَتْ عليه الثعالبُ
وأصبح باقي الودِّ بيني وبينه كأن لم يكن والدهرُ فيه عجائبُ^(٢)

وفي الوقت الذي نسب فيه المرزباني في كتابه معجم الشعراء وأبو الحسن البصري في كتابه الحماسة البصرية تلك الأبيات لعمر بن مالك، لكن ابن حمدون أكد نسبتها لأبي الأسود.

(١) التذكرة، ج ٣، ص ٣٨٢.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ٣٧٣.

وجاء في التذكرة^(١) لسعيد بن المسيب^(٢) نقلاً عن الأغاني^(٣):

وليسَتْ كأخرى وسَّعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا وأبدَتْ بَنَانُ الكَفِّ للجِمراتِ
وَعَلَّتْ بَنَانُ المسكِ وَخَفَا مُرَجَّلاً على مِثْلِ بدرٍ لاحٍ في الظلماتِ
ويحفظ هذه الأبيات ومناسبتها في ثنايا كتابي التذكرة والأغاني فقد أسهما في حفظ المفقود بين
سطورهما.

كما ساهم ابن حمدون في كتابه التذكرة في حفظ أشعار لشعراء لم تذكر في دواوينهم، والأمثلة
على ذلك كثيرة، منها ذكر ابن حمدون أبياتٍ لأبي النجم العجلي:

وبلدةٍ ما الإنسُ من أهالها ولا ضعيفُ القومِ من رجالها
زوراءُ تبكي الجن من إمحالها قطعتُ بالعيسِ على كلاهما^(٤)
وعلى الرغم من أن هذه الأبيات لم ترد في ديوان أبي النجم، لكن ابن حمدون أثبتتها إثبات
الوائق دون أن يثير أي شبهة حولها قائماً بدور حفظها من الضياع.

إضافة إلى ما سبق، أثبت أبياتٍ نسبها ابن حمدون لجميل بثينة وهي:

أشواقاً ولماً يمضٍ لي غير ليلةٍ رويدَ الهوى حتى يُغِبَّ لياليا
لحى الله أقواماً يقولون إننا وجدنا بعيدَ النأي للحبِّ شافياً^(٥)
مع العلم أن هذه الأبيات لم تُذكر في ديوان جميل، لكن ابن حمدون نسبها لجميل معتمداً على
كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني^(٦).

وفي موضع آخر يقول ابن حمدون: "ويروى لقيس بن الملوح:

(١) التذكرة، ج ٦، ص ١٤٨.

(٢) سعيد بن المسيب: بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة
بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، وكان من أعلم الناس بالقضاء،
وتوفي سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ/ ٧٨٥م): الطبقات الكبرى، تح إحصان عباس،
دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م، ج ٢، ص ٢٨٩. الشيرازي (إبراهيم بن علي ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م): طبقات الفقهاء،
تح إحصان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م، ص ٥٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٧٧.

(٣) الأغاني، ج ٦، ص ٢١٤.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ٣٩٧.

(٥) التذكرة، ج ٦، ص ٧٢.

(٦) محاضرات الأدباء، ج ٢، ص ٧٥.

شفيعي إليها قلبها إن تَعَبَّتْ
لقد ظفرتُ مني بسمعٍ وطاعةٍ
وقلبي لها فيما ترومُ شفيعُ
وكلُّ محبٍّ سامعٌ ومطيعٌ^(١)
فلم ترد أيضاً هذه الأبيات في ديوان قيس.

وساهم ابن حمدون في حفظ شعر من عاصره من الشعراء، فعلى سبيل المثال قال ابن حمدون:
"وقال مقداد بن المظالميري، وهو ممن عاصرناه، وكان قليل البضاعة في الأدب على حلاوة ألفاظه
ورشاقة معانيه:

إن حال في الحبِّ عما كنتُ أعهده وبات يرقدُ ليلاً لستُ أرقدهُ
فلا طويْتُ الحشا إلا على حُرْقٍ يُبلي من الصبرِ عنه ما أجددهُ
يا عاذلي إنَّ يومَ البين ضلَّ هوىً قلبي المعنَى فقلَّ لي أين أنشدُهُ
زار الخيالَ طليحاً قلماً أنستُ جفونهُ بالكرى أو لأنَّ مرقدهُ
أهلاً به زائراً تُدنيه من جسدي ضمائري وخفوقُ القلبِ يبعدهُ

ومن خلال قول ابن حمدون: وكان قليل البضاعة في الأدب، فهذا يدلُّ على أن هذا الشاعر لم يكن له
أشعار جُمعت في ديوان، وبذلك فقد ساهم ابن حمدون في حفظ أبياته.

والسؤال المطروح هنا، كيف فقدت بعض الأبيات الشعرية من دواوين أصحابها؟

كانت عمليات الجمع الأولى للشعر في حقبة ما قبل الإسلام تقوم في المجالس والمحافل
والطقوس، وعبر الرواة وربما في مدونات مادية خاصة ببعض الشعر الذي ميزته القبائل عن غيره،
والحامل من دون شك لمفاخرها وأيامها، ومع مجيء الإسلام بقي الاعتماد على الرواية الشفوية
كطريقة لجمع الأشعار، لذلك مع بداية مرحلة التدوين للشعر العربي من غير المُستبعد أن تكون بعض
الأبيات الشعرية لشاعر ما قد سقطت أثناء عملية تجميعها^(٢).

لذلك فقد حفظت التذكرة كثير من الأبيات لشعراء ممن لا يوجد لهم دواوين أو من لهم دواوين
ولم تثبت الأبيات فيه، مما يعني أن هناك أشعاراً مفقودة سجلها كتاب التذكرة الحمدونية والذي جمعها
من مختلف الكتب مساهماً في صناعة دواوين مفقودة من جانب، ونشر هذه الأشعار وحفظها من
الضياع من جانب آخر.

(١) التذكرة، ج٦، ص١٦٨.

(٢) الفخوري: الجامع في الأدب، ص٩٥.

رابعاً: مخطوطات التذكرة في مكتبات العالم

للتذكرة الحمدونية نسخ عديدة تمثل أجزاء كثيرة منها ماثلة في مكتبات العالم، وقد ذكر محقق التذكرة الحمدونية إحسان عباس العديد من النسخ التي حصل عليها أثناء التحقيق، فضلاً عن بعض النسخ التي وجدها البحث ضمن بعض المراجع الأخرى، وتجدر الملاحظة أنه لم يوجد مخطوطة كاملة للتذكرة الحمدونية، بل هناك بعض القطع التي تحوي أبواباً محددة، والقطع المخطوطة هي:

١. نسخة أحمد الثالث رقم: ٢٩٤٨، وتقع هذه النسخة في مائة واثنين وسبعين (١٧٢) ورقة في كل ورقة سبعة عشر (١٧) سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة (١٢) كلمة، وقد كتب على الورقة الأولى منها: "الجزء الاول من كتاب التذكرة الحمدونية تأليف الشيخ الصدر الأجل الأمجد محمد بن حمدون رحمه الله، اللهم كما أنعمت فزد"، ثم بعض تملكات (يعني من تملك القطعة المخطوطة) يدلُّ أحدها أنها كانت برسم خزانة السلطان الأعظم سليمان بن سلطان شهاب الدين غازي بن محمد الأيوبي، وفي آخرها "تمَّ الجزء الأول من تذكرة ابن حمدون، وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة وصلواته وسلامه على سيدنا وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين، ويتلوه في الجزء الثاني/الباب الثاني/ (وصوابه الثالث) في الشرف والرياسة والسيادة وما هو من خصائصها ومعانيها" ^(١)، وهي مكتوبة بخط نسخي واضح جميل، تكاد تكون إلى جانب الضبط أقرب منها إلى جانب الخطأ لولا بعض الأوهام والجمل التي سقطت، ولولا اضطراب وقع فيه الناسخ أثناء النقل فاضطرب بذلك ترتيب بعض الأوراق.

٢. نسخة أخرى في مكتبة أحمد الثالث رقم ٢٩٤٨ وتقع في مائة وخمس وسبعين (١٧٥) ورقة، تبدأ بالبواب السادس وتنتهي بالبواب الرابع عشر، خطها نسخي جميل، وفي الصفحة الواحدة منها سبعة عشر (١٧) سطراً، ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة (١٢) كلمة.

٣. نسخة في خزانة رئيس الكتاب في تركيا برقم: ٧٧، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٧١، وعدد السطور في كل صفحة من صفحاتها سبعة عشر (١٧) سطراً ومعدل الكلمات في كل سطر اثنتا عشرة (١٢) كلمة ^(٢).

٤. نسخة مكتبة عمومية رقم ٥٣٦٣، ٥٣٦٤، وتشمل القطعة الأولى منها الأبواب من الباب الأول حتى الباب الرابع عشر، وقد جاء على الورقة الأخيرة منها أن الفراغ منها تم يوم الجمعة ثاني عشر المحرم سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م.

(١) التذكرة، ج ١، ص ١٥.

(٢) العزوي(عباس): التذكرة الحمدونية، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج ١، ١٩٨٠م، ص ١٣٣.

٥. نسخة في خزائن سراي طوبقوبو (خزانة روان) تحت رقم: ٢٩٤٨^(١).
 ٦. نسخة في خزائن راغب باشا برقم: ١٠٧٩، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥.
 ٧. نسخة في خزانة برلين (٣٤٢/٧) تحت رقم /٨٣٥٩/ وتشمل الأبواب من الباب التاسع عشر حتى الباب التاسع والعشرين، ونسخة أخرى (٣٤٥/٧) تحت رقم /٨٣٦٠/ تشمل الأبواب من الباب الخامس عشر حتى الباب الثامن عشر^(٢).
 ٨. نسخة في خزانة باريس (٥٨١، ٥٨٢/٢) تحت رقم /٣٣٢٤/ و /٣٣٢٥/ وتشمل الأبواب من الباب الثاني والأربعين حتى الباب الخامس والأربعين.
 ٩. نسخة المتحف البريطاني برقم /٣١٧٩/ وتقع في قسمين: يضم الأول منها الأبواب من الباب الأول حتى الباب الواحد والثلاثين ويضم الثاني الأبواب من الباب الثاني والثلاثين حتى الباب السابع والأربعين وينقصها حتى تشمل كل التذكرة الأبواب الثلاثة الأخيرة، والقسم الأول منها يأتي في أربعمئة واثنين وخمسين (٤٥٢) ورقة، والثاني مائتين واثنين وسبعين (٢٧٢) ورقة، وهي مكتوبة بخط نسخي أقرب إلى الدقة، ولهذا تنتسج الصفحة منها لثلاثين سطراً وفي كل سطر معدل خمس عشرة (١٥) كلمة^(٣).
- وبهذا يُلاحظ أن نسخ التذكرة الحمدونية قد توزعت في خزائن الشرق والغرب، وهذا ما يدل على أهمية هذه التحفة الأدبية الرائعة.

(١) العزواي: التذكرة الحمدونية، ص ١٣٣.

(٢) المعلوف (إسكندر): التذكرة الحمدونية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٢٤م، ج ١٠، مج ٤، ص ٧.

(٣) التذكرة، ج ٢، ص ٨.

الفصل الرابع: الموارد الأدبية

أولاً: كتب الأدب العامة

ثانياً: كتب الأمالي

ثالثاً: كتب المقامات

رابعاً: كتب الأمثال

خامساً: الكتب والدواوين الشعرية

كان من الطبيعي أن يعتمد ابن حمدون على العديد من الموارد المتوفرة في عصره، هذا العصر الذي ضج بالمكتبات العامة والخاصة وخزائن الكتب، وبسبب المكانة الرفيعة التي حظي بها ابن حمدون كان باستطاعته بكل يسر وسهولة الحصول على هذه الموارد التي تعددت مصادرها وتتنوع موضوعاتها، فالحديث هنا عن عصر لاحق وبشكل مباشر لعصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في بغداد، وقد استطاع البحث حصر عدد من هذه الموارد كانت موجودة في عصور سابقة لابن حمدون، حيث استطاع ابن حمدون الوقوف على عشرات الكتب ذات الصبغة الموسوعية الشاملة، وبعضها خاص بالأمثال والآخر بالمقامات وغير ذلك.

أولاً: كتب الأدب العامة

خطا الأدب في العصر العباسي خطوة نحو النشوء والتفرغ، فبدأت علومه بالاستقلال عن بعضها البعض، وظهر علماء اللغة الذين اشتغلوا بتعريف الألفاظ واشتقاقاتها ومعانيها وترتيبها، وبدأت تظهر الموسوعات الأدبية، حيث أخذ الأدباء يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف مواضعها ومآخذها في كتاب واحد أو بضعة كتب، وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها.

وشكلت كتب الأدب أحد أهم الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون عند تأليفه للتذكرة، حيث أخذ ابن حمدون من أمهات الكتب عند خطه لتذكرته، بدءاً من ابن المقفع ت ١٤٢هـ/٧٦٠م، وسهل بن هارون ت ٢١٥هـ/٨٣٠م، والجاحظ ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م، والميرد ت ٢٨١هـ/٨٩٤م، وابن أبي عون ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م، وأبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م، وصولاً لأبي حيان التوحيدي ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م، وأبو سعد الآبي ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م، فقد اعتمد ابن حمدون على اثنان وسبعين (٧٢) مورداً، ألفها سبعة وأربعين (٤٧) مؤلفاً، وقد رتبهم البحث وفق سني وفاتهم من الأقدم إلى الأحدث.

(١) ابن المقفع ت ١٤٢هـ/٧٦٠م

عبد الله بن المقفع، الكاتب المشهور بالبلاغة، صاحب الرسائل البديعة، من أهل فارس، ولد سنة ١٠٦هـ/٧٢٥م في خلافة هشام بن عبد الملك في بلدة اسمها "جور" على مقربة من شيراز، نشأ برعاية أبيه في بيئته الفارسية قبل أن ينتقل به إلى مدينة البصرة ويتخذها مقاماً له، وقُتل على يد والي

البصرة سفيان بن معاوية^(١) بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد اعتمد ابن حمدون على مؤلفين له وهما كتاب كلية ودمنة، وكتاب الأدب الكبير^(٢).

أ. كلية ودمنة

وهو من تأليف الأديب الهندي بيدبا، ويعدُّ من أشهر كتب ابن المقفع التي ترجمها من اللغة الفهلوية^(٣)، ويتضمن الكتاب مجموعة من القصص الأدبية، صاغها ابن المقفع عند ترجمته للكتاب بأسلوبه الأدبي الرائع.

أخذ ابن حمدون عن كلية ودمنة ستاً وثلاثين (٣٦) رواية، أغلبها أتى في البابين الأول والثاني من التذكرة، وجاء موضوع الروايات في الآداب العامة، وآداب السلاطين وسياستهم مع الرعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال ابن حمدون: "قال صاحب كلية ودمنة: رأس الحزم للملك معرفته بأصحابه وإنزالهم منازلهم، واتهام بعضهم على بعض، فإنه إن وجد بعضهم إلى إهلاك بعض سبيلاً، أو إلى تهجين بلاء المبلين، وإحسان المحسنين، والتغطية على إساءة المسيئين، سارعوا إلى ذلك، واستحالوا محاسن أمور المملكة، وهجئوا مخارج رأيه، ولم يبرح منهم حاسدٌ قد أفسد ناصحاً، وكاذبٌ قد اتهم أميناً، ومحتالٌ قد أعطى بريئاً، وليس ينبغي للملك أن يُفقد أهل الثقة في نفسه بغير أمرٍ يعرفه، بل ينبغي في فضل حلمه وبسط علمه الحيطة على رأيه فيهم، والمحاماة على حرمتهم وذمامهم، وأن لا يسرع إلى إفسادهم، ولا يغتفر مع ذلك زلةً زلها أحد منهم، ولم يزل جهال الناس يحسدون علماءهم، وجبنائهم شجعانهم، ولئامهم كرماءهم، وفجأهم أبرارهم، وشرارهم خيارهم"^(٤).

وقد صرح ابن حمدون باسم ابن المقفع بقوله "وقال صاحب كلية ودمنة" في إحدى عشر (١١) رواية فقط^(٥)، أما باقي الروايات لم يصرح بذلك^(٦)، كما أنه نقل بتصريف في بعض الروايات

(١) ولاء الخليفة أبو جعفر المنصور البصرة سنة ١٣٩هـ/٧٥٧م، بعد أن عزل عمه سليمان. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٦٠٦.

(٢) الحموي: معجم الأديباء، ج١، ٣٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٥١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٤١.

(٣) اللغة الفهلوية: هي اللغة الفارسية الوسطى، استخدمت في عهد سلالة الأشكانيين من القرن الثالث قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني بعد الميلاد، ثم سادت اللغة الفهلوية الساسانية في عهد الحكم الساساني من أوائل القرن الثالث الميلادي حتى سنة ٦٥١م. الفخوري: تاريخ الأدب العربي، ص٥٣٠.

(٤) ابن المقفع (عبد الله بن المقفع ت ١٤٢هـ/٧٦٠م): كلية ودمنة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١٧، ١٩٩٦م، ص٢٧٠. التذكرة، ج١، ص٢٩٥.

(٥) على سبيل المثال، التذكرة، ج١، ص٢٧٧ - ج١، ص٢٩٩ - ج١، ص٣٠٦.

(٦) على سبيل المثال، التذكرة، ج١، ص٢٤٨ - ج١، ص٣٠٠ - ج٢، ص١٨٣ - ج٤، ص٣٦٠.

ولكن بشكل غير حرفي، قال ابن حمدون: "وقالت القدماء: الدنيا كالماء المالح متى يزدد صاحبه منه شرباً يزدد عطشاً وظماً"^(١)، هذه الحكمة أوردها ابن المقفع لكن بطريقة مختلفة، ولكن المضمون بقي واحداً ولم يحدث تغيير في معناه.

ب. الأدب الكبير

أورد ابن المقفع في كتابه الأدب الكبير فرائد من الحكم الفارسية، نقلها بروح العربي الأديب، الذي يعرف ما يُكِنُّه العقل العربي، وما تحتاجه نفوس تلك الشعوب، وبه موضوعان رئيسان؛ أولهما: عن «السُّلطان» أي الإمارة، وما يجب أن يصاحبها من أخلاقٍ وآداب، وثانيهما: «الأصدقاء» وما تقوم عليه الصُّحبة من اللطف وحسن المعاشرة.

فقد استقى ابن حمدون منه أربعاً وستين (٦٤) رواية، صرَّح في خمس وثلاثين (٣٥) رواية باسم ابن المقفع وذلك بقوله: "قال ابن المقفع أو قال عبد الله بن المقفع"^(٢)، ووردت معظم هذه الروايات في البابين الأول والثاني من التذكرة، ولم يختلف موضوعها عن تلك التي نقلها من كتاب كليله ودمنة، حيث شملت معظمها آداب الملوك والسلاطين، ومحاسن الأخلاق وغير ذلك، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال ابن المقفع: جميع ما يحتاج إليه الوالي رَأْيَان: رأي يقوِّي سلطانه ورأي يُزَيِّنُه في الناس، ورأي القوة أولاهما بالتقديم وأحقُّهما بالآثرة، ورأي التزيين أحضرهما حلاوة وأكثرهما أعواناً، مع أن الزينة من القوة، والقوة بالزينة، ولكنَّ الأمر يُنسبُ إلى معظِّمه"^(٣).

أما باقي الروايات التي لم يصرح ابن حمدون باسم المؤلف فقد عُرفت خلال المقارنة مع كتاب الأدب الكبير، والذي يُلاحظ أن بعضها تم نقله بشكل حرفي والبعض الآخر بتصرف^(٤).

٢) سهل بن هارون ت ٢١٥هـ/٨٣٠م

سهل بن هارون بن راهيون أو راهبون، أبو عمرة الدستيميساني، كاتب بليغ، حكيم، من واضعي القصص، يلقب "بـ بزرجمهر الإسلام" فارسي الأصل، اشتهر في البصرة، واتصل بخدمة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وارتفعت مكانته عنده، حتى أحلَّه مكان يحيى البرمكي صاحب دواوينه، ثم

(١) ابن المقفع: كليله ودمنة، ص ٨٤. التذكرة: ج ١، ص ٢٥٥.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ١، ص ٢٩٥ - ج ١، ص ٣٠٠ - ج ١، ص ٣٧٦.

(٣) ابن المقفع (عبد الله بن المقفع ت ١٤٢هـ/٧٦٠م): الأدب الكبير، تح محمد المرصفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٤. التذكرة، ج ١، ص ٣٠٦.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر، التذكرة، ج ١، ص ٣٣٣ - ج ١، ص ٣٣٥ - ج ١، ص ٤٠١.

خدم المأمون فولاه رئاسة خزانة الحكمة في بغداد، له العديد من الكتب مثل "ثعلة وعفرة" على نسق كليلة ودمنة و"العقل" و"الرياض" و"الواقم والعذراء" و"النمر والثعلب" .. وغيرها^(١).

وما يهم هنا كتاب "النمر والثعلب" للمؤلف المذكور، وهو كتاب في الحكمة والآداب العامة، أخذ عنه ابن حمدون ست (٦) روايات فقط، وردت جميعها في الباب الثاني من التذكرة، وتمحورت حول الآداب العامة والمواعظ، ونقلها ابن حمدون بشكل حرفي دون أدنى تغيير، كما أنه كان يجمع في بعض الأحيان أكثر من رواية ذكرها ابن هارون في موضع واحد، وقد صرح ابن حمدون باسم صاحب التصنيف بقوله: "وقال سهل بن هارون"^(٢)، فعلى سبيل المثال: قال ابن حمدون: "وقال سهل ابن هارون: الهول إن كان عنه مندوحة فركوبه خطأ وإلا فركوبه صواب، فإن كنت راكباً هولاً لاجترار نفعٍ دونه مَنَعٌ، أو لدفع ضررٍ له مدفعٌ فموضعه خطأ، وإن كنت دافعاً به أعظم منه ومضطراً إليه غَيْرَ مزحرج عنه فموضعه صواب"^(٣).

٣) العباس بن بكار ت ٢٢٢هـ/٨٣٧م

العباس بن بكار الضبي، من أهل البصرة، وهو من قدماء المؤرخين ورواة الحديث، لكن كثيراً من العلماء طعنوا في روايته، حيث أنهم أجمعوا على أن الأحاديث التي نقلها ضعيفة ولا يؤخذ بها^(٤).

(١) الحموي: معجم الأدياء، ج ٣، ص ١٤٠٩. ابن الساعي (علي بن أنجب بن عثمان ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م): الدر الثمين في أسماء المصنفين، تح أحمد بنين ومحمد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٣٩٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ١٣.

(٢) التذكرة، ج ١، ص ١٨٣ - ج ١، ص ٣٠٥ - ج ١، ص ٣٥٤ - ج ٢، ص ١٧.

(٣) ابن هارون (سهل بن هارون ت ٢١٥هـ/٨٣٠م): النمر والثعلب، تح عبد القادر المهيري، تونس، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٣م، ص ١٤٣. التذكرة، ج ١، ص ٣٨٠.

(٤) الجرجاني (أبو أحمد بن عدي ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م): الكامل في ضعفاء الرجال، تح عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٦، ص ٦. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٣٨٠. العسقلاني: لسان الميزان، ج ٣، ص ٢٣٧.

ألف ابن بكار كتاب "أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان" وقد اعتمد عليه ابن حمدون في ثلاث (٣) روايات، الرواية الأولى، ينقل فيها ابن حمدون ما حدث بين معاوية وجروة بنت مرة^(١)، وهي رواية طويلة^(٢)، والرواية الثانية، عندما أوفد معاوية الزرقاء^(٣) بنت عدي^(٤)، وأما الثالثة، حديث معاوية مع أم الخير بنت الحريش البارقية^(٥).

٤) السجستاني ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م

سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني، أبو حاتم، من كبار العلماء بالحديث واللغة والشعر، من أهل البصرة، وكان المبرد يلزم القراءة عليه، ألف حوالي ثلاثين كتاباً، منها "المعمرون" و"الوصايا" و"النخلة" و"الشجر والنبات" و"الطير" و"المذكر والمؤنث" ... وغيرها^(٦).

أما كتاب "المعمرون والوصايا"، فهو أول كتاب انفردت مادته بجمع أقوال المعمرين، ويُمثل هذا الكتاب فناً من شعر حقبة ما قبل الإسلام، وصف فيه مؤلفه الطاعنين في السن وما يلقونه من طول حياتهم، فرسموا بين سطوره أجسامهم وقد بلغها الكبر، وأحلامهم وقد ذهب بها الضعف، وهم ينظرون إلى ما وراءهم، فيذكرون أيامهم الخوالي، ويندبون فتوتهم ونشاطهم وسيادتهم في قومهم.

نقل ابن حمدون من هذا الكتاب ست عشرة (١٦) رواية، ذكر بعضها في الباب الرابع الذي يتناول أخبار المعمرين، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "ومن المعمرين عبيد بن شربة^(٧)، أتى

(١) جروة بنت مرة: بن غالب، من بني تميم، لم تذكر المصادر التاريخية التي وقف عليها البحث سوى قصتها مع معاوية عندما وفدت إليه من مكة.

(٢) ابن بكار (العباس بن بكار ت ٢٢٢هـ / ٨٣٧م): أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تح سنية الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٣. ابن حمدون: التذكرة، ج ٤، ص ٤٢.

(٣) الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية: من الخطيبات الشهيرات، من ذوات الشجاعة، من أهل الكوفة، شهدت مع قومها واقعة (صفين) وخطبت فيها مرات تعرضهم على القتال، ولما تم الأمر لمعاوية استدعاها، فأحضرت إليه، وحاورته طويلاً، ثم عادت، وقد أعجب بفصاحتها فبعث إليها بمال. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٩، ص ١٦٦. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٩١.

(٤) ابن بكار: أخبار الوافدات، ص ٦٤. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ١٨٥.

(٥) ابن بكار: أخبار الوافدات، ص ٢٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ١٨٦.

(٦) ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م): الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٢م، ج ٤، ص ٢٠٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ١٠. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٥٨.

(٧) عبيد بن شربة: الجرهمي، من المعمرين، وفد على معاوية بن أبي سفيان وهو خليفة، ودار بينهما حديث مشهور في كتب التاريخ والتراجم، وعاش إلى أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وله من الكتب كتاب (الأمثال) وكتاب (المُلوك وأخبار الماضين). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ٢٠٢. الحموي: معجم الأديباء، ج ٤، ص ١٥٨١.

عليه مائتان وعشرون سنة، سأله معاوية عمّن رأى من القرون، فقال: أدركت الناس يقولون: ذهب الناس^(١)، وتتوعد الروايات حول ذلك^(٢)، والبعض الآخر من الروايات عند حديثه حول العهود والمواثيق^(٣)، وقد نقل ابن حمدون بعض هذه الروايات بشكل حرفي، وفي بعضها الآخر كان يذكر الرواية بالاعتماد على أكثر من مورد، حيث كان يضيف على ما ذكره المورد الأصلي، على سبيل المثال في الباب الرابع، اعتمد ابن حمدون على كتاب (أمالى المرتضى) لعلي بن الحسين الموسوي إضافة إلى كتاب المعمرون، عند حديثه عن أخبار زهير^(٤) بن جناب^(٥).

٥) الجاحظ ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م

عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، وأحد شيوخ المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، ومات والكتاب على صدره، له تصانيف كثيرة، منها: "الحيوان" و"البيان والتبيين" و"سحر البيان" و"التاج في أخلاق الملوك" و"البخلاء" و"المحاسن والأضداد" .. وغيرها من المؤلفات، وسيركز البحث على الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته وهي: (٦)

أ. البيان والتبيين:

يعدُّ كتاب "البيان والتبيين" من أهم الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون عند تأليفه للتذكرة، ويكاد لا يخلو باب من أبواب التذكرة إلا وفيها روايات أخذها ابن حمدون من الجاحظ وكتابه البيان، ويعد البيان والتبيين ثاني كتب الجاحظ القيّمة بعد كتابه الموسوم "الحيوان"، ويلخص المسعودي

(١) السجستاني (سهل بن محمد ت ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م): المعمرون والوصايا، تح محمد الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٩٠٥م، ص ٢٣. التذكرة، ج ٦، ص ٣٤.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر، السجستاني: المعمرون، ص ٤٦-٥٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ٣٣-٣٥.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر، السجستاني: المعمرون، ص ٩ - ص ٤٦. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٣٩٦ - ج ١، ص ٣٩٥.

(٤) زهير بن جناب: بن مالك بن الحارث بن عبد الله، من بني كنانة بن بكر، من شعراء حقبة ما قبل الإسلام، خطيب قضاة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك، كان يدعى (الكاهن) لصحة رأيه، وعاش طويلاً، وله أيام مشهور مع قبيلتي بكر وتغلب، توفي نحو ٥٦٤م. الأمدي (الحسن بن بشر ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م): المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تح ف كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٦٥. الدارقطني (علي بن عمر بن أحمد ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م): المؤلف والمختلف، تح موفق بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٤٦٩.

(٥) ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ٣٦.

(٦) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٢٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٥، ص ٤٣٢. الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢١٠١.

الكتاب ويصفه بقوله: "وللجاحظ كتب حسان، منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم وعرر الأشعار ومستحسن الأخبار وبلغ الخطب..."^(١).

اعتمد ابن حمدون على كتاب البيان بشكل كبير في معظم أبواب التذكرة، وخاصة في باب الخطب، وبلغ عدد الروايات المنقولة مائتين وإحدى وستين (٢٦١) رواية، ومن خلال المقارنة بين الكتابين، يتبين أن ابن حمدون نقل معظم رواياته بشكل حرفي دون أي تغيير، فعلى سبيل المثال قال ابن حمدون: "وقالت هند بنت عتبة: المرأة غلّ لا بدّ منه للعنق فانظر من تضعه في عنقك"^(٢)، وفي مثال آخر، قال ابن حمدون: "قدم وفد العراق على معاوية وفيهم الأحنف"^(٣)، فقام الآذن وقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن يتكلم أحدٌ إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه قال الأحنف: لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفةً ردت، ونازلةً نزلت، ونائبةً نابت، والكلّ بهم الحاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره. فقال: حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد"^(٤)، وقد تعددت الأمثلة حول ذلك^(٥).

كما نقل ابن حمدون بعض الروايات-لكن- بتصرف، لذلك كان من الطبيعي أن يظهر الاختلاف ببعض الكلمات عند العودة إلى الرواية نفسها في المورد الأصلي، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال عثمان بن أبي العاص"^(٦): الناكح مغترس فليُنظر امرؤ أين يضع نفسه"^(٧)، بينما ذكرها الجاحظ في كتاب البيان فقال: "وقال عثمان بن أبي العاص: الناكح مغترس، فليُنظر امرؤ أين

(١) المسعودي (علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م، ج٢، ص١٢٣.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٧٨. التذكرة، ج١، ص٣٨٥.

(٣) الأحنف بن قيس: بن معاوية بن حصين المزي السعدي المنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، يضرب له المثل في الحلم. ولد في البصرة، وشهد صفين مع الإمام علي d ولما انتظم الأمر لمعاوية وفد عليه وعاتبه، وحكمه وخطبه مشهورة في كتب التاريخ. ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٩٣. ابن العديم: بغية الطلب، ج٣، ص١٣٠٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٥٨. التذكرة، ج٢، ص٢٠.

(٥) للاستزادة: الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص١٣٠-ج٣، ص٢٢٣. ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص٢٦٣-ج١، ص٢٦٦.

(٦) عثمان بن أبي العاص: بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف: صحابي، من أهل الطائف، أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي S على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر الذي ولّاه "عمان" و"البحرين" سنة ١٥هـ/٦٣٦م، واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي سنة ٥١هـ/٦٧١م. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٤٧. البغوي (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ت ٣١٧هـ/٩٣٩م): معجم الصحابة، تح محمد الجكني، دار البيان، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٣٤٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٧٤.

(٧) التذكرة، ج١، ص٣٨٤.

يضع غرسه"^(١)، وبذلك وقع الاختلاف بكلمة واحدة فقط، ومن الواضح أن ابن حمدون اعتمد عند نقله للروايات الجمع بين أكثر من مصدر إضافة إلى كتاب البيان، وكان ذلك في روايتين فقط، الرواية الأولى: عندما نقل ابن حمدون قصيدة للأبييرد الرياحي^(٢) يرثي أخاه، مؤلفة من سبعة وعشرين (٢٧) بيتاً شعرياً، حيث اعتمد على كتابين آخرين، هما (الحماسة) للتبريزي، و(الحماسة البصرية) لأبي الحسن البصري، أما الرواية الثانية: فهي قصيدة لأبي الشغب السعدي^(٣) نقلها ابن حمدون من كتاب البيان وألحقها ببيت شعر آخر نقله من كتاب زهر الآداب لابن تميم الأنصاري^(٤).

ب. المحاسن والأضداد:

كتاب أدبي صنّفه الجاحظ، وصاغه بأسلوب رصين، يتحدث فيه عن محاسن الأشياء ومساوئها، بمختلف أشكالها من عادات وأفعال وسجايا وحقائق وأمور على الضدين الحسن والسيء، وقد استفتح بالتذمر من حسّاده الأدباء والعلماء الذين يعددون مثالب كتبه، فيقول:

"وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه، فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل: ابن المقفع، والخليل^(٥)، وسلم^(٦) صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعتابي، ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان ويصرونه إماماً يقتدون به، ويتدارسون به بينهم، ويتأدبون به، ويتعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطباتهم، ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس، فتثبت لهم به رئاسة، يأتهم بهم قوم فيه لأنه لم يترجم باسمي ولم ينسب إلي تأليفي"^(٧).

وقد أخذ ابن حمدون ثمانين عشرة (١٨) رواية من المحاسن والأضداد، ولم يذكر ابن حمدون اسم الكتاب أو المؤلف الذي استقى منه، ولكن من خلال المقارنة يتبين أنها من الكتاب المذكور، فقد

(١) البيان، ج٣، ص١٧٧.

(٢) الأبييرد الرياحي: بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر فصيح، لم يكن كثيراً ولا مداحاً. وكان هجاءاً، جيد الرثاء، توفي سنة ٦٨هـ/٦٨٨م. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص٢٨. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص١٢٣.

(٣) لم يقف البحث على ترجمة له في معظم المصادر التاريخية والأدبية.

(٤) ابن حمدون: التذكرة، ج٤، ص٢٠٠ - ج٤، ص٢٠٣.

(٥) المقصود الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٦) بعض المصادر ذكرت أن اسمه سليمان الحراني، فعندما بنى المأمون مكتبة بيت الحكمة أوقفه عليها مع مجموعة من العلماء، فينقل ابن عبد ربه الرواية التالية: " ودخل جعفر بن يحيى في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكمة، ومعه ثمانية بن أشرس"، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٧.

(٧) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): المحاسن والأضداد، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١.

نقل ابن حمدون الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير^(١)، منها بيتان شعريان من كتاب المحاسن والأضداد وهما:

ومن يَحْمَدِ الدنيا لعيشٍ يسرُّه فسوف لَعَمري عن قليلٍ يلومُها
إذا أدبرتُ كانت على المرءِ حَسْرَةً وإن أقبلتُ كانت كثيراً همومها^(٢)

وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون نقلاً عن كتاب المحاسن: "قال محمد بن علي بن الحسين: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً فعاد نبياً مرسلًا^(٣)."

ج. الحيوان:

أجلُ كتب الجاحظ وأضحكها، وأول موسوعة من نوعها في تاريخ العرب المسلمين، تحدث فيه الجاحظ عن العرب، وأحوالهم، وعاداتهم، ومزاعمهم، وعلومهم، وبعض مسائل الفقه والدين، وصفوة مختارة من الشعر العربي والأمثال والبيان، ونقد الكلام، فقد قال في مقدمته: "هذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربياً أعرابياً، وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علمي الكتاب والسنة وجدان الحاسة وإحساس الغريزة، يشتهيهِ الفانك كما يشتهيهِ الناسك... " ^(٤).

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب "الحيوان" في إحدى وثلاثين (٣١) رواية، ذكر في بعضها اسم المؤلف بقوله "قال الجاحظ" أو "يذكر الجاحظ" أو "أنشد الجاحظ" ^(٥)، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال الجاحظ في مدح كتاب: متى رأيتَ بستاناً يُحْمَلُ في ردين، أو روضةً تتقلب في حجرٍ؟ من لك بزائرٍ إن شئتَ جعلَ زيارتهُ غباً، وورودهُ خِمساً، وإن شئتَ لَزِمَكَ لزومَ الظلِّ، وكان منك مكان بعضك؟ الكتاب هو الذي إن نظرتَ فيه بَجَّحَ نفسك، وعَمَّرَ صَدْرَكَ، وعرفتَ به في شهر ما لا تُعرفُهُ من أفواه الرجال في دهر. ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك، إلّا مُنَعَهُ لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المارة بك، مع ما في ذلك من التعرُّضِ للحقوق التي تُلَزِمُ، ومن فُضُولِ النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك، ومن حضور ألفاظ الناس الساقطة ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة، وجهالاتهم المذمومة، لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة" ^(٦).

(١) للاستزادة، الجاحظ: المحاسن، ص ١٦٦- ص ٤٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٢٣٣- ج ١، ص ٣١٠.

(٢) الجاحظ، المحاسن، ص ١٦٤. التذكرة، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) الجاحظ: المحاسن، ص ١٤. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٣.

(٤) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣، ج ١، ص ١٣.

(٥) على سبي المثال لا الحصر، الجاحظ: الحيوان، ج ٦، ص ٥٨٢. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ٥٣.

(٦) الجاحظ: الحيوان، ج ١، ص ٣٢. التذكرة، ج ٤، ص ٧٠.

وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون: "أنشد الجاحظ:

القوم أمثال السباع فانشمز
فمنهم الذئب ومنهم النمر
والضبع الغثاء والليث الهمز^(١)

ويُلاحظ أن بعض الروايات وردت في كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين معاً، ولكنها كانت في كتاب البيان أتم وأوفى^(٢).

د. التاج في أخلاق الملوك:

يقول الجاحظ في سبب تأليف هذا الكتاب: "أنه لما خصَّ الله عز وجل الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكَّن لهم في البلاد، وخولهم أمر العباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم، وتوقيرهم، وتعزيزهم وتقريبهم، كما أوجب عليهم طاعتهم، والخضوع لهم، ومنها أن أكثر العامة، وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تحب لملوكها عليها حصرنا آدابها في كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها، وإماماً لتأديبها"^(٣).

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب "التاج" ست (٦) روايات فقط، الرواية الأولى في حديثه عن حرب الإسكندر مع دارا بن دارا الفارسي^(٤)، والرواية الثانية عندما قتل شيرويه بن كسرى أباه أبرويز منقولةً بتصرف^(٥)، والثالثة في حديثه عن الخليفة العباسي المنصور عندما قتل إبراهيم بن عبد الله^(٦) والكلام الذي دار بينه وبين المسيب^(٧)، أما الرواية الرابعة فقال فيها ابن حمدون: "قال معاوية لسعيد بن مرة الكندي: أنت سعيد؟ قال: أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة"^(٨)، والرواية الخامسة استعرضت قولاً للخليفة المأمون، يقول: "وقال المأمون للسيد بن أنس: أنت السيد؟ فقال: أمير المؤمنين لسيد وأنا

(١) الجاحظ: الحيوان، ج ٦، ص ٥٥٨. التذكرة، ج ٥، ٢٢٨.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ١١١ - ج ٩، ص ٤٢٧.

(٣) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): التاج في أخلاق الملوك، تح أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط ١، ١٩١٤م، ص ٢.

(٤) الجاحظ: التاج، ص ١٠٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٠٦.

(٥) الجاحظ: التاج، ص ١١٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٣٩.

(٦) إبراهيم بن عبد الله: بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يُكنى أبو اسحاق، قاد ثورة انطلقت من مدينة البصرة بعد موت اخيه إدريس ضد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، ولكنه لم ينجح وانتهى الأمر به مقتولاً سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٢٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٣.

(٧) الجاحظ: التاج، ص ١١١. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٤٠.

(٨) الجاحظ: التاج، ص ٨٨. التذكرة، ج ١، ص ٤٤١.

ابن أنس^(١)، بينما ركزت الرواية السادسة على شخصية أبي العباس السفاح^(٢)، وقد صرح ابن حمدون في موضع واحد باسم المورد حيث قال ابن حمدون: "وفي كتاب التاج أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه، فقال أحدهم: لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحداً إلا خالياً، فإنه أموت للسّر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأغنى ببعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السّر إلى رجل أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشائه إلى ثلاثة كإفشائه إلى العامة، لأن الواحد رهن بما أفشي إليه، والثاني يطلق عن ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه..."^(٣).

هـ. البخلاء:

هذا الكتاب فريد في موضوعه وطريف في أسلوبه، فإذا كان البيان والتبيين والحيوان كتابين جليلين تتجلى فيهما شخصية الجاحظ العلمية وثقافته الموضوعية وأصالته الفكرية، فإن كتاب البخلاء يعدُّ في جملته أبرز أثر يتسم بالطابع الأدبي الإنشائي والصيغة الفنية الأسلوبية الخالصة، وهو يعالج البخل كظاهرة اجتماعية، وبما احتواه من مرح ودعابة والقدرة على التحليل النفسي ورصد المنازع والأهواء والطباع.

وبلغ عدد الروايات التي نقلها ابن حمدون من كتاب "البخلاء" ثمانى عشرة (١٨) رواية، وأتت جميعها في باب البخل، حيث نقل الروايات بشكل حرفي، وصرَّح في ثلاثة مواضع باسم المؤلف بقوله "قال الجاحظ"^(٤)، منها: "قال الجاحظ: يقول المروزي لزائره إذا أطال عنده: تغديت اليوم؟ فإن قال: نعم، قال: لولا أنك تغديت لغديتك بطعام طيّب، فإن قال: لا قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقذاح، فلا يكون في يده على هذين الوجهين قليل ولا كثير"^(٥)، فيما لم يذكر ذلك في الروايات الأخرى، والتي يمكن التأكد منها من خلال المقارنة بين التذكرة وكتاب البخلاء للجاحظ.

و. الرسائل

مجموعة من رسائل الجاحظ النادرة البالغ عددها ثلاثاً وأربعين رسالة، حيث كانت كل منها تبحث في موضوع واحد بأسلوب عميق وبيدع، فمن هذه الرسائل: البلاغة والإيجاز، مناقب الترك،

(١) الجاحظ: التاج، ص ٨٨ . التذكرة، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) الجاحظ: التاج، ص ٩٢ . ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٥١.

(٣) التذكرة، ج ١، ص ٣١٢.

(٤) ابن حمدون: التذكرة، ج ٢، ص ٣٣٥ - ص ٣٧٩.

(٥) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): البخلاء، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣٧ . التذكرة، ج ٢،

التبصرة بالتجارة، المعاد والمعاش، كتمان السر وحفظ اللسان، فخر السودان على البيضان، الجد والهزل... إلخ.

وقد أخذ ابن حمدون من الكتاب المذكور **خمس (٥) روايات** نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، ففي الموضع الأول، يورد: "قال عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر: تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك، فإن الغائب يخبر عنك بكاتبك، والمتوسم يعرفك بحاجبك، والخارج من عندك يعرفك بجليسك"^(١)، وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: "وقال بعضهم: إذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق - تجده في نجائها، مشرفة الهادي - تجده في طاعتها، مجفرة الجوف - تجده في صبرها"^(٢).

وتجدر الإشارة أن معظم الروايات جاءت في النصائح والإرشاد^(٣).

ز. الحنين إلى الأوطان:

هي رسالة ألّفها الجاحظ، تحدث فيها عن السفر والاعتراب والحنين إلى الوطن، ويقول في وصف كتابه هذا: "أنه لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة، وصنف من الأدب، سبباً يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتاً، ومعنى يحدو على جمع ما كان متفرقاً، ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار، وضّم كلّ جوهر نفيس إلى شكله، وتأليف كل نادر من الحكمة إلى مثله، بطلت الحكمة وضاع العلم، وأميت الأدب، ودرس مستور كل نادر.... وإن السبب على جمع نُتفٍ من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها، وشوقها إلى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعار

(١) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): الرسائل، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م،

ج ٢، ص ٤٠. التذكرة، ج ١، ص ٣٠٩.

(٢) الجاحظ: الرسائل، ص ١٩-٢٠. التذكرة، ج ٥، ص ٢٥٤.

(٣) للاستزادة:

الرسائل	التذكرة
ج ٢، ص ٣٦	ج ١، ص ٣٤٩
ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢	ج ٥، ص ١١٠
ج ٣، ص ١٤٥	ج ٩، ص ١٨

توقد النار في أكبادها، أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعت يذکر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه...^(١).

أخذ ابن حمدون عن كتاب "الحنين" تسع (٩) روايات^(٢) وردت جميعها في الباب التاسع والثلاثين الموسوم "ما جاء في الأسفار والاعتراب" حيث نُقل بعضها بشكل حرفي، والبعض الآخر بتصريف دون ذكر اسم مؤلف الكتاب - الجاحظ - وجاءت جميع الروايات كشواهد عن الحنين والحب للوطن^(٣)، ففي إحدى هذه الروايات: "ومن حب الوطن وصّى يوسف عليه السلام أن يحمل تابوته إلى مقام آبائه، فمَنع أهل مصر أولياءه، فلما بعث موسى عليه السلام وأهلك فرعون حملها إلى مقابرهم، فقبره علم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى حامي"^(٤)، وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون: "وقالت الفرس: نرية الصبا تغرس في القلب حرمة كما تغرس الولادة في القلب رقة"^(٥)، وذكر ابن حمدون في موضع آخر: "وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبوك، إذ كان غذاؤك منهما وغذاؤهما منه"^(٦)، وأتبع ابن حمدون هذا القول بقول آخر: "والعرب تقول: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك"^(٧).

٦) ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٩٠م :

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، يُكنى بأبي محمد، أصله فارسي، من أئمة الأدب، ومن المصنفين الكثيرين، ولد في بغداد سنة ٢١٣هـ/٨٢٩م وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، وتوفي في بغداد سنة ٢٧٦هـ/٨٩٠م، ويعدُّ ابن قتيبة من أبرز رجال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فقد كان حسن الأسلوب متمكناً في اللغة والتصريف وعلوم الدين والحديث، وكان ثقة عند أئمة الحديث، كما أنه تتلمذ على شيوخ بغداد، كأبي حاتم السجستاني أستاذ المبرد، وقد عُرف بتنوّع ثقافته، وغزارة مؤلفاته، منها: "تأويل مختلف الحديث" و"أدب الكاتب" و"المعارف" و"المعاني" و"عيون الأخبار" و"الشعر والشعراء" .. وغيرها من المؤلفات^(٨).

(١) الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م): الحنين إلى الأوطان، مكتبة الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص٥.

(٢) ابن حمدون: التذكرة، ج٨، ص١٤١ - ١٤٢.

(٣) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص٤٢ - ص٣٨ - ص٦ - ص٧. ابن حمدون: التذكرة، ج٨، ص١٤١ - ١٤٢.

(٤) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص٤٢. التذكرة، ج٨، ص١٤١.

(٥) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص٧. التذكرة، ج٨، ص١٤١.

(٦) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص٦. التذكرة، ج٨، ص١٤١.

(٧) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص١١. التذكرة، ج٨، ص١٤٢.

(٨) البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص٤١١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٢٩٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٢٦.

شكّلت مؤلفات ابن قتيبة رافداً عظيماً لمختلف علوم الحديث والفقه واللغة العربية، وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب مهم من كتب ابن قتيبة وهو "عيون الأخبار" الذي يعدُّ من أهم الكتب الأدبية، فهو كتاب غزير المادة، ممتع، لما حواه من روائع النصوص وعيون الأخبار، قسمه ابن قتيبة إلى عشرة فصول أو كما سماها كُتب، وهي: (كتاب السلطان، كتاب الحرب، كتاب السؤدد، كتاب الطبائع والأخلاق، كتاب العلم والبيان، كتاب الزهد، كتاب الأخوان، كتاب الحوائج، كتاب الطعام، كتاب النساء)، ويمكن الاستنتاج من خلال ما أورده ابن قتيبة في خطبة كتابه، أن أمداً طويلاً انقضى عليه، وكان خلاله يتلقت مادة كتابه، ويجمعها، ويدونها، ثم يعمدُ إلى تصنيفها حتى خرج على هذه الصورة.

أما عن الدافع وراء تأليف الكتاب فقد أوجزها المؤلف بقوله: "وهذه عيون الأخبار نظمناها لمغفل التأدب تبصرةً، ولأهل العلم تذكرةً، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً، وللملوك مستراحاً من كد الجدِّ والتعب ... ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عوامهم، ولا على ملوكهم دون سوقتهم، فوفيت كل فريق منهم قسمه ... وأودعته ما يتلاقون به إذا اجتمعوا، ويتكاثرون به إذا افترقوا ..."^(١).

وعيون الأخبار من أهم الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته، فقد بلغ عدد الروايات التي نقلها ابن حمدون عن الكتاب مائتين وسبعاً وتسعين (٢٩٧) روايةً، فقد نقل عنه مختلف صنوف الخطب والشعر والقصص، ويلاحظ أن ابن حمدون لم يذكر مؤلف عيون الأخبار إلا في رواية واحدة فقط، وهي، قال ابن حمدون: "قال ابن قتيبة: مكثتُ مئةً زماناً لا ترى ذا الرمة، وهي تسمع مع ذلك شعره، فجعلتُ لله عليها أن تتحرَّ بدنةً يومَ تراه. فلما رأته رجلاً أسود دميماً قالت: واسوأناه وابؤسناه، واضيعةً بدنتاه، فقال ذو الرمة:

على وجهٍ مَيٍّ مَسْحَةٍ من ملاحٍ وتحت الثيابِ الخزيُّ لو كانَ بادياً

قال فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت: أشيناً ترى لا أم لك؟ فقال:

ألم ترَ أنَّ الماءَ يخبثُ طعمُهُ وإن كان لونُ الماءِ أبيضَ صافياً"^(٢)

وأما باقي الروايات فيتبين من خلال المقارنة أنها مأخوذة من عيون الأخبار، فقد نقل ابن حمدون جميع الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير، ومن الروايات التي نُقلت حرفياً على سبيل المثال لا الحصر،

(١) عيون الأخبار، ج ١، ص ٤٣.

(٢) ابن قتيبة: عيون الاخبار، ج ٤، ص ٢٩. التذكرة، ج ٥، ص ١٧٥.

قال ابن حمدون: "كان يحيى بن خالد^(١) يقول: لست ترى أحداً تكبر في إمارة إلا وقد دلّ على أن الذي نال فوق قدره، ولست ترى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه"^(٢)، وباستثناء ثلاث روايات نقلها ابن حمدون بتصريف^(٣)، يُذكر على سبيل المثال، قال ابن حمدون: "بعث بشامة بن الأعور^(٤) إلى أهله ثلاثين شاةً ونحياً صغيراً فيه سمنٌ، فسرق الرسولُ شاةً واحدةً وأخذ من رأسِ النُحْيِ شيئاً من السمنِ، فقال لهم الرسولُ: ألكم حاجة أخبره بها؟ قالت امرأته: أخبره أن الشهر مُحاقٌ، وأنَّ جَدِّنا الذي كان يُطالعنا وجدناه مرثوماً، فارتجع منه الشاة والسمنُ"^(٥)، فوقع اختلاف بسيط بين ما ذكره ابن قتيبة، وما نقله ابن حمدون، ولكن هذا لم يغيّر في المضمون شيئاً.

وفي بعض الأحيان عمد ابن حمدون إلى نقل الرواية بأسلوبه الأدبي إذا كانت طويلة خوفاً من الإطالة، مثل القصة التي أوردها ابن حمدون عن أبي جعفر المنصور وهو يطوف حول الكعبة^(٦)، وعلى عادته، كان ابن حمدون يأخذ من أكثر من مصدر عند نقله لرواية أو قصيدة، فمثلاً نقل ابن حمدون قصيدة لإسحاق بن خلف يرثي ابنه، فاعتمد على كتاب عيون الأخبار في ثلاثة أبيات فيما نقل البيت الرابع من كتاب الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري^(٧)، وفي موضع آخر ينقل رواية عن ابن قتيبة بشكل حرفي مع اختلاف في اسم الراوي، قال ابن حمدون: "قال الحسن بن وهب: كاتب

(١) يحيى بن خالد: بن برمك، أبو الفضل البرمكي، سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الخليفة الرشيد العباسي ومعلمه ومربيّه، ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في "الرقّة" إلى أن مات سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م. الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٨٠٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٢١٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٥٠.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٣٧٩. التذكرة، ج٣، ص١٠٠.

(٣) للاستزادة:

عيون الأخبار	التذكرة
ج١، ص٤٠٢	ج٢، ص١٢٧
ج٢، ص١٢	ج٢، ص٢٤٦

(٤) بشامة بن الأعور: بن نضلة بن سنان بن جندب بن الحارث بن جهمة بن عدي بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، يقال أنه كان من دهاة العرب، وله يوم الوقيط، وهو يوم كان بين تميم وبكر بن وائل قصة مشهورة حيث كان اسيراً لدى بني بكر. الصفدي (خليل بن أبيك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الشعور بالعور، تح عبد الرزاق حسين، دار عمار، عمان، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٦٣.

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٢١٧. التذكرة، ج٨، ص٢٨٢.

(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٣٦٠-٣٦١. ابن حمدون: التذكرة، ج٣، ص٢١٢.

(٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٩٤. التذكرة، ج٤، ص٢٨٣.

رئيسك بما يستحق، ومن دونك بما يستوجب، وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك، فإنّ غزل المودّة أرقّ من غزل الصبابة^(١)، فقد نقل ابن حمدون هذه الرواية حرفياً، لكنها نسبت في عيون الأخبار ليزرجمهر.

٧) ابن طيفور ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م

أحمد بن أبو طاهر المارودي، الملقب بابن طيفور، أبو الفضل، أصله من مرو الروذ، ولد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م وتوفي في بغداد سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، مؤرخ وأديب وجغرافي وفقهه، حدّث عن كبار الشيوخ والعلماء، وحدّث عنه كثير من تلامذته، فكان ثقة بين الرواة، له حوالي خمسين كتاباً، ويُعزى لابن طيفور أول مؤلف تاريخي عن بغداد وهو "تاريخ بغداد" وكان من مصادر الطبري الرئيسة، وله أيضاً كتاب "المؤلفين" و"سقات الشعراء" و"فضل العرب على العجم" و"أخبار بشار بن برد" و"سقات البحري من أبي تمام" و"بلاغات النساء" وغيرها من المؤلفات القيمة^(٢).

من أهم مؤلفاته التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته كتاب "بلاغات النساء" وهو كتاب يتحدث عن بلاغات النساء وجواباتهن، وطرائف كلامهن، وملح نوادرهن، وأخبار نوات الرأي منهن على حسب ما اقتضته الرواية واقتصرت عليه النهاية، مع ما جُمع من أشعارهن في كل فن، معتنياً بحكمهن السائرة، وأمثالهن المرسلة، وأجوبتهن المسكتة، وقصصهن المروية في العشق والجفاء، وما أثر عنهن من أمارات البلاغة والذكاء، وقد ختم ابن طيفور كتابه بباب، جمع فيه ما وقع إليه من جميل أشعارهن في مختلف الفنون.

وقد استقى ابن حمدون من كتاب البلاغات اثنتين وعشرين (٢٢) رواية، نقلها بشكل حرفي، فمثلاً: "قالت خالدة بنت هاشم بن عبد مناف لأخ لها، وقد سمعته يتجهّم صديقاً له: أي أخي، لا تُطْلُع من الكلام إلا ما قد رَوِيت فيه قبل ذلك ومن أحبته بالحلم وداووته بالرفق فإن ذلك أشبه بك، فسمعها أبوها هاشم فقام إليها فاعتقها وقبلها وقال: واهاً لك يا قُبّة الديباج، فلقت بذلك"^(٣)، وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: "ذكر نسوة أزواجهن، فقالت إحداهن: زوجي عَوْنِي في الشدائد، والعائدُ دونَ كلِّ عائد، إن غضبتُ عَطَفَ، وإن مرضتُ لطف، وقالت الأخرى: زوجي لما عناني كافٍ، ولما أسقمني

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٠٣. التذكرة، ج٤، ص٣٦٨.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٤٥. الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٢٨٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص٧.

(٣) ابن طيفور (أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م): بلاغات النساء، تح أحمد الألفي، مطبعة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م، ص١٤٤. التذكرة، ج٢، ص١٣١.

شاف، عناقهُ كالخلد، ولا يملُّ طولَ العهد، وقالت الأخرى: زوجي الشعار حين أُصْرِدُ، والأُنْسُ حين أُفْرَدُ، والسكْنُ حين أُرْقَدُ^(١).

وجاءت جميع الروايات التي أوردها ابن حمدون حول ما نُقل عن النساء من شعر وقصص وخطب^(٢).

٨) البحتري ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م

الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري، شاعر كبير، يقال لشعره "سلاسل الذهب"، ولد بمنبج، ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبّي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: "أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبّي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري"، توفي بمنبج سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م، وله "ديوان شعر" وكتاب "الحماسة" مشابهاً لحماسة أبي تمام^(٣).

و"الحماسة" كتاب في الشعر اختاره البحتري من أشعار العرب مُعارضاً حماسة أبي تمام ومنافساً له، فإن كان ما جمعه أبو تمام من أشعار الحماسة يعادل عشرة أبواب، فقد ضمت حماسة البحتري مائة وأربعة وسبعين باباً، متضمنة معظم المعاني الشعرية التي جرت على ألسنة شعراء العرب في حقبة ما قبل الإسلام، والمخضرمين^(٤) وشعراء العصر الأموي، حيث قُدِّر عددهم بنحو ستمائة شاعر، وقد تميزت حماسة البحتري بخلوها من المجون والغزل والنسيب.

اعتمد ابن حمدون على كتاب الحماسة للبحتري وأخذ منه ثمانين وستين (٦٨) رواية، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "أغار حنّمة بن مالك الجعفي على حيّ من بني القَيْن بن جَسِر،

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء، ص ٨٩. التذكرة، ج ٤، ص ٣٢.

(٢) للاستزادة:

بلاغات النساء	التذكرة
ص ١٢٩	ج ٢، ص ١٥١
ص ١٤٣-١٤٢	ج ٢، ص ٤٩١
ص ٨٨	ج ٤، ص ٩٩
ص ١٣٥	ج ٤، ص ٢١٣

(٣) ابن المعتز (عبد الله بن محمد ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م): طبقات الشعراء، تح عبد الستار فراخ، دار المعارف، القاهرة، ط ١، دت، ص ٣٩٣. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ١٦٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ١٨٨. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٩٦.

(٤) الشعراء المخضرمون أي الذين عاصروا الحقبين ما قبل الإسلام وصدر الإسلام.

فاستاق منهم إبلاً، فلحقوه ليستنقذوها منه، فلم يطمعوا فيه، ثم إنه ذكر يداً كانت لبعضهم عنده، فخلّى عما كان في يده وولّى منصرفاً. فنادوه وقالوا: إنّ المفارقة أمامك ولا ماء معك، وقد فعلت جميلاً فانزل ولكّ الذمام والحباء، فنزل، فلما اطمأن واستمكنوا منه غدروا به فقتلوه، فقالت عمرة ابنته:

غدرتُم بمن لو كان ساعةً غدركُم بكفّيه مفتوقُ الغرارين قاضِبُ
لذاكُم عنه بضربٍ كأنه سهامُ المنايا كلهنّ صوائِبُ^(١)

وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون: "وأحسن ما قيل في الفرار قول قيس بن الخطيم:

إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا صدودُ الخدودِ وازورارُ المناكبِ
صدودُ الخدودِ والقنا متشاجرٌ ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ^(٢)

ويلاحظ أن ابن حمدون نقل من حماسة البحتري صفحات بأكملها، وجاءت معظم الروايات أبياتاً شعرية^(٣).

٩) المبرّد: ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، ولد في البصرة، وكان واحداً من العلماء الذين تشعبت معارفهم، وتنوعت ثقافتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية، موثقاً به في الرواية، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر، وقد قيل بأنه لُقّب بالمبرّد لحسن وجهه، وقيل أيضاً لدقته ولحسن جوابه،

(١) البحتري (الوليد بن عبيد ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) : الحماسة، اعتنى به لويس شيخو، مجلة المکتب الشرقي، بيروت، ١٩١٠م، ص ١٣٨ . التذكرة، ج ٣، ص ٣٨ .

(٢) البحتري: الحماسة، ص ٤٢ . التذكرة، ج ٢، ص ٤٤٨ .

(٣) للاستزادة:

حماسة البحتري	التذكرة
ص ٢١٢	ج ٢، ص ٨٣
ص ١٨٨	ج ٢، ص ٢٢٠
ص ٤١	ج ٢، ص ٤٤٨ جاء في هذه الصفحة ٤ روايات
ص ١٣٨	ج ٣، ص ٣٨ جاء في هذه الصفحة ٤ روايات
ص ٢٦٤	ج ٣، ص ٨٣ جاء في هذه الصفحة ٣ روايات
ص ٧٨ - ٨٠	ج ٥، ص ٥٤ جاء في هذه الصفحة ٤ روايات
ص ١٣١	ج ٩، ص ١٩٩ جاء في هذه الصفحة ٤ روايات
ص ٢٦٢	ج ٩، ص ٣٣٥ جاء في هذه الصفحة ٣ روايات

وقد تلقى العلم على يد كبار أعلام عصره كصالح بن إسحق الجرمي^(١)، وبكر بن محمد المازني^(٢)، وتردد أيضاً على الجاحظ، وقد خلف المبرد ثروة من المؤلفات المهمة في الأدب واللغة منها: "المذكر والمؤنث" و"المقتضب" و"التعازي والمراثي" و"شرح لامية العرب" و"طبقات النحاة البصريين"، و"الكامل" و"الفاضل" لكن ابن حمدون اعتمد فقط على ثلاثة كتب كمصادر لتذكرته وهي^(٣)

أ. الكامل في اللغة والأدب:

من أهم المؤلفات الأدبية واللغوية على الإطلاق، وقد قدم المبرد لهذا الكتاب مقدمة موجزة توضح على وجه التحديد مادة الكتاب والغرض من تأليفه فيقول: "هذا الكتاب ألفناه، يجمع ضرورياً من الآداب، ما بين كلام منثور وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً"^(٤).

وقد أخذ ابن حمدون عن كتاب المبرد مائة واثنين وثلاثين (١٣٢) رواية نقلها جميعاً بشكل حرفي دون أي تغيير، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال المبرد: حُدِّثْتُ أَنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ قَاوَلَ عَمْرُو بْنَ عَثْمَانَ فِي أَمْرٍ ضَيِّعَةٍ يَدَّعِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَلَجَّتْ بَيْنَهُمَا الْخُصُومَةُ، فَقَالَ عَمْرُو: يَا أَسَامَةَ، أَتَأْنَفُ أَنْ تَكُونَ مَوْلَايَ؟" فقال أسامة: والله ما يسرني بولائي من رسول الله S نسبك، ثم ارتفعَا

(١) صالح بن إسحق الجرمي: أبو عمر، من بني قضاة، من أهل البصرة، كان فقيهاً وروى الحديث عن كبار العلماء، و عالم بالنحو واللغة، وصنف عدة كتب منها "الأبنية" و " غريب سيبويه" وتوفي سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م . السيرافي (الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨هـ / ٩٧٩م): أخبار النحويين البصريين ، تح طه الزينبي ومحمد الخفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٦. الحموي: معجم الأديباء، ج٤، ص١٤٤٢ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) بكر بن محمد: بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان، أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة. ووفاته فيها، له تصانيف، منها كتاب "ما تلحن فيه العامة" و "الألف واللام" و "التصريف" و "العروض" و "الديباج" ، توفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص٥٧٩ . الحموي: معجم الأديباء، ج٢، ص٧٥٧ . القفطي (علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ج١، ص٢٨١.

(٣) الزبيدي (محمد بن الحسن بن عبيد الله ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م): طبقات النحويين واللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، دت، ص١٠١ وما بعدها. الحموي: معجم الأديباء، ج٦، ص٢٦٧٨ وما بعدها. القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٣١ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣١٣ وما بعدها .

(٤) المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م): الكامل في اللغة والأدب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ج١، ص١-٢.

إلى معاوية فلجاً بين يديه بالخصومة، فتقدّم سعيد بن العاص إلى جنب عمرو فجعل يلقنه الحجة، فتقدم الحسن إلى جنب أسامة يلقنه، فوثب عتبة فصار مع عمرو، ووثب الحسين فصار مع أسامة، فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة، فقال معاوية الجليّة عندي، حضرت مع رسول الله S وقد أقطع هذه الضيعة أسامة، فأنصرف الهاشميون وقد قضى لهم، فقال الأمويون لمعاوية: هلاً إذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس؟ فتكلّم معاوية بكلام يدفعه بعض الناس^(١).

وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون: "وقال المبرد: أنشدني رجل من عبد القيس:

أباهلَ ينبحني كلبكم وأسدكم كلابِ العربِ
ولو قيل للكلبِ يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب^(٢)

وأورد رواية واحدة فقط بأسلوبه الخاص^(٣)، وقد صرح ابن حمدون في أربعة عشر موضعاً باسم المبرد^(٤)، حتى أنه كان يضيف تعليقاً على رواية نقلها من المبرد عند ذكره قصة أو واقعة معينة، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال أسماء بن خارجة^(٥): لا أشاتم رجلاً ولا أردّ سائلاً، وإنما هو كريم أسدّ خلّته، أو لئيم أشتري عرضي منه"، فعلق ابن حمدون قائلاً: "ولما جعل فعله وقاية لعرضه لم يكن جوداً بل دل على طلب الرياسة ببذل ماله"^(٦).

(١) المبرد، الكامل، ج ١، ص ٧٢. التذكرة، ج ٣، ص ٤١٠.

(٢) المبرد: الكامل، ج ٣، ص ٩. التذكرة، ج ٥، ص ١١٦.

(٣) المبرد: الكامل، ج ١، ص ١١٨. ابن حمدون: التذكرة، ج ٢، ص ١٠٠.

(٤) للاستزادة:

التذكرة	الكامل
ج ٢، ص ٩٩	ج ١، ص ١١٦
ج ٤، ص ٢٣٩	ج ١، ص ٢٠٦
ج ٥، ص ١٦٦	ج ٢، ص ٧٥
ج ٥، ص ٣٥	ج ١، ص ٢٨

(٥) أسماء بن خارجة: بن حصن بن حذيفة الفزاري: تابعي من رجال الطبقة الأولى. من أهل الكوفة، كان سيد قومه، جواداً مقدماً عند الخلفاء الأمويين، توفي سنة ٦٦٦هـ/٦٨٦م. ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد ٣٥٤هـ/٩٦٥م): الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٩٧٣م، ج ٤، ص ٥٩. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ١، ص ٣٣٩. الزركلي (خير الدين): الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣٠٥.

(٦) المبرد: الكامل، ج ٣، ص ١١٥. التذكرة، ج ٢، ص ٩٨.

ب. التعازي والمراثي

ألّف المبرد الكتاب تخليداً لذكرى صديقه القاضي أبي إسحق إسماعيل بن إسحق الأزدي، قاضي القضاة ببغداد^(١)، ساق فيه المبرد مجموعة من عيون المراثي، ومواعظ وخطباً وأقوالاً مأثورة، ووصايا متناقلة، واعتنى فيه بأخبار بعض من أصاب الموت أعزاءهم فتجلدوا، أو جزعوا، والذين أوتوا الحكمة وحسن الخطاب فعرفوا كيف يخففون من وطأة الحزن عن الذين فجعهم الموت بمن يحبون، ولا يخفى ما يلزم أدب التعازي والمراثي من الحنكة والرفقة.

نقل ابن حمدون عن كتاب التعازي عشرين (٢٠) رواية، بشكل حرفي، معظمها جاء في باب التعازي والمراثي، أبرزها: "تمثل عليّ كرم الله وجهه عند قبر فاطمة عليها السلام:

لكلّ اجتماع من خليلين فُرْقَةً وكلّ الذي دون المماتِ قليلٌ
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليلٌ على أن لا يدوم خليلٌ
بعدها يُعلّق ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: تروى لشقران السلاماني وأولها:

ذكرتُ أبا أروى فبتُ كأنني بردّ الهموم الماضياتِ كفيلٌ"^(٢)

وضُرب مثلاً آخر في العزاء بالموت، فقال: "وقال سليمان عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة: إني لأجد في كبدي جمرة لا يُطفئها إلا عبّرة، فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر، فنظر إلى رجاء بن حيوة كالمستريح إلى مشورته فقال رجاء: أفضّها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس، فقد دَمَعَتْ عينا رسول الله S على ابنه إبراهيم وقال: العين تَدْمَعُ، والقلب يُوجَع، ولا نقول ما يُسخط الربّ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، فأرسل سليمانُ عينه فبكى حتى قَضَى أرباً ثم أقبل عليهما وقال: لو لم أنزِفْ هذه العبّرة لا نصَدَعَتْ كبدي، ثمّ لم يبك بعدها"^(٣).

وانفرد ابن حمدون بذكر روايات نقلاً عن المبرد لم تذكرها سائر المصادر الأدبية والتاريخية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما حدث مع الحجاج عندما جاءه نعي أخيه، يقول ابن حمدون: "رأى الحجاج في منامه أنّ عينيه قلعتا فطلّق الهنديين: هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة، فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه فقال: هذا والله تأويل رؤياي ثم قال: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، محمد ومحمد في يومٍ واحد. وقال:

(١) المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م): التعازي والمراثي، تح إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص ١.

(٢) المبرد: التعازي والمراثي، ص ٢٠٧. التذكرة، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٣) المبرد: التعازي والمراثي، ص ١٦٤. التذكرة، ج ٤، ص ٢٤٣.

حسبي بقاء الله من كل ميّ
وحسبي رجاء الله من كل هالك
إذا كان ربُّ العرش عني راضياً
فإنَّ شفاءَ النفسِ فيما هنالك
وقال من يقول شعراً يُسلِّيني به؟ فقال الفرزدق:

إنَّ الرزيةَ لا رزيةَ مثلها
ملكين قد خلتِ المنابرُ منهما
فقال: لو زدنتي، فقال الفرزدق:

إني لبائك على ابني يوسف جَزَعاً
وما سدَّ حيٍّ ولا ميّتٌ مَسَدَّهُما
فقال ما صنعت شيئاً إنما زدت في حزني، فقال:

لئن جزعَ الحجاجُ ما من مصيبةٍ
من المصطفى والمصطفى من خيارهم
أخَّ كان أغنى أيمنَ الأرضِ كُلِّها
جناحاً عَقَابٍ فارقاه كلاهما
قال: الآن" (١).

ج. الفاضل

وهو كتاب مختصر يقوم على أسلوب الاختيارات، ويعتمد على الطرائف وحسن الاختيار، وقد جرى المبرد في كتابه هذا على نحو ما جرى عليه في كتابه (الكامل) من إيراد مصفى الشعر، ومنحول النثر، ورائع الخطب، وبلغ الرسائل، وطريف الأخبار، وغريب اللغة والنوادر.

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب الفاضل ست (٦) روايات نقلها بشكل حرفي، إحداها تخصُّ الأحنف، وهي: "قال الأحنف: ما أذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقى عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه" (٢).

وذكر ابن حمدون في رواية أخرى نقلاً عن كتاب الفاضل: "وقال: إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يبين في عدوك" (٣)، وأورد أيضاً في الباب السادس الموسوم "في البأس والشجاعة" بقوله: "قال

(١) المبرد: التعازي والمراثي، ص ٢٠٣. التذكرة، ج ٤، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م): الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٠م، ص ٩٢.

التذكرة، ج ٢، ص ١٢٣.

(٣) المبرد: الفاضل، ص ١٠٠. التذكرة، ج ٢، ص ١٨٣.

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(١) لمعاوية: إني لأعجبُ لك، تتقدّم حتى أقول: أشجع الناس، وتتأخّر حتى أقول: أجبنُ الناس، فقال له: إني أتقدّم ما كان التقدم حزماً، وتأخّر ما كان التأخر حزماً كما قيل:

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فُرصةً فإن لم تكن لي فرصةٌ فجباً^(٢)

(١٠) أحمد بن يحيى (ثعلب) ت ٢٩١هـ/٩١٤م

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بـ(ثعلب)، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ، وصادق اللهجة، ولد ومات في بغداد، وأصيب في أواخر أيامه بصمم، صدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر، وكان قد خلف العديد من المؤلفات منها "الفصيح" "قواعد الشعر" "شرح ديوان زهير" "مجالس ثعلب" وغيرها من المؤلفات^(٣)، ومن الواضح أن ابن حمدون اعتمد في تذكرته على كتاب مجالس ثعلب .

من ذخائر التراث العربي، ويُسمى الكتاب أيضاً (أمالي ثعلب)، وتختلف المجالس عن الأمالي بما يشيع في المجالس من مراجعة الشيخ وسؤاله، وتدوين ما يقع في كل مجلس على حدة، ويشتمل على ضروب شتى من علوم العربية، ويضم في تضاعيفه كثيراً من المسائل النحوية، وكان اعتماد ابن حمدون على هذا الكتاب محدوداً، فبلغ عدد الروايات التي استقاها منه أربع (٤) روايات فقط، نقلها بشكل حرفي.

(١) عبد الرحمن بن خالد: بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أدرك النبي صلى الله عليه وآله، ولأبيه صحبة، أمه أسماء بنت أسد بن مدرك الخثعمي، يكنى أبا محمد، أخذ عنه كثيراً من الفقهاء الحديث وتوفي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٧م. ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٨٢٩. ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٣٣٦. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٥، ص ٢٨.

(٢) المبرد: الفاضل، ص ٥٢. التذكرة، ج ٢، ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٤٤٨. الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٣٦ وما بعدها. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٠٢. الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٥م): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين، دمشق، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٨٦.

جاءت الرواية الأولى في الباب الثاني الموسوم "في الآداب والسياسة الدنيوية"، حيث ذكر ابن حمدون: "وقف عبد الله بن الزبير على باب مئة- مولاة لمعاوية كانت ترفع حوائج الناس إليه- فقيل له: يا أبا بكر تقف على باب مئة؟! قال: نعم، إذا أعيتك الأمور من رؤوسها فأتها من أذناها"^(١).

بينما جاءت الرواية الثانية في الباب السادس، وهي عبارة عن أبيات شعرية، قال ابن حمدون: "وقال نضلة السلمي"^(٢):

ألم تسأل فوارس من سليم	بنضلة وهو موتورٌ مُشيعُ
رأوه فازدروهُ وهو خرقُ	وينفع أهله الرجلُ القبيحُ
فلم يخشوا مصالته عليهمُ	وتحت الرغبة اللبنُ الصريحُ
فأطلق غلّ صاحبه وأردى	جريحاً منهم ونجا جريحُ ^(٣)

وتمثلت الرواية الثالثة بقصيدة للأقرع بن معاذ القشيري^(٤) مكونة من ثمانية أبيات شعرية^(٥)، وجاءت الرواية الرابعة في الباب التاسع عشر الموسوم "في المراثي والتعازي"، منقولة عن الأصمعي: "قال الأصمعي: مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق، ثم رجعت فرأيت بيدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ قالت: واريناه، قلت: ما هذا السويق؟ فقالت:

على كل حال يأكل المرء زاده على البؤس والضراء والحدَثان"^(٦)

(١) ثعلب (أحمد بن يحيى ت ٢٩١هـ/٩١٤م) : المجالس، تج عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠م، ص٣٤٦. التذكرة، ج١، ص٤٦١.

(٢) من شعراء حقبة ما قبل الإسلام، كان معروفاً بشدة البأس والشجاعة، وبعض الرواة وصفوه بأنه كان كثير الغدر. ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج٦، ص٩٤.

(٣) ثعلب: المجالس، ص٨. التذكرة، ج٢، ص٤٠٣.

(٤) الأقرع بن معاذ: واسم الأشيم، وسمي الأقرع لقصيدة قالها، وهو من بني سنان بن حزن بن عامر ابن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو من شعراء حقبة ما قبل الإسلام، عرف بقصائده الهجائية. الجاحظ: الحيوان، ج٧، ص٩٦. أبو القاسم المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م): أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، تج حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٨٠م، ص١١٠.

(٥) ثعلب: المجالس، ص٢٥٥. ابن حمدون : التذكرة، ج٣، ص٣٩٩.

(٦) ثعلب: المجالس، ص٤٢٠. التذكرة، ج٤، ص٣١٩.

(١١) ابن داوود الأصفهاني ت ٢٩٧هـ/٩١٠م

أبو بكر، محمد بن داوود بن علي بن خلف الظاهري، ابن الإمام داوود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري^(١)، قال الصفدي: "الإمام ابن الإمام، من أذكى العالم"^(٢)، أصله من أصبهان، ولد وعاش ببغداد، وتوفي بها مقتولاً، وكان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه، كان أديباً وشاعراً ومناظراً، حيث دخل في مناظرات عدّة مع كبار علماء عصره، له مؤلفات أهمها: "الزهرة" و "الوصول إلى معرفة الأصول" و "الانتصار على محمد بن جرير و عبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضرير" و "اختلاف مسائل الصحابة"^(٣)، أما ابن حمدون فقد اعتمد على كتاب الزهرة كمورد من موارد التذكرة.

ويعدّ كتاب الزهرة أقدم ما وصل من كتب الحب والجوى، فقد جمعه ابن داوود في عنفوان شبابه قبل أن يستهلك حياته في الانتصار لمذهب أبيه، وجعله هدية لصديقه محمد بن جامع^(٤)، وبناء على مائة باب، في كل باب مائة بيت، من أفانين شعر العشاق.

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب الزهرة في إحدى عشرة (١١) رواية، نقلها بشكل حرفي، فأورد أشعاراً نقلها من كتاب الزهرة، فمثلاً: "وقال أيضاً - يقصد هنا علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي، حيث أن الرواية التي سبقتها كانت تضم أشعاراً له:

إني وقومي من أنساب قومهم
كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علّق السيف منا بآبن عاشر
إلا وهمته أمضى من السيف^(٥)

(١) يدعو المذهب الظاهري بالتمسك بالقرآن وسنة الرسول S وذلك بحسب الدلالة المتينة منهما وإجماع الصحابة، وطرح كل ما عدا ذلك من الأمور التي تعتبرها ظنية (كالرأي والقياس واستحسان ومصالح مرسلّة وسد الذرائع)، فالظاهرية تسعى لتقرير مراد الله من العباد في اتباع البراهين وهي الأدلة الثابتة من كتاب الله والسنة وأجماع الصحابة. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٧٦٩.

(٢) الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٤٨.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٥٨. القفطي: المحمودون من الشعراء، ص ٣١٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٤) انفرد ياقوت الحموي بحديث عنه، فذكر أنه محمد هذا يُلقب بآبن زخرف، وكان صديقاً مقرباً لابن داوود، وهو من أهل أصبهان، وكانت تجمعهم مع ابن داوود علاقة قوية، إلا أن الموت فرق بينهما، فقد مات محمد بن جامع شاباً. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٢٨.

(٥) ابن داوود الأصفهاني (محمد بن داوود ت ٢٩٧هـ/٩١٠م): الزهرة، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ٢، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٦٤٩. التذكرة، ج ٣، ص ٤٠٧.

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون في الباب الثالث والعشرون الموسوم " في الهجاء والمزمة": "وقال لقيط بن زرارَة^(١):

أغرَكمُ أني بأكرمِ شيمَةٍ رفيقٌ وأنّي بالفواحشِ أخرقُ
وأنتُك قد باددنتني فغلّبتني هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحدقُ^(٢)

وجدير بالذكر أن جميع الروايات التي نقلها ابن حمدون من كتاب الزهرة جاءت أبياتاً شعرية لعدد من الشعراء منهم أبي تمام، وأم فروة، وغيرهم^(٣).

١٢) ابن دريد ت ٣٢١هـ/٩٣٣م

محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، يُكنى أبا بكر، وقال المؤرخون فيه: "ابن دريد من أشعر العلماء وأعلم الشعراء"، ولد بالبصرة، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاماً، وعاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالخليفة المقتدر العباسي، أجرى عليه، فأقام إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، ويعدُّ ابن دريد من أئمة اللغة والأدب ورواة الحديث، ومن كتبه: "الاشتقاق" في الأنساب، و"المقصود والممدود" و"الجمهرة" في اللغة، و"السحاب والغيث" و"المجتبى" و"الملاحن" وغيرها^(٤)، وقد اعتمد ابن حمدون على اثنين من مؤلفات ابن دريد هما كتابي المجتبى والملاحن.

(١) لقيط بن زرارَة: بن عدس الدارمي، من تميم: فارس شاعر من شعراء حقبة ما قبل الإسلام، كنيته " أبو دختنوس " وهي ابنته، قتل يوم " شِعَبَ جبلة " في نجد، وهو يوم بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة، وكان من أعظم أيام العرب وأشدّها سنة ٥٧١م. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ٢٣١. المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢١٠.
(٢) ابن داوود الأصفهاني: الزهرة، ج ٢، ص ٦٧٢. التذكرة، ج ٥، ص ١٢١.
(٣) للاستزادة:

الزهرة	التذكرة
ج ٢، ص ٦٧٩	ج ٤، ص ١٧
ج ٢، ص ٦٧٨	ج ٥، ص ٧٦
ج ٢، ص ٦٣٨	ج ٥، ص ١٢٣
ج ١، ص ٤٤٧	ج ٦، ص ١٦ روايتان متتاليتان
ج ١، ص ٦٢١	ج ٦، ص ١١١
ج ١، ص ٧٣	ج ٦، ص ١٢٠

(٤) الحموي: معجم الأدياء، ج ٦، ص ٢٤٨٩. القفطي: المحمودون من الشعراء، ص ٢٠١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٢٣. ابن الساعي: الدر الثمين، ص ٢٠١.

أ. المجتنى

يعد كتاب المجتنى من أهم كتب ابن دريد، فقد قال المؤلف في مقدمته: " هذا كتاب سميناه المجتنى، لاجتنائنا^(١) فيه ظرائف الآثار، كما تجتنى أطائب الثمار، وجرينا فيه إلى الاختصار، إذ كان الإكثار مقروناً بالسامة"^(٢)، ثم يبين ابن دريد موضوع كتابه بقوله أيضاً: "هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار المؤنقة، والألفاظ المسترشقة، والأشعار الرائقة، والمعاني الفخمة، والحكم المتناهية، والأحاديث المنتخبة"^(٣)، فالكتاب مؤلف مما اجتناه ابن دريد ومما حفظ من المنثور والمنظوم في هذه الفنون التي ذكرها، وقد وضعه في ثمانية عشر باباً.

اعتمد صاحب التذكرة على كتاب المجتنى وأخذ منه تسع (٩) روايات، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير^(٤).

وأضاف ابن حمدون على روايتين منها تعليقاً غير موجود في المورد المذكور ليتم المعنى، ففي الرواية الأولى، قال ابن حمدون: " وقال حكيم: بقدر السموّ في الرفعة تكون وجبة الوقعة"^(٥) فيعلق ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: "نظر إلى هذا المعنى ابن الرومي فقال: فلا تغبطن المترفين فإنهم على قَدَرٍ ما يعطيهم الدهرُ يسْلُبُ"

(١) اجتناء: من فعل جنى، أي قطف الثمار. ابن سيده: المخصص، ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١هـ/٩٣٣م): المجتنى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، د.ت، ص ١.

(٣) ابن دريد: المجتنى، ص ١.

(٤) للاستزادة:

المجتنى	التذكرة
ص ١٦	ج ١، ص ١٢٤
ص ٤١	ج ١، ص ٢٤٧
ص ٤٠	ج ١، ص ٢٨٨
ص ٤٩	ج ١، ص ٣٦٦

(٥) ابن دريد: المجتنى، ص ٣٥. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٢.

أما الرواية الثانية فأضاف بيتين شعريين للنمر بن تولب^(١)، حيث قال ابن حمدون: "قال عمر بن الخطاب d : لا يكن حُبُّكَ كَلْفًا وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا"^(٢)، ثم يُعَقَّب ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: وأتم من هذا الخبر المروي: أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وشبيه به قول الشاعر وهو النمر بن تولب:

وأحبب حبيبك حباً رُوِيْدًا إذا أنت حاولت أن تحكما
وأبغض بغضك بغضاً رُوِيْدًا إذا أنت حاولت أن تصرماً

ب. الملاحن :

يعتمد مفهوم اللحن عند ابن دريد في كتابه هذا على الانزياح في استعمال لفظ معين عن الدلالة العامة الشائعة والمعروفة بين الناس، إلى دلالة معجمية أخرى لهذا اللفظ نفسه، لا يعرفها السامع ولا يدرك معناها إلا بعد مراجعة المعجمات أو بعد أن تُفسر له، فكأنها لغز من الألغاز، وذلك لأن التركيب المستعمل يحتمل معنيين أو أكثر، وسُمي هذا الكلام (بالمورى) لأن باطنه غير ظاهره^(٣).

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد ستاً وعشرين (٢٦) رواية، جاءت جميعها في الباب الثالث والأربعين الموسوم " ما جاء في الكناية والتعريض والأحاجي والمعایة والتورية واستطراد الشعراء"، بشكل متتالي وحرفي كما وردت في كتاب الملاحن، مما يدل على أن ابن حمدون نقلها من هذا الكتاب^(٤).

(١) النمر بن تولب: بن زهير بن أقيش العكلي، شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في حقبة ما قبل الإسلام، ولم يمدح أحداً ولا هجا، وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهاباً لماله، يشبه شعره بشعر حاتم الطائي، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي S فكتب عنه كتاباً لقومه، توفي سنة ١٤هـ/٦٣٥م. أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م): معرفة الصحابة، تح عادل العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ج٥، ص٢٧٠٦. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٥٣١.

(٢) ابن دريد: المجتلى، ص٤٢. التذكرة، ج١، ص٣٨١.

(٣) ابن دريد: الملاحن، ص٢٦.

(٤) للاستزادة :

الملاحن	التذكرة
ص٦٥	ج٨، ص٢٨١
ص١٠٠ - ص١٠١ - ص١٠٥ - ص١٠٦	ج٨، ص٢٨٩ جاء فيها ٩ روايات
ص١١٠ - ص١١ - ص٨٨ - ص٨٩ - ص٩٠ - ص١٠١	ج٨، ص٢٩٠ جاء فيها ٧ روايات
ص٩٣ - ص٩٦ - ص٦٩ - ص٧٠ - ص٧٤ - ص٧٦	ج٨، ص٢٩١ جاء فيها ٧ روايات

وعلى سبيل المثال، مجموعة من الأقوال أوردها ابن حمدون على أنها كنايات، حيث قال: ورسمت الفقهاء في أيمانهم عند الشيء يُتَوَقَّى شُرُّهُ، أو لإصلاح أمرٍ معادٍ أو معاش، فمن ذلك:

"ولا أُمليتُ هذا الكتابَ ولا قرأته من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(١) وقرأتُ: جمعتُ"^(٢).

"وما رأيتُ جعفرًا ولا كَلَمْتُ سَرِيًّا، فالجعفر: النهر الكبير، والسري: النهر الصغير"^(٣).

"وما رأيتُ ربيعاً ولا كَلَمْتُهُ، فالربيع حظُّ الأرضِ من الماء في كلِّ ربع يومٍ وليلة، والربيع: النهر"^(٤).

"وما كَلَمْتُ عُمَر، والعُمَرُ عُمُورُ الإنسان"^(٥).

(١٣) ابن أبي عون ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م

إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم، أبو إسحاق: أديب، من أشياع الشلمغاني^(٦) وثقاته ببغداد، خَلَّفَ العديد من المؤلفات القيمة منها "الأجوبة المسكتة" و"التشبيهات" و"الدواوين" و"الرسائل"، قتله الخليفة العباسي الرازي بالله صلباً مع الشلمغاني، بعد أن عرض عليه أن يتبرأ منه ولم يفعل^(٧).

١. التشبيهات:

من ذخائر الأدب العربي، قال ابن أبي عون في مقدمته: "سألتني أعزك الله أن أثبت لك أبياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة، وبدائعهم فيها الظرفية، وقد تقدّم الناس أعزك الله في اختيار الشعر وتمييزه، غير أنهم لم يصنفوه أبواباً، وذلك أن الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء منه المثل السائر، ومنه الاستعارة الغريبة، ومنه التشبيه الواقع النادر، وما خرج من هذه الأقسام الثلاثة فكلام وسط أو دون، لا

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٨.

(٢) ابن دريد: الملاحن، ص ٩٦. التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٣) ابن دريد: الملاحن، ص ١٠٠. التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٤) ابن دريد: الملاحن، ص ١٠٠. التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٥) ابن دريد: الملاحن، ص ١٠٠. التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٦) الشلمغاني: محمد بن علي، أبو جعفر الشلمغاني، ويعرف بابن أبي العزاقر، ابتدع دعوة قوامها أن اللاهوت حل فيه، وسار معه ركب من الناس، وأفتى علماء بغداد بإباحة دمه، فأمسكه الرازي بالله العباسي، فقتله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٥٦٦.

(٧) الحموي: معجم الأديباء، ج ١، ص ١٠٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٥٦٨. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ٢٠٣. الطيب يامخرمة: قلادة النحر، ج ٣، ص ٧٦.

طائل فيه ولا فائدة معه، ورأيت أجلاً هذه الأنحاء وأصعبها على صانعها التشبيه، وذلك أنه لا يقع إلا لمن طال تأمله ولطف حسه، وميزَ بين الأشياء بلطيف فكره، وأنا أثبت لك في هذا الكتاب أبياتاً من التشبيه مختارة، وأتخلل المعاني المختلفة والتشبيهات المتداولة إلى الأبيات الطريفة النادرة، وأقتصر على جملة يكون لك فيها حظ ومتعة، وتأدب ورياضة، وأتجنب الإطالة التي يتلقاها الملالة^(١).

لقد كان اعتماد ابن حمدون على هذا الكتاب كبير، حيث أخذ منه ثلاثمائة وأربع (٣٠٤) روايات، جاءت معظمها في باب النعوت والأوصاف، وتم نقل هذه الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير، ومما نقله ابن حمدون عن التشبيهات: "وقال آخر:

فلو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة
ولو كنت ليلاً كنت ضاحية البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة
ولو كنت يوماً كنت عريسة الفجر^(٢)

وفي رواية أخرى نقلها ابن حمدون في باب الأوصاف والنعوت، يصف فيها آلات القنص والصيد، حيث قال ابن حمدون:

"أرسله كالسهم إذ غالى به
يسبق طَرْفَ العين في التهايه
كلمعان البرق في سحابة"^(٣)

وفي بعض الأحيان، كان ابن حمدون ينقل أبياتاً شعرية وقد أغفل فيها ذكر الراوي أو مناسبة هذه الأبيات، ومنها على سبيل المثال، أبياتاً شعرية لم ينسبها لأحد، فقال ابن حمدون:

شربت مُدَامَةً وسقيت خلاً
لقد جاوزت في الفعل اللئاما
نبیذاً كان للممقور دهرأ
تَفَتَّتْ منه أكبادُ الندامي
فشبهناه وجهك فهو وَجَّة
عبوس قَمَطَرِيرٍ لن يراما^(٤)

بينما يذكر مؤلف كتاب التشبيهات أن هذه الأبيات لشاعر يُدعى الحمدي قالها هجاءً لرجل آخر كان قد سقاه نبیذاً حامضاً^(٥).

٢. الأجوبة المسكتة:

يعدُّ هذا الكتاب من أبدع ما ألفه ابن أبي عون، وهو عبارة عن مجموعة من الأجوبة الذكية، يرد بها المسؤول على من يسأله ليفحّمه بالجواب المُسكت، وهذه الأجوبة لم ترد مجردة أو منفردة، بل

(١) ابن أبي عون : التشبيهات، ص ١.

(٢) ابن أبي عون: التشبيهات، ص ٣٣٩ . التذكرة، ج ٤، ص ٢٣.

(٣) ابن أبي عون: التشبيهات، ص ٤١ . التذكرة، ج ٥، ص ٢٧٥.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ١٦٢.

(٥) ابن أبي عون: التشبيهات، ص ٣٩٠.

جاءت في معرض سرد لبعض الأخبار والقصص والنوادر والأمثال، فيقول ابن أبي عون: "وقد أثبت لك - أبقاك الله - من الجوابات ما فيه لك كفاية ومتعة وتأدب ورياضة، وجعلت أبواباً لئلا يختلط الجد فيه بالهزل، والواعظ بالمضحك والركين بالركيك"^(١)، وبلغ عدد هذه الجوابات ألفاً وثلاثمائة وأربعة وتسعين جواباً جاءت في تسعة أبواب.

اعتمد ابن حمدون على هذا الكتاب في سبع وثلاثين (٣٧) رواية، نقلها بشكل حرفي، جاءت إحدى وثلاثون رواية منها في باب الحجج البالغة والأجوبة الدامغة، مع العلم أن ابن حمدون اعتمد عند خطه لهذا الباب على كتاب نثر الدر في المحاضرات لأبي سعد الآبي بشكل كبير.

على سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال بحيرا الراهب لأبي طالب: احذر على ابن أخيك فإنه سيصير إلى كذا وكذا، قال: إن كان الأمر على ما وصفت فهو في حصن من الله تعالى"^(٢).

وفي موضع آخر، ذكر: "خلع الرشيد على يزيد بن يزيد"^(٣)، وكان في مجلسه رجل من أهل اليمن، فقال: اجزُر يا يزيد ما لم يعزق فيه جبينك، قال: صدقت عليكم نسجه وعلينا سحبه"^(٤).

ومن الأجوبة الدامغة التي نقلها ابن حمدون من كتاب الأجوبة، قوله: "مر الأحنف بعكراش بن ذؤيب - وكان ممن شهد الجمل مع عائشة ففطعت يداه جميعاً - فصاح به عكراش: يا مُحْدَل، فقال الأحنف: أما إنك لو أطعنتي لأكلت بيمينك وتمسحت بشمالك"^(٥).

وجدير بالذكر أن الروايات التي أوردها ابن حمدون شملت مختلف العصور، ومن أمثلتها، قال ابن حمدون: "وعير آخر سقراط ببلده، فقال سقراط: نسبي مني ابتداءً، ونسبك إليك انتهى"^(٦).

(١) ابن أبي عون (إبراهيم بن محمد ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م): الأجوبة المسكتة، تح مي يوسف، دار عين للدراسات، القاهرة، ط ١٩٩٦م، ص ٣.

(٢) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ص ٣٦. التذكرة، ج ٧، ص ١٨٧.

(٣) يزيد بن يزيد: بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن خالد، الشيباني، وهو ابن أخي معن بن زائدة، من القادة الشجعان، كان والياً بأرمينية وأذربيجان، وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده، وتوفي ببردعة في أذربيجان سنة ١٨٥هـ/٨٠١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٢٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٧١. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٢٦٨.

(٤) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ص ٢٨٠. التذكرة، ج ٧، ص ١٩١.

(٥) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ص ١٥٠. التذكرة، ج ٧، ص ٢٠٠.

(٦) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ص ١١١. التذكرة، ج ٧، ص ٢٢٠.

(١٤) الوشَاء ت ٣٢٥هـ/٩٣٧م

محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء: عالم بالأدب، من أهل بغداد، وكان يحترف التعليم، قال الخطيب البغدادي عنه في تاريخ بغداد: "كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ، حَسَنَ التَّصْنِيفِ، مَلِيحَ التَّأْلِيفِ، إِبْخَارِيًّا، أَخَذَ عَنْ ثَعْلَبٍ وَالمبرد، وَروى عَنْ عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته، وَروى عَنْهُ مَنِيَّةٌ جَارِيَةٌ أَمَ الْمُعْتَمَدُ، وَكَانَ نَحْوِيًّا مُعَلِّمًا لِمَكْتَبِ الْعَامَّةِ" (١)، ترك العديد من المؤلفات منها "الجامع" و"خلق الإنسان" و"زهرة الرياض" و"الموشى" وغيرها.... (٢).

اعتمد ابن حمدون في تذكرته على كتاب الموشى باعتباره من مشاهير كتب الأدب السائرة، الذي أفاض فيه أبو الطيب الوشاء بالكلام عن الظرف وشرائعه، والظرفاء وتقاليدهم، وطرائف أخبارهم، وغريب عاداتهم، وسلك كبار العشاق في سلكهم، لأنه رأى أن الظرف مبني على أركان أربعة، وهي: تحصيل الأدب، والتحلي بمكارم الأخلاق، واستكمال شرائع المروءة، ونعمة الحب العفيف، ومن هنا قدم لحديثه عن الظرف فصولاً طويلة من أخبار العشاق، وسمّى في بعضها اثنين وثلاثين عاشقاً ومعشوقاً، ومن قتله الحب، وافتتح الجزء الثاني منه بذكر حيل القيان، وما وقف عليه من طريف الشعر في ذكر غدرهن ومكرهن. وأتبع ذلك بأبواب أتى فيها بالحديث عن أخبار الظرفاء.

أخذ ابن حمدون من الموشى روايتين فقط، الأولى القصة التي أوردها عن أسماء بن خارجة الفزاري وابنته هند، ومن الملاحظ هنا، أنه اعتمد في نقلها على مصدرين، الأول، كتاب الأغاني في ذكره للرواية، والثاني، كتاب الموشى في اقتباس أبيات الشعر، قال ابن حمدون: "زوّج أسماء بن خارجة الفزاري ابنته هند من الحجاج بن يوسف، فقال لها أسماء: يا بنية، إنّ الأمهات يؤدّبن البنات، وإن أَمَكْ هَلَكْتَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ، فَعَلَيْكَ بِأَطِيبِ الطَّيِّبِ الْمَاءِ، وَأَحْسَنِ الْحَسَنِ الْكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها مقطعة للودّ، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وكوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً، واعلمي أنّي القائل لأَمَكْ حيث أقول:

حُذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي	وَلَا تَغْضَبِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَعْضُبُ
وَلَا تَنْفَرْنِي نَفْرَكَ الدَفِّ مَرَّةً	فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغِيبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى	إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ" (٣)

(١) تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٦٣.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٣٠٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٥. السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ٩١١هـ/١٥٠٥م: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٨.

(٣) الوشاء (محمد بن أحمد بن إسحاق ت ٣٢٥هـ/٩٣٧م): الموشى، تح كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٣م، ص ١٤٩. التذكرة، ج ٣، ص ٣٣٩.

بينما اقتضت الرواية الثانية على بيتين شعريين لعبد بني الحساس^(١)، حيث قال ابن حمدون:
"وقال عبد بني الحساس:

فإن نُقِلِي بالودِّ أَقِيلُ بَمَثَلِهِ وإنْ تُدْبِرِي أُدْبِرُ على حالٍ باليا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي قَلِيلٌ لُبَّائَتِي إذا لم يكنْ شيءٌ لشيءٍ مؤاتياً"^(٢)

(١٥) ابن عبد ربه ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م

أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، يُكنَّى أبا عمر، الأديب، الإمام، من أهل قرطبة، كان جدّه الأعلى (سالم) مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وكان ابن عبد ربه شاعراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها، له شعر كثير، منه ما سماه "المحصّات" وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب، وكانت له في عصره شهرة ذائعة^(٣).

وبعدُ "العقد الفريد" الكتاب الذي خُذَ ذكر ابن عبد ربه في الدنيا، ألفه في وقتٍ كانت فيه قرطبة في أوج ازدهارها، ويشارك الكتاب مع سائر كتب الأدب في الخصائص التي سادت المؤلفات في ذلك العصر، فهو ذو طابع أدبي موسوعي تتسم مادته بالغزارة والتنوّع، وحوى جانباً وافياً من نصوص الشعر والنثر والخطب والوصايا والرسائل والعروض واللغة والأخبار، كما حوى معارف في الفقه والحديث والتاريخ، وقد تكلم على ذلك في خطبة كتابه فقال: "وقد ألّفت هذا الكتاب، وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب؛ وإنّما لي فيه تأليف الاختيار، وحسن الاختصار"^(٤).

غير أن لكلّ كتاب لوناً ومنهجاً، ولم يكن صاحب العقد جامعاً أو مصنفاً فحسب، فشخصيته في كتابه كانت أكثر بروزاً ووضوحاً مما كان لدى الكثير من المؤلفين، ويتجلّى ذلك من وجوه، منها انعكاس ثقافته الخاصة وميوله المتميّزة في كتابه، من شغف بالموسيقى والغناء والملاحة والحسن،

(١) اسمه سحيم، شاعر، رقيق الشعر، كان عبداً نوبياً أعجمي الأصل، اشتراه بنو الحساس (وهم بطن من بني أسد) فنشأ فيهم، ومولده في أوائل عصر النبوة، وقتله بنو الحساس وأحرقوه، لتشبيهه بنسائهم سنة ٤٠هـ/٦٦٠م. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٩٦. الأمدى: المؤلف والمختلف، ص ١٧٥. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) الوشاء: الموشى، ص ١٤٤. التذكرة، ج ٤، ص ٣٥٨.

(٣) ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م): تاريخ علماء الأندلس، عني به عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١١٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٨.

(٤) العقد الفريد، ج ١، ص ٤.

وميل إلى وصف مجالس اللّهُو والطرب والشراب، وهذه ملامح إتّسم بها أهل الأندلس وعرفوا بها بين أهل الشرق.

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب العقد الفريد وأخذ منه روايات بلغ عددها مائة وخمسة عشرة (١١٥) رواية، نقل معظمها بشكل حرفي، وتوزّعت على أبواب التذكرة كلها.

عمد ابن حمدون في بعض الروايات التي نقلها على إتمام رواية أخذها من العقد بشاهد ليتمّ المعنى ويدعم المقصود من الرواية، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال أكثم بن صيفي: إنما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم"^(١)، ثم يعلّق ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: "ألّم بهذا المعنى أبو تمام فقال:

وما ابنُ آدم إلّا ذكرٌ صالحٌ أو ذكرٌ سيئةٌ يسري بها الكلامُ
إذا سمعتَ بدهرٍ باداً أمتهُ جاءت بأخبارها من بعدها أممُ
وإنما يكون الثناء على مكارم الأخلاق".

ونقل ابن حمدون بعض الروايات بتصوّف وبأسلوبه الخاص^(٢)، لكنه وقع بخطأ عند نقله من العقد في رواية واحدة، حيث قال: "ذكر عمر بن الخطاب d الفقراء فقال: إنّ سعيد بن خريم منهم، فأعطاه ألف دينار وقال: سمعت رسول الله S يقول: إذا أعطيت فأغن"^(٣)، حيث ورد الاسم في كتاب العقد وسائر المصادر سعيد بن حذيم^(٤)، ويمكن تسويغ ذلك لسرعة قلم ابن حمدون، أو ربما سقط سهواً.

كان ابن حمدون على عادته يجمع رواياته بالاعتماد على أكثر من مصدر، وهذا ما تمثّل عنده في الباب الخامس والأربعين الموسوم "في الغناء والقيان"، حيث أورد رواية طويلة، نقلت حرفياً من كتاب الأغاني، وتناولت الخليفة هارون الرشيد عندما خرج ليلاً، وأضاف عليها بيتان شعريان نقلهما من كتاب العقد الفريد^(٥).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ١٩٤. التذكرة، ج ٢، ص ١٩٢.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ١٢٣ - ج ٢، ص ٢٨. ابن حمدون: التذكرة، ج ٢، ص ١٥٤ - ج ٧، ص ٢٠٩.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ٢٣٣. التذكرة، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٤) سعد بن عامر بن حذيم من الصحابة الأجلاء، وروى عن الرسول S عدة أحاديث، ولاه الخليفة عمر إمرة حمص وكان مشهوراً بالزهد، وشارك في الكثير من الفتوحات، وتوفي في خلافة عمر d. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ١٤٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١١٨. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٣، ص ٩٣.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٨. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ٣١.

(١٦) الجهشيارى ت ٣٣١هـ/٩٤٣م

محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشيارى، أبو عبد الله، مؤرخ، من أهل الكوفة، نشأ مع أبيه في بغداد، وكان أبوه حاجباً للوزير علي بن عيسى، فخلفه على الحجابة له، ثم للوزير حامد ابن العباس في خلافة المقتدر بالله، وولي إمارة الحج العراقي سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩م، ونكب يوم قبض على ابن مقله^(١) فأدى ثمانين ألف دينار وأطلق، وكان من أصحابه، وبقي في بغداد إلى أن مات، وترك العديد من المؤلفات "الوزراء والكتّاب" و"أخبار المقتدر العباسي" و"أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم"^(٢).

ويعدُّ كتاب **الوزراء والكتّاب** من أهم الكتب التي ألّفت في مجال الإدارة، فقد تحدث عن تنظيم الإدارة وجباية الخراج، وتدوين الدواوين، وضروب السياسة التي اتخذها الخلفاء العباسيون، ومظاهر الحضارة الفارسية التي استفاد منها المسلمون في بناء نظام الإدارة في البلاد العربية الإسلامية.

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب الوزراء ثمانين وعشرين (٢٨) رواية، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، حيث أورد عن الجهشيارى أخبار ملوك الفرس والإسكندر، فمثلاً، قال ابن حمدون: "يقال إن جمشيد وهو الثالث من ملوك الفرس ملك الأقاليم وصنّف الناس وطبقهم، وعمل أربعة خواتيم: خاتماً للحرب والشرط وكتب عليه الأناة، وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه العمار، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحي، وخاتماً للمظالم وكتب عليه العدل، فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام"^(٣)، وذكر في نصائح الملوك نقلاً عن الجهشيارى، قال: "كتب أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس: ليكن من تختاره لولايتك امرءاً كان في ضعة فرفعة، وذا شرفٍ وجدته مهتضماً فاصطنعتُهُ،

(١) ابن مقله: محمد بن علي بن الحسين بن مقله، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس، ثم استوزره الخليفة المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م واستوزره الخليفة القاهر بالله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م فجئ به من بلاد فارس، فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه بالمؤامرة على قتله، فاخْتَبَأَ إلى أن استوزره الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م ثم نَقِمَ عليه سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م فسجنه مدة، وأخلّى سبيله، ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى وسجنه، ومات في سجنه سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٧٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٢٢٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٨٢.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٥٦٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢٣. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسىكا، اسانتبول، ٢٠١٠م، ج ٤، ص ٧٥.

(٣) الجهشيارى (محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٩٤٣م): الوزراء والكتّاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٩. التذكرة، ج ١، ص ٢٩٤.

ولا تَجْعَلُهُ امرءاً أصْبَتَهُ بعقوبةٍ فاتَّضَعَ عنها، ولا امرءاً أطاعَكَ بعدما أذْلَلْتَهُ، ولا أحداً ممن يَقَعُ في خَلْدِكَ أنْ إزالةَ سلطانِكَ خيرٌ له من ثبوتِهِ، وإياكَ أن تستعملَ ضَرَعاً غَمِراً كَثُرَ إعجابهُ بنفسه وقلَّت تجارتِهِ في غيره، ولا كبيراً مُدْبِراً قد أخذَ الدهرُ من عقله كما أخذتِ السنُّ من جسمه^(١).

اقتبس ابن حمدون أخبار وزراء البيت العباسي من هذا المورد حين ذكر: "ولما قتل المنصور أبا مسلم خطّاه في الرأي الفرّج بن فضالة، وكان يتقلّد له بيت المال، وقد كان عمل لعبد الملك بن مروان، فقال له: لِمَ لَمْ تخطِئْ صاحبَكَ لما قتلَ عمرًا، يعني عبد الملك، قال: لأنّه قتله ودونه أبوابه ومغالقه، وحوله اثنا عشر ألفاً من جنوده ومواليه، وقتلت أبا مسلم وأنت في خرق، وكلُّ من حوالياً إليه ومنه وله، فتمثل أبو جعفر:

وما إنْ شفى نفساً كأميرٍ صريمةٍ إذا حاجةٌ في النفس طالَ اعتراضها"^(٢)

إضافة إلى رواياتٍ أخرى نقلها وجميعها تدور حول علاقة الوزراء مع الخلفاء والملوك^(٣).

(١٧) الصولي ت ٩٤٧/هـ ٣٣٥ م

محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، أبو بكر المعروف بالصولي، ولد في بغداد ونشأ فيها، كان أحد العلماء بفنون الآداب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وطبقات الشعراء، وكان واسع الرواية، حسن الحفظ للآداب، حاذقاً بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها، ونادم عدداً من الخلفاء، وصنف أخبارهم وسيرهم، وجمع أشعارهم، ودَوَّن أخبار من تقدم وتأخر من الشعراء والوزراء والكتاب والرؤساء، وروى عن كبار المحدثين كأبي داود السجستاني، وأبو العباس (ثعلب) والمبرد، وأبي العيناء محمد بن القاسم، ونادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، هم: الراضي والمكتفي والمقتدر، توفي في البصرة سنة ٩٤٧/هـ ٣٣٥ م، وترك العديد من

(١) الجهشيري: الوزراء والكتاب، ص ١٠. التذكرة، ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) الجهشيري: الوزراء والكتاب، ص ٧٣. التذكرة، ج ١، ص ٤٢١.

(٣) للاستزادة:

الوزراء والكتاب	التذكرة
ص ٢	ج ١، ص ٢٩٤
ص ٦	ج ١، ص ٢٩٦
ص ١٠	ج ١، ص ٣٠٧
ص ١٦٥	ج ٢، ص ١١٠
ص ١٨٨	ج ٢، ص ٢٤٢

المصنفات منها: "الأوراق" في أخبار آل عباس وأشعارهم، و"أدب الكتاب" و"أخبار القرامطة" و"الغرر" و"أخبار ابن هرمة" و"أخبار إبراهيم بن المهدي" و"أخبار الحلاج"^(١)، وقد اعتمد ابن حمدون في تذكرته على اثنين من مؤلفات الصولي، هما:

١. الأوراق:

وصف النديم كتاب الأوراق في كتابه الفهرست فقال: "خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام المعتز، وأشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه، وأول ذلك شعر عبد الله بن علي، وآخره شعر أبي أحمد محمد بن اسماعيل المنصور، ويتلو ذلك شعر الطالبين من ولد الحسن والحسين"^(٢).

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب الأوراق في خمس (٥) روايات، ثلاثة منها في أخبار الشعراء، وروايتان في أخبار أولاد الحكام، حيث نقل ابن حمدون في الباب السابع الموسوم "في الوفاء والمحافظة والأمانة" رواية من كتاب الأوراق تخص طلب المنصور من ولي العهد عيسى بتقديم المهدي عليه فقال: "لما طالب المنصور عيسى بن موسى بتقديم المهدي عليه في العهد قال:

بَدَتْ لِي أَمَارَاتٌ مِنَ الْعَذْرِ شِمْنُهَا أَظُنُّ رَوَايَا سَتُطْرِكُكُمْ دَمًا
وما يعلمُ العالي متى هَبِطَاتُهُ وإن سار في ريحِ الغرورِ مُسَلِّمًا"^(٣)

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون نقلاً عن الأوراق: "خاصم أحمد بن يوسف"^(٤) رجلاً بين يدي المأمون، وكان قلب المأمون على أحمد مملوءاً، فعرف أحمد ذلك فقال: يا أمير المؤمنين إنه يستلمي من عينيك ما يلقاني به، ويستبين بحركتك ما تُجنُّه له، وبلوغ إرادتك أحبُّ إليَّ من بلوغ أُملي، ولذَّةُ إجابتك آثرُ لديَّ من لذَّةِ ظفري، وقد تركت له ما نازعني فيه، وسلَّمْتُ إليه ما طالبني به، فشكر

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٦٧٥. الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٧٧. القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٣٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥٦.

(٢) النديم (محمد بن اسحاق ت ٤٣٨هـ/١٠٤٧م): الفهرست، تح إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص٢١٥.

(٣) الصولي (محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م): الأوراق، دار أمل، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣١٥. التذكرة، ج٣، ص١٥.

(٤) أحمد بن يوسف: بن القاسم بن صبيح، أبو جعفر الكاتب، كان من أفضل كتاب المأمون، وأذكاهم وأفطنهم وأجمعهم للمحاسن، جيد الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط، يقول الشعر في الغزل والمدح والهجاء، من أهل الكوفة، توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م. ابن العديم: بغية الطلب، ج٣، ص١٢٧١. الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٦١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨، ص١٨١.

المأمون له ذلك^(١)، وجدير بالذكر أن ابن حمدون نقل هذه الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير من المورد المذكور^(٢).

٢. أدب الكتاب:

من مشاهير كتب الأدب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ألفه الصولي زمن الخليفة العباسي الراضي بالله، كما يفهم مما كتبه في باب "ما يتكاتب به الناس اليوم"، قال في مقدمته: "وجزأته ثلاثة أجزاء، في أول كل جزء منها ذكر ما فيه من الأبواب ... وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى (أدب الكتاب) على الإيجاب لا على الاستعارة، وعلى التحصيل لا على التمثيل، فإني رأيت من صنف هذا مثل هذا الكتاب، ونسبه هذه النسبة، ولم يحصل له منه إلا تسميته دون تجسيمه، وتعميته دون إيضاحه وتقريبه من المعنى الذي ألبسه إياه، ونسبه إليه ... " ^(٣)، ثم أشار إلى أنه أسقط أكثر الأسانيد من الكتاب تسهياً على الطلاب، فجعل الجزء الأول منه فيما قيل في الخط والقلم، والجزء الثاني فيما قيل في المداد والقرطاس وأدوات الكتابة وآدابها، وما يلزمها من الصناعات، وجعل الثالث فيما جاء في الإبل والخيول، وأحكام الأموال والخراج والجزية، والرفيق، والأطعمة، ومكاتبة الإخوان، وختمه بفصول في اللغة والنحو.

أخذ ابن حمدون من هذا الكتاب أربع (٤) روايات فقط، نقلها بشكل حرفي، الأولى في كلام للوزير أحمد بن يوسف يصف جارية، حيث قال: "ومن كلام أحمد بن يوسف في صفة جارية كاتبة: كأنَّ حَظَّها أشكالُ صورتها، وكأنَّ مدادها سوادُ شعرها، وقرطاسها أديمُ وجهها، وكأنَّ قَلَمَها بعضُ أناملها، وكأنَّ لسانها سحرُ مقلتها، وكأنَّ مبراتها سيفُ لحظها، وكأنَّ مَقْطَعُها قَلْبُ عاشقها"^(٤).

(١) الصولي: الأوراق، ص ٢٣٢. التذكرة، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٢) للاستزادة:

الأوراق	التذكرة
ص ٣١٨	ج ٣، ص ٢٤
ص ٢٠٩	ج ٤، ص ٥٣

(٣) الصولي (محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م): أدب الكتاب، تح محمد بهجت الأثري، دار المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٢م، ص ٢٠.

(٤) الصولي: أدب الكتاب، ص ٤٨. التذكرة، ج ٥، ص ٣١٠.

والرواية الثانية جاءت في وصف القلم: "وقيل: الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن"^(١)، والثالثة بيتاً شعرياً لابن المعتز^(٢)، أما الرواية الأخيرة في وصف الخط^(٣).

(١٨) ابن الداية ت ٩٥٢/هـ ٣٤٠

أحمد بن يوسف بن إبراهيم البغدادي المصري، أبو جعفر الكاتب، ابن الداية، من وجوه الكتّاب الفصحاء، كانت له معرفة بالأدب والتاريخ والطب والفلك والحساب، وله شعر حسن، أصله من بغداد، هاجر أبوه منها إلى دمشق ومن ثم استقر بمصر، وصنف كتباً منها "المكافأة وحسن العقبي" و"سيرة أحمد بن طولون" و"سيرة أبي الجيش خمارويه" و"سيرة هارون بن أبي الجيش" و"أخبار غلمان بني طولون" و"أخبار الأطباء"^(٤).

أما كتابه "المكافأة وحسن العقبي" فقد جاء في سرد أخبار الوفاء وصناعة المعروف، وحفظ الجميل ومكارم الأخلاق، وحياة النبلاء، والمكافأة على الحسن والقبح، وحسن العقبي في الصبر والتشدد، وهو في أكثره يروي الخبر عن حدث به، أو يصوغ في عبارته حكاية ما لقيه أو شاهده أو استخرجه، وهو في بيانه قليل التكلف، قريب اللفظ، ذلك أنه بفطرته محدث بارع، فكان سياق كلامه في كتابته واضح وبلغ.

وجاء اعتماد ابن حمدون على كتاب المكافأة في روايتين فقط، الأولى: تناولت قصة أحمد بن طولون^(٥) مع واليه موسى بن مفلح^(٦)، فيما تناولت الرواية الثانية قصة ابن طولون مع رجلٍ استجار به^(٧) ونقلهما ابن حمدون بشكل حرفي دون تغيير.

(١) الصولي: أدب الكتاب، ص ٦٧. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٢) الصولي: أدب الكتاب، ص ٨٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٤١٢.

(٣) الصولي: أدب الكتاب، ص ٥٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٤١٣.

(٤) الحموي: ياقوت: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٥٩. ابن الساعي: الدر الثمين، ص ٢٩٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٨٤.

(٥) أحمد بن طولون: أبو العباس، الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، كان شجاعاً جواداً حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، مؤسس الدولة الطولونية، كان أبوه مولى لنوح بن أسد الساماني (عامل بخارى وخراسان) وأهداه نوح في جملة من المماليك إلى المأمون، فرقاه المأمون، وتوفى أحمد سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٢٦٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٦٥.

(٦) ابن الداية (أحمد بن يوسف ت ٩٥٢/هـ ٣٤٠م): المكافأة وحسن العقبي، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ٣٠٥.

(٧) ابن الداية: المكافأة، ص ٧٤. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ٣٠٦.

(١٩) ابن حبان ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م

محمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ خراسان، المحدث، المؤرخ، صاحب الكتب المشهورة، سمع النسائي، والحسن بن سفيان، وأبا يعلى الموصلي، وحدث عنه: ابن منده، وأبو عبدالله الحاكم، ولي قضاء سمرقند، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالماً بالنجوم، والطب، وفنون العلم، كان كثير التصنيف، ومن مصنفاته: "تاريخ الثقات"، "علل أوهام المؤرخين"، "مناقب الشافعي" "المسند الصحيح" "الأنواع والتفاسيم" "الصحابه" و"روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" و"التابعون" و"أسماء من يُعرف بالكنى" و"المعجم" "كتاب المجروحين" وغيرها^(١).

يتناول كتاب "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في الحياة، مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس بعامه، ويتكون من خمسين فصلاً، تتناول هذه النواحي الأربع في السلوك، منها خمسة عشر موضوعاً في أدب النفس وسلوك الإنسان مع ربه، كلزوم العقل والعلم وإصلاح السرائر، ولزوم الصمت ومجانبة الحرص والغضب، ولزوم القناعة، والتوكل على من ضمن الأرزاق، والرضا بالشدائد والصبر عليها، وذكر الموت، وتقدير الطاعات، أما بقية الموضوعات فأدب اجتماعية، تُنظم سلوك الإنسان في المجتمع، مثل لزوم الصدق، والحياء والتواضع، والتحبب إلى الناس، وترك المداينة، ونشر السلام، وما أبيح من المزاح... إلخ، ويقول ابن حبان في مقدمة الكتاب: "فلما رأيت الرعاع من العالم يغترون بأفعالهم والهمج من الناس يقتدون بأمثالهم دعاني ذلك الى تصنيف كتاب خفيف يشتمل مُتَضَمَّنُهُ على معنى لطيف مما يحتاج إليه العقلاء في أيامهم من معرفة الأحوال في أوقاتهم ليكون كالتذكرة لذوي الحُجى عند حضرته وكالمعين لأولي النهى عند غيبتهم أبين فيه ما يحسن للعاقل استعماله من الخصال المحموده ويقبح به إتيانه من خلال المذمومة مع القصد في لزوم الاختصار وترك الإمعان في الإكثار"^(٢).

وتراوحت الروايات المنقولة من قبل صاحب التذكرة من كتاب روضة العقلاء ما بين أحاديث للرسول S أو أقوال للخلفاء الراشدين وغيرهم، وما بين بعض الأشعار، مع العلم أن عددها بلغ إحدى عشرة (١١) رواية فقط، ومن أهمها: "قال عمر S: جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة"^(٣).

(١) الدارقطني: المؤلف والمختلف، ج ١، ص ٤٢٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٢، ص ٢٤٩. السبكي: طبقات

الشافعية الكبرى، ج ٣، ص ١٣١. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ٥، ص ١١٢.

(٢) ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد ٣٥٤هـ/٩٦٥م): روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٥.

(٣) ابن حبان: روضة العقلاء، ص ٣١. التذكرة، ج ١، ص ١٤٦.

ومن الأحاديث المُقتبسة من هذا الكتاب: "قال رسول الله S: ما استودع الله عبداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما"^(١).

بينما جاءت الأشعار لتستعرض السر وصونه وعدم إفشائه الأشعار، ومنها: "وقال آخر:

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَلَا غَرْنِي أَنِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهولٌ يُضَيِّعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جاهِلٌ وَحَلِيمٌ"^(٢)

وبالمقارنة مع كتاب روضة العقلاء، لُوحظ اختلاف بكلمة واحدة، حيث ورد يذيعه بدلاً من يضيعة.

(٢٠) أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م

علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصفهاني، ولد في مدينة أصبهان عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م، ومن هنا لحقته النسبة إلى هذه المدينة، مع أنه لم ينشأ فيها، وإنما نشأ في مدينة بغداد وجعلها موطناً له، حتى أن داره التي كان يسكنها ببغداد معروفة، ونص على أنها واقعة على نهر دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة، روى عن علماء كثيرين يطول تعدادهم، وسمع من جماعة لا يحصون، منهم ابن دريد إمام عصره في اللغة والأدب والشعر، والفضل بن الحباب الجمحي، والأخفش العالم النحوي الكبير، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وقدامة بن جعفر وآخرون، وكانت لأبي الفرج مكانته الاجتماعية العالية في منطديات بغداد الأدبية ومجالسها العلمية، بسبب الحظوة الكبيرة التي نالها من ركن الدولة البويهية^(٣) الذي صيّر كاتباً له، وكان مثل هذه الوظيفة سبباً وجيهاً لرفع مكانة أبو الفرج في الوسط الاجتماعي والسياسي للدولة العباسية، وترك الأصفهاني الكثير من المؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر "كتاب الأغاني" الذي جمعه في خمسين سنة، و"مقاتل الطالبين" و"نسب بني عبد شمس" و"القيان" و"الإماء الشواعر" و"أيام العرب" و"التعديل والإنصاف" و"جمهرة النسب" و"الديارات" و"مجرد الأغاني"

(١) ابن حبان: روضة العقلاء، ص ١٨. التذكرة، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) ابن حبان: روضة العقلاء، ص ١٨٩. التذكرة، ج ٣، ص ١٥٢.

(٣) ركن الدولة: أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي الملقب ركن الدولة، كان حاكماً على أصبهان والري وهمدان، وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة أبي منصور بويه وفخر الدولة أبي الحسن علي، كان ملكاً جليل القدر عالي الهمة، استوزر ابن العميد، توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ودفن في الري. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٣١٥.

و"الحانات" و"الخمرون والخمارات" و"آداب الغرباء"^(١)، أما الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون كموارد لتذكرته فهي:

١. الأغاني :

هذا الكتاب من كتب فن الغناء والموسيقى في العصر العباسي، التي أُلِّفَ الكثير منها، وجاء أبو الفرج الأصفهاني ليأخذ كل ما في تلك الكتب من ميزات ومحاسن، وليضيف إليها كل ما لديه من إمكانات ومقدرة فنية وعلم بهذا الفن، الذي ارتفع في زمانه حتى وصل الذرى، وكتاب الأغاني كتاب موسوعي، جمع في الأدب، والغناء، والشعر، مبتدئاً بحقبة ما قبل الإسلام، ثم صدر الإسلام، ثم العصرين الأموي، والعباسي، إلى عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله، المتوفى سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م، وقد تناول فيه علوماً شتى، وأغراضاً متنوعة من تفسير، وحديث، ولغة، وسير وأخبار، ومسامرات، وأحوال لسراة الناس وكبرائهم من خلفاء وأمراء ووزراء وعلماء وغيرهم، ويظهر في هذا الكتاب تعمق أبي الفرج بالموسيقى والغناء، لكنه وبطبيعته الموسوعية، وتمثله معارف عصره كلها أراد أن يكون كتابه غاية ما أُلِّفَ في مضماره وأعلاه، فما أتى بصوت مُغَنٍّ حتى رجع إلى قائل الشعر، وتوقف عند أخباره بعد ذكر اسمه ونسبه، فلا يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها، ولم يكتفِ أبو الفرج بالصوت المغنَّى ولا القصيدة التي غُنيت منها أبيات، وإنما رجع إلى كل ما قاله الشاعر أو إلى أكثره، مع إيراد الأخبار المتعلقة بذلك الشاعر وعلاقته بعصره وصلاته بالناس، ولا سيما الطبقة العليا، وعلى وجه الخصوص الخلفاء والأمراء والوزراء.

وكتاب الأغاني، والذي جاء ضمن خمسة وعشرين جزءاً، هو بحد ذاته تاريخ فن الغناء العربي، فما من مُغَنٍّ إلا وأُفرد له أبو الفرج حيزاً يخصه، ويتحدث عنه وعن أخباره وفنه متوسعاً في ذلك ما أمكنه، ولا يألو جهداً في هذا المجال، ولا يقصر، وقد حاول أبو الفرج السير على طريقة معاصريه في إسناد الأخبار، فجاء بسلسلة الرواة الذين أوصلوا الخبر إليه أخيراً، ولم ينس أن يذكر الروايات كلها، وكأنه أراد بذلك أن يوثق كتابه.

لقد شكّل كتاب الأغاني العماد الرئيسي التي قامت عليه التذكرة الحمدونية، وتكاد لا تخلو صفحة من صفحات التذكرة إلا وفيها رواية نقلت عن الأغاني، وقد بلغ عدد الروايات التي نقلها ابن حمدون عن أبي الفرج الأصفهاني ستمائة وستاً وستين (٦٦٦) رواية، وتتوّعت هذه الروايات بين أبيات شعرٍ إلى قصص أو حكم أو أحداث تاريخية، وفي بعض الأحيان كانت بعض الروايات التي

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص١٧٠٧. القفطي: إنباه الرواة، ج٢، ص٢٥١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص١٥. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٤، ص٢٢١. الطيب يامخرمة: قلادة النحر، ج٣، ص١٥٨.

تم نقلها يتجاوز حجمها خمس صفحات للرواية الواحدة، وقد نقل ابن حمدون معظم الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في الباب الخامس الموسوم "في السخاء والجد" رواية نقلها من الأغاني، قال ابن حمدون: "وكان لبعض التجار على رجل دين، فأراد استعداد خالد عليه (المقصود خالد بن عبد الله القسري)^(١)، فلما جاء الرجل ببواب خالد وبزّه، فقال له: سأحتال لك في أمر هذا بحيلة لا يدخله عليه أبداً قال: فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر، فدخل وخالد يأكل سمكاً، فجلس فأكل أكلاً شنيعاً فغاض ذلك خالداً، فلما خرج قال خالد لبوابه: فيم أتايتني هذا؟ قال: يستعدي على فلان في دين يدّعيه عليه، قال: إني لأعلم أنّه كاذب فلا يدخلن عليّ، وتقدم إلى صاحب الشرطة بأن يقبض يده عن خصمه"^(٢).

وكان ابن حمدون في بعض الأحيان ينقل رواية طويلة باختصار وبأسلوبه المتميز^(٣)، فيما نقل بعض الروايات بتصرف دون تغيير في المضمون^(٤).

وفي روايتين فقط - جمع ابن حمدون بين مصدرين عند أخذه للرواية^(٥)، كما اعتمد ابن حمدون على الأغاني في ذكره لشعراء مغمورين وغير معروفين، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال أبو حفص الشطرنجي:

وما مرّ يومٍ أرّجني فيه راحةً فأخبره إلا بكيتُ على أمسي"^(٦)

(١) خالد بن عبد الله: بن يزيد بن أسد القسري، من الأمراء المشهورين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، من أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩هـ / ٧٠٨م للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام الكوفة والبصرة سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ / ٧٣٨م وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ١٣٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٢٦. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ١٥٥.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٢، ص ٢٩. التذكرة، ج ٢، ص ٣٤٣.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧، ص ٢٩٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر، الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٠، ص ٤٠٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٥) على سبيل المثال لا الحصر، أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٠، ص ٣٧٦ - ج ٢٤، ص ٢١١. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ٣٣٩ - ج ٢، ص ٣٤٣.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٥، ص ١٩٣. التذكرة، ج ٥، ص ٧٥.

كما ترجم ابن حمدون لشعراء كُثُر من خلال الأغاني، فعلى سبيل المثال، نقل ابن حمدون ترجمة الفرزدق، قائلاً: "الفرزدق همّام بن غالب، لقّب الفرزدق لأنّه كان جهم الوجه فشبهته امرأة بالفرزدقة وهي القطعة من العجين يعمل منها الفتوت، وقيل إن أباه لقّب بذلك تشبيهاً بدهقان يعرفه"^(١).

في بعض الأحيان كان ابن حمدون يعلّق على بعض الروايات التي نقلها من الأغاني، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال الوليد بن يزيد لابن ميادة"^(٢): من تركت عند نسائك؟ قال: رقيبين لا يخالفاني طرفة عين: الجوع والعري" فيعلق ابن حمدون على قول ابن ميادة بقوله: "فهذا البدوي قد ساس النساء بما يليق بهن إما اضطراراً أو تدبيراً أو رأياً"^(٣).

ذكر ابن حمدون في موضع واحد اسم المؤلف ناقلاً عنه رواية طويلة، حيث قال: "قال أبو الفرج الأصفهاني: حضرت أبا عبد الله الباقطائي"^(٤) وهو يتقلّد ديوان المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل"^(٥) ماسبذان ومهر جانقذق وجاءه ليأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين والعمال... "^(٦)، ثم يتابع ابن حمدون بسرد هذه الرواية.

٢. الإمام الشواعر:

هذا الكتاب يجمع أخبار الإمام الشواعر في الدولة العباسية، وهو يقدم لكل أمة نبذة صغيرة يؤكد فيها كونها "شاعرة"، وقد يبدي فيها وجهة نظر، ثم يبدأ بسرد أخبارها موثقة، ويأتي هذا الكتاب على ذكر تراجم ثلاث وثلاثين شاعرة من الإمام، لبعضهن شهرة كبيرة، وبعضهن مغمورات لا يكاد يأتي لهن ذكر، والكتاب يظهر براعة النساء الشواعر وهن يقفن مع شعراء العصر العباسي ويشهد لهن بالشاعرية الفذة، والصور التي تقدمها الروايات تكشف عن طبيعة المجالس التي عرفها العصر والأحاديث التي تدور فيها، وقد حرص أبو الفرج على انتقاء مجموعة من الإمام الشواعر نشأت في

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٠، ص ٢٧٨. التذكرة، ج ٧، ص ٣٧٣.

(٢) ابن ميادة: الرواح بن أبرد بن ثوبان من بني مرة من بني ذبيان ابن ميادة، وكان كثير الطلب لمهاجرة الشعراء ومساببة الناس، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، وله مدائح كثيرة في الخلباء الأمريين والعباسيين، وأخبره في كتب الأدب كثيرة، توفي سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١٠٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٨، ص ٢٠٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٣٠٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ٣١٥. التذكرة، ج ١، ص ٤٦٠.

(٤) الباقطائي: نسبة إلى باقطايا من قرى بغداد، وهو الحسين بن علي أبو عبد الله الباقطائي، الإخباري الكاتب، كان من الأدباء المشهورين في بغداد، ومجهول تاريخ الوفاة. الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٨٢.

(٥) كان من رجال الدولة العباسية، قلّده الخليفة المقتدر العباسي ولاية ميافارقين، وذكر مسكويه وابن الأثير أنه تم القبض عليه بتستر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وصودر منه مبلغاً من المال. مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥، ص ٢٢٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٧٢٣.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٣، ص ١٥٥. التذكرة، ج ٢، ص ٨١.

مدن متفرقة، واجتمعن في بغداد ليمنحن المجتمع العباسي لوناً جديداً من الأدب القائم على المساجلة، وكان لهن أكبر الأثر في تطور الحركة الثقافية والأدبية في العصر العباسي.

وقد أخذ ابن حمدون عن كتاب "الإماء الشواعر" رواية واحدة فقط جاءت في الباب الثالث والثلاثين الموسوم "في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة"، قال ابن حمدون: "ألقى أبو دلف العجلي^(١) على فضل الشاعرة المتوكلية^(٢) يوماً:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم
كم بين حبة لؤلؤ متقوبة
أشهى المطي إلي ما لم يُركب
لُبت حبة لؤلؤ لم تُنقب
فقلت فضل مجيبة له:

إنّ المطية لا يلذ ركوبها
والحب ليس بنافع أربابه
ما لم تُذلّ بالرّمَام وتُركب
ما لم يؤلف للنظام ويُنقب^(٣)

(٢١) الخالديان ت ٩٨٢/هـ - ٩٨١/هـ ٩٩١

وهما الأخوان سعيد بن هاشم، أبو عثمان الخالدي ت ٩٨١/هـ - ٩٨٠/هـ ومحمد بن هاشم، أبو بكر الخالدي ت نحو ٩٨٠/هـ - ٩٩٠م، من بني عبد القيس، شاعران، أدبيان، اشتهرا بالخالديين، وكانا آية في الحفظ والبديهة، وهما من أهل (الخالدية) من قرى الموصل، ونسبتهما إليها، قيل: نسبتهما إلى جدّ لهما اسمه خالد، وقال النديم: "كانا إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه، حياً أو ميتاً، لا عجزاً منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كانت طباعهما" وقد تركا ذخيرة من المؤلفات الخالدة^(٤) منها:

(١) أبو دلف العجلي: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير، من بني عجل بن لحيم، أمير الكرج، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، قلّده الخليفة هارون الرشيد العباسي أعمال "الجبل" ثم كان من قادة جيش المأمون، وولي دمشق للخليفة المعتصم، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وللشعراء فيه أماديح. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٤٠٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٧٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٦٣.

(٢) فضل الشاعرة: شاعرة الخليفة المتوكل العباسي، كانت من مولدات اليمامة، ولم يكن في زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر، توفيت سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٨٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١٨٢.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م): الإماء الشواعر، تح جليل العطية، دار النضال، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٦١. التذكرة، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٤) النديم: الفهرست، ص ٢٤٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٣٧٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ١٦٤.

١. حماسة الخالدين

من أشهر مؤلفاتهما، والذي يعدُّ من مشاهير الاختيارات الشعرية، واسمه الكامل: "الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين" وقد قالاً في مقدمة الكتاب: "ونحن نضمن رسالتنا هذه مختار ما وقع إلينا من أشعار الجاهلية، ومن تبعهم من المخضرمين، ونتجنب أشعار المشاهير لكثرتها في أيدي الناس ... ولا نخليها من غرر ما رويناه للمحدثين، ونذكر أشياء من النظائر إن وردت، والإجازات إذا عُنّت، ونتكلم على المعاني المخترعة والمتبعة ... إلخ"^(١)، وميزة الكتاب ما يورده من الأشباه والنظائر، وما يتضمنه من الكلام على السرقات الشعرية، وهو جوهر مواضيع الكتاب.

وقد أخذ ابن حمدون من الحماسة ست (٦) روايات فقط، جاءت متنوعة في مواضيعها، فقد ذكر: "ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير العبسي"^(٢) أنه لما تنقل في العرب احتاج، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحداً بحاجته"^(٣).

وفي الباب السابع عشر الموسوم "في المدح والثناء" أورد ابن حمدون أبياتاً شعرية، حيث قال: "وقال آخر:

إذا لَبِسُوا عَمَائِمَهُمْ طَوَّوْهَا	على كَرَمٍ وإن سَفَرُوا أَنَارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهُمْ	ولكن بالطعانِ هم تجارُ
إذا ما كُنْتَ جَارَ بني تَمِيمٍ	فَأَنْتَ لأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ" ^(٤)

(١) الخالديان (سعيد بن هاشم ت ٣٧١هـ / ٩٨٢م ومحمد بن هاشم ت ٣٨٠هـ / ٩٩١م): حماسة الخالدين، تح محمد علي دقة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م، ج ١، ص ١٦.

(٢) قيس بن زهير: بن جذيمة بن رواحة العبسي، أمير عبس، وداهيتها، وأحد السادة القادة، كان يلقب بقيس الرأي، لجودة رأيه، ويكنى أبا هند، ورث الإمارة عن أبيه، واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان ومنها داحس والغبراء. وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة، وخطبه غير قليلة، توفي سنة ١٠هـ / ٦٣١م. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ٢٢١. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٥، ص ٤١٧.

(٣) الخالديان: الحماسة، ج ١، ص ٤٧. التذكرة، ج ٢، ص ٥٩.

(٤) الخالدان: الحماسة، ج ١، ص ٨٦. التذكرة، ج ٤، ص ٢١.

ونقل ابن حمدون باقي الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير^(١).

٢. التحف والهدايا

وهو كتاب صغير الحجم يتحدث عن الهدايا التي كانت تُقدّم للخلفاء والأمراء العباسيين، ويروي القصص التي كانت تحملها كل حادثة.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد رواية واحدة فقط تروي ما جرى عند إهداء جارية إلى محمد بن منصور بن زياد^(٢)، وهي رواية طويلة تقارب الصفحتين نقلها بشكل حرفي دون تغيير^(٣).

(٢٢) العسكري ت ٣٨٢/هـ ٩٩٣م

الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري، أبو أحمد: فقيه، أديب، انتهت إليه رئاسة الحديث والإملاء والتدريس في بلاد (خوزستان) في عصره، ولد في عسكر مكرم (من كور الأهواز) وإليها نسبته، وانتقل إلى بغداد، وتجول في البصرة وأصفهان وغيرها، وعلت شهرته، ورحل إليه الأجلاء للأخذ عنه، من مؤلفاته "الزواجر والمواظ" و"التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم" و"الحكم والأمثال" و"شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" و"المصون في الأدب"^(٤)، أما ابن حمدون فاعتمد على اثنين من كتب العسكري هما:

١. المصون في الأدب:

من طلائع كتب النقد الأدبي عند العرب، جمع فيه أبو أحمد العسكري فصولاً في نقد الشعر، والموازنة بين الشعراء، وأحسن ما قيل في الأوصاف، والتشبيهات العجيبة، والتشبيهات المشهورة، والسراقات الشعرية، وخص شاعر عصره ابن المعتز بفصل مفرد، وضمن كتابه مختارات من جيد الشعر، مقرونة بتفسيرها.

(١) للاستزادة:

التذكرة	حماسة الخالدين
ج ٢، ص ٤١٥	ج ١، ص ٤٦
ج ٤، ص ٣٢٤	ج ١، ص ٨٢

(٢) محمد بن منصور: أبو عبد الله، كان يلي ديوان الجند أيام الرشيد، مجهول تاريخ الوفاة. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٨، ص ١٩٩. ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج ٢، ص ٥٠٩.

(٣) الخالديان (سعيد بن هاشم ت ٣٧١/هـ ٩٨١م ومحمد بن هاشم ت ٣٨٠/هـ ٩٩٠م): التحف والهدايا، تح سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١١٢. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ١٢.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٩١١ وما يليها. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ٣٤٥. ابن الساعي: الدر الثمين، ص ٣٣٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٤٩.

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب "المصون" أربع (٤) روايات، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير.

الرواية الأولى، نقلها ابن حمدون من كتاب المصون وكانت حديثاً لزياد بن أبيه^(١)، قال ابن حمدون: "لما ولي زياد البصرة خطب فقال: إني رأيت خلافاً ثلاثاً نبذت إليكم فيهن النصيحة: لا يأتيني شريفٌ بوضيع لم يعرف له شرفه إلا عاقبته، ولا كهلاً بحدث لم يعرف له فضل سنه إلا عاقبته، ولا عالم يجاهل عنته إلا عاقبته، وإنما الناس بأشرافهم وذوي سنهم وعلمائهم"^(٢).

وردت الرواية الثانية في الباب السابع عشر الموسوم "في المدح والثناء" وكانت بيتان شعريان للأخطل لم يردا في ديوانه، فذكر ابن حمدون: "قال الأخطل:

إذا متَّ مات الجود وانقطع الندى من الناس إلا في قليلٍ مُصَرَّدٍ
وُزِدْتُ أكفُّ السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلفٍ مجَدِّدٍ"^(٣)

وقال ابن حمدون في الرواية الثالثة المندرجة تحت باب التحلي بالصبر والعزاء: "عزَّى العباس بن الحسن العلوي رجلاً فقال: إني لم آتك شاكاً في عزمك، ولا زائداً في علمك، ولا متهماً لفهمك، ولكنه حقّ الصديق، وقول الشفيق، فاسبق السلوة بالصبر، وتلقّ الحادثة بالشكر، يحسن لك الذخر، ويكمل لك الأجر"^(٤).

ووردت الرواية الرابعة في الباب الثالث والعشرين المخصص للهجاء والمزمة، حيث قال ابن حمدون نقلاً عن المصون: "ذُكِرَ عند العباس بن علي رجلٌ قد فارقته، فقال: دعوني أتذوق طعم فراقه، فهو والله الذي لا تشجى له النفس، ولا تدمع له العين، ولا يكثر في أثره الالتفات، ولا يدعى له عند فراقه بالسلامة"^(٥).

(١) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة، من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه، ف قيل عُبيد الثقفي وقيل أبو سفيان، ولدته أمه سمية، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤هـ / ٦٦٥م فكان عضده الأقوى، ولده البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٣م. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٥٢٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ١٦٤.

(٢) العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد ت ٣٨٢هـ / ٩٩٣م): المصون، تح عبد السلام هارون، مطبعة حكومة

الكويت، الكويت، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ١٤٦. التذكرة، ج ٢، ص ٢٧.

(٣) العسكري: المصون، ص ٦٤. التذكرة، ج ٤، ص ٢٦.

(٤) العسكري: المصون، ص ٢٢٠. التذكرة، ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥) العسكري: المصون، ص ٢٢٤. التذكرة، ج ٥، ص ١١٩.

٢. شرح في ما يقع فيه التصحيف والتحريف:

هذا الكتاب من المؤلفات المهمة التي خلفها العسكري، حيث وضع خلاله قواعد كتابة الرواية ونقلها من راويها، والدقة في رواية الأخبار من عزوفه عن النقل من الصحف، واعتماده على الرواية من أفواه الرجال ليتم التثبت والضبط، وقد قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أبواب: الأول خصه بما روي من أوهام البصريين، بعد مقدمة عرض فيها للتصحيف ومعناه وقبحه وذم المصحفين ونوادير تتصل بذلك، والباب الثاني عرض فيه ما روي من أوهام الكوفيين، والباب الثالث روى فيها تصحيفات لقوم شتى، جمع فيه ألواناً من التصحيف في أسماء الشعراء وفي أيام العرب وذكر الفرسان إلى غير ذلك وبه ختم الكتاب.

وقد اعتمد ابن حمدون على الكتاب المذكور في إحدى عشرة (١١) رواية، جاءت متتالية في الباب الرابع والثلاثين من التذكرة المعنون "كبات الجياد وهفوات الأمجاد"، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال كيسان^(١): سمعت أبا عبيدة ينشد:

ما زال يضربني حتى خزيت له وحال من دون بعض البغية الشفق

فقلت: خزيت خزيت؟ وضحكت فغضب وقال: كيف هو؟ قلت: إنما هو خذيت. فانخل وما أجاز جواباً"^(٢).

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: " وروى لذي الرمة:

فيها الضفادع والحيتان تصطخب

فقل: هو «تصطخب» ، ولا صوت لها"^(٣).

(٢٣) المرزباني ت ٣٨٤/هـ ٩٩٤م

محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني: إخباري، ومؤرخ، وأديب. أصله من خراسان، ومولده ووفاته في بغداد^(٤)، قال ياقوت الحموي: " كان رواية صادق اللهجة واسع المعرفة

(١) كيسان بن المعرف النحوي، أبو سليمان، من الشعراء الجيدين، عرف عنه بحبه للمزاح، مجهول تاريخ الوفاة . الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٤٦.

(٢) العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد ت ٣٨٢/هـ ٩٩٣م): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تح عبد العزيز أحمد، مطبع البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٦٣م، ص ٨٤ . التذكرة، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٣) العسكري: شرح ما فيه، ص ١٠٢ . التذكرة، ج ٧، ص ٢٧٤.

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٢٢٧ . القفطي: إنباه الرواة، ج ٣، ص ١٨١ . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤١٣ . ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ٥، ص ٣٢٦.

بالروايات كثير السماع، روى عن البغوي وطبقته، وأكثر روايته بالإجازة، لكنه يقول فيها أخبرنا، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة^(١).

له كتب عجيبة، أتى على وصفها النديم، منها "المفيد" في الشعر والشعراء ومذاهبهم، نحو خمسة آلاف ورقة، و "الأزمنة" في الفصول الأربعة والغيوم والبروق وأيام العرب والعجم، نحو ألفي ورقة، و "المونق" في تاريخ الشعراء، نحو ثلاثة آلاف ورقة، و "معجم الشعراء"، و "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء" و "أخبار البرامكة" و "شعر حاتم الطائي" و "أخبار السيد الحميري" و "أخبار المعتزلة" و "المستتير" في أخبار الشعراء المحدثين، أولهم بشار وآخرهم ابن المعتز، و "الرياض" في أخبار العشاق، و "الرائق" في الغناء والمغنين.. وغيرها^(٢).

وبعدُ كتاب "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء" من أهم مؤلفات المرزباني، وهو كتاب يبحث في ما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب الشعر، وهو بذلك يضم مادة نقدية غنية، لا تكاد تجتمع بهذه الكثرة أو الغنى في أي مصدر آخر، فهو كتاب متخصص، اهتم صاحبه بالحديث عن جانب واحد من جوانب النقد الأدبي، وهو إبراز العيوب والمآخذ التي يقع فيها الشعراء العرب من القدماء والمحدثين، وكان من هذا الجانب من الغنى والوفرة والتنوع بحيث أنه يكاد يرسم صورة شبه كاملة للشعر كما تتمثله فرق مختلفة من النقاد، فضلاً عن الحديث عن هذه المآخذ كان يمر بمعظم القضايا النقدية البارزة كعيوب صناعة الشعر وألفاظه وعباراته، وعيوب معانيه وأفكاره من زوايا متعددة، منها تجافي المعاني مع الذوق واللباقة، وعدم إصابة الوصف، والتناقض والغموض وما إلى ذلك.

وقد أعتمد ابن حمدون على كتاب الموشح في ثلاث (٣) روايات نقل روايتين بشكل حرفي ورواية بتصرف، وقعت أحداث الرواية الأولى في قصر زياد بن أبيه، حيث قال ابن حمدون: "العنزي أحد رواة العرب المشهورين، قال: دخلت على زياد فقال: أنشدني، فقلت: من شعر من أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى فأنشدته:

رحلت سميّة غدوة أجمالها

(١) معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٨٢.

(٢) الفهرست، ص ١٩٠ وما بعدها.

فما أتممت القصيدة حتى تبيّنت الغضب في وجهه، وقال الحاجب للناس: ارتفعوا، فقاموا، قال: ثم لم أعد إليه والله بعدها، واستمع حماد لرواية هذه الحكاية قال: فكنت بعد ذلك إذا استتشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة ذكر امرأة له أو بنت أو أم^(١).

أما الرواية الثانية فكانت في قصر الخليفة العباسي الرشيد، قال ابن حمدون: "أنشد العماني الراجز الرشيد شعراً يقول منه:

كَأَنَّ أَذُنِي إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةٌ أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا" (٢)

وجاءت الرواية الثالثة نقلاً عن ابن المعتز، قال ابن حمدون: "قال عبد الله بن المعتز: شعر آل أبي حفصة كماء أسخن وصّب في قدح، فكان أَيْامَ مروان الأكبر على حرارته، ثم انتهى إلى عبد الله بن أبي السّمط، ففتر، ثم إلى إدريس وأبي الجنوب، فَبَرَدَ، ثم إلى مروان الأصغر، فاشتدّ برّده، فَتَحَنُّ لِبَرِّدِهِ، ثم إلى متوّج فجَمَدَ" (٣).

(٢٤) التتوخي ت ٣٨٤/٩٩٤م

المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التتوخي البصري، يُكنى بأبي علي، قاض، من العلماء الأدباء الشعراء، ولد ونشأ في البصرة في بيت فقه وعلم، فنشأ منذ طفولته محباً للدرس على يد أهم العلماء كأبي بكر الصولي، والحسن بن محمد الفسوي، وفي بغداد تتلمذ على يد أبي الفرج الأصفهاني وغيره، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر وعسكر مكرم، وتقلد أعمالاً، وسكن بغداد، فتوفي فيها، قال البغدادي: "وكان سماعه صحيحاً، وكان أديباً شاعراً إخبارياً"^(٤)، وترك عدة مؤلفات منها "الفرج بعد الشدة" و"المستجد من فعلات الأجواد" و"نشوار المحاضرة" ... إلخ^(٥)، وقد اعتمد ابن حمدون في تذكرته على هذه الكتب الثلاثة.

أ. الفرج بعد الشدة

بنى التتوخي كتابه على أربعة عشر باباً، وجميع مواضيعها حول من انفجرت أحواله بعد ضيق، أولها: في ما ورد في القرآن، والثاني: فيما جاء في الأخبار والآثار، والثالث: في من نجا بقول

(١) المرزباني (محمد بن عمران بن موسى ت ٣٨٤/٩٩٤م): الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح علي محمد

البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٣٠٤. التذكرة، ج ٧، ص ٢٧٠.

(٢) المرزباني: الموشح، ص ٤٥٦. التذكرة، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٣) المرزباني: الموشح، ص ٣٧٦. التذكرة، ج ٩، ص ٢٩٦.

(٤) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٥٧.

(٥) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٢٢٨٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٥٩. الذهبي: سير أعلام

النبلاء، ج ١٣، ص ٢٦٧.

أو دعاء، والرابع: في من استعطف غضب السلطان بليين القول، والخامس: في من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال، والسادس: في من فارق شدة إلى رخاء بعد رؤيا رآها، والسابع: في من استنقذ من ضيق وخناق، والثامن: في من خلص من القتل، والتاسع: في من نجا من حيوان مهلك، والعاشر: في من عافاه الله من مرضه بأيسر سبب، والحادي عشر: في من امتحن من لصوص بسرقة أو قطع، والثاني عشر: جاء في من ألجأه الخوف إلى الهرب، الثالث عشر: في من نالته شدة في هواه، فكشفها الله عنه ومملكه من يهواه، وجعل آخر الأبواب من كتابه في نثرات من الأشعار المتصلة بأبواب الكتاب.

وأشار في مقدمته إلى أن أول من سمى كتاباً بهذا العنوان -الفرج بعد الشدة- هو أبو الحسن المدائني^(١)، وكتابه في خمس أو ست ورقات، ثم ابن أبي الدنيا^(٢)، وكتابه في نحو عشرين ورقة، ثم القاضي أبو حسين، وكتابه في نحو خمسين ورقة، وقال: "وجدت ابن أبي الدنيا والقاضي أبا حسين لم يذكرهما للمدائني كتاباً في هذا المعنى، فإن لم يكونا عرفا هذا فهو طريف، وإن تعدا ترك ذكره تنقيفاً لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أطرف"^(٣).

اعتمد ابن حمدون على كتاب الفرج بعد الشدة بثلاث وثلاثين (٣٣) رواية، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، ولكن على عادته لم يذكر اسم المؤلف، لكن ثبت بالمقارنة أنها من المورد المذكور^(٤)،

(١) أبو الحسن المدائني: علي بن محمد بن عبد الله، رواية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة، سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي سنة ٢٢٥هـ/٨٤٠م، وذكر النديم في كتابه الفهرست أسماء نيف ومئتي كتاب من مصنّفاته في المغازي، والسيرة النبوية، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الوقائع والفتوح. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٥١٦. الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٨٥٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٢٩.

(٢) ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، القرشي الأموي، أبو بكر: حافظ للحديث، مكث من التصنيف. أدب الخليفة المعتضد العباسي، في حياته، ثم أدب ابنه المكتفي، وترك عدداً كبيراً من المؤلفات، توفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٢٩٣. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢٢٨. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٩٠٨م، ج ٦، ص ١٢.

(٣) التتوخي (المحسن بن علي بن محمد ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): الفرج بعد الشدة، تح عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج ١، ص ٥.

(٤) للاستزادة:

الفرج بعد الشدة	التذكرة
ج ١، ص ٣٩٣	ج ١، ص ٤٤٠
ج ٤، ص ٣٠٦-٣٠٨	ج ٣، ص ٢٥

وقد جاءت معظم الروايات في الباب السابع والثلاثين الموسوم بـ " اليسر بعد العسر والرخاء بعد الضرر".

فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون نقلاً عن كتاب الفرج رواية تحمل بين طياتها الوفاء والأمانة، حيث قال فيها: "عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأرذن وضربه وحلقه وأقامه للناس، وقال للموكلين به: من أتاه متوجعاً فائتوني به، فأتاه عديّ ابن الرقاع العاملي، وكان عبيدة إليه محسناً، فوقف عليه وقال:

فما عزلوك مسبقاً ولكن إلى الغايات سباقاً جوادا
وكنّت أخي وما ولدتك أُمي وصُولاً باذلاً لا مستزادا
فقد هيّضت بنكبتك القُدّامي كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب الموكلون إليه فأدخلوه إلى الوليد، وأخبروه بما جرى، فتغيّظ عليه الوليد وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ محسناً، ولي مؤثراً، وبني برّاً، ففي أيّ وقت كنت أكافيه بعد هذا اليوم؟ فقال: صدقت وكَرُمْتُ، وقد عفوت عنه لك وعنك، فخذها وانصرف^(١).

وفي رواية أخرى ذكرها ابن حمدون وقعت في حقبة الخليفة المأمون العباسي، قال ابن حمدون: "وقف أحمد بن عروة بين يدي المأمون لما عزله عن الأهواز، فقال له: خرّيت البلاد، وقتلت العباد، والله لأفعلنّ بك ولأفعلنّ، قال: يا أمير المؤمنين ما تحبّ أن يفعل الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرّعتك بذنوبك؟ قال: العفو والصفح، قال: يا أمير المؤمنين، فافعل بعبدك ما تحبّ أن يفعل بك مولاك، قال: قد فعلت، ارجع فوال مستعطف خير من والٍ مستأنف"^(٢).

ب. المستجاد من فعلات الأجواد:

من مشاهير الكتب المؤلفة في أخبار فئة من الناس، كالبخلاء للجاحظ، والأذكياء لابن الجوزي، وعقلاء المجانين للنيسابوري، نقل فيه التنوخي مائة وثمانية وثلاثين خبراً حيث قال: "وقد ذيلت ذلك بنكت عجيبة من الجوابات المصيبة، فإنها تستجاد من الأقوال، كما استجيد ما قبلها من الأفعال"^(٣)، ولم يصرح التنوخي باسم الرجل الذي ألف له هذا الكتاب، والذي خاطبه بقوله: "أمرت أطل الله في

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٣، ص ٣٣٢-٣٣٣. التذكرة، ج٣، ص ٢٢.

(٢) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص ٣٧٣. التذكرة، ج٢، ص ١٤١.

(٣) التنوخي (المحسن بن علي بن محمد ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): المستجاد من فعلات الأجواد، تح أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٦٩.

النعمة عمرك ... أن أجمع لك من أخبار الأجواد أجودها، ومن فعلات الكرام أسناها وأبعدها، فسارعت على تقصيري إلى الامتثال، وتخيرت ما سنج لي في الحال.. إلخ^(١).

والسؤال المطروح هنا، كيف يمكن للتتوخي أن يؤلف كتاب بطلب من شخص آخر دون أن يصرح باسمه؟

من المرجح أن يكون هذا الكتاب الذي ألفه التتوخي جاء بطلب من أحد رجال الدولة أو أصحاب المناصب، حيث جرت العادة عند بعض المؤلفين أن يصنفوا كتباً بطلب من رجال الحكم، ولكن لماذا لم يصرح باسمه، هذا ما لا يمكن الجزم فيه، فمن المرجح أن عدم التصريح بالاسم جاء بطلب من الشخص نفسه الذي ألف من أجله الكتاب، أو ربما خوفاً من مضمون الكتاب خشية تأليب بعض المتنفذين عليه، أو أن يفهم مضمونه على نحو خاطئ.

وتتصدر قيمة الكتاب في القصص وال نوادر التي أوردها، كقصة أسيد بن عنقاء الفزاري، وقصة الأمير خزيمة بن بشر، وحكاية أحمد بن أبي خالد الصيرفي، وحكاية الزنادقة العشرة، التي حكاها ابن عبد ربه في العقد الفريد، وحكاية بائع الغلمان ... وغيرها.

نقل ابن حمدون عن كتاب "المستجد" سبع (٧) روايات، ستة منها أوردها بشكل حرفي، ورواية واحدة نقلها بتصرف.

حيث ذكر في الباب الرابع الموسوم "في محاسن الأخلاق ومساوئها" رواية نقلها عن التتوخي، فقال: "روي أنّ شيخاً أتى سعيد بن سلم وكلمه في حاجة وماشاه، فوضع رُجَّ عصاه التي يتوكأ عليها على رِجْل سعيد حتى أدماها، فما تأوّه لذلك ولا نهأ، فلما فارقه قيل له: كيف صبرت منه على هذا؟ قال: خفت أن يعلم جنايته فينقطع عن ذكر حاجته"^(٢).

وفي رواية أخرى نقلها ابن حمدون، قال: "قيل لمحمد بن الحنفية: كيف كان علي عليه السلام يُقحمك في المآزق ويولجك في المضايق دون الحسن والحسين؟ فقال: لأنهما كانا عينيهِ وكنت يديه، فكان يقي عينيهِ بيديه"^(٣).

ج. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

من نوادر كتب الأخبار والأسمار العربية في سياقها ومراميها، قضى التتوخي في تأليفه عشرين عاماً، وأخرجه في أحد عشر مجلداً، واشترط على نفسه -فيه- ألا يضمّن شيئاً نقله من كتاب، وعرفه

(١) التتوخي: المستجد، ص ١.

(٢) التتوخي: المستجد، ص ٩٩. التذكرة، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) التتوخي: المستجد، ص ١٣٠. التذكرة، ج ٢، ص ٤٧٦.

بأنه كتاب يشتمل على ما تتأثر من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس، لذلك سماه نشوار المحاضرة، وذكر عن سبب تأليفه "أنه اجتمع قديماً مع مشايخ قد عرفوا أخبار الدول وشاهدوا كل غريب وعجيب، وكانوا يوردون كل فن من تلك الفنون، فيحفظ ذلك ويتمثل به، فلما تطاولت السنون ومات أكثرهم، خشي أن يضيع هذا الجنس، فأثبتته في هذا الكتاب"^(١)، وقال المؤلف مزهواً بكتابه: "إنه ما سبق إلى كتب مثل هذا الكتاب، ولم تخلد بطون الصحف، بشيء من جنسه وشكله....، وإن كثيراً مما ورد في الكتاب لا نظير له، ولا شكل، وهو وحده جنس وأصل"^(٢)، ثم تراجع عن زهوه، فحتم المقدمة متواضعا، وقال: "إنه يرجو أن لا يبور ما قد جمعه، ولا يضيع ما قد تعب فيه وكتبه، فلو لم يكن فيه إلا أنه خير من أن يكون موضعه بياضا، لكانت فائدة"^(٣).

وقد اعتمد ابن حمدون على "نشوار المحاضرة" بأربع (٤) روايات فقط، الأولى قصة النخاس مع الخليفة المعتضد بالله^(٤)، والرواية الثانية، فقد حملت في معناها الحنكة والطرفة، قال فيها ابن حمدون: "ودخل يوماً - المقصود ابن الجصاص^(٥) - على ابن الفرات فقال له: يا سيدي عندنا في الجزيرة كلاب لا يتركونا ننام من الصباح والقتال، قال: أحسبهم جراء، قال: لا تظن ذلك أيها الوزير كل كلب مثلي ومثلك"^(٦).

بينما جاءت الرواية الثالثة، في الباب السابع والعشرين الموسوم "في الأوصاف والنوع" حيث نقل سبعة أبيات شعرية لأبي الفرج البغاء يصف فيها الجيش والحرب، ومطلع هذه الأبيات:

قاد الجياد إلى الجياد عوايساً شعثاً ولولا بأسه لم تنقذ
في جحفٍ كالسئل أو كالليل أو كالقطرٍ صافح موج بحرٍ مزيد^(٧)

(١) التتوخي (المحسن بن علي بن محمد ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح عبود الشالجي، دار

صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ١.

(٢) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٣.

(٣) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ١٣.

(٤) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٤٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ١٨١.

(٥) ابن الجصاص: الحسين بن عبد الله بن الحسين، أبو عبد الله ابن الجصاص الجوهري؛ كان من أعيان التجار، ذو الثروة الواسعة، ولما بويع للخليفة عبد الله ابن المعتز وانحل أمره وتفرق جمعه وطلبه المقنن، خباه ابن الجصاص، فوشى به خادم صغير لابن الجصاص فصادره المقنن على ستة آلاف ألف دينار. توفي سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٣، ص ٢٦٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٥٧٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٣٧٦.

(٦) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٩. التذكرة، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٧) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٢٧٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٣٧٠.

وتبقى الرواية الرابعة، التي ذكر فيها ابن حمدون اسم التتوخي عند نقل الحديث، الذي دار بين عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو والقاضي التتوخي^(١).

(٢٥) الصابئ ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م

إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني، أبو إسحاق الصابئ^(٢)، نابغة كتاب جيله، وكان أسلافه يعرفون بصناعة الطب، ومال هو إلى الأدب، فتقلد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون تقليداً سلطانياً في أيام الخليفة المطيع لله العباسي، ثم قلده معز الدولة ديوان رسائله سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، فخدمه وخدم بعده ابنه عز الدولة (بختيار) فكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة (ابن عم بختيار) بما يؤلمه فحقد عليه، ولما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد، قبض على الصابئ سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م وسجنه وأمر بأخذ أمواله، ولما ولي صمصام الدولة (ابن عضد الدولة) أطلقه سنة ٣٧١هـ/٩٨١م وكان صلباً في دين الصابئة، عرض عليه عز الدولة الوزارة، فامتنع، وكان يحفظ القرآن، ويشارك المسلمين في صوم رمضان، وترك مؤلفات عدة منها "التاجي" في أخبار بني بويه، و"الهفوات النادرة" و"رسائل الصابئ" .. وغيرها^(٣).

ويعدُّ كتاب "المختار من رسائل الصابئ" من الكتب القيّمة، وتأتي أهميتها من خلال الرسائل التي تضمنها والتي تعود إلى صدر سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية، وهذه الرسائل هي رسائل ديوانية رسمية صادرة عن الخلفاء العباسيين وعن الأمراء البويهيين، حيث تظهر هذه الرسائل نظرة البويهيين لفكرة الدولة، وفلسفتهم الإدارية، وإجراءاتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعمرانية، وعلاقتهم بالخلفاء والناس، وتعدُّ الرسائل أوعية حافظة لكثير من المادة الأولية التي تساعد في دراسة تاريخ الدولة العربية الإسلامية في عصر البويهيين، فقد شكّلت مصدراً أصيلاً يوثّق لكثير من مفاصل التاريخ والحضارة، وعلى صعيد الحياة اليومية للمجتمع كافة^(٤).

(١) التتوخي: نشوار المحاضرة، ج ٤، ص ١١٨-١٢٢. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ٢٢٠-٢٢٣.

(٢) الصابئة: هي أحد الأديان الإبراهيمية واتباعها من الصابئة يتبعون أنبياء الله، آدم، شيث، ادريس، نوح، سام بن نوح، وخاصة يحيى بن زكريا، وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين، والجزيرة الفراتية، ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق حالياً، كما أن هناك تواجد للصابئة في إقليم الأهواز في إيران إلى الآن، ويعتبر الصابئة أنفسهم أنهم أول ديانة توحيدية عرفت عبر التاريخ، وتدعو الديانة الصابئية للإيمان بالله ووحديته مطلقاً، لا شريك له، واحد أحد، وله من الأسماء والصفات عندهم مطلقة. الخيون (رشيد): الأديان والمذاهب في العراق، دار الجمل، بغداد، ٢٠٠٣م، ص ٣.

(٣) الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ١٣٠. ابن الساعي: الدر الثمين، ص ٢٤٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٢. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٥٥٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ١٠١.

(٤) الصابئ (إبراهيم بن هلال بن إبراهيم ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م): المختار من رسائل الصابئ، نقحه وعلق عليه شكيب أرسلان، الدار التقدمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٣.

وقد نقل ابن حمدون من رسائل الصابيِّ عشرين (٢٠) رسالة، جاءت ثلاث رسائل منها في باب "العهود والوصايا"، وثلاثة في باب "التنهائي" وباقي الرسائل في باب "المكاتبات والمراسلات" وعددها أربعة عشر رسالة، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي دون أي تغيير مع ذكر اسم الكاتب^(١).

(٢٦) ابن المظفر الحاتمي ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م

محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، يُكنى بأبي علي، أديب، وأحد الأعلام والمشاهير، من أهل بغداد، نسبته إلى جدِّ له اسمه (حاتم)، له "الرسالة الحاتمية"، ويقول فيها الذهبي: "فيما جرى بينه وبين المتنبّي من إظهار سرقاته وعيوب شعره وحمقه وتبهره"^(٢)، وهي رسالة تدل على تبهره، يذكر في أولها ذهابه على بغلته، وبين يديه غلماناه إلى أن أتى دار المتنبّي، فما أكرمه ولا احترامه، وأنّه جلس، فما التفت إليه، فعنّفه الحاتمي ووبخه على تبهره وعجبه، ووصفه القفطي: "حسن التصرف في الشعر، موفٍ على كثير من شعراء العصر، يجمع البلاغة في النثر، والبراعة في النظم"^(٣) وله أيضاً "حلية المحاضرة في صناعة الشعر" وغيرها...^(٤).

وبعد كتابه "حلية المحاضرة" من أبداع ما ألف في الشعر، حيث قسم المؤلف كتابه إلى جزئين، واستعرض في المقدمة ما ينوي فعله بالكتاب، فبدأ الفصل الأول بالكلام عن البديع وسماه محاسن الشعر، ثم تلاه بنماذج شعرية لمختلف فنون الشعر العربي، ثم موضوعات عدة من الشعر العربي، ثم جاء الفصل الرابع لما يشتمل على أنواع الأمثلة الواردة في الاستعارة سواء في اللفظ أو المعنى... إلى أن يصل إلى فصل يتحدث فيه عن السرقات الشعرية والمجازات، ويُنتهي الكتاب بمقارنة بين السابق من الشعراء في الإبداع والمُصلى عليهم.

(١) للاستزادة:

المختار من الرسائل	التذكرة
ص ١٤٤	ج ٣، ص ٣٥٣
ص ١٥١	ج ٣، ص ٣٥٧
ص ١٥٤	ج ٣، ص ٣٦٠

(٢) تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٦٣٩.

(٣) المحمودون من الشعراء، ص ٢٣٠.

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٦٢٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٠٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٦٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٥٤.

أخذ ابن حمدون عن الحاتمي في كتابه هذا ست (٦) روايات فقط، الأولى سؤال الخليفة عبد الملك بن مروان عن أشجع الناس في الشعر، حيث قال ابن حمدون: "سأل عبد الملك بن مروان عن أشجع الناس في الشعر فقالوا: عمرو بن معدي كرب^(١) فقال عبد الملك: كيف وهو الذي يقول:

وجاشت إلي النفس أول مرة
قالوا: فعامر بن الطفيل^(٢)، قال: وكيف وهو الذي يقول:

أقول لنفسي لا يجاد بمثلها
قالوا فعنترة، قال: كيف وهو الذي يقول:

إذ يتفون بي الأسنة لم أخم
قالوا: فمن أشجعهم؟ قال: ثلاثة نفر: قيس بن الخطيم الأوسي والعباس بن مرداس السلمي ورجل من مزينة، أما قيس بن الخطيم فقال:

وإني لدى الحرب العوان مؤكل
وأما العباس بن مرداس فقال:

أشد على الكتيبة لا أبالي
وأما المزني فقال:

دعوت بني قحافة فاستجابوا
فقلت ردوا ألا طاب النزول^(٣)

(١) عمرو بن معدي كرب: بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة ٩٥هـ/٦٣٠م في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، بعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، كان ذو نفس أبيه، من القساة الأشداء، وأخباره كثيرة، توفي سنة ٢١١هـ/٦٤٢م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٦، ص ٣٦٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٥، ص ٤٨. الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٨٦.

(٢) عامر بن الطفيل: بن مالك بن جعفر بن كلاب كان من شعراء حقبة ما قبل الإسلام وفرسانها، ولد ونشأ بنجد، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله S وهو في المدينة، بعد فتح مكة، توفي سنة ١١١هـ/٦٣٣م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٦، ص ٩٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٣٣٠.

(٣) الحاتمي (محمد بن الحسن بن المظفر ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م): حلية المحاضرة، في صناعة الشعر، تح جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١. التذكرة، ج ٢، ص ٤١٦.

أما الثانية، فهي بيتان شعريان لابن الفراء^(١)، والثالثة، عبارة عن ثلاثة أبيات شعرية للعتبي، والرابعة، بيتان للحماني^(٢)، وكانت الخامسة بيتان شعريان في وصف الشيب^(٣)، والسادسة أبياتاً لنظار^(٤) الفقعسي^(٥)، والبيتان هما:

يقولون هذي أُمّ عمرو قريبة
دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نحوها وسماءُ
ألا إنّما قُرْبُ الحبيبِ وَبُعْدُهُ
إذا هو لم يُوصَلْ إليه سواءُ

(٢٧) أبو الفرج المعافى ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م

المعافى بن زكريا بن يحيى الجبريّ النهرواني، المكنى بأبي الفرج، قاض، من الأدباء الفقهاء، كان من أعلم الناس في وقته بالفقه، والنحو، واللغة، وأصناف الأدب، مولده ووفاته بالنهروان، ولي القضاء ببغداد، وقيل له " الجبريّ " لأنه كان على مذهب (ابن جرير) الطبري، له تصانيف ممتعة في الأدب وغيره، منها "البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز" و"الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي"^(٦).

أما كتابه " الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي " فهو كتاب ضخمة، من نواذر كتب الأسمار، أملاه المعافى على تلاميذه وهو في التسعين من عمره، وبعد من فصيلة الكتب التي تشتمل على فقرات من الآداب والفوائد، منثورة غير مبوبة، ومخلوطة غير مقيدة، سمي كل مجموعة منها مجلساً، يكفي لسمر ليلة واحدة، وقسم الكتاب إلى مائة مجلس، والتزم أن يفتح كلاً منها بحديث نبوي شريف، وفي تعليقه على بعض هذه الأحاديث، ما يرشحه ليكون واحداً من عمالقة الأدب الإنساني الرفيع، ومن ميزات الكتاب المُعتبرة أنه يؤرخ للكثير من سماعاته في الحقبة التي عاصرها.

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب " الجليس الصالح " في تسع (٩) روايات فقط، منها، وصية الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عند موته، فذكر ابن حمدون: "وكذلك أوصى عبد الملك بن

(١) الحاتمي: حلية المحاضرة، ج ١، ص ٤٢٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ١٢.

(٢) الحاتمي: حلية المحاضرة، ج ١، ص ٤١٧-٤٢٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ٢٠.

(٣) الحاتمي: حلية المحاضرة، ج ١، ص ٤١٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ٢٢.

(٤) النظار الفقعسي: النظار بن هشام بن الحارث الحذلي الفقعسي، من بني أسد بن خزيمة، من الشعراء المسلمين، له قصائد كثيرة ضمتها كتب الأدب، ومجهول تاريخ الوفاة. المستعصي (محمد بن أيدير ت ٧١٠هـ/١٣١٠م): الدر الفريد وبيت القصيد، تح كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م، ج ٥، ص ٦٦.

(٥) الحاتمي: حلية المحاضرة، ج ٢، ص ٢٢٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ٦، ص ٦٥.

(٦) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٩٣. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ٣٠٨. ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٤٢. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٠٢.

مروان عند موته بنيه لما رأى أن الرحم لا تنفعهم إلا بالتآلف والتوازر، والقربة لا يحفظها إلا التودد والتناصر، وأنشدهم متمثلاً:

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم
بصلاح ذات البين طول بقاءكم
فلمثل ريب الدهر ألف بينكم
إن القдах إذا اجتمعن فرامها
عزت فلم تكسر وإن هي بددت
ونقل ابن حمدون باقي الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير^(٢).

عند المغيب وفي حضور المشهد
إن مد في عمري وإن لم يمدد
بتواصل وتراح وتودد
بالكسر ذو حنق وبطش أيدي
فالوهن والتكسر للمتبدد^(١)

٢٨) أبو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م

الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، عالم لغوي رائد، له جهد محفوظ في مجالات البلاغة والنقد والأدب، تتلمذ على يد خاله أبي أحمد العسكري^(٣) وكثيراً ما اختلطت أخبارهما، ونُسب إلى أحدهما ما للآخر من أقوال أو مؤلفات، والمعلومات عن سيرته قليلة، سوى ما ذكره المؤرخون عن اشتغاله تاجراً في الأقمشة، وقوله الشعر، واهتمامه بالأدب والنقد واللغة، والغالب على مؤلفاته الأدب وما يتصل به، فله كتاب "جمهرة الأمثال" و"ديوان المعاني" و"شرح الحماسة" و"أعلام المغاني في

(١) ابن طرار (المعافي بن زكريا بن يحيى ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح عبد الكريم الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٨٢-٨٣. التذكرة، ج ٤، ص ٣٥٥.

(٢) للاستزادة:

الجليس الصالح	التذكرة
ج ١، ص ٥٧	ج ٢، ص ٣١٢
ج ١، ص ٢٣٧	ج ٣، ص ١٥٥
ج ٣، ص ٤٢	ج ٣، ص ٤١١
المجلس (٨٦)	ج ٦، ص ٣٠
ج ٣، ص ١٧٦	ج ٩، ص ٣٤٣
ج ٣، ص ١٧-١٨	ج ٩، ص ٣٤٨
ج ١، ص ٢٣٩	ج ١، ص ١٨٦

(٣) تقدم ذكره.

معاني الشعر" و"الدرهم والدينار" و"المحاسن في تفسير القرآن" و"صناعتي النظم والنثر"^(١)، وقد اعتمد ابن حمدون على كتابه ديوان المعاني كمورد لتذكرته.

أما كتابه "ديوان المعاني" فبعد من مشاهير كتب الأدب، يجمع بين دفتيه طائفة كبيرة من النصوص الشعرية والنثرية، إلا أن الغالب عليه الشعر، وأكثر ما فيه من النثر تعليقات على القطع الشعرية، ومقدمات لها، باستثناء بعض الفصول النثرية المستقلة، وقد روى أكثر نصوصه عن خاله أبي أحمد العسكري، وقال في مقدمته: "والذي حداني على جمع هذا النوع أني لم أجد فيه كتاباً مؤلفاً، ولا كلاماً مصنفاً، يجمع فنونه ويحوي ضروره، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف الصحف غير مقنع فيشفي الراغب ويكفي الطالب، فجمعت هاهنا وأضفت إلى كل نوع منه ما يقاربه من أمثاله، ويجري معه من أشكاله، ليكون مادة للمناقضة، وقوة للمناهضة، وجعلته نظاماً ونثراً، وخبراً وشعراً، لأبعث به نشاط الناظر، وأجلي به صدأ الخاطر"^(٢)، ويقع الكتاب في جزئين، يشتمل كل جزء على ستة أبواب، موزعة إلى فصول، وهو غالباً ما يفتح الباب بأقدم ما قيل فيه، ثم يتدرج بذكر تصرف الشعراء بالمعنى وإغارتهم عليه، وقد يستطرد فيذكر طائفة من أخبار الشاعر، وهو في كل ما يأتي يشترط تقديم النصوص المختارة السبك والرصف والمعنى، وإذا احتاج إلى إيراد شاهد لا تتوفر فيه هذه الشروط أشار إلى ذلك، كأن يقول: "ليس هذا بمختار اللفظ والرصف وإنما جئت به لمكان كذا" ولا يُعنى كثيراً بذكر اسم الشاعر، فالمهم عنده عرض النصوص وملائمتها للغرض المطروح، فهو لذلك يكثر من قوله: "قال بعضهم، وقال الآخر" ولا يتردد بالمباهاة بما له من الشعر في هذا الموضوع وذلك، وربما استأثر بباب كامل فلم يورد فيه غير شعره، كباب النار والخمرة.

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب "ديوان المعاني" في أربع (٤) روايات، الرواية الأولى نقل ثلاثة أبيات شعرية للعلوي البصري^(٣)، وضمت الرواية الثانية بيتان شعريان للشاعر نفسه^(٤)، أما الثالثة عبارة عن ثلاثة أبيات شعرية لإبراهيم بن العباس^(٥)، بينما حوت الرواية الرابعة بيتان شعريان لإدريس بن حفصة^(٦)، وشكل هذا المورد إضافة شعرية رائعة للتذكرة.

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٩١٨. ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٥. ابن الساعي: الدر الثمين، ص٣٣٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٥٠.

(٢) أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م): ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج١، ص١٣.

(٣) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ج١، ص٤٧. ابن حمدون: التذكرة، ج٣، ص٧٣.

(٤) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ج٢، ص١٩٥. ابن حمدون: التذكرة، ج٤، ص٤٧.

(٥) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ج٢، ص٢١٥. ابن حمدون: التذكرة، ج٤، ص٤٧.

(٦) أبو هلال العسكري: ديوان المعاني، ج١، ص٦٣. ابن حمدون: التذكرة، ج٤، ص٦٩.

(٢٩) أبو حيان التوحيدي ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م

علي بن محمد بن العباس التوحيدي، المكنى بأبي حيان: فيلسوف، متصوف معتزلي، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء^(١)، واتهمه البعض بالزندقة^(٢)، ولد في شيراز (أو نيسابور) وأقام مدة في بغداد، وانتقل إلى الريّ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد، فلم يحمداً ولاهما، ووُشي به إلى الوزير المهلب^(٣) فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره، عن نيف وثمانين عاماً، ذكر السيوطي أنه لما انقلبت به الأيام رأى أن كتبه لم تنفعه وضنّ بها على من لا يعرف قدرها، فجمعها وأحرقها، فلم يسلم منها غير ما نقل قبل الإحراق^(٤)، من كتبه: "المقابسات" و"الصدافة والصدق" و"البصائر والذخائر" و"الإمتاع والمؤانسة" و"الإشارات الإلهية" و"المحاضرات والمناظرات" و"تقريظ الجاحظ" و"مثالب الوزيرين ابن العميد وابن عباد" و"رسائل التوحيدي"، أما الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته فهي:

أ. البصائر والذخائر

من أشهر موسوعات الاختيارات الأدبية وأجملها، تضم سبعة آلاف وتسعاً وسبعين قطعة أدبية، اختارها أبو حيان من مروياته وقراءاته، وأصدرها تباعاً في عشرة أجزاء، ما بين سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م و٣٧٥هـ/٩٨٦م، لا يقتصر الكتاب على الاختيارات ولا تكمن قيمته فيها فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى قيمة ما أضافه التوحيدي إلى تلك الاختيارات من آراء وتعليقات حملت الكثير وكشفت عن الكثير، ولم يصرح أبو حيان باسم الأمير الذي جمعها له، ويُفهم من مقدمة الجزء الثالث أنه جمعها لخزانة أحد متنفذي عصره، وقد أتى في مقدمات أجزائه على تسجيل أصداء انتشار الكتاب في مختلف الأوساط، كقوله في مقدمة الجزء الثامن: "فمن قائل: ما أحسن هذا الكتاب، لولا ما حواه من السخف والقاذورة، ومن قائل: كل ما فيه حسن لو خلا من اللغة والنحو.... إلخ"^(٥)، وذكر في منهجه أنه توخى "الأخبار القصار دون الطوال، والنادر دون الفاشي.... من فقرة مكنونة، ولمعة ثاقبة، وإقناع مؤنس، وعقل

(١) معجم الادباء، ج ٥، ص ١٩٢١.

(٢) على سبيل المثال ابن الجوزي.

(٣) الوزير المهلب: الحسن بن محمد، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، يُكنى بأبي محمد، من كبار الوزراء، الأدباء الشعراء. اتصل بمعز الدولة بن بويه، فكان كاتباً في ديوانه، ثم استوزره، ثم قرّبه الخليفة المطيع، وخلع عليه، وقلده الوزارة. فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولقب بذي الوزارتين. وكان من رجال العالم حزمياً ودهاءاً وكروماً وشهامة: وله شعر رقيق، مع فصاحة بالفارسية وعلم برسوم الوزارة. ولد بالبصرة، وتوفي في طريق واسط، وحمل إلى بغداد ت ٣٥٢هـ/٩٦٣م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢١، ص ٧٣. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ٩٧٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٢٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٥.

(٤) بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٩٠.

(٥) التوحيدي: البصائر والذخائر، ج ٨، ص ٩.

ملقح، وقول منقح، وحجة استخلصت من شوائب الشبه، وشبهة أنشئت من فرط الجهالة"، ووصفه بأنه "تذكرة لجميع ما حوته الأذن، وحفظه القلب، وثبت في الكتب على طول العمر، تأبط هزلاً، وتحمل مزاحاً، وتوشح حكمة وفصاحة، ونشر حكم الله رواية واستخراجاً" ^(١)، ومن أهم القضايا التي يعالجها: علاقة الإنسان بالله، "الذي أودع العقول ما تمت به العبودية، ودفع عنها ما تعلق بالإلهية" ^(٢)، وتأتي أهمية الكتاب من تعليقات أبو حيان على كثير من اختياراته، وتقييماته الأدبية لكثير من رجالات عصره. ^(٣)

اعتمد ابن حمدون على كتاب البصائر والذخائر بمائة وتسع وخمسين (١٥٩) رواية نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، وجاءت بعض هذه الروايات كحكمة أو موعظة، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن البصائر: "توقي الصرعة قبل الرجعة" ^(٤)، وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: "قال عبد الله بن أبي بكر: من حدث نفسه بطول البقاء فليوطنها على المصائب" ^(٥).

ونقل ابن حمدون من كتاب البصائر روايات مهمة حول بدايات الدولة العباسية، منها: "وكتب عبد الحميد كتاباً إلى أبي مسلم وقال لمروان ^(٦): إني قد كتبت كتاباً إن نجح فذاك وإلا فالهلاك، وكان من كبر حُجْمِهِ يُحْمَلُ على جَمَلٍ، وكان عبد الحميد قال: أنا ضامنٌ أنه متى قرأ الرسول على المستكفين حول أبي مسلم ذلك بمشهد منه أنهم يختلفون، وإذا اختلفوا كلٌّ حدُّهم وذلَّ جهدهم، فلما ورد الكتاب على أبي مسلم دعا بنارٍ فطرحه فيها إلا قدر ذراع فإنه كتب عليه:

محا السيفُ أسطار البلاغةِ وانتحى
عليك ليوثُ الغابِ من كلِّ جانبٍ
فإن تُقَدِّمُوا نَعْمِلْ سيوفاً شحيذةً
يهوُّ عليها العنَبُ من كلِّ عاتبٍ
وردهُ، فحينئذٍ وقع اليأسُ من معالجته" ^(٧).

وفي رواية أخرى نقلها ابن حمدون، قال: "أمر الإسكندر بصلب سارق فقال: أيها الملك، إني فعلت ما فعلت وأنا كاره، قال: وتصلب وأنت أيضاً للصلب كاره" ^(٨).

(١) البصائر والذخائر، ج ١، ص ٣.

(٢) البصائر والذخائر، ج ٧، ص ٦٠.

(٣) البصائر والذخائر، ج ٢، ص ١١.

(٤) التوحيد: البصائر والذخائر، ج ٧، ص ١٢٦ . التذكرة، ج ١، ص ١١٠.

(٥) التوحيد: البصائر والذخائر، ج ٤، ص ٢٤٣ . التذكرة، ج ١، ص ٢٧١.

(٦) المقصود مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

(٧) التوحيد: البصائر والذخائر، ج ١، ص ١٣٢ . التذكرة، ج ٢، ص ٣٣.

(٨) التوحيد: البصائر والذخائر، ج ٣، ص ١٤١ . التذكرة، ج ٣، ص ٤٣.

أورد ابن حمدون في الباب الحادي عشر الموسوم "ما جاء في صون السر وتحصينه" نقلاً عن البصائر فقال: "قال رجل لعمر بن عبيد: إنَّ الأسواريَّ لم يزل يذكرُك ويقول: الضالُّ، فقال عمرو: يا هذا والله ما رعبت حقَّ مجالسته حين نقلت إلينا حديثه، ولا رعبت حقِّي حين أبلغتني عن أخي ما أكرهه، اعلم أنَّ الموت يعمُّنا، والبعث يحشرنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا"^(١).

والواضح أن جميع ما استقاه من هذا الكتاب نُقل بشكل حرفي، باستثناء أربع روايات فقط نقلها ابن حمدون بتصرف^(٢)، وهذا يعني أن كتاب البصائر شكل مورداً مهماً لابن حمدون في مختلف أبواب تذكرته.

ب. الإمتاع والمؤانسة

وإذا كان الاعتماد كبيراً على كتاب البصائر، فإن كتاب الإمتاع والمؤانسة ماثله بانتقاء ابن حمدون روايات ضمَّنها في أبواب تذكرته، ويُعدُّ هذا الكتاب من عيون الأدب العربي، ويضمُّ مسامرات سبع وثلاثين ليلة قضاها التوحيدي في منادمة الوزير أبي عبد الله العارض، وزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهية^(٣)، جمعها التوحيدي وأهداها لأبي الوفاء المهندس "محمد بن محمد البوزجاني" الذي وصله بالوزير أبي عبد الله، وجاء في ختام الجزء الثالث قوله: "وهذا هو الثالث وقد أُلقيت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل.....، ولأنه آخر الكتاب، ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري" ووصفه بقوله "وفيه ما يشيط الدم المحقون، ويُنزَع من أجله الروح العزيز، ويستصغر معه الصلب، ولا يقنع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر"^(٤)، ويضمُّ الكتاب أضواء كاشفة لحياة الأمراء في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب، ومن نوادره: وصف مناظرة السيرافي ومثي بن يونس في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي، وسؤال الوزير عن رسائل أخوان الصفا وحقيقة مؤلفيها، وإحصاء عدد القيان العاملات في ملاهي الكرخ سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م، وطريقة الكتاب أن الوزير يقترح الخوض في موضوع، وأبو حيان يجيبه عما اقترح، حتى إذا أراد الوزير الإخلاق إلى النوم سأل أبا حيان كلاماً في الوداع.

(١) التوحيدي: البصائر والذخائر، ج٤، ص ٦١. التذكرة، ج٣، ص ١٥٦.

(٢) الروايات على الترتيب، ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص ٣٦٧ - ج٢، ص ٣٤ - ج٢، ص ٢١٨ - ج٩، ص ٢٥٦.

(٣) ترجح المصادر أن هذا الوزير هو الحسين بن أحمد بن سعدان الذي كان وزيراً لصمصام الدولة البويهية وتولاها سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م، أما العارض فكان لقباً. مسكويه: تجارب الأمم، ج٧، ص ١٠٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٤٠٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٤٥.

(٤) أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م): الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٣٩.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد روايتين فقط، الأولى جاءت على شكل موعظة، قال ابن حمدون: "نظر رجل من قريش إلى صاحب له قد نام في غداة من غدوات الصَّيف طَيِّبة النسيم، فركضه برجله وقال: مالك تنام عن الدُّنيا في أطيب وقتها، نم عنها في أخبث حالاتها، نم نصف النهار لبعذك من الليلة الماضية والجائية، ولأنها راحة لما قبلها من التعب، وجمام لما بعدها من العمل، نمت في وقت الحوائج وتنتبه في وقت رجوع الناس، وقد جاء: قيلولوا فإن الشياطين لا تقيل" ^(١). أما الرواية الثانية عن الخليفة المعتضد بالله العباسي، وهي رواية طويلة تقارب الصفحتين ^(٢).

ج. الصداقة والصديق

وهو من ذخائر العرب الأدبية، وفيه تظهر مقدرة أبي حيان، ومنزلته في الأدب والتاريخ، شرع في تأليفه كما صرح سنة ٣٧١هـ/٩٨٢م بطلب من ابن سعدان، قبل أن يلي الوزارة، وتركه في مسوداته، إلى أن وجد الفرصة لتبليغها، وكان صديقه زيد بن رفاة كبير إخوان الصفا، السبب وراء تأليف الكتاب، وجدير بالذكر أن بعض المصادر تنسب أبو حيان نفسه لإخوان الصفا.

جمع التوحيدي فيه ما استحسنه من الأخبار والأشعار التي تتصل بمواضيع الصداقة، وافتتحه بتجربة شيخه أبي سليمان السجستاني في حياة الصداقة السامية التي عاشها مع صديقه القاضي ابن سيار، ووقف طويلاً على العداوة التي عُرِفَت بين القاضي أبو حامد المرورودي وابن حروبة ^(٣)، وكيف استمر على الجفاء أربعين سنة، من غير شناعة أو أذى، وكيف كان كل منهما يثني على الآخر، وفي صفحات الكتاب يظهر التوحيدي على أنه قضى شوطاً كبيراً من حياته وهو يعدُّ لكتابة هذه الموسوعة التي ختمها بقوله: "وكان ظنِّي أنها تكون لطيفة خفيفة، يسهل انتساخها وقراءتها، فماجيت بشجون الحديث، وروادف من الطيب والخبيث" ^(٤) ويصف حاله أثناء تأليف الكتاب، وربما أثناء تبليغها بقوله: "فلقد فقدت كل مؤنس وصاحب، ومرافق ومشفق، والله لربما صليت في الجامع، فلا أرى جنبي من يصلي معي، فإن اتفق فبقال أو عصَّار، أو ندَّاف أو قصَّاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدني بصنانه، وأسكروني بننته، فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق،

(١) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص ٢٠١. التذكرة، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص ٣٣٨. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣) لم يقف البحث على ترجمة له.

(٤) التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م): الصداقة والصديق، تح إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٣٥٦.

مستأنساً بالوحشة، قانعاً بالوحدة، معتاداً للصمت، ملازماً للحيرة، محتماً للأذى، يائساً من جميع من ترى" (١).

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب " الصداقة والصدق " بإحدى وعشرين (٢١) رواية، نقلها بشكل حرفي، منها: "قال بعضهم: كنت أمشي مع الخليل فانقطع شسع نعلي، فخلع نعله، فقلت ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفا" (٢).

وقال ابن حمدون في موضع آخر: "وقال جعفر بن محمد: من حق أخيك أن تحمل له الظلم في ثلاث مواقف: عند الغضب، وعند الدالة، وعند الهفوة، وروي نحوه عن الأحنف بل هو المعنى بعينه" (٣).

ولم يخل ما نقله ابن حمدون من المادة الشعرية، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال الشاعر:

صديقك حين تَسْتَعْنِي كثيرٌ وما لك عند فقرك من صديق
فلا تغضبْ على أحدٍ إذا ما طوى عنك الزيارة عند ضيق^(٤)
فضلاً عن الكثير من الروايات التي حفظت أبياتاً شعرية نقلها من هذا الكتاب^(٥).

د. رسائل التوحيدي

تُعدُّ رسائل التوحيدي من الآثار التي تدلُّ على حياة فكرية خصبة، وفعالية وفيرة في التأليف، وهي ثلاث رسائل "رسالة السقيفة" "رسالة في علم الكتابة" "رسالة الحياة"، وكلُّ رسالة من هذه الرسائل تكشف فعالية التوحيدي الفكرية والفنية، وتساعد على فهم القضايا العقلية والتيارات الفكرية التي تأثر بها في عصره أو شارك فيها.

أما رسالة السقيفة فقد مثَّلت جانب المنازعات المذهبية والسياسية والفكرية التي اشتدت في عصر بني بويه، واشترك فيها الناس على اختلاف عقائدهم وأعرافهم وتفاوت مقدرتهم من العلم والمعرفة، بينما عدَّت رسالته في علم الكتابة من الآثار الفريدة في اللغة العربية، أثبت فيها التوحيدي،

(١) الصداقة والصدق، ص ٣٤.

(٢) التوحيدي: الصداقة والصدق، ص ٥٥ . التذكرة، ج ٢، ص ١٨٦.

(٣) التوحيدي: الصداقة والصدق، ص ٥٤ . التذكرة، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٤) التوحيدي: الصداقة والصدق، ص ٣٧٣ . التذكرة، ج ٤، ص ٣٦٢.

(٥) على سبيل المثال لا الحصر، أبو حيان التوحيدي: الصداقة والصدق، ص ٤٢ . ابن حمدون: التذكرة، ج ٢،

بحكم مهنة الوراقة التي زاولها، سعة اطلاعه ومعرفته بالخطوط وأنواعها ودقائق صناعة الخط، والرسالة الثالثة هي رسالة الحياة، وهي فلسفية صوفية في موضوع مستقل على شاكلة كتاب المقابسات الذي ألفه التوحيدي^(١).

وقد اعتمد ابن حمدون على الرسائل في سبع (٧) روايات، جاءت ست روايات منها في وصف الكتاب والقلم وما يجانسها، وأوردها ابن حمدون جميعها في صفحة واحدة، كأقوال قصيرة قيلت في القلم، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال العتابي: الأقلام مطايا الفطن"^(٢).

وقال: "وقال سهل بن هارون: القلم لسان الضمير، إذا رُفِعَ أعلن سراره وأثار آثاره"^(٣).

وأورد في وصف القلم أيضاً: "أصم يسمعُ النجوى ويخبر بالغائب"^(٤).

وأضاف: "وقيل: فضل الخط على اللفظ أن الخط للقريب والبعيد، واللفظ للقريب فقط"^(٥).

وعلق ابن حمدون على إحدى المقولات التي نقلها من التوحيدي قائلاً: "وقال جالينوس: الخط كلام ميت، واللفظ كلامٌ حي"، فيعلق بقوله "ولو تَمَّ المعنى لقال: الخط كلام ميتٌ حي"^(٦).

٣٠. النهشلي ت ٤٠٥/هـ ١٠١٥م

عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، يُكنى أبا محمد، ولد في المسيلة^(٧) ونشأ فيها، في سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٧م، انتقل إلى القيروان في أيام المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٣-٩٧٦م)^(٨).

(١) التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٥/هـ ١٠٠٩م): الرسائل، تح إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١م، ص ٨.

(٢) التوحيدي: الرسائل، ج ٥٢. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٣) التوحيدي: الرسائل، ج ٥٢. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٤) التوحيدي: الرسائل، ج ٥٢. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٥) التوحيدي: الرسائل، ج ٥٢. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٦) التوحيدي: الرسائل، ج ٥٢. التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٩.

(٧) المسيلة: مدينة بالمغرب، وتسمى بالمحمدية، وتبعد عن تلمسان أربع مراحل (١٦٠ كم)، وهي مدينة جبلية على نهر يسمى نهر سهر، كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة، وكانت مدينة عظيمة على نظر كبير، وحولها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة وهوارة وبنو برزال. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٥٥. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٨.

(٨) المعز لدين الله الفاطمي: رابع خلفاء الدولة الفاطمية، واسمه معد بن اسماعيل، يُكنى بأبي تميم، ولد في المهديّة، وبويع له بالمنصورية، وشهدت أيامه توسعاً كبيراً للدولة الفاطمية، حيث تمكن من فتح مصر ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، عُرف عنه بالذكاء والفطنة، وحبّه للعلم وتقريبه للعلماء، توفي سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٦م. المقرئ: اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ٢٠٨.

وكانت وفاته في المهدية - في تونس اليوم- كان النهشلي عالماً في اللغة، عارفاً بأيام العرب وأشعارهم، كاتباً مترسلاً، وأديباً ناقدًا و شاعراً محسناً، كان شعره في الرثاء والوصف والخمر، و لم يقل في الهجاء اقتداءً بأستاذه علي بن الأيادي، وقد ترك العديد من المؤلفات منها "الممتع" و"العمدة" وغيرها^(١).

أما كتاب "الممتع في صنعة الشعر" فإنه يدور حول علم الشعر وعمله وفي النقد، وتظهر قيمة هذا الكتاب في الجمع والتنظيم أكثر منها في الابتكار، فقد قسم الشعر أربعة أقسام: مديحاً وهجواً وحكمة ولهواً (غزلاً و خمرًا)، ثم عاد فقسّمه من وجه آخر فقال: من الشعر ما هو خير كله (الزهد والوعظ والمثل)، ثم ما هو ظرف كله (النعوت والتشبيه وما يفتن فيه من المعاني والآداب)، ثم ما هو شر كله (الهجاء)، ثم شعر التكسب (مخاطبة كل إنسان من حيث هو والإتيان إليه من حيث فهمه).

اعتمد ابن حمدون على كتاب الممتع بخمس (٥) روايات فقط، جاء معظمها أبياتاً شعرية باستثناء رواية واحدة طويلة ومضمونها الفرزدق: "مازح الفرزدق بلال بن أبي بردة فذمّ بلال بن تميم ومدح أبا موسى، فقال الفرزدق: والله لو لم تكن لأبي موسى - المقصود أبو موسى الأشعري- إلّا فضيلة واحدة لكفّته، قال: وما هي؟ قال: حجامته، فقال بلال: قد فعل ذلك لحاجة رسول الله S إلى ذلك؛ وما فعله قبله ولا بعده، فقال الفرزدق: كان أبو موسى أتقى لله من أن يُقدّم على نبيه بغير حنق"^(٢).

وفي موضع آخر، نقل ابن حمدون أبياتاً شعرية من كتاب الممتع فقال: "وقال يزيد المهلب:

رهنّت يدي بالعجز عن نيل شكره	وما فوق شكري للشكور مزيد
ولو كان مما يُسْتَطَاعُ استطعته	ولكنّ ما لا يستطيع شديد ^(٣)

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص ٩٩٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ٥١. محفوظ (محمد): تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٤٧.

(٢) النهشلي (عبد الكريم بن إبراهيم ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م): الممتع في صنعة الشعر، تح محمد سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص ٢١٦. التذكرة، ج٣، ص ٤٤٩.

(٣) النهشلي: الممتع، ص ٢٨١. التذكرة، ج٤، ص ٨٦.

ونقل ابن حمدون جميع هذه الروايات من كتاب الممتع بشكل حرفي^(١).

(٣١) ابن حبيب النيسابوري ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م

الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري: أديب، واعظ، مفسر، صنف في القراءات والتفسير والأدب، وتناقل الناس تصانيفه، ومن كتبه " عقلاء المجانين " و "التنزيل وترتيبه"، وله شعر جيد في الوعظ^(٢).

أما كتابه " عقلاء المجانين " فيُعدُّ أوسع ما أُلِفَ في هذا المضمار، حيث ذكر في مقدمته من سبقه إلى التأليف في هذا الموضوع، وهم: الجاحظ، وابن أبي الدنيا، وأحمد بن لقمان، وسهل بن علي البغدادي، وذكر أن ما ألفه هؤلاء لا يعدو جزءاً، وأن كتابه احتوى على ما صنفوه، وغير ذلك مما جمعه وتعبه، وقال في ذلك: " وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب، وهو كتاب يكفي الناظر فيه التردادَ وتصفحَ الكتب، وأرجو أني لم أسبق إليه " ^(٣)، وقَدَّم للكتاب بمقدمة، تكلم فيها عن حد الجنون، ومعانيه المختلفة، ومرادفاته في اللغة، وما سار من الأمثال في الحمق والحمقى، والجنون عند الحيوان، وضروب المجانين، والدواعي التي حملت بعض العقلاء على التظاهر بالجنون، وتحديث في الكتاب عن أنواع المجانين، من رجال ونساء، ومشاهير، وجهلاء، وما أثير عن كل واحد من المَلَح والمُضحكات.

أخذ ابن حمدون من هذا المورد خمس (٥) روايات، نقلها بشكل حرفي، وفي رواية واحدة صرَّح باسم المؤلف في الباب المخصص للمراثي والتعازي، قال ابن حمدون: "قال أبو القاسم الحسن ابن حبيب النيسابوري: دخلت بهرة دار المرضى فإذا شيخ مسلسل، فقلت له: يا شيخ أتريد النجاة مما أنت

(١) للاستزادة :

المتع	التذكرة
ص ٣١٦	ج ٣، ص ٤٤٤
ص ١١٨	ج ٤، ص ١٨
ص ٣٨٣	ج ٤، ص ٢٥

(٢) السهمي (حمزة بن يوسف بن إبراهيم ت ٤٢٧هـ/١٠٣٦م): تاريخ جرجان، تح محمد المعيد خان، دار عالم الكتب، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م، ص ١٩٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٣٨. الداوودي: طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٤٤.

(٣) ابن حبيب النيسابوري (الحسن بن محمد بن حبيب ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م): عقلاء المجانين، تح محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٥.

فيه؟ قال: لا، قلت: ولم؟ قال: لأنّ القلم مرفوعٌ عني فيما أتعاطاه، فإذا نجوت من هذه البليّة أجري عليّ القلم؛ وقد حبست وأطلق عنك وستحبس ويطلق عني^(١).

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون نقلاً عن هذا المورد: "قيل كان في همدان مجنون يجتمع عليه الناس، فإذا اجتمعوا عليه قال لهم: هل ترون ما أنتم فيه من حيرتكم وغفلتكم شيئاً؟ ما هو إلا محنة العبودية ووطأة الشريعة في الدنيا، والحبس والسؤال والعذاب في الآخرة، وإنما الراحة ما أنا فيه: لا حرج في الدنيا ولا حساب في الآخرة"^(٢).

وجميع الروايات التي أوردها ابن حمدون جاءت بشكل متتالي، ونقلها بشكل حرفي من هذا المورد^(٣).

(٣٢) أبو سعد الآبي ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م

منصور بن الحسين الرازي، من العلماء بالأدب والتاريخ، من أهل الري، ونسبته إلى (آبه) من قرى ساوة، كان أديباً، ماهراً، ناظماً، عالي الهمة، شريف النفس، ولي أعمالاً جليّة، واستوزره مجد الدولة رستم ابن فخر الدولة البويهى، صاحب الري، وله مصنفات، منها "نثر الدر في المحاضرات" و"نزهة الأديب" و"التاريخ"^(٤).

ويُعدُّ كتابه "نثر الدر في المحاضرات" من أعظم المؤلفات الأدبية والتاريخية، ويرد اسمه في بعض المصادر (نثر الدر) وقد لخص فيه الآبي كتابه: "نزهة الأديب" وصرّح بذلك في مقدمة الكتاب فقال: "وبعد فإني رأيتك -أمتع الله بأدبك وأهله بك- حين سمعت بالمجموع الكبير الذي سميت به (نزهة الأديب) ظننت بي أنني قصدت قصد من يؤلف كتاباً فيصنفه أصنافاً ويبيوه أبواباً حتى يتميز فيه النثر عن النظم، والجد عن الهزل... إلخ"^(٥).

(١) ابن حبيب النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ١٣٠. التذكرة، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٢) ابن حبيب النيسابوري: عقلاء المجانين، ص ٣٢٣. التذكرة، ج ٧، ص ٢٥٥.

(٣) للاستزادة:

عقلاء المجانين	التذكرة
ص ١٣٠ - ص ٣٤٢	ج ٤، ص ٣٢٠ وردت فيها ٣ روايات
ص ٣٢٣ - ص ٣٢٩	ج ٧، ص ٢٥٥ وردت فيها روايتين

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٥، ص ١٩٩. الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٦٩٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٦٠.

(٥) الآبي (منصور بن الحسين ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): نثر الدر في الحاضرات، تح خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٢٢.

واختط به منهجاً جديداً ترسمه في كل فصول الكتاب، وميّزه به عن أشباهه من الكتب، وقصد فيه أن يكون خلواً من الخطب والقوائد الطوال، وإن شذَّ عن ذلك أحياناً، وأن يكون مجموعة أقوال بليغة وطريفة وغير مترابطة، بحيث يصدق عليه العنوان نثر الدر، وحاول جاهداً أن يجنب أبوابه الأولى المجون والهزل رعاية للقرآن ومقام الرسول الأعظم، وخصَّ للهزل والمجون أبواباً في كل فصل، وجعل الأعلام محوراً للأقوال والأخبار، جامعاً إلى كل صحابي أو خليفة أو إمام أو فيلسوف أو أديب ما تتأثر من أقواله في كتب الفلسفة والأدب والحديث.

ولا يقلُّ كتاب نثر الدر أهمية بالنسبة للتذكرة الحمدونية عن باقي الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون كالأغاني والبيان والتبيين وغيرها، فقد نقل ابن حمدون عن هذا المورد عدداً كبيراً من الروايات بلغ عددها ألفاً ومائة وخمساً وثمانين (١١٨٥) رواية، شملت هذه الروايات كل أجزاء التذكرة وما حوته من أبواب، وعلى عادته لم يصرح ابن حمدون باسم المورد ولكن من خلال المقارنة البسيطة يظهر أنها من الكتاب المذكور.

نقل ابن حمدون في كثير من المواضع صفحات كاملة متتالية بشكل حرفي دون أي تغيير، فمثلاً في الباب الرابع والأربعين الموسوم "في الخمر والمعاقرة" نقل صفحات بأكملها، ومن هذه الروايات، قال ابن حمدون: "قال بعضهم: رأيت أبا نواس يوماً يضحك من سكران وقال: ما رأيت سكران قبله، قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنني كنت أسكر قبل الناس فلا أدري ما يكون حال السّكاري"^(١)، وذكر في رواية مشابهة: "وقال آخر: رأيت سكران قد وقع في الطين وهو يقول: رحم الله من أخذ بيدي، وأرانيه في مثل حالتي، وهو يرى أنّ حاله حال نعمة"^(٢).

ومن الأبواب التي نقل فيها ابن حمدون صفحات كاملة من كتاب نثر الدر ما جاء في الباب الثامن والأربعين الموسوم "في المَلَح والنوادر"، منها على سبيل المثال: "قيل لمجنون بالبصرة: عدّ لنا مجانين البصرة، فقال: كلّفتُموني شططاً، أنا على عدّ عقلائهم أقدر"^(٣).

وفي رواية أخرى، قال ابن حمدون: "هرب مجنون من الصبيان ودخل دهليزاً، وأغلق الباب في وجوههم، وجلس، فخرج إليه صاحب الدار فقال: لم دخلت داري؟ قال: من أيدي هؤلاء أولاد الرّثا، فدخل صاحب الدار وأخرج إليه رطباً، فجلس المجنون يأكل والصبيان يصيحون على الباب، فأخرج

(١) الآبي: نثر الدر، ج٦، ص٣٣٤. التذكرة، ج٨، ص٤٠٠.

(٢) الآبي: نثر الدر، ج٦، ص٣٣٤. التذكرة، ج٨، ص٤٠٠.

(٣) الآبي: نثر الدر، ج٣، ص١٧٨. التذكرة، ج٩، ص٤٥٧.

المجنون رأسه إلى صاحب الدار وقال: «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ»^(١) (٢).

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا الكتاب في نقل أخبار ملوك فارس، مثلاً: "قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار"^(٣).

وأخذ ابن حمدون من هذا الكتاب الكثير من أخبار الدولة العباسية ورجالها، ومن أخبار الخليفة المأمون: "وناظر المأمون يوماً محمد بن القاسم النوشجاني، فجعل يُصدِّقه ويغضي له، فقال له المأمون: تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجوب الحجة عليك، ولو شئت أن أقيس الأمور بفضل بيان وطول لسان وأبهة الخلافة وسطوة الرئاسة لصدقت وإن كنت كاذباً، وصوّبت وإن كنت مخطئاً، وعدلت وإن كنت جائراً، ولكني لا أرضى إلا بإزالة الشبهة وغلبة الحجة، وإن شر الملوك عقلاً وأسخفهم رأياً من رضي بقولهم: صدق الأمير"^(٤).

واستقى ابن حمدون من نثر الدر كثيراً من الأقوال المأثورة عن آل البيت، فعلى سبيل المثال: قال ابن حمدون: "وقال علي بن الحسين حين مات ابنه ولم يجزع: أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره"^(٥).

وبذلك عدّ كتاب نثر الدر من أهم الأعمدة التي قامت عليها التذكرة الحمدونية.

(٣٣) المرزوقي ت ١٠٣٠/هـ ٤٢١

أحمد بن محمد بن الحسن، المكنى بأبي علي المرزوقي، من علماء أهل أصبهان بالأدب، وكان معلم أبناء بني بويه فيها، اشتهر بأنه غاية في الذكاء والفتنة وحسن التصنيف والأخبار، ومن كتبه "الأزمنة والأمكنة" و"شرح ديوان الحماسة لأبي تمام" و"شرح المفضليات" و"الأمالي" و"القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما"^(٦).

(١) سورة الحديد، الآية ١٣.

(٢) الآبي: نثر الدر، ج ٣، ص ١٧٨. التذكرة، ج ٩، ص ٤٥٧.

(٣) الآبي: نثر الدر، ج ٧، ص ٣٣. التذكرة، ج ١، ص ٣٨١.

(٤) الآبي: نثر الدر، ج ٣، ص ٧٩. التذكرة، ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) الآبي: نثر الدر، ج ١، ص ٢٣٤. التذكرة، ج ٤، ص ١٩٥.

(٦) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥٠٦. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ١٤١. الذهبي: سير أعلام النبلاء،

و"شرح الحماسة" أكبر شروح ديوان الحماسة، وأكثرها عناية بمعاني الشعر والنقد والموازنة، ويمتاز بمقدمته النفيسة الجريئة التي تُعدّ وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي، قال حاجي خليفة بعدما سمّى عشرين شرحاً للحماسة: "وشرحه معتبر مشهور، أوله: الحمد لله خالق الإنسان مميّزاً بما علمه البيان"^(١).

وهو يختلف في متن الحماسة عن متونها في غيره من الشروح من حيث عدد الأبيات وترتيب المقطوعات، والمراد بديوان الحماسة هنا ما اختاره أبو تمام الطائي من أشعار العرب، ورتب المرزوقي حماسه على أبواب عشرة، أولها باب الحماسة، فكان ذلك سبب شهرة الكتاب بديوان الحماسة.

وقد أخذ ابن حمدون من حماسة المرزوقي ثلاثاً وأربعين (٤٣) رواية، جاءت جميعها نقلاً لأبيات شعرية لشعراء معظمهم مغمورون، مثل معبد بن علقمة ومالك بن الحارث الأشتر.

فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال حسان بن حنظلة:

تلك ابنة العدويّ قالت باطلاً أزرى بقومك قلة الأموال
إنا لعمر أبيك يحمدُ ضيفنا ويسودُ مُقْتَرِئاً على الإقلال
أحلامنا تَرْنُ الجبالَ رزانةً ويزيدُ جاهلنا على الجهال"^(٢)

وأورد ابن حمدون في باب السخاء والجود عدة شواهد نقلاً عن المرزوقي، على سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وقال آخر:

وَمُسْتَبِحٍ قال الصّدَى مثلَ قوله حَضَأَتْ له ناراً لها حَطَبٌ جَزُلُ
وقمتُ إليه مسرعاً فغنمتهُ مخافةً قومي أن يفوزوا به قبلُ
وأوسعني حمداً وأوسعتهُ قرىً وأُرْخِصَ بحمدٍ كان كاسبهُ الأكلُ"^(٣)
ونقل ابن حمدون هذه الروايات بشكل حرفي دون أي تغيير^(٤).

(١) كشف الظنون، ص ٦٩١.

(٢) المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): شرح الحماسة، تح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١١٧٩. التذكرة، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) المرزوقي: الحماسة، ص ١٠٩٨. التذكرة، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) للاستزادة:

التذكرة	حماسة المرزوقي
ج ٢، ص ٢٤	ص ٨٢٨
ج ٥، ص ١١١	ص ١٠٧٥

(٣٤) الرقيق القيرواني ت ١٠٣٤/هـ ١٠٣٤م

إبراهيم بن القاسم، أبو إسحاق، المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مؤرخ أديب من أهل القيروان، كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية^(١)، واستمر فيها زهاء نصف قرن، فقد كان من كبار عصره، وهو الذي بعثه باديس بن زيري سفيراً إلى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م، وقال ابن خلدون عنه في المقدمة: "ابن الرقيق، مؤرخ إفريقية والدولة التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مُقلِّد وبليد الطبع"^(٢)، وقال ياقوت: "رجل فاضل أديب له تصانيف كثيرة في علم الأخبار ومنها كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، وكتاب النساء، وكتاب الراح والارتياح، وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك، وكتاب الاختصار البارع للتاريخ الجامع"^(٣).

ويعد كتاب "قطب السرور في أوصاف الخمر" أكبر مجموعة أدبية في موضوعها، رتَّبها على حروف المعجم مما عثر عليه من الخمرات، فاشتمل على فرائد، لقائمة طويلة من الشعراء، وقد أخذ ابن حمدون ست (٦) روايات من هذا المورد، الرواية الأولى القصة التي دارت بين أبي حنيفة والأعمش^(٤)، أما الرواية الثانية بيتان شعريان جاءا في باب النعوت والتعريض^(٥)، بينما جاءت الروايات الأربع الأخيرة في وصف الخمر^(٦).

(٣٥) الثعالبي ت ١٠٣٧/هـ ١٠٣٧م

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، أديب ولغوي وناقد، وُلِد في نيسابور، وكان فزاً يخطط جلود الثعالب فنُسب إلى صناعته، ثم انتقل من حياكة الفراء إلى دراسة اللغة والأدب

(١) الدولة الصنهاجية: سُميت بذلك نسبة لقبائل صنهاجة، أسس الدولة أبي الفتح بلقي بن زيري الصنهاجي، الذي استخلفه الخليفة الفاطمي المعز على إفريقية قبيل انتقاله إلى مصر سنة ٣٦١هـ/٩٧١م وكان أبو الفتح حسن السيرة والإدارة، ونجح في أن يقضي على الفتن الداخلية وعلى الثورات القبائلية المجاورة على حدود البلاد، وحقق استقراراً كبيراً بالبلاد إلى أن مات سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م، ثم تولى الحكم بعده ابنه المنصور وبعد وفاته باديس ثم ولده المعز بن باديس الذي يعد من أشهر حكامهم على الإطلاق، وفي عهده سقطت هذه الدولة على يد قبائل بني هلال حوالي سنة ٤٤١هـ/١٠٥٠م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٦٥. ابن عذارى (محمد بن محمد ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٤٩. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٦، ص ٢٠٨.

(٢) المقدمة، ص ١٤.

(٣) معجم الأدباء، ج ١، ص ٩٧.

(٤) الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم ت ١٠٣٤/هـ ١٠٣٤م): قطب السرور في أوصاف الخمر، تح أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م، ص ٨٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٥) الرقيق القيرواني: قطب السرور، ص ١٤٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ٢٨٤.

(٦) الرقيق القيرواني: قطب السرور، ص ٦٧ وما بعدها. ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ٣٤٩.

والتاريخ فنبغ واشتهر، وأجمع من ترجموا له على أنه كان نابغة عصره في الأدب نظماً ونثراً، وكان قبلة أنظار المؤلفين بعده، فاحتذى حذوه وسار على نهجه جماعة في شرق العالم الإسلامي وغربه، وهو من الذين أسهموا في ازدهار نهضة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أدبياً، حيث قدم للغة العربية عدداً كبيراً من المؤلفات والمصنفات التي تنوعت لتشمل أغراضاً مختلفة في الآداب واللغة والفكر، وصنّف الكتب الكثيرة الممتعة، من كتبه: "يتيمة الدهر"، في تراجم شعراء عصره، و"فقه اللغة" و"سحر البلاغة" و"من غاب عنه المطرب" و"غرر أخبار ملوك الفرس" و"لطائف المعارف" و"ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة" و"طبقات الملوك" و"الإعجاز والإيجاز" و"خاص الخاص" و"نثر النظم وحل العقد" و"مكارم الأخلاق" و"ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" والقائمة تطول^(١)، أما الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون كمصادر للتذكرة فهي:

أ. التمثيل والمحاضرة

من عيون كتب الأمثال في الأدب العربي، وقد تفنن الثعالبي في تبويبها ودراستها وتناولها من أوجه مختلفة، امتازت بالتبويب البارع الذي أخضع له منهج الكتاب فأبعده عن النسق المعجمي لكتب الأمثال، ولم يقتصر فيه على جمع الأمثال المتداولة المعروفة، بل ذهب إلى جمع كل ما يجري مجرى المثل من أقوال القدماء والمحدثين، فجعل كتابه روضة تضم أفانين مختلفات الثمر من أدب اللغة العربية، وقد لقي الكتاب رواجاً كبيراً في عصر مؤلفه، فاستوحى من فصوله مناهج جعل كلاً منها أساساً لكتاب برأسه فيما بعد.

وقد صرّح الثعالبي بإهداء الكتاب إلى الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير^(٢) في زيارته الثانية له سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م.

(١) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٦٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٤٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٣٠.

(٢) قابوس بن وشمكير: بن زيار، أبو الحسن، الملقب شمس المعالي: أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. وليها سنة ٣٦٦ هـ/٩٧٧م وأخرجه منها عضد الدولة البويهية سنة ٣٧١/٩٨٢م ثم استعادها قابوس سنة ٣٨٨/٩٩٨م واشتد في معاقبة من خذله في حربه مع عضد الدولة، ففر منه شعبه، وقامت الثورة، فخلعه القادة وولوا ابناً له. ورضوا بإقامته في إحدى القلاع إلى أن مات، ودفن بظاهر جرجان، وهو ديلمى الأصل، كان شاعراً وأديباً. ابن ماكولا (علي ابن هبة الله بن جعفر ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ج ٧، ص ٧٢. الحموي: معجم الأديباء، ج ٥، ص ٢١٨١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٧٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٧٨.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد ثمانين عشر (١٨) رواية، معظم هذه الروايات جاءت كحكم ومواعظ وعبرة، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن هذا المورد: "وقال أبرويز: أطع من فوقك يطعك من دونك"^(١).

وقال ابن حمدون: "وقال ابن المعتز: لا تشن وجه العفو بالتقريع"^(٢)، ونقل في الصفحة نفسها حكمة أخرى، فقال: "وقيل: ما عفا عن الذنب من قرع عليه"^(٣).

استقى ابن حمدون جميع رواياته من هذا المورد بشكل حرفي^(٤)، باستثناء رواية واحدة فقط نقلها بتصريف.

ب. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

أشهر وأجل تأليف الثعالبي، وأول كتاب في تراجم الشعراء مبني على تقسيم الأقاليم، وترجم فيه الثعالبي لشعراء عصره، وبناء على أربعة أقسام، الأول: في شعراء الشام وما جاورها، والثاني: في شعراء دولة بني بويه، أما الثالث: في شعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان، والرابع: في شعراء خراسان وما وراء النهر، وجعل كل قسم منها موزعاً على عشرة فصول، يتناول في كل فصل ترجمة شاعر أو أكثر، حتى بلغت تراجم بعض الفصول العشرات، واعتمد في كثير من تراجمه على مشافهة من يترجم لهم، فإن تعذر ذلك فممن شافهوه، وإن صعب ذلك أيضاً لجأ إلى دواوين الشعراء ينتقي منها وينتخب.

وقد شكّل هذا المورد إضافة كبيرة للتذكرة، فقد اعتمد عليه ابن حمدون بشكل كبير وخاصة في نقل أخبار دولة بني بويه وأعلامها من خلال المادة الأدبية والشعرية، وبلغ عدد الروايات التي استقاها ابن حمدون من يتيمة الدهر مائة وعشر (١١٠) روايات، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، وفي

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): التمثيل والمحاضرة، تح عبد الفتاح الحلو، الدار

العربية للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م، ص ١٣٨. التذكرة، ج ١، ص ٣١٣.

(٢) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ص ٤١٢. التذكرة، ج ٢، ص ١٢١.

(٣) الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ص ٤١١. التذكرة، ج ٢، ص ١٢١.

(٤) للاستزادة:

التمثيل والمحاضرة	التذكرة
ص ١٤١	ج ١، ص ٢٩٧
ص ٤٥٢	ج ٢، ص ١٨٠
ص ٢١٢	ج ٥، ص ٣٣

بعض الحالات نقل صفحات بأكملها، فقد أورد في الباب المخصص للبأس والشجاعة أربع روايات نقلها من اليتيمة، منها: قال ابن حمدون: "قال أبو العشائر ابن حمدان:

أَخَا الْفُؤَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي وَالْخَيْلُ مِنْ تَحْتِ الْفُؤَارِسِ تَنْحُطُ
لَقَرَأْتَ مِنَّا مَا تَخْطُ يَدُ الْوَعْيِ وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأَسْنَةُ تَنْقَطُ" (١)
تعددت الأمثلة حول هذه الحالة (٢)، واعتمد ابن حمدون عليه أيضاً في نقل أخبار الصاحب بن عباد وابن العميد (٣).

ونقل قصائد لشعراء غير معروفين، منهم، ابن لنكك البصري، فقد ذكر ابن حمدون: "وقال ابن لنكك البصري يهجو أبا رياش اليمامي وقد ولي عملاً:

قُلْ لِلْوَضِيعِ أَبِي رِيَّاشٍ لَا تُبْلُ تَهْ كُلُّ تِهْيَكٍ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ
مَا أَزِدَّتْ حِينَ وَلِيَتْ إِلَّا خِسَةً كَالْكَلْبِ أَنْجَسَ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ" (٤)
كما دون ابن حمدون معظم أشعار أبي إسحق الصائبي ومراسلاته (٥) وأشعار أبي القاسم التتوخي (٦) من خلال اليتيمة، وقد انفرد الثعالبي بذكر شعراء كأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي، فنقل ابن حمدون أخبارهم من خلال هذا الكتاب (٧).

ج. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

من نفائس كتب الأدب، ألفه الثعالبي للأمير أبي الفضل الميكالي (٨) بطلب منه بعد سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، فيقول الثعالبي: "أما بعد الحمد لله الذي أقل نعمه يسْتَعْرِقُ أَكْثَرَ الشُّكْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا نَطِقُ لِسَانٌ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَتْرَجٌ بِ (ثمار القلوب في

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): يتيمة الدهر، تح مفيد قمحية، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٧. التذكرة، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر، الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٢٧٨. ابن حمدون التذكرة، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر، الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٠٢. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٧٠.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤١٤، ٤١٦. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ١٥٤.

(٥) على سبيل المثال لا الحصر، الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٣٠٢. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٢٧٨.

(٦) على سبيل المثال لا الحصر، الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٠١. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٤٠٧.

(٧) على سبيل المثال لا الحصر، الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٢، ص ٤٩٩ - ج ٣، ص ٢١. ابن حمدون: التذكرة، ج ٤،

ص ١٦٦ - ج ٨، ص ٢٠٧.

(٨) أبو الفضل الميكالي: عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي، يُكنى أبو الفضل، من الكتاب الشعراء، من أهل خراسان، كان أشهرهم في ذلك العصر أدباً وفضلاً ونسباً؛ حسن الخلق مليح الشمائل، كثير القراءة دائم العبادة سخي النفس، ت ٤٣٦هـ/١٠٤٥م. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٤٢٨. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٢٣١.

المُضَاف والمنسوب) خدمت فيه خزنة كتب الأمير السيد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي عمرها الله تعالى بطول عمره وعلو أمره ^(١).

وفي الكتاب ما يفيد بأنه لم يؤلف في زمن واحد، بل استغرق تأليفه سنوات نسي فيها الثعالبي بعض فصوله، فقد أورد في أول الكتاب رسالة لأبي إسحق الصابي، ثم أعوزته الإشارة إليها في مكان آخر من الكتاب فقال: "وقرأت رسالة لأبي إسحق الصابي لا أذكرها" ثم ساق معنى الرسالة، وهو كتاب في واحد وستين باباً مبني على ذكر أشياء مضافة أو منسوبة إلى المعنى الذي يعقد عليه الباب، أو ما يقاربه في المعنى، ويتفاوت الحديث بين مضاف وآخر، فقد يكتفي بالتعريف به في موضع، وقد يسوق الآية والحديث والمثل والقول المأثور والشعر والنادرة، ومنهج الكتاب ومادته يدلان على مدى توسع معارف الثعالبي ونضجه الفكري، فالكتاب موسوعة أدبية يمكن اعتباره مع (لطائف المعارف) عملاً أدبياً وعلمياً ضخماً بالنسبة لعصره.

وقد نقل ابن حمدون من كتاب ثمار القلوب ثمانى عشرة (١٨) رواية، جاء بعضها أبياتاً شعرية والبعض الآخر روايات أدبية، فعلى سبيل المثال، أورد عن ثمار القلوب: "والعرب تضرب المثل بجار أبي داود، وهو أبو داود الإيادي، حلّ جاراً للحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن أبي داود وهو في جواره فوداه، فمدحه أبو داود، فحلف الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه، ولا يذهب له مالٌ إلا أخلفه، فذلك قول قيس بن زهير:

أطوّف ما أطوّف ثم آوي إلى جارٍ كجار أبي داود" ^(٢)

ونقل ابن حمدون في موضع آخر: "كان يقال لإبراهيم الخليل عليه السلام أبو الضيفان لأنه أول من قرى الضيف وسنّ لأبنائه العرب القرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلاً إلى ميل يطلبون ضيفاً يؤاكله" ^(٣).

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): ثمار القلوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٣.

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص ١٢٧. التذكرة، ج ٢، ص ١٥١.

(٣) الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٢٤٥. التذكرة، ج ٢، ص ٣٥٩.

وقد نقل ابن حمدون جميع روايات هذا الكتاب بشكل حرفي دون أي تغيير^(١)، باستثناء رواية واحدة نقلها بتصرف^(٢).

د. والإعجاز والإيجاز

من نواذر كتب الحكم والأمثال، يقع في عشرة أبواب معقودة على الآيات والأحاديث والأقوال البليغة، والحكم والأمثال والشعر السائر، وكل ذلك مُوزَّع بمنهج يشبه منهج (التمثيل والمحاضرة) إلى حد كبير، وتبدو مادة الكتاب نفسها كأنها منتزعة من (التمثيل والمحاضرة) عدا الباب العاشر الذي عقده الثعالبي للشعر، ويمتاز الكتاب بالتدرج الزمني لأصحاب النصوص في الأبواب كلها.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد خمس عشرة (١٥) رواية، جاءت نقلاً لمواظ وحكم وأقوال مأثورة، لذلك استقى من كتاب الإعجاز ثلاث حكم وردت في الترتيب نفسه في الكتاب المذكور، والحكم هي، قال ابن حمدون:

"قال عبد الله بن المعتز: أفقر ك الولد أو عاداك"^(٣).

"قال القاهر: من صنع خيراً أو شراً بدأ بنفسه"^(٤).

"قال الراضي: من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق"^(٥).

(١) للاستزادة:

ثمار القلوب	التذكرة
ص ١٣٩	ج ٣، ص ٣٣
ص ٦٣٠	ج ٤، ص ٩٠

(٢) الثعالبي: ثمار القلوب، ص ٦٦٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٧٤.

(٣) الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م): الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت، ص ٩٠. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٠.

(٤) الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص ٩٠. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٠.

(٥) الثعالبي: الإعجاز والإيجاز، ص ٩٠. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٠.

ونقل ابن حمدون جميع الروايات من هذا الكتاب بشكل حرفي^(١)، كما أخذ في موضعين من التذكرة روايتين عن كتاب الإعجاز والإيجاز وألحقهما ببيتين شعريين لإيضاح المعنى أكثر^(٢).

هـ. خاص الخاص

كتاب يقع في سبعة أبواب متقاربة في المادة التي هي الأقوال البليغة، من الآيات والأحاديث والأمثال والأشعار، مختلفة في المنهج الذي هو منهج الثعالب في فصول متفرقة من كتبه، عدا الباب الثالث الذي ضم رسالة صغيرة في أمثال التفضيل.

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب خاص الخاص رواية واحدة فقط وهي بيتان شعريان في العفو والمغفرة لمحمد بن أبي زرعة الدمشقي^(٣)، والبيتان هما:

لا ملومٌ مُسْتَقْصَرٌ أَنْتَ فِي الْجَوِّ دِ وَلَكِنْ مُسْتَعْطَفٌ مُسْتَزَادٌ
قد يُهْزُ الهنديُّ وهو حسامٌ وَيَحْتُ الجوادُ وهو جوادٌ^(٤)

(٣٦) الماوردي ت ١٠٥٨/هـ ٤٥٠

علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خلاً أو يزيل خلافاً. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد، من كتبه "أدب الدنيا والدين" و"الأحكام السلطانية" و"النكت والعيون"، و"الحاوي"

(١) للاستزادة :

الإعجاز والإيجاز	التذكرة
ص ٧١	ج ١، ص ٢٧٨
ص ٨٦	ج ١، ص ٣٦٨
ص ٧٤	ج ٢، ص ٢٣٧
ص ٨٦	ج ٣، ص ٢٠

(٢) الثعالبى: الإعجاز والإعجاز، ص ٩٥ - ص ٧٠. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٣١٤ - ج ٢، ص ٤٧١.

(٣) محمد بن أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو، كان من رواة الحديث الأجلء، كان شاعراً، توفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٨١١.

(٤) الثعالبى (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): خاص الخاص، تح حسن الأمين، دار الحياة، بيروت، د.ت، ص ١١٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ٤، ص ١١٤.

و "نصيحة الملوك" و "قوانين الوزارة وسياسة الملك" و "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك" وغيرها^(١).

أ. قوانين الوزارة وسياسة الملك

وفيه تناول كل ما يخص الوزارة، ابتداء من تعريفها وأنواعها، إلى مؤهلات الوزراء وعلاقتهم ببعضهم وبمن يرأسهم، وأشار في هذا الكتاب إلى أن أهم أهداف الوزراء هي تحقيق الأمن، والنماء والخصب الدائم، وسيادة العدل، وكيفية تقليد الوزراء وعزلهم، وفي صفاتهم ومزاياهم.

ونقل ابن حمدون من هذا المورد رواية واحدة فقط، وهي: "وقد قيل إياك وجرأة الغضب فإنها تُصَيِّرُكَ إلى ذل الاعتذار"، وقد جاءت في الباب الثاني من التذكرة الموسوم "الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملوك والرعية"^(٢).

ب. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك

وضع الماوردي من خلال هذا الكتاب الصفات التي يجب على الحاكم أن يحملها حتى يتمكن من قيادة الدولة، حيث بين أنه يجب أن يتصف بأخلاق عالية، منها قمع الكبر، وحسن الظن والصبر والكرم والمروءة والوقار والصدق والأناة، وأن يتجنب الأخلاق السيئة، وتتمثل وظائفه بعمارة البلاد من زراعة ومياه، وبعد ذلك حراسة الرعية وتدبير الجند وتقدير الأموال، ويوضح الماوردي أهمية شروط اختيار الحاشية والأعوان وتهذيب أخلاقها، ثم يبين شؤون السياسة الخارجية والداخلية وتجنب الفتن، ويعرض لمقارنة بين الدول وسياساتها.

وقد نقل ابن حمدون من كتاب تسهيل النظر حديث الرسول S "المُسْتَشِيرُ مُعَان" ^(٣) جاء في الباب الرابع عشر من التذكرة "المشورة والرأي صوابه وخطؤه"^(٤).

(١) ابن ماکولا: الإكمال، ج١، ص٤٧٧. الحموي: معجم الأديباء، ج٥، ص١٩٥٥. ابن خلکان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢٩٧.

(٢) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب ت ١٠٥٨هـ/١٠٥٨م: قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص١٣٠. ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص٣٧٥.

(٣) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب ت ١٠٥٨هـ/١٠٥٨م: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح محي السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٠. ابن حمدون: التذكرة، ج٣، ص٢٩٩.

(٤) ورد هذا الحديث في كتاب تسهيل النظر فقط ولم يورد في معظم كتب التخریج ولا حتى في الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون.

(٣٧) ابن تميم الحصري القيرواني ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م

إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري، من أدباء القيروان، نشأ بها، وأخذ عن علمائها، ودرّس فيها، ونسبته إلى عمل الحصر، له كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" و"نور الطرف ونور الظرف" و"المصون في سر الهوى المكنون" و"جمع الجواهر في الملح والنوادر"^(١).

أ. زهر الآداب وثمر الألباب

كتاب أدبي محض قصره مؤلفه على فنون القول من شعر ونثر وما يتصل بذلك من ضروب البلاغة وجمال الصياغة وإصابة التشبيه وحسن الإنشاء وجودة الخطابة، والكتاب قائم على الجمع والرواية، لم يُعن صاحبه بتمحيص الأخبار والأشعار ومناقشتها والتعليق عليها، كما أن الكتاب لم يمش على نهج معين أو أسلوب مدروس، وإنما هو مجموعة نصوص وأخبار جمعها الحصري في أزمان متباعدة ثم أُلّف بينها دون ترتيب معين، والغالب على موضوعات الكتاب الجد، فهو محصور في دائرة الخلق والدين بعيداً عن العبث والمجون؛ لأن فيه أخبار الرسول S والصحابة والتابعين وأقوالهم، فكان المؤلف أراد تنزيه الكتاب عما يشين لما كان مشتملاً على أخبار السلف الصالح، ووجب التنويه أن تأكيد ابن تميم على أن كتابه يخلو من الهزل والمجون، هو أن كثيراً من مؤلفي كتب الأدب لم يكن لديهم استحياء من ذكر أقوال تخدش حياء قارئ الكتاب.

اعتمد ابن حمدون على كتاب زهر الآداب وأخذ منه إحدى وأربعين (٤١) رواية، نقل معظمها بشكل حرفي والبعض الآخر بتصريف وبأسلوبه الأدبي الخاص، شملت هذه الروايات أبياتاً شعرية وقصصاً وأقوالاً وحكماء، فقد نقل عن زهر الآداب: "قال الحسن بن محمد أيضاً: حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن"^(٢).

اعتمد ابن حمدون على هذا المورد في نقل مادته الشعرية التي أوردها في التذكرة، فمثلاً: "وقال ضابئ البرجمي:

وما عاجلات الطير تُدني من الفتى	نجاحاً ولا عن ريثهنّ يخيبُ
وربّ أمورٍ لا تُضيرُك ضيرةً	وللقب من مخشاتهمّ وجيبُ
ولا خيرَ فيمن لا يُوطنُ نفسه	على نائباتِ الدهر حين تنوبُ" ^(٣)

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٣٩. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٤١.

(٢) الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م): زهر الآداب وثمر الألباب، تح زكي مبارك ومحمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ١٠٥٤. التذكرة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) الحصري: زهر الآداب، ج ٢، ص ٥٢٤. التذكرة، ج ١، ص ٢٨١.

وأخذ ابن حمدون من هذا المورد بعضاً من أخبار الدولة العباسية، فمثلاً أورد ابن حمدون ما جاء بين الخليفة العباسي المأمون والفضل بن الربيع، فقال: "قال المأمون للفضل بن الربيع: يا فضل، أكان حقي عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك أن تتلّمني وتشتمني وتحرض عليّ دمي؟ أتحبّ أن أفعل بك مع القدرة ما أردت أن تفعله بي مع العجز؟ فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، إن عذري يحقّك إذا كان واضحاً جميلاً، فكيف إذا غيّبته العيوب وقبّحته الذنوب؟ فلا يضيق عنيّ من عفوك ما وسع غيري من حلمك، فأنت والله كما قال الشاعر:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالي أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلماً" (١)
وبذلك عدّ هذا الكتاب من أهم الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته (٢).

ب. جمع الجواهر في الملح والنوادر

كتاب جمع فيه الحصري نوادر الملح، وطرائف الفكاهات، وفصولاً من مختار الشعر وجيد النثر، متجنباً المجون، وما تستهجنه العادات الحسنة، والأخلاق الطيبة.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد خمس روايات (٥)، جاءت أربع روايات منها في ملح ونوادر أشعب بن جبير الصحابي، ورواية للشاعر الناجم يرثي جارية ابن مروان، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون الباب العاشر المخصص لما جاء في القناعة والطمع عن أشعب، فقال ابن حمدون: "وقف أشعب على رجل يعمل طبقاً من الخيزران فقال له: وسّعه قليلاً، قال الخيزراني: كأنك تريد أن تشتريه؟ قال: لا ولكن يُشترى لبعض الأشراف فيهدي إليّ فيه شيئاً" (٣).

(١) الحصري: زهر الآداب، ج ٢، ص ٥٨٤. التذكرة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) للاستزادة:

زهر الآداب	التذكرة
ج ٣، ص ٧٥٢	ج ٢، ص ١٥٠
ج ٤، ص ١١١٥	ج ٢، ص ٢١٧
ج ٢، ص ٣١٧	ج ٢، ص ٣٧١
ج ٤، ص ١٠٩٥	ج ٢، ص ٤٧٦

(٣) الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م): جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، د.ت، ص ٦٧. التذكرة، ج ٣، ص ١٤٠.

ونقل ابن حمدون من هذا الكتاب قول أشعب: "ما رأيت عروساً بالمدينة تُزَفَّ إلا كنست بيتي ورششته طمعاً في أن تزفَّ إليَّ"^(١).

٣٨) ابن رشيق القيرواني ت ١٠٦٣/هـ ١٠٥٦

الحسن بن رشيق القيرواني، يُكنى بأبي علي، أحد الأفاضل البلغاء، كان شاعراً، أديباً، نحوياً، لغوياً، حاذقاً، كثير التصنيف، حسن التأليف، ولد في المسيلة، ثم مال إلى الأدب وقول الشعر، فرحل إلى القيرون سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، واشتهر فيها، ثم انتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بإحدى مدنها وتدعى مازر، إلى أن توفي، ومن كتبه "العمدة في صناعة الشعر ونقده" و"قراضة الذهب"، و"الشذوذ في اللغة" و"أنموذج الزمان في شعراء القيرون" و"ديوان شعره" و"ميزان العمل في تاريخ الدول" و"شرح موطأ مالك" و"الروضة الموشية في شعراء المهديّة"^(٢).

ويُعدُّ كتاب "أنموذج الزمان في شعراء القيرون" أجمل وأشمل ما كتب الكتاب في تراجم شعراء إفريقية، ولفظة الزمان هنا تعني أن ابن رشيق خصص كتابه للشعراء والأدباء المعاصرين لعهد الذي كان يعجُّ بالكثير منهم بلاط المعز بن باديس الصنهاجي، وتتمثل أهمية هذا الكتاب في إثبات النصوص الشعرية والتعريف بمائة شاعر وشاعرة من أعلام الأدب في إفريقية خلال قرن من الزمان، أغلبهم لا تُعرف أخبارهم وأشعارهم إلا من خلاله، كما لم تخلُ هذه النصوص من فوائد مهمة عن مظاهر الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية خلال هذه الحقبة المهمة من تاريخ إفريقية والمغرب، ولا تقف إفادته عند هذا الحد، بل يتعدى ذلك ليُصوِّر مدى الصلات المتينة التي كانت تربط بين صقلية والقيرون في ذاك العصر.

لقد شكل الأنموذج المورد الرئيس لابن حمدون لأدباء وشعراء المغرب وإفريقية، واعتمد عليه في ذكر أهم الشعراء المغاربة كعلي بن يوسف المغربي التونسي، وابن حيان المغربي، وعبد الكريم ابن إبراهيم النهشلي، وأبو إسحق الحصري المغربي، وبلغ عدد الروايات التي أخذها عنه ست وثلاثين (٣٦) رواية، فمن الشعراء المغاربة الذين أورد لهم ابن حمدون قصائد في تذكروته محمد بن إبراهيم المغربي، قال ابن حمدون: "محمد بن إبراهيم التميمي الكموني المغربي:

فتى الخيل يكسوها الغبارُ غلاتاً إذا صممتُ فيه وهنَّ عوايسُ

(١) الحصري: جمع الجواهر، ص ٢٠٥. التذكرة، ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٨٦١. ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٢، ص ٨٥. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ٣٣٣. محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٢، ص ٣٥٠.

طوالً عليهنَّ الطوالُ رماحهم عتاقٌ عليهنَّ العتاقُ الأبالُسُ" (١)
وفي باب الأوصاف، قال ابن حمدون: "وقال ابن حيان المغربي:

كأنما الفحمُ والرمادُ وما تفعَلُهُ النارُ فيهما لهبا
شيخٌ من الزنجِ شابٌ مَفْرُفُهُ عليه درعٌ منسوجةٌ ذهباً" (٢)

وأورد ابن حمدون جميع الروايات التي نقلها من الأنموذج بشكل حرفي دون أي تغيير (٣)،
وصرَّح ابن حمدون في موضعين -فقط- باسم ابن رشيقي بقوله: "قال ابن رشيقي المغربي".

الرواية الأولى، قال ابن حمدون: "قال ابن رشيقي المغربي: دخلتُ الجامع فرأيتُ أبا بكر الورَّاقَ
التميمي الشاعر في حَلَقَةٍ يقرأ المواعظ ويذكر أخبار السلفِ الصالحين، وقد بدا خشوعه وترقرقت
دموعه، فما كان إلا أن جئته عشية ذلك اليوم إلى داره، فوجدته في يده طنبورٌ وعن يمينه غلامٌ مليحٌ،
فقلت: ما أبعد ما بين حاليكَ في مجلسيكَ، فقال: ذلك بيت الله وهذا بيتي أصنع في كلِّ واحدٍ منهما ما
يليقُ به وبصاحبه" (٤).

فيما جاءت الرواية الثانية في الباب الرابع والثلاثين الموسوم "في كبوات الجياد وهفوات الأمجاد"
وهي رواية طويلة، ضمَّت أشعاراً لعدد من الشعراء المغاربة (٥).

(١) ابن رشيقي (الحسن بن رشيقي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد المطوي و بشير
البكوش، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٦م، ص ٣٣٣. التذكرة، ج ٢، ص ٤٦٩.
(٢) ابن رشيقي: الأنموذج، ص ٣٨٩. التذكرة، ج ٥، ص ٤١٨.
(٣) للاستزادة:

الأنموذج	التذكرة
ص ١١٣	ج ٢، ص ٤٧٠
ص ٣٢٦	ج ٤، ص ١٠٠
ص ٣٩٨	ج ٥، ص ٤١٨
ص ١٤٣	ج ٦، ص ٩٥
ص ٤٦	ج ٦، ص ١٨٨
ص ٢٧٦	ج ٨، ص ٣٢٢

(٤) ابن رشيقي: أنموذج الزمان، ص ٢٥٥. التذكرة، ج ٩، ص ٤٤١.

(٥) ابن رشيقي: أنموذج الزمان، ص ٤٢٥. ابن حمدون: التذكرة، ج ٧، ص ٢٩٩.

والسؤال المطروح هنا، لماذا صرّح ابن حمدون باسم ابن رشيق القيرواني في روايتين فقط، ولم يصرّح به في باقي الروايات؟

هذا لم ينطبق على ابن رشيق فقط، بل طال أسماء كثر اعتمد عليهم دون ذكر أسمائهم، وقد أشار البحث أثناء دراسة منهج ابن حمدون في التذكرة حول هذا الأمر، ولكن يبدو أن هذا أسلوب خاص اتبعه ابن حمدون خلال تذكرته، حيث أنه اعتبر أن ذكره لاسم صاحب المورد مرة أو مرتين فقط، دليل على المورد نفسه في كل أبواب التذكرة، لكن كان من الأجدر بابن حمدون أن يسبق الروايات التي ينقلها باسم صاحب المورد ليعطي الأمانة العلمية حقها.

(٣٩) الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م

أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، مولده في غزيرة^(١)، ومنشؤه ووفاته ببغداد، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد فقره رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي) وعرف قدره، ثم خرج إلى الشام، فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب، ولما مرض مرضه الأخير، وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البرّ وعلى أهل العلم والحديث، وكان فصيح اللّغة عارفاً بالأدب، ويقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، وكان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ذكر ياقوت أسماء ستة وخمسين كتاباً من مصنفاته، منها "تاريخ بغداد" و"البخلاء" و"الكفاية في علم الرواية" و"الفوائد المنتخبة" و"تقييد العلم" و"البخلاء" و"شرف أصحاب الحديث" و"التطفيل" و"الأسماء والألقاب" و"الأمالي" و"تلخيص المتشابه في الرسم" و"الرحلة في طلب الحديث" و"الأسماء المبهمة" و"الفقيه والمتفقه" ... وغيرها^(٢).

ويُعدُّ كتاب **البخلاء** من الكتب الفريدة الأدبية التاريخية التي تناولت ظاهرة اجتماعية وهي البخل، لم يسبقه إلى ذلك إلا الجاحظ في كتابه البخلاء أيضاً، وكون البغدادي مؤرخاً ومحدثاً، يلاحظ حرصه الشديد على إيراد السند لكل خبر أورده، فقد حوى الكتاب على أخبار أدبية وقصائد شعرية وردت بصيغة الإخبار.

(١) غزيرة: اسم موضع يقع في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٢) الحموي: معجم الأديباء، ج ١، ص ٣٨٤ وما بعدها. ابن نقطة (محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م): التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٥٣. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ١٢٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٩٢ وما بعدها. ابن كثير: طبقات الشافعيين، ص ٤٤١.

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا المورد بأربع (٤) روايات فقط، نقلها بشكل حرفي، وجاءت ثلاث روايات منها في الباب الخامس من التذكرة الموسوم "باب السخاء والجود والبخل واللؤم"، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن البخلاء: "وقال آخر:

إذا كنتَ جماعاً لمالك ممسكاً
تؤديه مذموماً إلى غير حامدٍ
فأنت عليه خازنٌ وأمينٌ
فيأكله عفواً وأنت دفينٌ" (١)

ويجدر بالذكر أن جميع الروايات التي أوردها ابن حمدون، كانت أبياتاً شعرية قيلت في البخل وذهم هذه العادة الاجتماعية (٢).

٤٠) ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث، يُقال له حافظ المغرب، ولد بقرطبة، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقها، وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة، ومن كتبه "الدرر في اختصار المغازي والسير" و"العقل والعلاء" و"الاستيعاب" و"جامع بيان العلم وفضله" و"بهجة المجالس وأنس المجالس" (٣).

أما كتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس" فيُعدُّ من نواذر الموسوعات الأدبية الإخبارية، أفرغ فيه ابن عبد البر القرطبي خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب، ويقول في وصف كتابه: "وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمت روايتي وعنايتي" (٤) فحفظ بين دفتيه تراثاً قيماً، ومنهج الكتاب بسيط لا تعقيد فيه، بناه القرطبي على مائة واثنين وثلاثين باباً، يفتح الباب منها بما تيسر من الآيات والأحاديث، ثم يورد أشعار العرب وحكمها، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم، من كل ما قيل في معنى الباب، أو ضده، ليكون أبلغ وأمتع.

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا المورد وأخذ عنه أربعاً وأربعين (٤٤) رواية، وجميعها عبارة عن حكم ومواعظ وأحاديث نبوية شريفة وأبيات شعرية، فمن الحكم التي نقلها ابن حمدون من هذا

(١) البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): البخلاء، تح بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥. التذكرة، ج ٢، ٣٢٦.

(٢) الروايات على الترتيب، الخطيب البغدادي: البخلاء، ص ١٩١ - ص ١١١ - ص ١٩١. ابن حمدون: ج ٢، ص ٣٢٥ - ص ٣٦٥ - ج ٥، ص ١١٢.

(٣) الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤٨٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٦٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٥٥.

(٤) ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): بهجة المجالس وأنس المجالس، تح محمد الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ١.

الكتاب، قال ابن حمدون: "وقال بعضهم: الأيام ثلاثة فأمس حكيماً مؤدّب أبقي فيك موعظةً وترك فيك عبرةً، واليوم ضيف كان عنك طويل الغيبة وهو عنك سريع الظعن، وغداً لا تدري من صاحبه" (١).

وأورد ابن حمدون في محاسن الأخلاق ومساوئها نقلاً عن بهجة المجالس: "وقال شاعر:

أبا حسنٍ ما أقبح الجهل بالفتى وَلَلْجُلْمُ أحياناً من الجهل أقبحُ
إذا كان حلم المرء عَوْنٌ عدوّه عليه فإن الجهل أعقى وأزوح
وفي العفو ضعفٌ والعقوبة قوة إذا كنت تخشى كيّد مَنْ عنه تُصَفِّحُ (٢)

ونقل ابن حمدون كثيراً من المواعظ من هذا المورد، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال

بعض الزهاد:

تأمل ذا الغنى ما أدومَ نصبه وأقلَ راحته، واخسرَ من ماله حظّه، وأشدَّ من الأيام حذره، ثم هو بين سلطانٍ يهتضمه، وعدوٍّ يبغى عليه، وحقوقٍ تلزمه، وأكفاء يسوعونه، وولدٍ يودُّ فراقه، قد بعث الغنى عليه من سلطانه العنت، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن ذوي الحقوق الذم، ومن الولد الملامة" (٣).

وقد نقل ابن حمدون جميع بشكل حرفي، وعلى عادته ابن حمدون لم يصرح باسم المؤلف

أبداً (٤).

(٤١) الحميدي ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل، الأزدي الحميدي الأندلسي، المكنى أبو عبد الله، أصله من قرطبة، وهو من أهل جزيرة ميورقة، ورحل إلى المشرق، فحجّ وسمع من شيوخ بمكة، ومراً بإفريقية ومصر والشام والعراق، واستوطن بغداد، وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع، وكانت له نعمة حسنة في قراءة الحديث، وحدث عنه كثير من الرواة، وذكره

(١) ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٢٤٥. التذكرة، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ١٣٤. التذكرة، ج ٢، ص ٢١٨.

(٣) ابن عبد البر: بهجة المجالس، ص ٤٣. التذكرة، ج ٨، ص ٨٣.

(٤) للاستزادة:

التذكرة	بهجة المجالس
ج ١، ص ٤٩	ص ٨٢
ج ١، ص ١٤١	ص ٢٠
ج ٣، ص ١٤٩	ص ٩٩
ج ٦، ص ١٣	ص ٢١٩

أبو نصر علي بن ماکولا صاحب کتاب الإكمال فقال: "أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي، وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ، وقال: لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم" ^(١)، ومن مؤلفاته: "جمل تاريخ الإسلام" و"الذهب المسبوك في وعظ الملوك" و"الترسل" و"مخاطبات الأصدقاء"، و"حفظ الجار" و"دَمَّ النَّمِيمَةِ" ^(٢).

أما كتابه "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" فهو كتاب جاء في المواعظ والحكم، وحوى أخبار الملوك ونصائح لهم في تسيير أمور الرعية والبلاد، وقد اعتمد عليه ابن حمدون في روايتين فقط.

الأولى، جاءت في خصال السلطان كما لخصها الخليفة عمر بن الخطاب d، فقال ابن حمدون: "السلطان أربعة أمراء: فأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَعَمَّالُهُ فَذَلِكَ الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ؛ وَأَمِيرٌ فِيهِ ضَعْفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ عَمَالُهُ بضعفه فهو على شفا هلاكٍ إلا أن يرحمه الله، وأمير ظَلَفَ عُمَالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ فَذَلِكَ الحُطْمَةُ الذي قال فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: شَرُّ الرِّعَاءِ الحُطْمَةُ، فهو الهالك وحده، وأميرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعَمَالُهُ فَهَلَكَا جَمِيعاً" ^(٣).

أما الرواية الثانية فقد جاءت طويلة وتتناول خبر وفود خالد بن صفوان ^(٤) على الخليفة هشام بن عبد الملك في وفد العراق وما حدث من أمور ^(٥).

(٤٢) السراج القاري ت ١١٠٦/هـ ١٥٠٠م

جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد، أديب عالم بالقراءات والنحو واللغة، من الحفاظ،، حدّث عن كبار الشيوخ، وأخذ عنه الكثير، أصله من بغداد، مولداً ووفاة، رجل

(١) الإكمال، ج٦، ص٢٤٣.

(٢) ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج٤، ص٢٨٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص١٥٧. ابن ناصر الدين (محمد بن عبد الله بن محمد ت ٨٤٢/هـ ١٤٣٨م): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٣، ص٣٢٩.

(٣) الحميدي (محمد بن أبي نصر ت ٤٨٨/هـ ١٠٩٥م): الذهب المسبوك في وعظ الملوك، تح عبد الحليم عويس، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٠٩. ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص١٢٩.

(٤) خالد بن صفوان: بن عبد الله بن عمرو بن الأهم، أبو صفوان التميمي المنقري البصري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم: كان راوية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسري، وعلى الرغم من فضله عند العرب إلا أنه مشهوراً بالبخل الشديد، توفي سنة ١٣٥/هـ ٧٥٢م. الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٣٦. ابن العديم: بغية الطلب، ج٧، ص٣٠٤٤.

(٥) الحميدي: الذهب المسبوك، ص١٨٣-١٨٦. ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص١٥٧-١٥٩.

إلى مكة والشام ومصر، وأشهر تصانيفه "مصارع العشاق" وله "مناقب السودان" و"حكم الصبيان" ونظم عدة كتب، منها "كتاب الخرقى" في فقه الحنابلة، جعله نظاماً^(١).

وكتاب "مصارع العشاق" أشهر ما ألّف في مصارع العشاق، حيث بدأ فيه السراج القاري بتعريف الحب^(٢)، ثم جمع فيه كل ما عثر عليه من أخبار العشاق الذين صرّعهم الحب، وقتلهم الغرام، وفيه أخبار الكثير منهم وهم على فراش الموت تتنازع الشهقات أرواحهم، وما تلفظوا به من الشعر وهم يلفظون الرمق الأخير، وقد اكتفى في مواطن من كتابه بذكر اللحظات الأخيرة من حياة الشاعر، وأسهب في مواطن أخرى، فذكر بعض العشاق، منذ تعرّف إلى معشوقه إلى أن انتهى به العشق ليكون واحداً من قتلاه، ولم ينس أن يعقد فيه باباً لمصارع الصوفية في حبهم الإلهي، وباباً آخر لمصارع عشاق الجان، وطوائف أخرى من العشاق.

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب المصارع في خمس (٥) روايات فقط، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، وما يميز هذه الروايات أنها جاءت طويلة، وأربع روايات منها جاءت قصصاً لمن ماتوا كمداً من شدة الحب^(٣).

وجدير بالذكر بأنه من الطبيعي أن تكون هذه الروايات قد ذكرت في كتب غير مصارع العشاق، لأن السراج القاري عندما شرع بتأليف لكتابه، اعتمد على الكتب التي كانت موجودة قبله، لكن التشابه الموجود بين ما ورد في التذكرة وكتاب مصارع العشاق يُرجح أن ابن حمدون قد استقى رواياته من هذا المورد، إضافة إلى القرب الزمني والمكاني بينهما.

(١) الحموي: معجم الأديباء، ج ٢، ص ٧٧٧. ابن الساعي: الدر الثمين، ص ٣١٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٥٧. الطيب بامخرمة: قلادة النحر، ج ٣، ص ٥٤٣.

(٢) السراج القاري (جعفر بن أحمد بن الحسين ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م): مصارع العشاق، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١١.

(٣) للاستزادة:

مصارع العشاق	التذكرة
ج ٢، ص ٢٦٠	ج ٦، ص ١٠٢
ج ٢، ص ١١٣	ج ٦، ص ١١٩
ج ١، ص ١٤٦-١٤١	ج ٩، ص ٥٦
ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٢	ج ٩، ص ٢٧٠
ج ٢، ص ١٥١-١٤٨	ج ٩، ص ٢٧١

(٤٣) الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢/هـ ١١٠٨م

الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصفهان، انتقل إلى بغداد وسكنها واشتهر بها، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، قال ياقوت الحموي فيه: "أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلوم"^(١)، وقد كان الراغب الأصفهاني، مثقفاً متوازناً الأبعاد الثقافية والفكرية، وكانت شخصيته كمؤلف ذات مرتكزات ثلاثة، فهو في الآن نفسه، الفقيه والمتكلم والأديب، ولهذا خاض في مسائل الشريعة والعقيدة والأخلاق، من كتبه "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء"، و"الذريعة إلى مكارم الشريعة" و"الأخلاق" و"جامع التفسير"^(٢).

وكتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" أشبه بالكتاب الموسوعي الغني بالشفافية الأدبية والذوق الشعري، وروح الكاتب الذي يجيد أساليب التصنيف وطرق العرض والتبويب، والتي تدل على إلمام بمصادر شتى أدبية وفلسفية، وقد استعاض فيها المؤلف عن التقسيم المألوف بمصطلح «الحد»، فجعل كتابه «خمساً وعشرين حداً» جامعة لمسائل العقل والعلم والجهل والسيادة والعدل والأخلاق والقربة وأنواع المروءات والعرفان والعقوق، انطلاقاً إلى الصناعات ومسائل الإيمان ومرباع العطاء والجود، وما يدور في فلكها من الكلام عن الأطعمة والمشارب، وصولاً إلى الندماء ومجالس اللهو والغناء، انعطافاً إلى مراتع الوجدان في دائرة الغزل والهوى والعشق، دون أن يسقط من ثنايا كتابه فضيلة الشجاعة، وما كان يدور في فلكها من مواقف الحرب والصلح والنثار ودفع الديات عند العرب، معرجاً إلى موضوع الزواج وحيثياته وسياسة الرجل والمرأة ومسائل الغيرة والطلاق.

أخذ ابن حمدون عن محاضرات الراغب عدداً كبيراً من الروايات بلغ مائتين وأربعاً وعشرين (٢٢٤) رواية، ضمت قصصاً وأبياتاً شعرية وحكماً، وقد شكّل هذا الكتاب في بعض أبواب التذكرة مورداً رئيساً، حيث نقل ابن حمدون منه صفحات كاملة.

على سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن كتاب الراغب: "قال أحمد بن أبي خالد للمأمون لما هم أن يستوزره: اجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوها الصديق ويخافها العدو، فما بعد الغايات إلا الآفات"^(٣)، وفي مثال آخر، قال ابن حمدون: "وقال جعفر بن محمد بن علي: صلة الرحم تهون"

(١) معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٥٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٢٠. الفيروزآبادي: البلغة، ص ١٢٢. نويهض (عادل): معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٥٢٨. التذكرة، ج ١، ص ٣٥٥.

الحساب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١).^(٢)

وأخذ ابن حمدون من هذا المورد أخبار فارس وملوكها، لذلك يمكن اعتباره مورداً تاريخياً أيضاً فمثلاً، أورد: "أراد أنوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد، فاستشار عظماء مملكته فأنكروا عليه، وقال بعضهم: إن الترك ولدته وفي أخلاقهم ما علمت فقال: الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، وكانت أم قباذ تركية، وقد رأيت من عدله وحسن سيرته ما رأيت، ف قيل: هو قصير وذاك يذهب ببهاء الملك. فقال: إن قصره من رجليه ولا يكاد يرى إلا جالساً أو راكباً فلا يستبين ذلك فيه، ف قيل: هو بغيض في الناس، فقال: أوه، أهلك ابننا هرمز فقد قيل: إن من كان فيه خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه، ومن كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب المبغضة في الناس فلا عيب فيه"^(٣).

ونقل ابن حمدون في الباب الثاني عشر الموسوم "ما جاء في العدل والجور" صفحات كاملة من هذا المورد، فعلى سبيل المثال، نقل من صفحة واحدة من كتاب محاضرات الراغب أربع روايات جاءت كحكمة أو موعظة، قال ابن حمدون:

"قال علي بن أبي طالب عليه السلام: قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. وقال: صديق الجاهل في تعب"^(٤).

"وقال آخر: لأننا للعاقل المديبر أرجى مني للأحمق المقبل"^(٥).

"وقيل: كل شيء يعز إذا قل، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأعلى"^(٦).

"وقيل لبعضهم: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيت مجتمعا في أحد فأصفه، وما لا يوجد كاملاً فلا حد له"^(٧).

وبذلك يُعد كتاب محاضرات الراغب من أهم الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته.

(١) سورة الرعد، الآية ٢٣.

(٢) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٣٢٣. التذكرة، ج ١، ص ١١١.

(٣) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ٢، ص ٣٤. التذكرة، ج ٢، ص ٢٧.

(٤) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٢٧. التذكرة، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٥) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٢٨. التذكرة، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٦) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٢٨. التذكرة، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٧) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٢٨. التذكرة، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٤٤) التبريزي ٥٠٢هـ/١١٠٨م

يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، من أئمة اللغة والأدب، أصله من تبريز، نشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ "تهذيب اللغة" للأزهري، على أبي العلاء المعري، ثم انتقل إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي، من كتبه "شرح ديوان الحماسة لأبي تمام" و"تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت" و"تهذيب الألفاظ لابن السكيت" و"شرح سقط الزند للمعري" و"شرح اختيارات المفضل الضبي" و"الوافي في العروض والقوافي" و"شرح القصائد العشر" وغيرها^(١).

ويُعدُّ كتابه شرح ديوان الحماسة من أهم الشروح الكثيرة التي كُتبت في هذا الكتاب النفيس، ومما لا شك فيه أن التبريزي قد أخذ كثيراً من شرح المرزوقي للحماسة، فهو في كثير من الأحيان ينقل شرح المرزوقي دون أن يكلّف نفسه عناء الصياغة حتى أنه يشرح رواية الأول على الرغم من أنها تخالف روايته في النص الشعري، كما أن التبريزي عني بأخبار الشعر ومناسباته مُعتمداً على ما سبقه من شروح لديوان الحماسة.

وقد اعتمد ابن حمدون على شرح التبريزي بإحدى وستين (٦١) رواية، فأورد ابن حمدون في الشجاعة والبأس نقلاً عن حماسة التبريزي: "وقال الأقرع بن معاذ القشيري:

وفيّ على ما كان من شيب لمتي	خلانقُ مما يُسَنَحَبُ وينفعُ
جوامعُ من قولٍ ونفسٍ سخيةٌ	وقلبٌ إذا ما غُشيّ الهولُ أشجعُ
وغلظةُ إضباري إذا رامني العدا	وليني إذا حاد الضعيفُ المدفعُ" ^(٢)

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون نقلاً عن حماسة التبريزي: "وقال بكير بن الأخنس:

نزلت على آل المهلب شاتيا	غريبا عن الأوطان في زمن محل
فما زال بي إطفاهم وافتقادهم	وبرهم حتى حسبتهم أهلي" ^(٣)

(١) ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٧٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٨٢٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٩١. الفيروزآبادي: البلغة، ص ٣١٥.

(٢) التبريزي (يحيى بن علي بن محمد ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، د. ت، ج ١، ص ١٠٣. التذكرة، ج ٢، ص ٤٠٤.

(٣) التبريزي: الحماسة، ج ١، ص ١٠٩. التذكرة، ج ٤، ص ٩٣.

جاءت معظم الروايات التي نقلها ابن حمدون من هذا الكتاب أبياتاً شعرية، ونقلها بشكل حرفي دون تغيير^(١).

(٤٥) الطرطوشي ت ١١٢٦/هـ ٥٢٠م

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، أديب، من الفقهاء الكبار، من أهل طرطوشة الواقعة شرقي الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م فحجَّ، وزار العراق ومصر وبلاد الشام، فأقام فيها مدة، ثم انتقل للإسكندرية، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي، ومن كتبه "سراج الملوك" و"بر الوالدين"^(٢).

يتألف "سراج الملوك" من أربعة وستين فصلاً تتناول سياسة الملك وفن الحكم وتدبير أمور الرعية، وقد تناول في كتابه الخصال التي يقوم عليها الملك، والخصال المحمودة في السلطان والتي تمكّن له ملكه، وتسبغ الكمال عليه، والصفات التي توجب ذم السلطان، وعرج على ما يجب على الرعية فعله إذا جنح السلطان إلى الجور، وتناول صحبة السلطان وسيرته مع الجند، وفي اقتضاء الجباية وإنفاق الأموال.

وتحدث الطرطوشي في كتابه عن الوزراء وصفاتهم وآدابهم، وتكلم عن المشاورة والنصيحة باعتبارهما من أسس الملك، وعرض لتصرفات السلطان تجاه الأموال والجباية، ولسياسته نحو عماله على المدن، وتناول سياسة الدولة نحو أهل الذمة، وما يتصل بذلك من أحكام، وتحدث عن شؤون الحرب وما تتطلبه من سياسة وتدبير.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد اثنتي عشرة (١٢) رواية، نقلها بشكل حرفي ودون أي تغيير.

(١) للاستزادة:

التذكرة	حماسة التبريزي
ج ٢، ص ٣٤٣	ج ١، ص ١٦
ج ٤، ص ٩٢	ج ١، ص ٩٢
ج ٤، ص ٢٠٤	ج ١، ص ٣٣٥
ج ٦، ص ٥٤	ج ٢، ص ١٦٣
ج ٦، ص ٥٨	ج ٢، ص ١٦١

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٦٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٤٩٠. الزركلي: الإعلام، ج ٧، ص ١٣٣.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نقل ابن حمدون من هذا المورد بعض النصائح الموجهة للملوك والسلاطين، قال ابن حمدون: "قال رجل لهشام: يا أمير المؤمنين احفظ عني أربعاً فيهنّ صلاحُ مُلْكِكَ واستقامةُ رعيَّتِكَ: لا تعدنّ عدّةً لا تثقُ من نفسك بإنجازها، ولا يغرّنكَ المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرُ وعراً، واعلم أنّ للأعمالِ جزاءً فاحذرِ العواقبَ وللأمرِ تبعاتٌ فكنْ على حذرٍ"^(١).

وما يميز هذا المورد أن ابن حمدون اعتمد عليه لينقل عنه روايات في مختلف العصور الإسلامية، ومنها على سبيل المثال قول الخليفة الأموي مروان بن محمد عندما أحرق الخطر العباسي بالدولة الأموية، قال ابن حمدون: "قال مروان بن محمد لما أحيط به: وا لهفاهُ على دولةٍ ما نُصِرْتُ، وكفّ ما ظُفِرْتُ، ونعمةٍ ما شُكِرْتُ؛ فقال له خادمه باسيل، وكان من أشرف الروم فوقع عليه سباء: من أغفل الصغيرَ حتى يكْبُرَ، والقليلَ حتى يَكْثُرَ، والخفيَ حتى يَظْهَرَ، أصابه هذا"^(٢).

وبذلك تضمنت هذه الروايات حكماً ومواعظ وعبراً، وفي رواية واحدة نقل ابن حمدون من هذا المورد بيتين شعريين للخنعمي^(٣).

(٤٦) الزمخشري ٥٣٨هـ/١١٤٣م

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشري^(٤)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية^(٥) فتوفي فيها، وأشهر كتبه "الكشاف" و"أساس البلاغة" و"المفصل" و"المقامات" و"الجبال والأمكنة والمياه" و"المقدمة" و"مقدمة الأدب" و"الفائق"

(١) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٢٩. التذكرة، ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٥٥. التذكرة، ج ١، ص ٣١٣.

(٣) للاستزادة:

سراج الملوك	التذكرة
ص ٩٤	ج ٢، ص ١٥٦
ص ٦٠	ج ٢، ص ٢١٩

(٤) زمخشري: قرية من نواحي خوارزم. الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٧.

(٥) الجرجانية: من نواحي خوارزم، تقع على نهر جيحون. ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٣٢٣.

و"المستقصى" و"توابغ الكلم" و"ربيع الأبرار" و"القسطاس" و"نكت الأعراب في غريب الإعراب" و"الأنموذج" و"أطواق الذهب" و"أعجب العجب في شرح لامية العرب" وغيرها..^(١)

أما كتابه "ربيع الأبرار ونصوص الأخبار" فهو كتاب جليل، من خزائن الأدب العفيف، ألفه الزمخشري بعدما فرغ من تأليف كتابه "الكشاف" فشرع في تأليف "ربيع الأبرار" ليكون كما قال في مقدمته: "إجماماً لخواطر الناظرين في كتاب (الكشاف) وترويحاً لقلوبهم المتعبة في إجاله الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه، وتنفيساً عن أذهانهم المكدودة باستيضاح غوامضه وخفاياه" وتابع بقوله: " فأخرجته لهم روضة مزهرة ... تلذ الأفواه بطيب جناها، وتستتصت الأذان إلى خير مائها الفياض .. وتميل الأعطاف بغصونها الأماليد، وطيورها المستملحة الأغاريد"^(٢)، ورتبه على اثنين وتسعين باباً، عرض فيها لما ورد في الأحاديث والأخبار، وكتب الأدب، سيما كتب الجاحظ، من مفردات السماء وكواكبها وأنوائها، والأرض وجبالها ومفاوزها، والأودية والبحار، والعيون والأنهار، والفواكه والبساتين، ومعاشرة الناس، ومجالستهم ومراسلتهم، وأخبار القصاص وحكاياهم، ومحاسن الشعر والنثر، والفصاحة والبلاغة.

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا المورد بشكل كبير، فبلغ عدد الروايات التي أخذها خمسمائة وتسع (٥٠٩) روايات، وجاءت هذه الروايات متناثرة في كل أبواب التذكرة وبمختلف فصولها، فيلاحظ أن ابن حمدون اعتمد على ربيع الأبرار في نقل أقوال آل البيت والصحابة والخلفاء الراشدين، فمن الحكم التي نقلها ابن حمدون من هذا الكتاب، قال: "ومن كلام له - المقصود سويد بن غفلة - في صفة فتنة: يكيلكم بصاعها، وَيَحْبُطُكُمْ ببيعها، قائدتها خارج من الملة، قائم على الضلة، فلا يبقى يومئذ منكم إلا ثقالة كثالة القدر أو ثقاسة كنفاسة الحكم، تعرككم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن منكم استخلاص الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب"^(٣).

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: "ومن كلامه كرم الله وجهه: اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم"^(٤).

(١) الحموي: معجم الأديباء، ج٦، ص٢٦٨٧. القفطي: إنباه الرواة، ج٣، ص٢٦٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٦٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٥١. ابن قنفذ (أحمد بن حسن بن الخطيب ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م): الوفيات، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م، ص٢٧٨.

(٢) ربيع الأبرار، ج١، ص١٦.

(٣) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج١، ص٤٤٥. التذكرة، ج١، ص٧٩.

(٤) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٢، ص١٧١. التذكرة، ج١، ص٨١.

وفي الباب المخصص للشكر والاعتذار، نقل ابن حمدون عن ربيع الأبرار قول عتبة بن أبي سفيان وهو يعاني من سكرات الموت، قال ابن حمدون: "رُقي عتبة بن أبي سفيان^(١) في مرض موته فقال: يا أهل مصر، قد تقدّمت لي فيكم عقوبات كنت يومئذ أرجو الأجر فيها، وأنا اليوم أخاف الوزر عليّ منها، فليتني لم أكن اخترت دنياي على معادي، ولم أصلحكم بفسادي، وأنا أستغفر الله منكم وأتوب إليه فيكم، ولقد هلك من شقي بين عفو الله ورحمته"^(٢).

ونقلت معظم الروايات بشكل حرفي دون تغيير^(٣)، باستثناء البعض منها نُقل بتصريف وبأسلوب ابن حمدون.

وما يدلُّ على اعتماد ابن حمدون على هذا المورد بشكل كبير هو نقله لصفحات كاملة منه بما حوته من قصص وأشعار دون أن يغير فيها شيئاً، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب الكناية والتعريض ما مقداره خمس صفحات من التذكرة نقلاً عن ربيع الأبرار، فيقول ابن حمدون: "ونذكر ها هنا الألقاب والكنى التي اشتهر بها أربابها وغلبت على أسمائهم وأغنت عنها:

* ذو النور عبد الله بن الطفيل الدوسي الذي أعطاه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم نورا في جبينه ليدعو به قومه، فقال: يا رسول الله، هي مثلة، فجعله في سوطه، فكان كالمصباح يضيء له الطريق بالليل^(٤).

(١) عتبة بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، من فحول بني أمية ورجالاتها، أمير مصر. وليها من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة ٤٣هـ/٦٦٣م، وبقي فيها عام واحد حيث توفي سنة ٤٤هـ/٦٦٤م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص ٢٦٤. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٥، ص ٤٧.
(٢) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ١، ص ٣٦٠. التذكرة، ج ٤، ص ١٢٥.
(٣) للاستزادة:

ربيع الأبرار	التذكرة
ج ١، ص ١٤٤	ج ١، ص ٨٢
ج ٢، ص ٢٥٦	ج ١، ص ٨٣
ج ٢، ص ٣٠٤	ج ١، ص ٨٧
ج ٢، ص ١٢٦	ج ١، ص ١٤٥
ج ٤، ص ٢٩٧	ج ٢، ص ٣٥
ج ٣، ص ١٤٧	ج ٣، ص ٥١

(٤) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٤٥٩. التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٦.

* ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصاري: روي أنّ رسول الله S استقضاه يهوديّ ديناً، فقال عليه السلام: أو لم أقضك؟ فطلب البيّنة. فقال لأصحابه: أيكم يشهد لي؟ فقال خزيمة: أنا يا رسول الله، قال: وكيف تشهد بذلك ولم تحضره ولم تعلمه؟ قال: يا رسول الله، نحن نصدّك على الوحي من السماء، فكيف لا نصدّك على أنّك قضيتّه؟! فسمّاه صلّى الله عليه وسلّم ذا الشهادتين^(١).

* الحسن بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ذو الدمعة: كان كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال: وهل تركت النار والسهمان لي مضحكاً؟ يريد السّهمين اللّذين أصابا زيد بن علي ويحيى بن زيد^(٢).

وتعددت الأمثلة في التذكرة حول هذه الحالة^(٣)، وبذلك يُعدُّ كتاب ربيع الأبرار من أهم الكتب التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته.

(٤٧) ابن الشجري ١١٤٧هـ/٥٤٢م

هبة الله بن علي بن محمد الحسني، أبو السعادات، الشريف، المعروف بابن الشجري، من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب، مولده ووفاته ببغداد، وكان نقيب الطالبين^(٤) بالكرخ، عُرف عنه بحسن البيان وحلو الألفاظ، قال فيه ياقوت: "كان أوحّد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلّعاً من الأدب، كامل الفضل، نسب إلى بيت الشجري من قبل أمه"^(٥)، ومن كتبه "الأمال"، و"الحماسة" و"ديوان مختارات الشعراء" و"ديوان شعر" و"ما اتفق لفظه واختلف معناه" و"شرح اللمع لابن جني" و"شرح التصريف الملوكي"..^(٦)

ويُعدُّ كتابه "الحماسة" من الكتب النفيسة في الأدب، فهو مجموعة من القصائد ومقطوعات وأبيات اختارها ابن الشجري على غرار ما في الحماسات الأخرى لشعراء ما قبل الإسلام وصدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي، وجعلها على تسعة أبواب بدأها بباب الشدة والشجاعة، وبلغ عدد شعراء الحماسة الذين ذكرت أسماؤهم فيها ثلاثمائة وخمسة وستين اسماً عدا من لم يذكر اسمه فيها،

(١) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٤٦٠. التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٦.

(٢) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٤٦٠. التذكرة، ج ٨، ص ٢٩٦.

(٣) على سبيل المثال: ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ١٣٠ - ص ١٣١ - ص ٢٩٧ - ص ٢٩٨ - ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠.

(٤) نقيب الطالبين: من المناصب الإدارية المهمة التي أحدثت في الخلافة العباسية، وكانت مهمة صاحب المنصب هو رعاية ومتابعة كل من هم من آل البيت، والحفاظ على شجرة نسبهم. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٦٧.

(٥) معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٧٥.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٤٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٤٠. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ١٧٤. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٣٢٤.

ولهذا الكتاب قيمة كبرى بين كتب الحماسة، فقد قال عنه ياقوت في معرض كلامه عن مؤلفات ابن الشجري: "وكتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام"^(١).

وقد أخذ ابن حمدون من حماسة ابن الشجري ثمانى عشرة (١٨) رواية، نقلها بشكل حرفي، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون في وصف الرياض والأزهار: "وقال آخر:

وكأن البنفسج الغضّ يحكي
أنثر اللطم في خُودِ الغيدِ " ^(٢)
وفي موضع آخر، قال ابن حمدون في الغزل والنسيب نقلاً عن حماسة ابن الشجري: "وقال آخر:

لعمركَ إني يومَ بانوا ولم أُمُتْ
هَذَا وَلَمَّا تَمَضِ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ
خُفَاتًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شَهْرٌ " ^(٣)
وجاءت جميع الروايات أبياتاً شعرية انفرد ابن الشجري بذكر بعض منها دون باقي المصادر^(٤).

(١) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٧٧٦.

(٢) ابن الشجري (هبة الله بن علي بن محمد ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م): الحماسة، طبعة حيدر آباد، ١٩٢٦م، ص٢٤٤.

التذكرة، ج٥، ص٣٥٩.

(٣) ابن الشجري: الحماسة، ص١٦١. التذكرة، ج٦، ص٦٨.

(٤) للاستزادة :

حماسة ابن الشجري	التذكرة
ص١٨	ج٢، ص٤١٥
ص٩٢	ج٤، ص٢٠٩
ص٢٦٩	ج٤، ص٣١٤
ص١٢١	ج٥، ص١٢١
ص٢٠٥	ج٥، ص٢٥٨
ص٢٣٥	ج٥، ص٣٧٣
ص١٥٣	ج٦، ص١٦٧

جدول بكتب الأدب العامة التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم المؤلف	اسم المورد	تاريخ الوفاة	عدد الروايات
١	ابن المقفع	كليلة ودمنة	١٤٢هـ/٧٥٩م	٣٦ رواية
٢	ابن المقفع	الأدب الكبير	١٤٢هـ/٧٥٩م	٦٤ رواية
٣	سهل بن هارون	النمر والثعلب	٢١٥هـ/٨٣٠م	٦ روايات
٤	العباس بن بكار	أخبار الوافدات	٢٢٢هـ/٨٣٧م	٣ روايات
٥	السجستاني	المعمرون والوصايا	٢٥٥هـ/٨٦٩م	١٦ رواية
٦	الجاحظ	البيان والتبيين	٢٥٥هـ/٨٦٩م	٢٦١ رواية
٧	الجاحظ	المحاسن والأضداد	٢٥٥هـ/٨٦٩م	١٨ رواية
٨	الجاحظ	الحيوان	٢٥٥هـ/٨٦٩م	٣١ رواية
٩	الجاحظ	التاج	٢٥٥هـ/٨٦٩م	٦ روايات
١٠	الجاحظ	الرسائل	٢٥٥هـ/٨٦٩م	٥ روايات
١١	الجاحظ	الحنين إلى الأوطان	٢٥٥هـ/٨٦٩م	٩ روايات
١٢	ابن قتيبة الدينوري	عيون الأخبار	٢٧٦هـ/٨٩٠م	٢٩٧ رواية
١٣	ابن طيفور	بلاغات النساء	٢٨٠هـ/٨٩٣م	٢٢ رواية
١٤	البحتري	الحماسة	٢٨٤هـ/٨٩٧م	٦٨ رواية
١٥	المبرد	الكامل في اللغة والأدب	٢٨٦هـ/٨٩٩م	١٣٢ رواية
١٦	المبرد	التعازي والمراثي	٢٨٦هـ/٨٩٩م	٢٠ رواية
١٧	المبرد	الفاضل	٢٨٦هـ/٨٩٩م	٦ روايات
١٨	ثعلب	المجالس	٢٩١هـ/٩١٤م	٤ روايات
١٩	ابن داود الأصفهاني	الزهرة	٢٩٧هـ/٩١٠م	١١ رواية
٢٠	ابن دريد	المجتى	٣٢١هـ/٩٣٣م	٩ روايات
٢١	ابن دريد	الملاحن	٣٢١هـ/٩٣٣م	٢٦ رواية
٢٢	ابن أبي عون	التشبيهات	٣٢٢هـ/٩٣٤م	٣٠٤ رواية
٢٣	ابن أبي عون	الأجوبة المسكتة	٣٢٢هـ/٩٣٤م	٣٧ رواية
٢٤	الوشاء	الموشى	٣٢٥هـ/٩٣٧م	روايتين
٢٥	ابن عبد ربه	العقد الفريد	٣٢٨هـ/٩٣٩م	١٥٥ رواية
٢٦	الجهشياري	الوزراء والكتاب	٣٣١هـ/٩٤٣م	٢٨ رواية
٢٧	الصولي	الأوراق	٣٣٥هـ/٩٤٧م	٥ روايات

٢٨	الصولي	أدب الكتاب	٩٤٧/هـ ٣٣٥م	٤ روايات
٢٩	ابن الداية	المكافأة وحسن العقبي	٩٥٢/هـ ٣٤٠م	روايتان
٣٠	ابن حبان	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	٩٦٥/هـ ٣٥٤م	١١ رواية
٣١	أبو الفرج الأصفهاني	الأغاني	٩٦٧/هـ ٣٥٦م	٦٦٦ رواية
٣٢	أبو الفرج الأصفهاني	الإماء الشوارع	٩٦٧/هـ ٣٥٦م	رواية واحدة
٣٣	الخالديان	الحماسة	٩٨٢/هـ ٣٧١م ٩٩١/هـ ٣٨٠م	٦ روايات
٣٤	الخالديان	التحف والهدايا	٩٨٢/هـ ٣٧١م ٩٩١/هـ ٣٨٠م	رواية واحدة
٣٥	العسكري	المصون في الأدب	٩٩٣/هـ ٣٨٢م	٤ روايات
٣٦	العسكري	شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف	٩٩٣/هـ ٣٨٢م	١١ رواية
٣٧	المرزباني	الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء	٩٩٤/هـ ٣٨٤م	٣ روايات
٣٨	التتويحي	الفرج بعد الشدة	٩٩٤/هـ ٣٨٤م	٣٣ رواية
٣٩	التتويحي	المستجاد من فعلات الأجواد	٩٩٤/هـ ٣٨٤م	٧ روايات
٤٠	التتويحي	نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة	٩٩٤/هـ ٣٨٤م	٤ روايات
٤١	الصابي	المختار من رسائل الصابي	٩٩٤/هـ ٣٨٤م	٢٠ رواية
٤٢	الحاتمي	حلية المحاضرة	٩٩٨/هـ ٣٨٨م	٦ روايات
٤٣	ابن طرار	الجليس والأنيس	١٠٠٠/هـ ٣٩٠م	٩ روايات
٤٤	أبو هلال العسكري	ديوان المعاني	١٠٠٥/هـ ٣٩٥م	٤ روايات
٤٥	أبو حيان التوحيدي	البصائر والذخائر	١٠٠٩/هـ ٤٠٠م	١٥٩ رواية
٤٦	أبو حيان التوحيدي	الامتناع والموانسة	١٠٠٩/هـ ٤٠٠م	روايتان
٤٧	أبو حيان التوحيدي	الصداقة والصديق	١٠٠٩/هـ ٤٠٠م	٢١ رواية
٤٨	أبو حيان التوحيدي	الرسائل	١٠٠٩/هـ ٤٠٠م	٧ روايات
٤٩	النهشلي	المتع في صنعة الشعر	١٠١٥/هـ ٤٠٥م	٥ روايات
٥٠	ابن حبيب النيسابوري	عقلاء المجانين	١٠١٦/هـ ٤٠٦م	٥ روايات
٥١	الآبي	نثر الدر في المحاضرات	١٠٣٠/هـ ٤٢١م	١١٨٥ رواية
٥٢	المرزوقي	شرح الحماسة	١٠٣٠/هـ ٤٢١م	٤٣ رواية
٥٣	الرقيق القيرواني	قطب السرور في أوصاف الخمور	١٠٣٤/هـ ٤٢٥م	٦ روايات
٥٤	الثعالبي	التمثيل والمحاضرة	١٠٣٧/هـ ٤٢٩م	١٨ رواية

٥٥	الثعالبي	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر	١٠٣٧/هـ٤٢٩م	١١٠ رواية
٥٦	الثعالبي	ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	١٠٣٧/هـ٤٢٩م	١٨ رواية
٥٧	الثعالبي	الإعجاز والإيجاز	١٠٣٧/هـ٤٢٩م	١٥ رواية
٥٨	الثعالبي	خاص الخاص	١٠٣٧/هـ٤٢٩م	رواية واحدة
٥٩	الماوردي	قوانين الوزارة وسياسة الملك	١٠٥٨/هـ٤٥٠م	رواية واحدة
٦٠	الماوردي	تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك	١٠٥٨/هـ٤٥٠م	رواية واحدة
٦١	الحصري	زهر الآداب وثمر الألباب	١٠٦١/هـ٤٥٣م	٤١ رواية
٦٢	الحصري	جمع الجواهر في الملح والنوادر	١٠٦١/هـ٤٥٣م	٥ روايات
٦٣	ابن رشيق القيرواني	أنموذج الزمان في شعراء القيروان	١٠٦٣/هـ٤٥٦م	٣٦ رواية
٦٤	البغدادى	البخلاء	١٠٧٠/هـ٤٦٣م	٤ روايات
٦٥	ابن عبد البر	بهجة المجالس وأنس المجالس	١٠٧٠/هـ٤٦٣م	٤٤ رواية
٦٦	الحميدي	الذهب المسبوك في وعظ الملوك	١٠٩٥/هـ٤٨٨م	روايتان
٦٧	السراج القاري	مصارع العشاق	١١٠٦/هـ٥٠٠م	٥ روايات
٦٨	الراغب الأصفهاني	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	١١٠٨/هـ٥٠٢م	٢٢٤ رواية
٦٩	التبريزي	شرح الحماسة	١١٠٨/هـ٥٠٢م	٦١ رواية
٧٠	الطرطوشي	سراج الملوك	١١٢٦/هـ٥٢٠م	١٢ رواية
٧١	الزمخشري	ربيع الأبرار ونصوص الأخيار	١١٤٣/هـ٥٣٨م	٥٠٩ رواية
٧٢	ابن الشجري	الحماسة	١١٤٧/هـ٥٤٢م	١٨ رواية

جدول من صنع الطالب

ثانياً: كتب الأمالي:

ذهب بعض العلماء في مناهج تأليفهم إلى إملاء الموضوعات التي يريدون طرحها على أسماع تلامذتهم، وكتب الأمالي في ميدان الدراسات العربية والإسلامية من الكثرة بمكان، لدرجة أنها أصبحت مصدراً معتبراً في الدراسات المتنوعة، وهي تشمل بعض الموضوعات المتخصصة، كال تفسير والحديث حيناً، والنحو حيناً آخر وغيرها.

والأمالي: جمع إملاء وأملية، وهو أن يجلس عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم، ويكتبه التلاميذ، فيصير على يديه كتاباً ويسمونه (إملاء) و (أمالي)، ويعد كتاب "أمالي ثعلب" ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م، أول كتاب أنشئ في هذا الميدان، وفحوى الكتاب مجموعة من الأمالي التي تضم ألواناً من الأدب، والتاريخ، واللغة، وإن كان لموضوعات اللغة العربية فيها النصيب الأوفى.

لقد اعتمد ابن حمدون عند تأليفه للتذكرة على ثلاثة كتب من هذا اللون، وهي "أمالي اليزيدي" لمؤلفه اليزيدي ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م، و"أمالي القالي" لأبي علي القالي ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، و"أمالي المرتضى" للشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م، حيث كان من الطبيعي أن يعتمد ابن حمدون على مصنفات هؤلاء الكتّاب، فما ألقوه من أمالي يُشكل مصدراً مهماً لكثير من كتب الأدب اللاحقة، بما فيها التذكرة الحمدونية، وسيستعرض البحث هذه المصنفات الثلاثة تبعاً لتاريخ الوفاة بدءاً من الأقدم فالأحدث، وأولهم:

١. اليزيدي ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م :

محمد بن العباس بن محمد اليزيدي، أبو عبد الله، من كبار علماء العربية والأدب ببغداد، دعاه الخليفة العباسي المقتدر لتعليم أولاده في آخر عمره، فلزمهم مدة.

ويُعدُّ اليزيديون من أعرق أسر بغداد العلمية، وقد خصهم النديم بترجمة طويلة في كتابه (الفهرست) أتى فيها على ذكر أعلامهم، وأول من نبغ منهم هو أبو محمد يحيى بن المبارك، مؤدب الخليفة العباسي المأمون.

ألّف أبو عبد الله عدة كتب، منها: "الأمالي" و"مناقب بني العباس" و"كتاب الخيل" و"مختصر النحو" و"شرح ديوان قطبة بن أوس" و"أخبار اليزيديين"^(١).

(١) ابن ماكولا: الإكمال، ج ١، ص ٥٤٧. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٩٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٣٧.

وكتاب "الأُمالي" ثاني ما وصل من كتب الأُمالي الأدبية، بعدُ كتاب "أُمالي ثعلب" السالف الذكر، وتشتمل أُمالي اليزيدي على طائفة من غرر القصائد والمقطوعات، وكثير من القصص والأخبار، وتُخبّ من الحكايات الغريبة، والطرائف العجيبة، وقد أكثر فيه من الرواية عن عمه المفضل بن محمد اليزيدي.

أخذ ابن حمدون من كتاب الأُمالي خمس (٥) روايات، كانت الأولى نصيحة من عبد الله بن الحسن لابنه، قال فيها ابن حمدون: "قال عبد الله بن الحسن لابنه: يا بني، إياك ومعاداة الرجال فإنه لا يعدمك مكر حليم أو مفاجأة لئيم"^(١)، بينما ذكر في الرواية الثانية ما حدث مع الأديب أحمد بن يحيى (ثعلب)، عندما قابل أحد المجانين في بغداد، وهي رواية طريفة: "حدّث أبو العباس أحمد بن يحيى قال: كان ببغداد فتى يجنّ ستة أشهر ويفيق ستة أشهر، فاستقبلني في بعض السكك ذات يوم فقال:

فإذا مررت بقبره فاعقر به
وانضح جوانب قبره بدمائها
كُومَ الهجان وكلّ طِرْفٍ سابح
فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائح
فتضحك وسكت ساعة ثم قال: ألا قال؟

اذهبا بي إن لم يكن لكما عَفْ
وانضحا من دمي عليه فقد كا
رُ إلى تُرْبِ قبره فاعقراني
ن دمي من نداه لو تعلمان
ثم إنّي رأيته يوماً بعد ذلك فتأملني وقال: ثعلب؟ قلت: نعم، قال: أنشدني، فأنشدته:

أعارَ الجودَ نائِلُهُ
وإن أسدَّ شكا جينا
إذا ما مألُهُ نفدا
أعارَ فؤادَهُ الأسدُ
فضحك وقال: ألا قال؟

علّمَ الجودَ الندى حتى إذا
فله الجودَ مقرٌّ بالندى
ما حكاها علّمَ البأس الأسدُ
وله الليث مقرٌّ بالجلد"^(٢)

بينما تضمّنت الرواية الثالثة قصةً عن النبي S عندما سأل عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر^(٣)، وأما الرواية الرابعة، فكانت من العصر الأموي، حول الخليفة سليمان بن عبد الملك، حيث قال ابن حمدون: "نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: أيا سليمان، أيا سليمان، اذكر

(١) اليزيدي (محمد بن العباس بن محمد ت ٣١٠هـ/٩٢٣م): الأُمالي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط١، ١٩٣٨م، ص ١٥٣. التذكرة، ج ١، ص ٣٧٨.

(٢) اليزيدي: الأُمالي، ص ٢. التذكرة، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٣) اليزيدي: الأُمالي، ص ١٠١. ابن حمدون: التذكرة، ج ٣، ص ٦٠.

يوم الأذان، فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال له سليمان: فما يوم الأذان؟ فقال: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) قال: فما ظلامتك؟ قال: أرضي بمكان كذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه وأرضي مع أرضه^(٢)، وجاءت الرواية الخامسة قصيدة لزياد الأعجم من ثمانين أبيات، وردت في باب التعازي والمراثي^(٣).

وبذلك يكون اليزيدي قدم روايات تاريخية وأدبية أغنت تذكرة ابن حمدون.

٢. أبو علي القالي ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م :

إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون بن عيسى، أبو علي القالي، يعود نسبه إلى قالي قلا^(٤)، كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب، ولد ونشأ في ملازكرد^(٥) ورحل إلى العراق، فتعلّم في بغداد وأقام بها خمساً وعشرين سنة، ثم قصد المغرب سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، ومنها توجه إلى الأندلس، فدخل قرطبة في أيام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر^(٦) واستوطنها، وأحبه الحكم المستنصر بن الناصر^(٧)، ويقال: إنه هو من كتب إليه ورغبه في الوفود عليه، هذا وكان الحكم قبل ولايته الخلافة - وبعد توليه - يحفره على التأليف بوسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام،

(١) سورة الأعراف، الآية ٤٤.

(٢) اليزيدي: الأمالي، ص ١٤٠. التذكرة، ج ٣، ص ١٨٥.

(٣) اليزيدي: الأمالي، ص ١. ابن حمدون: التذكرة، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٤) قالي قلا: ناحية تقع بين ملازكرد وطرابزون، بينها وبين ميافارقين ثلاث مراحل (١٢٠كم). الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٨٢٥.

(٥) ملازكرد: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، وهي من أعمال ديار بكر. الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٦) عبد الرحمن الناصر: بن محمد بن عبد الله بن محمد، الأموي، أبو المطرّف المرواني الأموي، أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية، بويع بالخلافة سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م، عرف بشغفه بالعمارة، حيث بنى مدينة الزهراء وقصرها الشهير، واستمر بالخلافة خمسون عاماً، وتوفي سنة ٣٥٠هـ/٩٦٢م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٣٣. ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٣٥٣.

(٧) الحكم المستنصر: الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦٢م، تصدى لأطماع الإسبان وأجبرهم على توقيع معاهدة معه، كان عالماً بالدين ملماً بالأدب والتاريخ، ضليعاً في معرفة الأنساب، ومحباً للعلماء، توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م. الضبي: بغية الملتبس، ص ١٤٨. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ٧٥.

توفي أبو علي خلال حكم المستنصر بقرطبة، وله من المؤلفات النوادر ويسمى "أمالى القالي" في الأخبار والأشعار وكذلك "المقصود والممدود والمهموز"^(١).

وكتاب "أمالى القالي" من أبلغ ما كُتِبَ في الأدب، وهو مجموعة مجالس، كان يملئ فيها القالي محاضراته في اللغة والأدب في كل يوم خميس بقرطبة، وفي المسجد الجامع^(٢)، وذلك حسب ما ذكر القالي في مقدمة أماليه، وكان دخوله إلى قرطبة سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م ضيفاً مكرماً على الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد وصفتُ للناصر منزلته في الأدب، فأمر باستحضاره، فاستوطن قرطبة، وهناك أملى كتبه -أكثرها- عن ظهر قلب، كما يقول ياقوت الحموي، وكان علي القالي قد صرح بإهداء الكتاب للخليفة الناصر، ومن أقواله في وصف كتابه: "وأودعته فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار وأنواعاً من الأمثال وغرائب من اللغات، على أنني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته، ولا فناً من الخبر إلا انخلته... " إلى أن قال: "ليكون الكتاب الذي استنبطه إحسان الخليفة جامعاً، والديوان الذي ذكر فيه اسم الإمام كاملاً"^(٣).

اعتمد ابن حمدون على "أمالى القالي" في ثمان وستين (٦٨) رواية، نقلها بشكل حرفي دون أن يذكر اسم المورد، لكن المقارنة تثبت أنها من هذا الكتاب، فعلى سبيل المثال قال ابن حمدون في تذكرته نقلاً عن الأمالي: "وكان زياد إذا ولّى رجلاً قال له: خُذْ عَهْدَكَ، وَسِرْ إِلَى عَمَلِكَ، واعلم أنك مصروفٌ رأس سنّتك، وأنت تصيرُ إلى أربع خلالٍ، فاختر لنفسك: إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلّمناك من معرفتنا أمانتك، وإن وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنّا على خيانتك أدبَكَ، فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَيْنِ جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك قوياً أميناً زدنا في عملك، ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك"^(٤).

(١) ابن ماكولا: الإكمال، ج ٦، ص ٨٧. الحميدي (محمد بن فتوح بن عبد الله ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٦٤. الضبي: بغية الملتبس، ص ٢٣١. الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٧٢٩.

(٢) أعظم جوامع مدينة قرطبة بالأندلس، بناه عبد الرحمن الداخل، سنة ١٦٨هـ / ٧٨٥م، وعمل من جاء بعده من الخلفاء على تعديله من حيث توسعته وإضافة الزخرفات المعمارية عليه. المقري (أحمد بن المقري ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٢٩.

(٣) القالي (إسماعيل بن القاسم بن عيذون ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م): الأمالي، تح محمد الأصمعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٢٦م، ج ١، ص ٣.

(٤) القالي: الأمالي، ج ٢، ص ٨٠.

كما أورد ابن حمدون رواية نقلاً عن أمالي القالي في باب السخاء والجود، قائلاً: "دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري، فقال: أصلح الله الأمير، شيخ كبير حَدَّثَهُ إِلَيْكَ باريَّةُ العظام، ومورثَةُ الاسقام، ومطوَّلةُ الأعوام، فذهبت أمواله، وذعدعت إباله، وتغيرت أحواله، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضلله، وينعشه بسجله، ويردّه إلى أهله، فقال: كل ذلك، وأمر له بعشرة آلاف درهم"^(١).

إضافة إلى نقل ابن حمدون من هذا الكتاب الكثير من الأشعار التي تنوعت موضوعاتها، فعلى سبيل المثال، ما نقله في وصف الشيب، قائلاً: "والجيد في ذلك قول الآخر:

والشيبُ إن يَحُلْ فإن وراءَهُ
عمرًا يكونُ خالَهُ مُتَنَفِّسُ
لم ينتقص مني المشيبُ قُلامَةً
الآن حين بدا أَلْبُ وَأَكْيَسُ"^(٢)

وجدير بالذكر أن جلَّ هذه الروايات جاءت متنوعة بين نقلٍ لأشعار وقصائد وحكم ومواظ وقصص أدبية وخطب^(٣).

٣. الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ/١٠٤٥م

علي بن الحسين بن موسى، أبو القاسم، يُلقب بالشريف المرتضى، نقيب الطالبين، أحد أعلام علم الكلام والأدب والشعر، مولده سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م في بغداد ووفاته فيها، له تصانيف كثيرة، منها "غرر الفوائد ودرر القلائد" يعرف بأمالي المرتضى، و"الشهاب في الشيب والشباب" و"الشافى في الإمامة" و"تنزيه الأنبياء" و"الانتصار" و"المسائل الناصرية" و"تفسير القصيدة المذهبة" والقائمة تطول^(٤).

(١) القالي: الأمالي، ج ١، ص ١٧٧. التذكرة، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) القالي: الأمالي، ج ١، ص ١١٢. التذكرة، ج ٦، ص ٢٣.

(٣) للاستزادة :

أمالي القالي	التذكرة
ج ٢، ص ٢٠	ج ١، ص ٢٦٥
ج ٢، ص ١٥٧	ج ٢، ص ٣٦
ج ١، ص ١٧٧	ج ٢، ص ٣٠٦
ج ١، ص ١٩٥	ج ٣، ص ٣٤٠
ج ١، ص ٢٣٦	ج ٤، ص ١٨
ج ١، ص ٢٦٩	ج ٩، ص ٢٤٢

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٤٤. الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٢٨. القفطي: إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢٤٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٥٥٧.

أما كتابه "غرر الفوائد ودرر القلائد" أو ما يُعرف بأُمالي المرتضى فهو عبارة عن مجالس أملاها في سنوات متعاقبة، تتنقل فيها من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى آخر، حيث اختار بعض آيات القرآن الكريم وأولها على طريقة المعتزلة، فقد كان الشريف المرتضى معتزلياً، كما اختار طائفةً من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها، ويبدو التعارض فيما بينها، وحاول تفسيرها وتأويلها بالمنهج الذي عالج به تأويل آيات القرآن مستعيناً بشواهد الشعر واللغة، فعلى سبيل المثال، قال الشريف المرتضى في تأويله لحديث الرسول S: "روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»، وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة: أحدها أن يكون معناه: إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحيى من الناظرين إليك، ولا تتخوفهم أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت، لأن فكرك فيهم، ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك، ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه، وإذا اطّرحنا الفكر توقّرت على استيفاء عملك، والوجه الثاني، أنّ من لم يستحي من المعايير والمخازي والفضائح صنع ما شاء، والظاهر ظاهر أمر، والمعنى معنى تغليظ وإنكار؛ مثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١) وقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢).

ثم عرض-الشريف المرتضى- لمسائل في علم الكلام مما اختلف فيها الرأي، ودار حولها الجدل، واصطُرعت فيها الأقلام، وأقيمت المناظرات، واختار أيضاً بعض الموضوعات التي كانت مقاصد شعراء العربية في حقبة ما قبل الإسلام وصدر الإسلام؛ كالمدائح والهجاء والمراثي والسير ووصف الشيب وما قيل في الحب وغير ذلك، وأورد ما قاله الشعراء فيها، ووازن بين الكثير منها، وتناولها بالنقد في كثير من الأحيان.

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا المورد وأخذ عنه واحد وثلاثون (٣١) رواية، نقلها بشكل حرفي دون أن يذكر اسم المورد ولا اسم مؤلفه، ولكن بمقارنة بسيطة تثبت أنها من كتاب الأُمالي للشريف المرتضى.

فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن الشريف المرتضى: "ذكرت الدنيا عند الحسن فقال:

أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ إنّ اللبيب بمثلها لا يُخدَعُ"^(٣)

(١) سورة فصلت، الآية ٤٠.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٣) الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦هـ/١٩٥٤م): غرر الفوائد ودرر القلائد، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٤م، ج ١، ص ١٦٠. التذكرة، ج ١، ص ٢٣١.

وفي الباب السابع الموسوم "في الوفاء والمحافظة والأمانة" أورد ابن حمدون عن الأُمالي: "قال صمصعة بن ناجية المجاشعي للنبي S : إني حملت حمالات في الجاهلية، فجاء الإسلام وعليّ منها ألف بعير، فأدّيت من ذلك سبعمئة، فقال له: إنّ الإسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، فوفى بها" ^(١)، وجاءت بعض الروايات التي نقلها ابن حمدون أحياناً شعرية لبعض كبار الشعراء مثل الحسين بن مطير الأسدي ^(٢) والخنساء، كما نقل أخباراً لعدة شعراء كـ ذي الإصبع العدواني وزهير بن جناب وغيرهم ^(٣)، وبذلك عُدت التذكرة من أهم الكتب التي تُثبت الكثير من الروايات والأشعار لأصحابها، فهي بذلك ترتقي لتكون في مصاف المصادر المهمة في الأدب والتاريخ.

ثالثاً: كتب المقامات

المقامات في اللغة جمع المقامة؛ والمقامة هي المجلس، والمقصود بالمقامة في الأدب، قصة تدور حوادثها في مجلس واحد ^(٤)، وتُعدّ المقامات إحدى الفنون النثرية التي يبالغ فيها الاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب، بحيث تتعدى الشعر في احتوائها على المحسنات اللفظية، فالمقامة أقاصيص مختلفة الأغراض والموضوعات، فمنها الأدبية، ومنها العلمية، ومنها الدينية، ومنها الاجتماعية، ومنها المجونية، وفيها سخر شديد ونقد لاذع، وفيها ضروب من التحايل والتخابث للتكسب والعيش، وفيها صور متلونة من طبائع المجتمع وعاداته.

ويطل المقامات شخصٌ متبدل الألوان، كثير الاحتيال، فيه شر كبير، وفيه خير كبير، فهو صادق وكاذب، زاهد وواعظ، كل شيء وضده، وهو إلى ذلك واسع العلم والأدب، شاعر وخطيب، ومتكلم راوية، يظهر في كل مقامة، وقلمًا خلت مقامة منه، يتولى الحديث عنه راوية خيالي مثله، يفاجئه في كل مقامة ويفضح أسرار، وينقل أخباره.

(١) الشريف المرتضى: الأُمالي، ج ٢، ص ٢٨٤. التذكرة، ج ٣، ص ١٤.

(٢) سيورد البحث ترجمته خلال الحديث عن الدواوين الشعرية.

(٣) للاستزادة على سبيل المثال:

أُمالي المرتضى	التذكرة الحمدونية
ج ١، ص ١٥٣	ج ١، ص ٥٩
ج ١، ص ٤٤	ج ٢، ص ١٨٨
ج ١، ص ٥٦٢	ج ٥، ص ٢٦١
ج ١، ص ٢٦٣	ج ٦، ص ٤٠
ج ١، ص ١٣٣	ج ٩، ص ٤١٥

(٤) البستاني (بطرس): أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٣٠٣.

وكان من الضروري للتذكرة التي حفلت بجميع فروع الأدب، أن تتناول بين صفحاتها هذا اللون الأدبي، وبذلك اعتمد ابن حمدون في تذكرته على كتابين في المقامات، هما، مقامات بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، ومقامات الحريري ت ٥١٦هـ/١٢٢م، وهما الأشهر في هذا المجال على الإطلاق.

١. بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ/١٠٠٨م

أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل، أحد أئمة الكتاب، صاحب المقامات، ولد في همذان سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وانتقل إلى هراة^(١) سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م فسكنها، ثم مرّ بنيسابور سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م ولم تكن قد داعت شهرته، لقي أبا بكر الخوارزمي^(٢)، فوقع بينهما مساجلة، فحلّق على إثرها ذكر الهمذاني في الآفاق، ولما توفي الخوارزمي، خلا له الجو، فلم يدع بلدة من بلدان خراسان وسجستان وغزنة إلا دخلها، ولا ملكاً ولا أميراً إلا فاز بجوائزه، وكان قويّ الحافظة يُضربُ المثل بحفظه، ويذكر أن أكثر مقاماته ارتجال، وقد أخذ الحريري فيما بعد أسلوب مقاماته عنه^(٣).

ويُعدُّ كتابه "المقامات" أول كتاب أُلّف في فن المقامات، وقد أُلّفه لأمر ساجستان، خلف بن أحمد، وخصّه بست مقامات منها في مدحه، إلا أنه لم يلقَ ما لقيته مقامات الحريري من العناية بشرحها وتفسير غريبها، وقد ضاع القسم الأكبر منها ولم يبق من أصل أربعمئة مقامة هي مجموع الكتاب، سوى اثنتين وخمسين مقامة، وتمتاز بعض هذه المقامات بالطرافة كالمقامة الحمدانية التي يُصوّر فيها مساجلة عقدها سيف الدولة لوصف فرس، والمقامة المارستانية التي صوّر فيها مجنوناً يصبُّ جام غضبه على المعتزلة، والمقامة الجاحظية حيث وازن فيها بين الجاحظ وابن المقفع.

وقد اعتمد ابن حمدون في تذكرته على روايتين من كتاب المقامات، أما الرواية الأولى فجاءت كجزء من مقامة الوصية، وهي من المقامات الرائعة، قال ابن حمدون: "من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بالبديع في ما أنشأه من المقامات: يا بني، أنا وإن وثقتُ بمثانية عقلك، وطهارة أصلك، فأني شفيقٌ، والشفيقُ يسيء الظنّ، ولستُ آمنُ عليك النفسَ وسلطانها، والشهوةُ وشيطانها، فاستعنْ عليها نهارك بالصوم، وليلك بترك النوم، إنه لبؤسٌ ظهارتهُ الجوعُ وبطائنهُ الهجوعُ،

(١) هراة: من أكبر مدن خراسان وأعظمها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، فتحها العرب المسلمون في خلافة عثمان بن عفان، ومن هراة إلى سجستان، ثلاث مراحل (١٢٠كم). الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٦.

(٢) أبو بكر الخوارزمي: محمد بن العباس، من أئمة الكتاب، وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب، ولد ونشأ في خوارزم ورحل في صباه إلى بعض البلدان، توفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٥٤٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٥٧.

(٣) الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ٢٣٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٢٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٢٠.

ما لبسها أسدٌ إلا لانت سَوْرَتُهُ، أفهمتها يا ابن الخبيثة؟ وكما أخشى عليك ذاك فما آمن عليك لصين: أحدهما القَرَم والآخر الكَرَم، فإياك وإياهما، إن الكَرَم أسرعُ في المال من السوس، وإنَّ القَرَم أشأم من البسوس...^(١).

وأنت الرواية الثانية، جزءاً من المقامة الصفرية، وهي في باب الكناية والتعريض، قال فيها ابن حمدون: "قال البديع الهمذاني رحمه الله في البَهارِ: عدوٌّ في بُرْدَةِ صديقٍ من نجار الصفر، يدعو إلى الكفر، ويرقصُ على الظُّفر، كدارة العين، يحطُّ ثِقَلُ الدِّين"^(٢)، وقد نقل ابن حمدون الروایتين بشكل حرفي دون أي تغيير، مع التصريح باسم بديع الزمان في كلا الروایتين.

٢. الحريري ت ٥١٦هـ/١١٢٢م

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، الأديب الكبير، أحد أئمة عصره، صاحب "المقامات الحريري"، علامة، غزير العلم، مولده سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م بالمشان^(٣)، أما وفاته فقد كانت بالبصرة، ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه، ومن كتبه "درة الغواص في أوهام الخواص" و"ملحة الإعراب" و"صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور"^(٤).

وكتابه "المقامات" يُعدُّ ثاني كتب المقامات شهرةً وأجلُّها أثراً، لم يلق واحد منها ما لقيه من عناية العلماء به، وتتافس الأمراء باقتناء نسخه، قال فيه حاجي خليفة: "كتاب لا يحتاج إلى تعريف لشهرته"^(٥)، ويضمُّ خمسين مقامة، على غرار مقامات بديع الزمان، جعل الحريري بطلها الحارث بن همام البصري، وهو اسم بلا مُسمًى، وراويها أبا زيد السروجي، وهو شخصية حقيقية، قال الحريري: "فاجتمع عندي فضلاء وأخبروني بما سمعوه وتعجبوا منه، فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات"^(٦)، ولها شروح كثيرة جداً، عدَّ منها حاجي خليفة أربعين شرحاً، ونص على أن أجودها شروح أبي العباس الشريشي المتوفى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وأضخمها شرح ابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، وهو في خمسة وعشرين مجلداً.

(١) بديع الزمان (أحمد بن الحسين بن يحيى ن ٣٩٨هـ/١٠٠٨م): المقامات، تح محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٣م، ص ٢٠٤-٢٠٦. التذكرة، ج ٣، ص ٣٧٦.

(٢) بديع الزمان: المقامات، ص ٢٣١. التذكرة، ج ٨، ص ٣٢٥.

(٣) المشان: هي بلدة قريبة من البصرة كثيرة التمر والرطب والفواكه. الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٣١.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٠٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٣. القفطي: إنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٣. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٥) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٨٧.

(٦) الحريري: المقامات، ص ٥٢٤.

وقد نقل ابن حمدون أربع روايات من مقامات الحريري، الأولى، هي المقامة الوبرية، وهي مقامة طويلة جميلة، أوردتها في باب المكاتبات والرسائل، وسيذكر البحث جزءاً منها، قال ابن حمدون: "..... فقال: دع الالتفات إلى ما فات، والطَّمَّاح إلى ما طاح، ولا تأس على ما ذهب، ولو أنه وإد من ذهب، ولا تستمل من مال عن ربحك، وأضرم نار تباريحك، ولو كان ابن بوحك أو شقيق رُوحك، ثم قال: هل لك في أن تقيل، وتتحامى القال والقليل؟ فإن الأبدان أنضاء تعبٍ، والهجرة ذات لهب، ولن يصقل الخاطر، ويُششط الفاتر، كقائلة الهواجر، وخصوصاً في شهري ناجر... " (١).

وأما المقامة الثانية، فهي المقامة التبريزية، فقد دوّن ابن حمدون معظمها، وختم بقوله: "وتمام هذه المقامة تركته اختصاراً" (٢)، بينما جاءت المقامة الثالثة هي المقامة المعرية، على شكل لغز يصف فيه الحريري إبره، قال ابن حمدون: "من كلام أبي محمد القاسم بن علي الحريري يصف الإبرة ويلغز عنها: كانت لي مملوكة رشيقة القد، أسيلة الخد، صبور على الكد، تخب أحياناً، كالنهد، وترقد أطواراً في المهد، وتجد في تموز مسّ البرد، ذات عقل وعنان، وحدّ وسان، وكفّ ببنان، وفم بلا أسنان، تلدغ بلسان نضناض، وترفل في ثوب فضفاض.... " (٣).

وتأتي المقامة الرابعة على شكل لغز، هي - أيضاً - جزء من المقامة المعرية (٤)، وقد صرح ابن حمدون في كل المقامات باسم الحريري.

رابعاً: كتب الأمثال

يعدُّ المثل ظاهرة فريدة ومتميزة في الآداب العربية، نظراً لطبيعته اللغوية والتركيبية، وإيجازه الشديد ودلالته العميقة، بالإضافة إلى أنه خلاصة تجربة يُعبّر عنها بالرمز أو الإيحاء أو الإشارة المباشرة في شتى ميادين الحياة اليومية، ويعالج حالاتها من خلال الوقائع والعادات والتقاليد والممارسات، وهو بكل صيغه يظل معبراً عن حكمة الشعوب وخلاصة تجاربهم ورؤيتهم للأشياء المحيطة بهم، وما بأنفسهم وخباياهم، وقد عرّف جمع الأمثال خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة تطوراً مرحلياً تجلّى في ثلاثة اتجاهات: الأول، الجمع والتدوين، والثاني، التصنيف حسب المواضيع، أما الثالث، فكان في التصنيف المعجمي (أي الترتيب حسب حروف المعجم).

وقد اعتمد ابن حمدون خلال تأليفه للتذكرة على أربعة من المؤلفين في هذا المضمار، وهم الذين مثلوا تطور حركة كتابة الأمثال باتجاهاتها الثلاثة، بدءاً بمرحلة الجمع والتدوين مُتمثلةً بالفضل

(١) الحريري: المقامات، ص ٣٢٢. التذكرة، ج ٦، ص ٤١٣.

(٢) الحريري: المقامات، ص ٤١٧. التذكرة، ج ٦، ص ٤٢٢.

(٣) الحريري: المقامات، ص ٧٩. التذكرة، ج ٨، ص ٣٢١.

(٤) الحريري: المقامات، ص ٧٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٨، ص ٣٢١.

الضبي ت ١٦٨هـ/٧٨٥م، ومروراً بتصنيف الموضوعات (أي كتابة الأمثال وترتيبها حسب الموضوع كالبلخ والشجاعة والغدر ..) ورأبدها القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م، وصولاً للتصنيف المعجمي على يد حمزة الأصبهاني ت ٣٦٠هـ/٩٧١م، وسيتم ذكرهم في البحث من الأقدم إلى الأحدث وفق سني الوفاة، وأولهم:

١. المفضل الضبي ت ١٦٨هـ/٧٨٥م

المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، أبو عبد الرحمن، راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب، من أهل الكوفة، ولزم الخليفة المهدي العباسي، فأجزى له الكثير من الأموال، يذكره الحموي قائلاً: "كنا في دار أمير المؤمنين المهدي، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا المفضل الضبي الراوية فدخل، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج حسين الخادم فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل" (١).

صنّف الضبي للخليفة المهدي كتاب "المفضليات" وسماه الاختيارات، ومن كتبه -أيضاً- "أمثال العرب" و "معاني الشعر" .. وغيرها (٢).

ويُعدُّ كتاب "أمثال العرب" من أقدم ما كُتب في موضوع الأمثال، وقد شكلت صورة المثل في حقبة ما قبل الإسلام المقترن بالحكاية، فقد حوى مجموعة من الأمثال الشعبية العربية، مع توضيح قصة كل مثل، وما يدور داخل القصة المرواة من أحداث زمانية ومكانية، ومن ثم تمرُّ أحداث القصة إلى أن تصل في النهاية بخلق المثل وخروجه على لسان أحد أبطال القصة أو الأسطورة، وقد شكّل هذا الكتاب -أمثال العرب- مصدراً رئيساً للكتب اللاحقة التي تناولت المجال نفسه.

وقد بلغ عدد الأمثال التي نقلها ابن حمدون من هذا المورد ستاً وثلاثين (٣٦) رواية (مثلاً)، نقلها بشكل حرفي وجاءت جميع الروايات - باستثناء روايتين فقط - في الباب الثاني والثلاثين من التذكرة الموسوم "في شوارد الأمثال"، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أورد ابن حمدون نقلاً عن

(١) معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧١١.

(٢) المفضل التتوخي (المفضل بن محمد بن مسعر ت ٤٤٢هـ/١٠٥١م): تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تح عبد الفتاح الطلو، دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٢١٤. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٥، ص ١٥١. القفطي: إنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٩٨.

المفضل: "ومن أمثالهم: «وابأبي وجوه اليتامى»، حكاه المفضل عن سعد القرقرة، وهو رجل من أهل هَجَرَ^(١) كان النعمان يضحك منه، فدعا بفرسه اليموم، وقال لسعد: اركبه فاطلب عليه الوحش، قال سعد: إذن والله أضرعُ، فأبى النعمان إلا أن يركبه، فلما ركبه سعد، نظر إلى بعض ولده فقال: وابأبي وجوه اليتامى"^(٢).

وفي مثل آخر أورده ابن حمدون، قائلاً: "«عند النوى يكذبك الصادق»، قال المفضل: إن رجلاً كان له عبدٌ فلم يكذب قط، فبايعه رجل ليُكذِّبَهُ، وجعل الخطرَ بينهما أهلها ومالهما، فقال الرجل لسيد العبد: دَعُهُ يبيت عندي الليلة، ففعل، فأطعمه الرجلَ لحمَ خُوارٍ وأسقاه لبناً حليباً في سقاءٍ قد كان فيه لبن حازرٌ؛ فلما أصبحوا تحمّلوا وقالوا للعبد: الحق بأهلك، فلما توارى عنهم نزلوا؛ فأتى العبدُ سيده فسأله فقال: أطعموني لحماً لا غثاً ولا سميناً، وسقوني لبناً لا محضاً ولا حقيناً، وتركتهم قد ظعنوا فاستقلوا فساروا بعد أو حلّوا، وفي النوى يكذبك الصادق، فأرسلها مثلاً وأحررَ مولاه مال الذي بايعه وأهله"^(٣).

وقد صرّح ابن حمدون باسم صاحب المورد في ثماني روايات بقوله: "وقال الضبي" أو "ويقول المفضل"^(٤)، وهو بذلك مازال متأرجحاً ما بين ذكر اسم صاحب المورد أو عدم ذكره، ويبدو أنّ سرعة انجاز التذكرة كما سلف ذكره، كان سبباً في ذلك، أو ربما كان ذلك منهجاً اتبعه ابن حمدون في تذكرته بعدم ذكر اسم المؤلف في جميع الروايات التي أخذها عنه.

(١) هجر: هي البحرين اليوم . الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٣.

(٢) المفضل الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى ت ١٦٨هـ/٧٨٥م): أمثال العرب، تح إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ١١٠. التذكرة، ج ٧، ص ٤٥.

(٣) المفضل الضبي: أمثال العرب، ص ١٦٣. التذكرة، ج ٧، ص ٥١.

(٤) للاستزادة :

أمثال الضبي	التذكرة
ص ١١٠	ج ٢، ص ٧٦
ص ١٦٣	ج ٧، ص ٥١
ص ١٢٦	ج ٧، ص ٦٩
ص ١٦٠	ج ٧، ص ١٠٢

٢. ابن سلام ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م

القاسم بن سلام الهروي، أبو عُبَيْد، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة، ولد وتعلّم فيها، ولي القضاء بطرسوس^(١) ثماني عشرة سنة، ثم وجّه ناظره إلى بغداد، فاستقر بها حتى سنة ٢١٤هـ/٨٣٠م، ثم قصد مكة المكرمة للحج، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م، وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر^(٢)، كما ألف كتاباً أهداه إليه، وأجرى له عشرة آلاف درهم، قال عبد الله بن طاهر: "علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه"، وقيل فيه: "لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة"، ومن كتبه: "الغريب المصنف" و"الأمثال" و"المذكر والمؤنث" و"المقصود والممدود"، و"الأموال" و"الأحداث" و"النسب" وغيرها^(٣).

ويُعَدُّ كتاب "الأمثال" من مصادر كتب الأمثال الأولى، ويضمُّ قدراً محدوداً من الأمثال، لأن التنبؤ الذي اتبعه يحدد طبيعة الأمثال التي يمكنه إدراجها فيه، ولقي هذا الكتاب عناية خاصة من الأدباء والمؤرخين، فقد كان أحد الكتب التي حملها معه أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) إلى الأندلس، وقد لخص ابن عبد ربه كتاب ابن سلام، وأودع تلخيصه في كتابه (العقد الفريد).

وقد شكّل هذا الكتاب مورداً رئيسياً اعتمد عليه ابن حمدون عند كتابته لباب الأمثال في تذكرته، حيث أخذ منه أربعمائة وأحد عشر (٤١١) مثلاً، وردت جميعها في باب شوارد الأمثال، وقد نقلها كلها بشكل حرفي.

وقد تنوعت موضوعاتها ما بين الحنكة والتجارب من جهة، وما بين الثبات والصبر وغيرها من جهة أخرى، ففي الأولى يقول: "ويقولون: «حلب الدهر أشطُرُهُ»، أي اختبر الدهر شطريه من خير

(١) طرسوس: مدينة بثلغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، بينها وبين أذنة ستة فراسخ (٣٠كم)، يشقّها نهر اليردان، وقد أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد ببنائها سنة ١٧٠هـ/٧٨٧م. ابن عبد الحق: مرصّد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٨٣.

(٢) عبد الله بن طاهر: بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان والريّ وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر إلى أن توفي بنيسابور سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م، وقد حفلت كتب المؤرخين بسيره وأعماله. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٦، ص ٢١٦. ابن خلکان: وفيات الاعيان، ج ٣، ص ٨٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ١١٦.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٩٢. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٤٩، ص ٦١. الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٠١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٩٣.

وشرّ. وأصله من حَلَبِ الناقة، يقال: حَلَبْتُهَا شَطَرَهَا أي نصفها، وذلك أنه حلبَ خلفين من أخلافها فهو شطر، ثم يحلبها الثانية خلفين أيضا فيقول: حلبتها شَطَرَيْنِ، ثم يجمع فيقول: أَشْطُرُ^(١).

وفي مثل آخر، ينقل ابن حمدون: "ويقولون: «عند جهينة الخبر اليقين» ويروى «جفينة»، ولذلك خبر معروف متداول، وهو رجل كان عنده خَبَرٌ مِنْ قَتْلٍ قد خفي أمره"^(٢).

ومن الأمثال التي جاءت في الثبات والصبر، قال ابن حمدون: "ومن أمثالهم: «إذا نزابك الشرّ فاقعد» أي فاحلم ولا تسارع إليه"^(٣)، وقال أيضاً: "ومن أمثالهم فيه: «إذا ارجحنّ شاصياً فارفع يداً»، يقول: إذا رأيته قد خضع واستكان فاكفّف عنه، والشّاصي الرافع رجله، والمُرجحنّ الساقط الثقيل"^(٤).

كما أورد ابن حمدون عن ابن سلام أمثالا في حفظ اللسان، منها: "وقال أكتّم بن صيفي: «مقتل الرجل بين فكّيه»، يعني لسانه"^(٥).

"وقال عمر بن عبد العزيز: «النَّقْي ملجم»"^(٦).

"وقال بعض العرب لرجل يوصيه: «إياك أن يضرب لسانك عنقك»، ويعلق ابن حمدون عليه بقوله: ومنه قول الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثاً مَغِيراً^(٧)

(١) ابن سلام (القاسم بن سلام بن عبد الله ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م): الأمثال، تح عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث،

عمان، ط ١، ٩٨٠م، ص ١٠٦. التذكرة، ج ٧، ص ٣٤.

(٢) ابن سلام: الأمثال، ص ١٠٦، التذكرة، ج ٧، ص ٣٤.

(٣) ابن سلام: الأمثال، ص ١٥٠، التذكرة، ج ٧، ص ٤٨.

(٤) ابن سلام: الأمثال، ص ١٥٥، التذكرة، ج ٧، ص ٤٩.

(٥) ابن سلام: الأمثال، ص ٤١، التذكرة، ج ٧، ص ٦١.

(٦) ابن سلام: الأمثال، ص ٤٠، التذكرة، ج ٧، ص ٦١.

(٧) ابن سلام: الأمثال، ص ٤١، التذكرة، ج ٧، ص ٦١.

وجدير بالذكر أنَّ ابن حمدون كان في معظم الأحيان ينقل الصفحة الواحدة كاملة كما وردت في كتاب الأمثال دون أي تغيير^(١)، وهذا من الأشياء الشائعة في ذلك العصر، فقد اعتمد مؤلفي تلك العصور على نتاجات بعضهم البعض بشكل كبير.

٣. حمزة الأصبهاني ت ٩٦٢/هـ ٣٥١

حمزة بن الحسن الأصفهاني، مؤرخ وأديب، من أهل أصفهان، ولد سنة ٢٨٠هـ/٩٩٣م، وزار بغداد عدة مرات، وكان مؤدباً، وصنّف لعضد الدولة بن بويه كتابه "الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية"، ومن كتبه أيضاً "تاريخ أصفهان" و "الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر" و كتاب "الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة"^(٢).

ويُعدُّ كتابه "الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" أقدم ما أُلّف في الأمثال على وزن أفعِل، وأوسع المدونات في الأمثال وأشملها، إذ يشتمل على زهاء ألف وثلاثمائة مثل عربي، انفرد حمزة بين المؤلفين قديماً وحديثاً بتسجيلها في كتاب واحد، واشتمل على كل ما تكلمت به العرب على صيغة (أفعل) من أمثال سائرة وكلمات جارية، كما ضمَّ الكتاب - إلى جانب الأمثال - عدداً كبيراً من الكلمات التي تجري في الكلام مجرى الأمثال، وهي أسماء المُكْنَى والمُتَنَّى وقد أودعها حمزة في الباب الثلاثين، ووصفها بأنها لم يُصنّف مثلها كتاب.

وقد أخذ ابن حمدون من كتاب (الدرة) جميع الأمثال التي وردت في تذكرته على وزن أفعِل، وقد جاءت في واحد وسبعين (٧١) موضعاً، نقلها بشكل حرفي، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب الأمثال تحت عنوان "منتهى التمثيل في لفظ أفعِل التفضيل" كثير من الأمثال نقلاً عن كتاب

(١) للاستزادة:

أمثال ابن سلام	التذكرة
ص ٣٢٧	ج ٧، ص ٣١
ص ١٠٦	ج ٧، ص ٣٤
ص ١٥٥	ج ٧، ص ٤٩
ص ٣٢١	ج ٧، ص ٦٧
ص ٢٧٩	ج ٧، ص ١١٢
ص ١٢٥	ج ٧، ص ١٢٤

(٢) أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م): تاريخ أصفهان، تح سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٥٢. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٢٠. الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٢٧٧.

الدرّة، ومنها: "ومن أمثالهم: هو «أعزّ من كليب وائل»، وهو كليب بن ربيعة التغلبي، كان أعزّ العرب في دهره، فقتله جساس بن مرة، ففيه كانت حرب بكر وتغلب ابني وائل، وهي حرب البسوس"^(١).

وفي أمثال الوفاء، ذكر ابن حمدون: "أوفى من عوف بن محمّ"، وخبره مع مهلهل، أخي كليب، لما أمّنه يوم التحالّق مشهور، «أوفى من السمّوال»، وخبره مشهور، «أوفى من الحارث»، يقول نصر: هو الحارث بن عباد"^(٢)، وفي موضوع الندم يقول ابن حمدون: "ويقولون: هو «أندم من الكسعي»، وكان أرمى الناس لا يخطئ له سهم، فرمى في الليل فأنفذ، فظنّ أنه أخطأ، فخلع إبهامه، فلما أصبح رأى رميته فندم على ما فعل بنفسه"^(٣)، وأصبح يُضرب به المثل في الندم على التسرع والقيام بفعل ما.

وقد جاءت جميع الأمثال في باب شوارد الأمثال، ونقلها ابن حمدون بشكل حرفي من الأصبهاني دون أي تغيير^(٤).

٤. أبو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م

سبق ووردت ترجمته أثناء الحديث عن كتاب ديوان المعاني الذي اعتمد عليه ابن حمدون ضمن الموارد الأدبية.

ولم يقتصر اعتماد ابن حمدون على العسكري في كتابه ديوان المعاني، بل اعتمد أيضاً على أحد أهم كتب العسكري، وهو "جمهرة الأمثال"، الذي يعدّ من أصول كتب الأدب، بما حوى من أمثال عربية أصيلة، وأخبار عن العرب في أيامهم قبل الإسلام وإسلامهم، وبما اشتمل عليه من لغويات وشواهد، وهو أوفى كتب الأمثال شرحاً لها، رتّب مؤلفه على حروف المعجم، وضمّ إليه من كتاب

(١) حمزة الأصبهاني (حمزة بن الحسن ت ٣٥١هـ/٩٦٢م): الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح عبد المجيد قطامش،

دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٣٠٠. التذكرة، ج ٧، ص ١٣.

(٢) حمزة الأصبهاني: الدرّة الفاخرة، ص ١٦٤. التذكرة، ج ٧، ص ١٥.

(٣) حمزة الأصبهاني: الدرّة الفاخرة، ص ٣٢١. التذكرة، ج ٧، ص ٢٧.

(٤) للاستزادة :

الدرّة الفاخرة	التذكرة
ج ١، ص ٣٠٠	ج ٧، ص ١٣
ج ١، ص ١٦٤	ج ٧، ص ١٥
ج ١، ص ٢١٥	ج ٧، ص ١٥
ج ١، ص ٣٢١	ج ٧، ص ٢٧
ج ١، ص ١٣٤	ج ٧، ص ٢٩

(الدرة الفاخرة في الأمثال، التي على وزن أفعل) لحمزة الأصفهاني، وافتتحه بقوله: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان، بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس وحلاوة في الصدور" ^(١)، يضم الكتاب زهاء ألفي مثل، شُرِحت شرحاً مستفيضاً، عدا مئات الأمثال التي وردت في صدد الشرح.

وبلغ عدد الأمثال التي نقلها ابن حمدون من الجهرة ثمانية وثمانين (٨٨) مثلاً، نقلها بشكل حرفي، وتناولت موضوعات عدة كالحنكة والتجارب، فمثلاً، قال ابن حمدون: "«الجواد عينه فراره»" ^(٢)، وقال أيضاً: "«أفواؤها مجاسها»"، أصله أن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك عن معرفة سنّها واستغنى عن جسّها" ^(٣).

وذكر ابن حمدون في تذكرته أمثالاً في التمسك بالأمر الواضح منها: "ومن أمثالهم: «الحق أبلج والباطل لجلج»، يتردد صاحبه فيه فلا يجد مخرجاً" ^(٤).

ومن الأمثال المنقولة أيضاً: "ويقولون: «عصبه عصب السلّمة»، وهي شجرة لها شوك إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصانها حتى يصلوا إليها" ^(٥).

وقد دَوّن ابن حمدون جميع هذه الأمثال في الباب الثاني والثلاثين الموسوم "في شوارد الأمثال" ^(٦).

(١) أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م): جهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٤.

(٢) أبو هلال العسكري: جهرة الأمثال، ج ١، ص ٧٨. التذكرة، ج ٧، ص ٣٥.

(٣) أبو هلال العسكري: جهرة الأمثال، ج ١، ص ٧٧. التذكرة، ج ٧، ص ٣٥.

(٤) أبو هلال العسكري: جهرة الأمثال، ج ١، ص ٣٤٦. التذكرة، ج ٧، ص ٥٤.

(٥) أبو هلال العسكري: جهرة الأمثال، ج ٢، ص ٢٧. التذكرة، ج ٧، ص ٨٦.

(٦) للاستزادة:

التمكرة	جمهرة الأمثال
ج ٧، ص ٣٠	ج ٢، ص ١٥٥
ج ٧، ص ٣٦	ج ٢، ص ٤٦
ج ٧، ص ٤٨	ج ١، ص ٢٢٢
ج ٧، ص ٦٤	ج ١، ص ٢٧
ج ٧، ص ١١٣	ج ١، ص ١٤٢

٥. الميداني ت ٥١٨هـ/١١٢٤م

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل، أديب فاضل عالم نحوي لغوي، ولد ونشأ وتوفي في نيسابور (حاضرة خراسان) ونسبته إلى (ميدان زياد) أحد مناطق نيسابور، ومن كتبه "مجمع الأمثال" و"نزهة الطرف في علم الصرف" و"السامي في الأسامي"، و"الهادي للشادي" .. وغيرها^(١).

ويُعدُّ كتاب "مجمع الأمثال" أشهر كتب الأمثال وأفضلها حُسن تأليفٍ وبسط عبارة وكثرة فائدة، ويضمُّ ستة آلاف مثلاً ونيفاً، وقد صرَّح الميداني في مقدمة كتابه أنه ألَّفهُ لضياء الدولة أبو علي محمد بن أرسلان^(٢)، وبطلب منه، وصرَّح في مقدمة كتابه أنه رجع في تأليفه هذا الكتاب إلى أكثر من خمسين كتاباً في الأمثال، نخل ما فيها فصلاً فصلاً وباباً باباً^(٣).

وقد نقل ابن حمدون من هذا الكتاب أربعة وتسعين (٩٤) مثلاً، ومن خلال المقارنة بينه وبين التذكرة، يتضح بأن هذه الأمثال استقاها ابن حمدون من هذا الكتاب بشكل حرفي، ومما قيل في التجارب على سبيل المثال، يذكر ابن حمدون: "ويقولون: «تعلَّمني بضْب أنا حرشته»»^(٤)، وفي مثلٍ آخر، قال ابن حمدون: "أنت أعلمم باللقمة أم من غصَّ بها"، أي الغاصَّ باللقمة أخبر بها^(٥).

ومن الأمثال التي قيلت في الأفعال الحميدة، ينقل ابن حمدون بعضاً منها: "ويقولون في الرجل المقدام على الأمور: «ما يبالي على أي قُتْرِيهِ وقع»، ويقال: قُتْرِيهِ، أي جانيبه"^(٦)، و"يقال: «بمثلي تُنكأ القُرحة»»^(٧)، وأيضاً: "«ولا تجعلني في اليد الشمال»، أي لا تحقرني"^(٨).

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٥١١. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ١٥٦. ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) محمد بن أرسلان: كان يُلقب بمنتجب الملك، وممن تقدم وحظي عند السلطان سنجر بن ملكشاه وأمه الخاتون، وارتفعت درجته حتى ترشح للوزارة، وكان منزله مجمع العلماء والفقهائ من البلديين والغرباء، كان فاضلاً وقوراً، مليح الخط، حسن النظم، والنثر، توفي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م. السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م): التحبير في المعجم الكبير، تح منيرة سالم، ديوان الأوقاف، بغداد، ط ١، ١٩٧٥م، ج ٢، ص ٩٩. الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص ١٤١٣. القفطي: المحمودون من الشعراء، ص ١٥٢.

(٣) الميداني (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٥١٨هـ/١١٢٤م): مجمع الأمثال، تح محمد عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١.

(٤) الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٧٨. التذكرة، ج ٧، ص ٣٥.

(٥) الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٤٤. التذكرة، ج ٧، ص ٣٥.

(٦) الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٦٧. التذكرة، ج ٧، ص ٥٤.

(٧) الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٠٤. التذكرة، ج ٧، ص ٥٤.

(٨) الميداني: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٥٩. التذكرة، ج ٧، ص ٥٤.

وتجدر الإشارة إلى أن الميداني انفرد بنقل بعض الأمثال التي لم تورد لها بقية المصادر، وبدوره نقل ابن حمدون هذه الأمثال وضمّها لتذكرته^(١).

إن الباحث في أنواع الأمثال التي نقلها ابن حمدون في تذكرته من الموارد السالفة الذكر، تثبت أنه انتخب منها ما هو مفيد أولاً، ونادر ثانياً، محاولاً تقديم الفائدة ورفع مستوى تذكرته على اعتبارها من أمهات الكتب الموسوعية في المعرفة والفائدة.

(١) للاستزادة :

مجمع الأمثال	التذكرة
ج ١، ص ١٢٥	ج ٧، ص ٣٥
ج ٢، ص ٢٥٨	ج ٧، ص ٣٦
ج ٢، ص ١٠٤	ج ٧، ص ٣٧
ج ٢، ص ٣٣٩	ج ٧، ص ٤٠
ج ٢، ص ٣٩٨	ج ٧، ص ٤٨
ج ١، ص ٤٠٠	ج ٧، ص ٩٤

جدول بكتب الأمالي والمقامات والأمثال التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم المؤلف	اسم المورد	تاريخ الوفاة	عدد الروايات
كتب الأمالي				
١	اليزيدي	امالي اليزيدي	٩٢٣/هـ٣١٠م	٥ روايات
٢	أبو علي القالي	الأمالي	٩٦٧/هـ٣٥٦م	٦٨ رواية
٣	الشريف المرتضى	أمالي المرتضى	١٠٤٥/هـ٤٣٦م	٣١ رواية
كتب المقامات				
١	بديع الزمان الهمذاني	مقامات بديع الزمان	١٠٠٨/هـ٣٩٨م	روايتان
٢	الحريري	مقامات الحريري	١١٢٢/هـ٥١٦م	أربع روايات
كتب الأمثال				
١	المفضل الضبي	أمثال العرب	٧٨٥/هـ١٦٨م	٣٦ مثلاً
٢	ابن سلام	الأمثال	٨٣٩/هـ٢٢٤م	٤١١ مثلاً
٣	حمزة الأصبهاني	الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة	٩٦٢/هـ٣٥١م	٧١ مثلاً
٤	أبو هلال العسكري	جمهرة الأمثال	١٠٠٥/هـ٣٩٥م	٨٨ مثلاً
٥	الميداني	مجمع الأمثال	١١٢٤/هـ٥١٨م	٩٤ مثلاً

خامساً: الكتب والدواوين الشعرية

ظهرت مجاميع الشعر الأول منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فظهرت المفضليات، والأصمعيات، وأعقبتها جمهرة أشعار العرب والمختارات الشعرية، وبذل كل من أبي عبيدة معمر ابن المثنى ت ٢٠٩هـ/٨٢٥م، ومحمد بن حبيب السكري ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م جهداً بارزاً في جمع دواوين شعراء حقبة ما قبل الإسلام والمخضرمين والمسلمين والأمويين والعباسيين، لكن شعراء العصر العباسي حظوا بفرص أفضل بسبب ظهورهم في عصر التدوين.

وقد سار البحث على المنهج المتبع من خلال دراسة كل موردٍ من موارد التذكرة، مُبتدئاً بالكتب الشعرية.

أ. الكتب الشعرية:

ترجم ابن حمدون في تذكرته لعدد كبير من الشعراء بمختلف طبقاتهم، وقد نقل أشعارهم بواسطة المصنفات الأخرى وخاصة الأدبية، كما نقل بعضها من دواوينهم وخطوطهم، وفيما يلي ذكر لأهم الكتب الشعرية التي اعتمد عليها ابن حمدون، وقد تم ترتيبهم وفق سني وفاة مؤلفهم على النحو الآتي:

١. أبو سعيد السكري ت ٢٧٥هـ/٨٨٩م

الحسن بن الحسين بن عبيد الله العتكي السُكُري، أبو سعيد، عالم بالأدب، راوية، من أهل البصرة، جمع أشعار كثير من الشعراء، مثل امرؤ القيس والنابعة وزهير والحطيئة، إضافة لأخبار بعض القبائل وأشعارها، ومن تصانيفه "شرح ديوان جرّان العود" و"أخبار اللصوص" و"شرح ديوان الشعراء الهذليين" و"شرح ديوان كعب بن زهي" (١).

ويشتمل كتاب "شرح ديوان الشعراء الهذليين" على ثلاثمئة وأربع وعشرين قصيدة لأكثر من خمسين شاعراً من الشعراء الهذليين، وقد قام بترتيب هذه الأشعار وتنظيمها وشرحها، فكان يذكر أولاً ترجمة لكل شاعر، ثم يبدأ في ذكر ما نقل عنه من الشعر، فيقوم بشرحه بأسلوب علمي أنيق وعبارات واضحة.

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٥٠. ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ١٦٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٨٤٥. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ٣٢٦.

وقد أخذ ابن حمدون عن هذا الكتاب ثلاثة عشر (١٣) موضعاً، تناولت أخبار العديد من الشعراء الهذليين^(١)، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب الفخر والمفاخرة شعراً لأبي ذرّة الهذلي قائلاً:

"تحن بنو مدركة بن خندف
ومن يكونوا عزّه يُعْطِرِفِ
من يطعنوا في عينه لا يَطْرِفِ
كأنهم لجة ليلٍ مُسْدِفِ"^(٢)

وذكر ابن حمدون في باب التعازي والمرثي شعراً لأبي ذؤيب الهذلي^(٣) يرثي ابنه، قال ابن حمدون: "قال أبو ذؤيب الهذلي:

يقولون لي لو كان بالرمْلِ لم يَمُتْ
ولو أنني استودعْتُه الشمسَ لارتَقَتْ
نُشَيْبَةُ والطَّرَاقُ يَكْذِبُ قِيلُهَا
إليه المنايا عَيْنُهَا وَرَسُولُهَا"^(٤)

وفي أبياتٍ نقلها لأبي ذؤيب عَقَّبَ ابن حمدون شارحاً لكلمة وردت في الأبيات، ففي الباب المخصص للأوصاف والنعوت، ذكر ابن حمدون فيمن وصف السحاب والغيث من الشعراء، فقال:

له هَيْدَبٌ يعلو الشَّرَاجَ وهَيْدَبٌ
علاجمه غرقى رواءٍ كأنها
مُسِفٌ بأَذْنَابِ التَّلَاعِ خُلُوجُ
قِيَانِ شُرُوبٍ رَجْعُهُنَّ نَشِيجُ

ثم قال ابن حمدون شارحاً: الشراج هي شعاب الحرار^(٥).

(١) قبيلة هذيل: من القبائل العدنانية، ونسبها يعود لهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانت ديارهم بالسروات، وهي مرتفعات تفصل بين تهامة ونجد، واشتهرت هذه القبيلة بأنها ضمت عدداً كبيراً من الشعراء. كحالة (عمر): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م، ج٣، ص١٢١٣.

(٢) السكري (الحسن بن الحسين ت ٢٨٥هـ/١٨٩م): شرح ديوان الهذليين، تح عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، دت، ج٢، ص٦٢٦. التذكرة، ج٣، ص٣٩٧.

(٣) أبو ذؤيب: خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، شاعر فحل، مخضرم، أدرك حقبة ما قبل الإسلام والإسلام، وسكن المدينة، اشترك في الغزو والفتوح، وفي فتح إفريقية، واختلف المؤرخون في مكان استشهاد، حيث توفي نحو سنة ٢٧هـ/٦٤٨م. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٦٥٠. ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، ج٧، ص١١٠.

(٤) السكري: شرح ديوان الهذليين، ج١، ص١٧١. التذكرة، ج٤، ص٢٤٤.

(٥) السكري: شرح ديوان الهذليين، ج١، ص١٣١. التذكرة، ج٥، ص٣٣٩.

وقد أورد ابن حمدون جميع هذه الأبيات الشعرية بشكل حرفي، وجاءت موزعة في مختلف أبواب التذكرة^(١).

٢. ابن الأنباري ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، ولد في الأنبار^(٢) وتوفي في بغداد سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله ليعلمهم، ومن مؤلفاته: "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات" و"الزاهر" و"إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" و"شرح الألفات" و"المفضليات" وغيرها^(٣)، وقد اعتمد ابن حمدون على اثنين من مؤلفات ابن الأنباري هما:

أ. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات

من أهم الكتب التي ألّفت في شرح المعلقات، فقد عالج ابن الأنباري فيها النصوص من زوايا اللغة والنحو والتاريخ والأنساب، معالجةً كاملة، كما عقد المقارنات الأدبية التي اقتضته إيراد كثير من الشواهد النادرة، وبيّن الكثير من الصلات اللغوية والفنية بينها وبين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

وقد أخذ ابن حمدون من الكتاب المذكور ثلاث (٣) روايات، تناولت الرواية الأولى الحديث الذي دار بين رجل من بني عبس سبّ عنتر بن شداد، وكيف ردّ عليه عنتر، قال ابن حمدون: "وإني لأحضر الوغي، وأوفي المغنم، وأعفّ عند المسألة، وأجود بما ملكت، وأفضلُ الخطّة الصّمّاء، فقال له الآخر: أنا أشعر منك، فقال له: ستعلم، وكان عنتر لا يقول من الشعر إلا البيتَ والبيتين في الحرب فقال قصيدته

(١) للاستزادة:

شرح ديوان الهذليين	التذكرة
ج ١، ص ٤٠١	ج ٤، ص ٢٥١
ج ١، ص ٢٢٦	ج ٥، ص ٢٦٧
ج ١، ص ١٤١	ج ٦، ص ١٢١
ج ٢، ص ٩٥٠	ج ٦، ص ١٦٥

(٢) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ (٥٠ كم)، وكان أول من عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جدّها أبو العباس السفّاح أول خلفاء بني العباس. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٢٩٩. القفطي: إنباه الرواة، ج ٣، ص ٢٠١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٤٥.

هل غادر الشعراء من مَنَزَمٍ

وزعموا أنها أول قصيدة قالها، والعرب تسميها المذهبة" (١).

أما الرواية الثانية، فكانت بيتان شعريان لعنترة قالهما في وصف الحشرات، "وقال عنترة:

وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعل الشاربِ المترنم
هزجاً يحكُّ ذراعَهُ بذراعِهِ فعَلْ المكبُّ على الزنادِ الأجزمِ" (٢)
وجاءت الرواية الثالثة حول افتخار عنترة بنفسه، مع ذكر بيتين شعريين له (٣).

ب. شرح المفضليات:

يُعدُّ كتاب شرح المفضليات، أقدم ما وصل من كتب الاختيارات الشعرية، عُرِفَتْ بالمفضليات نسبةً إلى جامعها المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م وسماها (الاختيارات)، ولم يرتبها على أبواب خاصة، ولا التزم فيها أغراضاً معينة، قال النديم، بعدما ذكر أنَّ الضبي أَلَفَ الكتاب للمهدي العباسي: "وهي مائة وثمانين وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواة، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي" (٤) ومجموع شعراء المفضليات سبعة وستون شاعراً منهم سبعة وأربعون شاعراً من شعراء ما قبل الإسلام، وأربعة عشر من المخضرمين، وستة من المسلمين.

وقد أَلَفَ ابن الأنباري كتاباً يشرح المفضليات شرحاً وافياً، وقد اعتمد ابن حمدون على شرح المفضليات في خمس عشرة (١٥) رواية، وقد فاقت بعض القصائد التي نقلها ابن حمدون ثمان وعشرين بيتاً شعرياً، مثل القصيدة الي ذكرها ابن حمدون لعبدة بن الطبيب (٥)، قال فيها: "وقال عبدة بن الطبيب، وهو من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وهي من الوصايا المأثورة وفصيح الكلام:

أَبْنَى إِيَّيْ قَدْ كَبُرْتُ وَرَابِنِي بَصْرِي وَفِي لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعٍ
فَلَيْزُ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيَا يَبْقَى لَكُمْ مِنْهَا مَنَاقِبُ أَرْبَعُ

(١) ابن الأنباري (محمد بن القاسم بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد اسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت، ص٢٩٣. التذكرة، ج٣، ص٤٢٣.

(٢) ابن الأنباري: شرح السبع، ص٣١٤-٣١٥. التذكرة، ج٥، ص٢٩٩.

(٣) ابن الأنباري: شرح السبع، ص٣٥٠. التذكرة، ج٨، ص٣٤٥.

(٤) الفهرست، ص١٠٢.

(٥) عبدة بن الطبيب: وهو عبدة بن يزيد (الطبيب) بن عمرو بن علي، من تميم، من مخضرمي حقبة ما قبل الإسلام والإسلام، شجاعاً، شهد الفتح، وقاتل الفرس مع المثنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن، بالمدائن سنة ١٦هـ/٦٣٧م. وكانت له في ذلك آثار مشهودة، توفي نحو سنة ٢٥هـ/٦٤٥م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص١٨٣. ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٨٧.

ذَكَرَ إِذَا ذُكِرَ الْكَلَامُ يَزِينُكُمْ وَوَرِثَةُ الْحَسَبِ الْمَقْدَمُ تَنْفَعُ^(١)
وفي موضع آخر، نقل ابن حمدون بيتاً شعرياً لعمر بن الأهتم يخص الأسفار والاعتراب، قال
عمر بن الأهتم:

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاقُ الرجالِ تضيقُ^(٢)
وجدير بالذكر أن معظم الروايات جاءت أبياتاً شعرية اختار ابن حمدون منها ما يفيد العناية
التي يرمي إليها في حينه^(٣).

٣. الخالديان ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م

سلف ذكرهما أثناء الحديث عن كتابي الحماسة والتحف والهدايا اللذان وردا ضمن الكتب
العامة التي اعتمد عليها ابن حمدون.

وقد أُلِّفَ كتاباً ذا قيمة كبيرة وهو "المختار من شعر بشار"، وما يميز هذا الكتاب أنه حوى أبياتاً
شعرية لبشار لم تُذكر في غيره من الكتب، ويشتمل أيضاً على مقارنة ممتعة بين كلام القدماء
والمحدثين، وقصائد لعدد من كبار الشعراء كالفرزدق وابن المعتز وأبي إسحق الصابئ.

(١) ابن الأنباري (محمد بن القاسم بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م): شرح المفضليات، نج كارلوس لايل، مطبعة الآباء
اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م، ص ٢٩٤. التذكرة، ج ٣، ص ٣٤٩.
(٢) ابن الأنباري: شرح المفضليات، ص ٢٤٥. التذكرة، ج ٨، ص ١٢٦.
(٣) للاستزادة في باقي الروايات:

شرح المفضليات	التذكرة
ص ٤٢٦	ج ٢، ص ٤١٨
ص ٨٧٧	ج ٢، ص ٤١٩
المفضلة رقم ٨/ ص ٥٦	ج ٣، ص ٣٩٣
المفضلة رقم ٢٠/ ص ١٩٤-٢٠٧	ج ٣، ص ٣٩٤
ص ٤٤٨	ج ٤، ص ٢١٨
ص ٣٥٨	ج ٥، ص ٣٣٢
ص ١٢١-١٠٠	ج ٥، ص ٣٦٦
المفضلة ٢٠/ ص ١٩٤ وما بعدها	ج ٦، ص ١٦٢
المفضلة ٢٦/ ص ٦٦-٨١	ج ٨، ص ٣٥٣
المفضلة ٣٠/ ص ٣١٨-٣٢٠	ج ٣، ص ٣٩٤
المفضلة رقم ١/ ص ٢٢ .	ج ١، ص ٢٨٤
المفضلية رقم ٢٧/ ص ٢٩٤ .	ج ٣، ص ٣٤٩

وقد اعتمد ابن حمدون على هذا المورد وأخذ منه سبع روايات فقط، كلها أبياتٌ شعرية لبشار بن برد و ابن المعتز وأبي إسحق الصابئ، فأما ما يخص بشار بن برد، فهما بيتان شعريان وردا في باب القناعة، فقال: "وقال بشار:

اسكنْ إلى سَكَنٍ تُسَرُّ به
ترجو غداً وغدَّ كحاملةٍ
ذهبَ الزمانُ وأنتَ منفردُ
في الحيِّ لا يدرون ما تَلِدُ " (١)
فيما أورد بيتاً شعرياً واحداً لابن المعتز في باب صون السر وتحصينه، قائلاً: "وقال ابن المعتز:

وربَّ سِرِّ كِنارِ الصخرِ كامنَةٍ
أمتُ إظهاره مني فأحيانِي " (٢)
ومن الواضح أن منهج ابن حمدون في معظم التذكرة كان النقل الحرفي دون أي تغيير، وهذا ما ينطبق على جميع الأشعار التي نقلها (٣).

(١) الخالديان (سعيد بن هاشم ت ٣٧١هـ / ٩٨٢م ومحمد بن هاشم ت ٣٨٠هـ / ٩٩١م): المختار من شعر بشار،
تح محمد بدر الدين العلوي، دار الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٤م، ص ٩٢. التذكرة، ج ٣، ص ١٣١.
(٢) الخالديان: المختار، ص ١٥٢. التذكرة، ج ٣، ص ١٥٣.
(٣) للاستزادة :

المختار	التذكرة
ص ١٥٢ - ص ١٥٣ - ص ١٥٥	ج ٣، ص ١٥٣ وردت فيها ٣ روايات
ص ٢٣٧	ج ٥، ص ٤٤٠ وردت فيها روايتين
ص ٢٤١	ج ٥، ص ٤٤٥

جدول بالكتب الشعرية التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم المؤلف	اسم المورد	تاريخ الوفاة	عدد الروايات
١	السكري	شرح ديوان الهذليين	٨٨٩/هـ-٢٧٥م	١٣ رواية
٢	ابن الأنباري	شرح القصائد السبع الطوال	٩٤٠/هـ-٣٢٨م	٣ روايات
٣	ابن الأنباري	المفضليات	٩٣٩/هـ-٣٢٨م	١٥ رواية
٤	الخالديان	المختار من شعر بشار	٩٨٢/هـ-٣٧١م ٩٩١/هـ-٣٨٠م	٧ روايات

جدول من صنع الطالب

ب. الدواوين الشعرية

تُعَدُّ الدواوين الشعرية من أهم الموارد الأدبية التي ارتكز عليها ابن حمدون في تذكرته، التي غصَّت أبوابها بالكثير من الأبيات الشعرية، حتى أن بعض هذه الأبواب حَوَّت فقط على أشعارٍ لكبار الشعراء، وبالتالي فقد سلَّط البحث الضوء على أهم الدواوين الشعرية التي اعتمد عليها ابن حمدون، وقد بلغ عددها أربعة وستين ديواناً، وما يميز ابن حمدون أنه اعتمد على مختلف شعراء حقبة ما قبل الإسلام وشعراء العصور الإسلامية.

ركَّز البحث على ذكر عدد الشواهد الشعرية التي وردت في التذكرة، مع توضيح موضوعات هذه الشواهد وكيفية توزعها في أجزائها، إضافة إلى ذكر عدد الأبيات الشعرية لكل شاعرٍ اعتمد عليه ابن حمدون .

والمقصود من الشاهد الشعري، هو الأشعار التي ذكرها ابن حمدون للشاعر، أي أنَّه من الممكن أن يتكوَّن الشاهد الشعري من بيت واحد، أو أكثر .

استقى ابن حمدون معظم أبياته الشعرية من دواوين أصحابها بشكل حرفي، مع اختلاف في بعض الأحيان في البيت الذي ينقله عن المصدر بكلمة واحدة أو كلمتين، لكن دون أي تغيير في المعنى، ويمكن تسويغ ذلك إلى سرعة قلمه أثناء النقل من المورد.

وفي بعض الأحيان كان يوزع الأبيات العشرية من القصيدة نفسها في عدة أبواب وليس في باب واحد، فعلى سبيل المثال، أورد أبياتاً للأخطل في باب المدح، وذكر أبياتاً أخرى من القصيدة نفسها في باب الشجاعة، أي أنَّه يعمل على تقييد كل بيت ضمن الباب المخصص لغرضه الشعري، وهذا ما يدلُّ على دقته وأمانته العلمية في الكتابة

تمَّ ترتيب شعراء التذكرة وفق سني وفاتهم من الأقدم فالأحدث على النحو الآتي:

١. عمرو بن قميئة ت ٥٤٠م

عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزارى، شاعر عاش قبل الإسلام، وكان مقدماً بين الشعراء، نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، وصحب حجراً (أبو امرئ القيس الشاعر) وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر^(١)، فمات في الطريق، فكان يقال له "الضائع" وكان واسع الخيال في شعره، وإياه عني امرؤ القيس بقوله:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّا لَاجِحَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوُلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا^(٢)

أخذ ابن حمدون من شعر عمرو أربعة (٤) شواهد شعرية فقط، وجاءت موضوعاتها متنوعة، فمنها ما جاء في الحث على التمسك بالعهود والمواثيق، وبعضها بوصف الكبر في السن والشيب الذي غزا الرأس: "وقال عمرو بن قميئة:

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ حَجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِدَارَ لَجَامِي

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أُنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي

رَمْتُنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُزْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ"^(٣)

وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والسابع، وشاهدان في الجزء السادس^(٤)، فقد بلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لعمرو بن قميئة اثنا عشر (١٢) بيتاً شعرياً.

(١) المقصود هنا إمبراطور بيزنطة جستنيان الأول، تولى عرش الامبراطورية بعد وفاة عمه جستن، وحكم من سنتي ٥٢٧-٥٦٧م، وكان من أشهر أباطرة بيزنطة، واشتهر بأعماله العسكرية الكبيرة، حيث بلغت الامبراطورية البيزنطية أقصى اتساعها في عهده. بينز (نورمان): الامبراطورية البيزنطية، تر حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٤٨.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٦٤. الأصفهاني: الأغاني، ج ١٨، ص ١٤٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٦، ص ٣٠٧.

(٣) عمرو بن قميئة (عمرو بن قميئة ت ٥٤٠م) : ديوان عمرو بن قميئة، تح خليل العطية، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٣٨. التذكرة، ج ٦، ص ١١.

(٤) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عمرو بن قميئة	التذكرة
ص ٧١	ج ٣، ص ٧٣ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٣٨	ج ٦، ص ١١ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٤٤	ج ٦، ص ٧٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

٢. امرؤ القيس ت ٥٤٥م

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، مولده في نجد، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلَقَّنه المهلهل الشعر، فقال له وهو غلام، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فلم يزل حتى تَأَرَّ لأبيه منهم، وقال في ذلك شعراً كثيراً.

قصد امرؤ القيس القسطنطينية، لكن الموت عاجله فيها، قيل فيه: "وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتَّبَعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقّة النسيب، وقرب المأخذ"^(١).

اقتبس ابن حمدون من شعر امرؤ القيس اثنا عشر (١٢) شاهداً شعرياً، توزعت في التذكرة على النحو الآتي: ستة شواهد في الجزء الخامس، وشاهدان في كل من الجزئين السابع والثامن، وشاهد واحد في كل من الجزئين السادس والتاسع، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون وصفاً لامرؤ القيس يصف فيه الخيل، قال ابن حمدون:

وَقَدْ أَغْنَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا	بمنجردٍ قَيِّدِ الْأَوَائِدِ هَيْكَل
مِكَرٌّ مِقَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعًا	كجلمودٍ صخرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
لَهُ أَبْطَلَا ظُبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ	وإِرْخَاءٍ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٍ تَنْقَلٍ" ^(٢)

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٠٧. الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ١٠٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٢٢٢.

(٢) امرؤ القيس (امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ت ٥٤٥ م): ديوان امرؤ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، د.ت، ص ١٩. التذكرة، ج ٥، ص ٢٤٢.

وجاءت موضوعات هذه الشواهد إما في الأوصاف والنعوت، أو في الأسفار والاعترا ب^(١)، إضافة إلى شاهدين شعريين وردا في فصل "سراقات فحول الشعراء وسقطاتهم"، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لإمرئ القيس أربع وعشرين (٢٤) بيتاً شعرياً.

٣. المتلمس الضبعي ت ٥٧٦م^(٢)

جرير بن عبد المسيح بن عبد الله العدناني الضبعي، ولُقّب بالمتلمس لأنه قال:

فَهَذَا أَوَانُ الْعِرْضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمَّسُ

كان من فحول شعراء حقبة ما قبل الإسلام، وهو خال الشاعر طرفة بن العبد، وقد دارت بينهما وبين عمرو بن هند ملك الحيرة قصة مشهورة، حيث كان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، ولكنه غضب عليه، فكتب إلى عامل البحرين أن يقتله مع خاله طرفة من خلال كتاب أعطاه عمرو للمتلمس، ودفع المتلمس كتابه إلى غلام بالحيرة ليقرأه، فقال له: أنت المتلمس؟ قال: نعم، قال: فالنجا (أي النجاة)، فقد أمر بقتلك، فنبذ الصحيفة في نهر الحيرة وهرب إلى الشام، لذلك يضرب المثل بصحيفة المتلمس، وذكر ابن عساكر أنه قدم دمشق هارباً من عمرو، حيث ذكر المتلمس دمشق مع بصرى في شعره^(٣).

أخذ ابن حمدون من شعر المتلمس الضبعي ستة (٦) شواهد شعرية، تنوعت موضوعاتها، فمنها ما كان في الحث على عدم التبذير، بقوله: "وقد أشار جماعة من شعراء العرب إلى الحث على البخل بطريق الإرشاد والتبصير فمن ذلك قول المتلمس الضبعي:

(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان امرؤ القيس	التذكرة
ص ٣٨	ج ٥، ص ٢٨٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٨	ج ٥، ص ٣٣١ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٤	ج ٥، ص ٣٤٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٨٧	ج ٥، ص ٣٧٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٧٧	ج ٧، ص ٢٨٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٩٩	ج ٨، ص ١٢١ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

(٢) لم تذكر المصادر التاريخية والأدبية التي وقف عليها البحث تاريخ وفاته بدقة، ولكن بما أن المتلمس هو خال طرفة بن العبد الذي قتله عمرو بن هند ملك الحيرة سنة ٥٦٩م، فيبدو أنه لم يعيش بعد هذا التاريخ طويلاً.

(٣) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص ١٧٧. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٤، ص ٢١٦. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ٩. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧٢، ص ٨٣.

لَحْفَظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ بُغَاةٍ وَسِيرٌ فِي الْبِلَادِ بَغِيرُ زَادٍ
وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(١)
ومنها ما كان في الفخر والمفاخرة، قال ابن حمدون: "وللمتلئس الضبعي:

يَعِيرُنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمَا
وَمَنْ كَانَ ذَا عَرٍّ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَبًا كَانَ اللَّئِيمَ الْمَزْمَا
أَحَارِثُ لَوْ أَنَا تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايَلَنَ حَتَّى مَا يَمَسُّ دَمًا"^(٢)

الْبَعْضُ الْآخَرُ مِنَ الشُّوَاهِدِ جَاءَ فِي الْمَشُورَةِ وَالرَّأْيِ وَصَوَابِهِ، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ هَذِهِ الشُّوَاهِدُ فِي التَّذَكُّرَةِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: شَاهِدٌ وَاحِدٌ فِي كُلِّ مِنَ الْجَزَيْنِ الثَّانِي وَالسَّابِعِ، وَشَاهِدَانِ فِي الْجَزَيْنِ الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ^(٣)، وَبِالنَّتَالِي بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي التَّذَكُّرَةِ لِلْمَتَلَمَّسِ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ (٣٦) بَيْتًا شَعْرِيًّا.

٤. حاتم الطائي ت نحو ٥٧٨م

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِجُودِهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، فَارَسَ شَجَاعًا، مِنْ شَعْرَاءَ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، زَارَ الشَّامَ فَتَزَوَّجَ مَأْوِيَةَ بِنْتَ حَجَرِ الْغَسَانِيَّةِ، تُوُفِيَ وَقَبْرُهُ فِي عَوَارِضِ^(٤) قَالَ يَاقُوتُ: "وَقَبْرُ حَاتِمٍ عَلَيْهِ"، وَشَعْرُهُ كَثِيرٌ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ مَتَفَرِّقَةٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، أَرْخَوْا وَفَاتَهُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ بَعْدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥).

(١) المتلئس الضبعي (جرير بن عبد المسيح ت ٥٧٦م): ديوان المتلئس، تح حسن الصيرفي، معهد المخطوطات

العربية، جامعة الدولة العربية، ١٩٧٠م، ص ١٧٢ . التذكرة، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٢) المتلئس: ديوان المتلئس، ص ١٤ . التذكرة، ج ٣، ص ٤٣٢.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان المتلئس	التذكرة
ص ١٧٢	ج ٢، ص ٣٣٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٩٤	ج ٣، ص ٣١٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٧٦	ج ٥، ص ١٩٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٠٣	ج ٥، ص ١٩٤ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٤٦	ج ٧، ص ٤٩ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

(٤) عوارض: جبل أسود في أعلى ديار طيء (بين شبه الجزيرة العربية والعراق) وناحية دار فزارة، وكان مشهوراً، فكثير من شعراء حقبة ما قبل الإسلام ذكروه بأشعارهم. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٤. أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٧٨.

(٥) الثعالبي: لباب الآداب، ص ١١٧ . ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ١٣٨.

وقد بلغ عدد الشواهد التي أوردها ابن حمدون لحاتم الطائي في تذكرته خمسة (٥) شواهد، ومن الطبيعي أن يعتمد ابن حمدون في باب السخاء والجود على أشعار حاتم الطائي، فأورد له العديد من الشواهد، قال ابن حمدون: "وقال حاتم الطائي:

أماوي إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراءَ المالِ أمسى له وفر" (١)

وجاءت الشواهد موزعة في التذكرة على النحو الآتي: شاهدٌ واحدٌ في الجزء الأول، وأربعة شواهد في الجزء الثاني (٢)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية لحاتم الطائي عشرين (٢٠) بيتاً شعرياً، وفي موضع واحد، ذكر أبياتاً لحاتم ولكن مع اختلاف في ترتيبها.

٥. عدي بن زيد العبادي ت نحو ٥٩٠م

عدي بن زيد بن حماد العبادي (٣) التميمي، من دهاة شعراء ما قبل الإسلام، كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يُحسِن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فاتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب، عندئذ سكن المدائن، ولما توفي كسرى أنوشروان وولي ابنه هرمز أقرَّ عُدياً ورفع منزلته، ثم تزوج عدي هند بنت النعمان بن المنذر، لكن وشى به أعداء له إلى النعمان بما أُوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة، وقال فيه ابن قتيبة (٤): كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فتقل لسانه، وعلماء العربية لا يرون شعره حجة (٥).

(١) الطائي (حاتم بن عبد الله بن سعد ت ٥٧٨م): ديوان حاتم الطائي، تح عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ص ٢٠٩-٢١٤. التذكرة، ج ٢، ص ٢٦٥.
(٢) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان حاتم الطائي	التذكرة
ص ١٨٣	ج ١، ص ٣٦٧ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٨٢	ج ٢، ص ٦٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٦٨	ج ٢، ص ٢٨٢ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٣٩	ج ٢، ص ٤٠٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

(٣) نسبة إلى "عباد" وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا مسيحين. كحالة: معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ٤٣٢.

(٤) الشعر والشعراء، ص ٤٠.

(٥) الأصفهاني: الاغانى، ج ٢، ص ١٢١. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ١٠٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ٣٤٩.

وقد اقتبس ابن حمدون من شعر عدي ستة (٦) شواهد شعرية، فعلى سبيل المثال، أورد بيتاً شعرياً لعدي يُحذّر من فرط المزاح، بقوله: "قال عدي بن زيد:

وإياك من فرط المزاح فإته
جدير بتسفيه الحليم المسدّد" (١)

وفي باب الأوصاف والنعوت، ذكر ابن حمدون أبياتاً لعدي يصف فيها النساء قائلاً: "وقال عدي بن زيد:

بيضٌ عليهنّ الدمقس وفي الـ
كالبيّض في الرّوض المنورٍ قد
أفضى بهنّ إلى الكنّيب بهز" (٢)

جاءت الشواهد الشعرية المنقولة عن عدي في التذكرة على النحو الآتي: شاهد في كلّ من الأجزاء الأول والثالث والخامس والثامن، وشاهدان في الجزء الثاني (٣)، وبلغ عدد الأبيات التي نقلها ابن حمدون عن عدي بن زيد ستة وثلاثين (٣٦) بيتاً شعرياً.

٦. عنزة بن شداد ت نحو ٦٠٠م

عنزة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، أشهر فرسان العرب قبل الإسلام، ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد، وأمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها، كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، ويوصف بالحلم على شدة بطشه، في شعره رقة وعذوبة، وكان مغرمًا

(١) عدي بن زيد (عدي بن زيد بن حماد ت ٥٩٠م): ديوان عدي بن زيد، تح محمد المعبيد، شركة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٠٥. التذكرة، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) عدي بن زيد: ديوان عدي، ص ١٢٧. التذكرة، ج ٥، ص ٣٠٢.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عدي بن زيد	التذكرة
ص ١٠٨-١٠٦	ج ١، ص ٢٨٦ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ١٠٥	ج ٢، ص ٢٢٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٢٠٢	ج ٢، ص ٣٤٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٣٥	ج ٣، ص ٧٣٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٢٧	ج ٥، ص ٣٠٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٧٩-٧٦	ج ٨، ص ٣٥٤ ورد في هذه الصفحة ١٦ بيتاً شعرياً

بابنة عمه " عبلة " فقلَّ أن تخلو له قصيدة من ذكرها، واجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، كما شهد حرب داحس والغبراء^(١)، وعاش طويلاً^(٢).

بلغ عدد الشواهد الشعرية التي استقاها ابن حمدون من شعر عنتره خمسة (٥) شواهد شعرية. تتوَّعت موضوعاتها، فبعضها جاء في البأس والشجاعة، مثلاً: "وقال عنتره:

بَكَرْتُ تَخَوَّفَنِي الْحَتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحَتُوفِ بِمَعَزَلٍ
فَأَجَبْتُهَا إِنْ الْمَنِيَّةَ مِنْهُلٌّ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَاسِ الْمَنْهَلِ
فَأَقْنِي حَيَاكَ لَا أَبَا لَكَ وَعِلْمِي أَنِّي أَمْرٌ سَامُوْتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلْ"^(٣)
وكان للفخر والمفاخرة نصيبٌ فيما نقله ابن حمدون من أشعار عنتره، فقال: "وقال عنتره:

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عِبْسٍ مُنْصَبًا شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمُنْصُلِ
وَإِذَا الْكَتِيْبَةُ أَحْجَمْتُ وَتَلَاخَقْتُ أَلْفِيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمِّ مُخَوِّلٍ"^(٤)

وبعض الشواهد جاءت في النعت، كوصف عنتره لطائر بأسلوب بديع، وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهدان في الجزء الثاني، وشاهد واحد في كل من الأجزاء الثالث والخامس والثامن^(٥)، فبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لعنتره ثمانية عشر (١٨) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي دون أي تغيير.

(١) داحس والغبراء: اسما فرسين لقيس بن زهير بن جذيمة العبسي، وكانت الحرب بسببهما بين عبس وذبيان أربعين سنة. ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٧٩.

(٢) الجاحظ: الحيوان، ج٧، ص٤٧٢. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج١، ص٢٤٣. الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص٢٤٤.

(٣) عنتره بن شداد (عنتره بن شداد بن عمرو ت ٦٠٠م): ديوان عنتره بن شداد، تح محمد مولوي، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٢٥١. التذكرة، ج٢، ص٤٣٨.

(٤) عنتره بن شداد: ديوان عنتره، ص٢٤٨. التذكرة، ج٣، ص٤٠٤.

(٥) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عنتره	التذكرة
ص٢٦٤	ج٢، ص٤٣٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص٢٦٢	ج٥، ص٢٨٨ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص١١٨ من معلقته المشهورة	ج٨، ص٣٤٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

٧. علقمة الفحل ت نحو ٦٠٢م

علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، سُمي بذلك لأنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فحكمت بأن علقمة أشعر من امرئ القيس، وكان لعلقمة أخ يقال له شأس بن عبدة، أسره الحارث بن أبي شمر الغساني مع سبعين رجلاً من بني تميم، فأتاه علقمة ومدحه بقصيدة مطلعها:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْجِسَانِ طُرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ
فَأُطْلِقَ سِرَاحَهُ، وَقَدْ عَاصَرَ كِبَارَ الشُّعْرَاءِ كَالنَّابِغَةِ وَعَمَرُو بَنَ كَلْثُومٍ وَسَوَاهِمُ^(١).

أخذ ابن حمدون من شعر علقمة الفحل ثلاثة (٣) شواهد شعرية، إحداها في باب التقرير والتوبيخ: "قال علقمة بن عبدة:

ومولَى كمولَى الزُّبُرْقَانِ دَمَلْتُهُ كَمَا دُمِلَتْ سَاقٌ تُهَاضُ بِهَا وَقُرُ
إِذَا مَا أَحَالَتُ وَالْجِبَائِرُ فَوْقَهَا إِلَى الْحَوْلِ لَا يَرُوءُ جَمِيلٌ وَلَا كَسْرُ"^(٢)
وقد وردت جميع هذه الشواهد في الجزء الخامس^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لعلقمة ثمانية (٨) أبيات شعرية.

٨. النابغة الذبياني ت ٦٠٤م

من الأسماء اللامعة التي نبغت في حقبة ما قبل الإسلام، واقتبس منها ابن حمدون أشعار تذكرته النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمانة، من شعراء الطبقة الأولى، أصله من الحجاز، وكانت تُضربُ له قبة من جلد أحمر يسوق عكاظ فيقصده الشعراء وتُعَرَضُ عليه أشعارهم، وكان الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء ممن يُعَرَضُ شعرهم على

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢١٢. الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ٢٠٥. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ١٩٨.

(٢) علقمة الفحل (علقمة بن عبدة ت ٦٠٢م): ديوان علقمة الفحل، تح أ حمد صقر، المكتبة المحمودية، القاهرة،

ط ١، ١٩٣٥م، ص ٤٧. التذكرة، ج ٥، ص ٢١٢.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان علقمة	التذكرة
ص ٤٧	ج ٥، ص ٢١٢ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٦٥	ج ٥، ص ٢٩٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١١	ج ٥، ص ٣٠٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

النابعة، وكان محظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شَبَّبَ في قصيدة له بالمتجردة^(١) (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابعة ووفد على الغساسنة بالشام، وغاب زمناً، ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه، وقيل فيه: "... إن النابعة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجلهم بيتاً، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتكك، وهلك قبل أن يهتر"^(٢).

اقتبس ابن حمدون من شعر النابعة ثمانية عشر (١٨) شاهداً شعرياً، جاء موضوع هذه الشواهد متنوعاً، بعضها في الأوصاف والنعوت، والبعض الآخر في الشكر والاعتذار والاستعطاف، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "وكان النابعة مُجيداً في الاعتذار حتى قيل أنه أشعر الناس إذا رهب، ومشهورة قصائده متضمنة الاعتذار إلى النعمان بن المنذر فمن ذلك قوله:

أُنْبِتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أُوْعِدَنِي	وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُه جَجَجاً	وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ	إِذْ نَافِلَا رَفَعْتُ سَوَاطِي إِلَى يَدَيَّ" ^(٣)

ثم يتابع ابن حمدون بذكر ثلاث قصائد للنابعة حول الموضوع نفسه، وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والثامن، وسبعة شواهد في كل من الجزئين الرابع والخامس،

(١) من الأبيات التي قالها النابعة في زوجة النعمان:

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مُعْتَدِي	عَجَلَانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مُرَوِّدِ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدَاً	وَبِذَاكَ تَتَعَابُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ
لَا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ	إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحِبَّةِ فِي غَدِ
أَزَفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا	لَمَّا تَزُلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

الدينوري: الشعر والشعراء، ج١، ص ١٥٦ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج١، ص ١٥٦ . الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص ٥ . النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص ٦٢ .

(٣) النابعة الذبياني: ديوان النابعة، ص ٢٦ . التذكرة، ج٤، ص ١٠٦ .

وشاهدان في الجزء السابع^(١)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للنابغة واحداً وسبعين (٧١) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي.

٩. زهير بن أبي سلمى ت ٦٠٩م

واستمر ابن حمدون في اعتماده على كبار الشعراء، ومن أبرزهم، زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في حقبة ما قبل الإسلام، وفي أئمة الأدب من يفضلته على شعراء العرب كافة، انتمى إلى أسرة معظمها شعراء، ولد في بلاد مَرْيَنة (بنواحي المدينة المنورة)، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، وقيل: "كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى (الحواليات) وأشهر شعره معلقته التي مطلعها:

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ فَالْمُنْتَلَمِ^(٢)

اقتبس ابن حمدون من شعر زهير خمسة وعشرين (٢٥) شاهداً شعرياً، ومن الأبيات التي استقاها ابن حمدون من شعر زهير، والتي تناولت حسن السيادة، قال ابن حمدون: "وقال زهير بن أبي سلمى:

وذي نعمةٍ تَمَمْتُهَا وشكرْتُهَا وخصمٍ يكادُ يغلبُ الحقَّ باطلُهُ
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ عَنِ الْقَوْلِ صَائِبٍ إِذَا مَا أَضَلَّ الْقَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ"^(٣)

(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان النابغة	التذكرة
ص ١٦٣	ج ٤، ص ٣٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٦	ج ٤، ص ١٠٦ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٣٢	ج ٤، ص ١٠٧ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٧٢	ج ٤، ص ١٠٨ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٦٥	ج ٥، ص ٢٧١ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٤٣	ج ٥، ص ٢٨٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٩٣	ج ٥، ص ٣٠٣ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ٩٤	ج ٥، ص ٣١٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٧٨. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٣٧. المرزباني: الموشح، ص ٤٧.

(٣) زهير بن أبي سلمى (زهير بن ربعة بن رياح ت ٦٠٩م): ديوان زهير، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٩٢. التذكرة، ج ٢، ص ١٢٢.

وأورد ابن حمدون كثيراً من المدائح التي قالها زهير، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "أنشد عمر بن الخطاب d قول زهير بن أبي سلمى المزمي في هرم بن سنان بن أبي حارثة:

دَعْ ذا وعدَّ القولَ في هرمٍ خير الكهولِ وسيدَ الحَضَرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بشرٍ كنتَ المنوَّرَ ليلةَ البَدْرِ
ولأنتَ أوصلُ مَنْ سمعتُ به لشوابكِ الأرحامِ والصَّهرِ" (١)

غير أن هذه الأبيات وردت بترتيب مختلف في ديوان زهير، وجاءت الشواهد موزعة في التذكرة على النحو الآتي: شاهدان في الجزء الثاني، وعشرة شواهد في الجزء الرابع، وثمانية شواهد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء الثامن، وشاهد واحد في كل من الجزئين السابع والتاسع^(٢)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لزهير بن أبي سلمى تسعة وثمانين (٨٩) بيتاً شعرياً.

١٠. قيس بن الخطيم ت ٦٢٠م

قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدها قبل الإسلام، أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلها، وقد قال في ذلك شعراً، وله في وقعة "بعث" (٣) التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، وأدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه، قال فيه المرزباني: "شاعر مجيد فحل ومن الناس من يفضلُه على حسان شعراً"^(٤)، وقال حسان: إنا إذا نافرنا العرب فأردنا أن نخرج الحبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم^(٥).

ومن المؤكد أن ابن حمدون اقتبس من شعر قيس ستة عشر (١٦) شاهداً شعرياً، وكان فيها للباس والشجاعة نصيباً وافراً، باعتباره أحد رجال العرب الأشداء: "وقال قيس بن الخطيم الأوسي:

(١) أورد ابن حمدون ستة أبيات من هذه القصيدة . زهير: ديوان زهير، ص ٩١ . التذكرة، ج ٤، ص ١٠.

(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان زهير	التذكرة
ص ٧٢	ج ٢، ص ٢١٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٧٧	ج ٤، ص ٣١ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٥١	ج ٥، ص ١٢٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٣) من المعارك المشهورة التي وقعت بين الأوس والخزرج، وقد كانت كلا القبيلتين تهدف للسيطرة السياسية والاقتصادية على شبه الجزيرة العربية، وكان النصر حليف الأوس في هذه الموقعة التي حدثت قبل الهجرة بخمس سنوات. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٠١. برو (توفيق): تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٢٠٧.

(٤) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٢١.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ٣. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٥، ص ٤١٧.

وكنْتُ امرءاً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً أُسْبُ بها إلا كشفتُ غطاءها
وإني في الحربِ العَوَانِ مُوَكَّلٌ بإقدامِ نفسي ما أريدُ بقاءها^(١)

كما استقى ابن حمدون من شعر قيس شواهد لإغناء الباب المخصص للأسفار والاعترا، على سبيل المثال: "قال قيس بن الخطيم:

ولم أرَ كامرءَ يدنو لضيِّمٍ له في الأرضِ سيرٌ والتواءُ
وما بعضُ الإقامة في ديارٍ يُهان بها الفتى إلا عناءً^(٢)

وتوزعت هذه الشواهد في التذكرة التسلسل التالي: شاهد واحد في كل من الأجزاء الأول والثالث والسادس، وأربعة شواهد في الجزء الرابع، وخمسة شواهد في الجزء الخامس وشاهدان في كل من الجزئين السابع والثامن^(٣)، وقد بلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لقيس بن الخطيم ستة وستين (٦٦) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي دون تغيير.

١١. أوس بن حجر ت ٦٢٠م

ومن شعراء بني تميم الذين اعتمد عليهم ابن حمدون، كان أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح، من كبار الشعراء، عُرف بغزله بين الشعراء، وفي نسبه اختلاف بعد أبيه حجر، وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة، عمّر طويلاً، وفي شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب، وقيل فيه: "أوس أشعر من زهير، إلا أن النابغة طأطأ منه"^(٤).

أخذ ابن حمدون من شعر أوس ثمانية (٨) شواهد شعرية، وقد تنوعت موضوعات هذه الأبيات، فمنها ما جاء في المشورة والرأي، كالاتي: "قال أوس بن حجر:

(١) قيس بن الخطيم (قيس بن الخطيم بن عدي ت ٦٢٠م): ديوان قيس بن الخطيم، تح ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، دت، ص ٤٩. التذكرة، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٢) قيس بن الخطيم: ديوان قيس، ص ١٥٣. التذكرة، ج ٨، ص ١١٨.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان قيس بن الخطيم	التذكرة
ص ١٢٨	ج ١، ص ٢٤٨ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٦٤	ج ٢، ص ٢٢١ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية
ص ٨٧	ج ٢، ص ٤٤٨ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٠٥	ج ٥، ص ٣٠٨ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية

(٤) ابن سلام (محمد بن سلام بن عبيد الله ت ٢٣٢هـ/٨٤٧م): طبقات فحول الشعراء، تح محمود شاكر، دار المدني، جدة، دت، ج ١، ص ٩٧. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٩٨. الأصفهاني: الأغاني، ج ١١، ص ٧٣.

الألمعي الذي يظنُّ لك الظـ
نَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعا" (١)
ومما ورد في باب الوعيد والتحذير، أورد نقلاً عن أوس قائلاً:

رأيت بُريداً يَدْرِينِي بعِينِهِ
تَشَاوَسَ رويداً إِنْنِي مَنْ تَأَمَّلُ" (٢)
وتركز تدوين هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهدان في كل من الجزئين الثالث والرابع، وأربعة شواهد في الجزء الخامس (٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لأوس أربعين (٤٠) بيتاً شعرياً.

١٢. الأعشى ت ٥٧/٦٢٩م

ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في حقبة ما قبل الإسلام، وأحد أصحاب المعلقات، لقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة، وكان كثيراً ما يقصد ملوك العرب والفرس، غزير الشعر يُعَنَّي بشعره، فسمي (صناجة العرب)، وعاش عمراً طويلاً، أدرك الإسلام ولم يسلم (٤).

ارتكز ابن حمدون على عشرين (٢٠) شاهداً، وجاءت معظم أبياتها في الباب الرابع والأربعون الموسوم بـ "ما جاء في الخمر والمعاقرة" قائلاً: "كان الأعشى ميمون بن قيس مشهوراً بتعاطي الخمر، مشغولاً بها، كثير الذكر لها في شعره، حتى لعله لا يخلي قصيدة من الافتخار بسبائنها... فمن شعره فيها:

- (١) أوس بن حجر (أوس بن حجر بن مالك ت ٦٢٠م): ديوان أوس، تح محمد نجم، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٣. التذكرة، ج ٣، ص ٣٠٥.
- (٢) أوس بن حجر: ديوان أوس، ص ٨٨. التذكرة، ج ٥، ص ٢٢٩.
- (٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أوس	التذكرة
ص ١٢٠	ج ٣، ص ٣٩٨ ورد في هذه الصفحة ١٠ أبيات شعرية
ص ٥٣	ج ٤، ص ١٩٦ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٩٢	ج ٤، ص ٣٦٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٩١	ج ٥، ص ٧١ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٣٨	ج ٥، ص ١٠٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٤٣	ج ٥، ص ٢٧١ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

(٤) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص ٤٨. الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ١٢٧. الثعالبي: لباب الآداب، ص ١٢٩.

وصهباء صِرْفِ كَلُونِ الْفُصُو
صِ بَاكَرْتُ فِي الصُّبْحِ سَوَارَهَا
فَطَوَّرًا تَمِيلُ بَنَا مَرَّةً
وَطَوَّرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا
تَدْبُّ لَهَا فَنَرَّةً فِي الْعِظَامِ
وَتُعْشِي الذَّوَابَةَ فَوَارَهَا^(١)
ونقل عنه في البأس والشجاعة: "وقال أعشى:

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيئَةً مَلُومَةً
يَخْشَى الْكِمَاءُ الدَّارِعُونَ نِزَالَهَا
كَنتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةً
بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أَبْطَالَهَا"^(٢)

وتفرقت شواهد الشعر التي اقتبسها في أبواب التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الأجزاء الأول والثاني والثالث، وشاهدان في الجزء الرابع، وأربعة في الجزء الخامس، وثلاثة في الجزء السابع، وثمانية في الجزء الثامن^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للأعشى تسعة وثمانين (٨٩) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي دون أي تغيير.

١٣. مزرد ت نحو ١٠ هـ/٦٣١م

كان من أهم ما ميز التذكرة الحمدونية أنها حوت أشعاراً لشعراء مغمورين وغير معروفين، فكان منهم مزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، فارس وشاعر مخضرم، أدرك الإسلام في كِبَرِهِ وأسلم، ويقال: اسمه (يزيد) غلب عليه لقبه (مزرد)، وهو الأخ الأكبر للشماخ، كان هجاءً قبل الإسلام، ولم تحفل المصادر التاريخية بمعلومات وافرة عنه، فاختلط الأمر عند المؤرخين بين أخباره وأخبار أخيه الشماخ، ولقد كان مزرد خبيث اللسان، حتى أنه حلف ألا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا يتنكب بيته إلا هجاه^(٤).

(١) الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل ت ٧ هـ/٦٢٩م): ديوان الأعشى، تح محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، د.ت، ص ١٦٢. التذكرة، ج ٨، ص ٣٥٦.

(٢) الأعشى: ديوان الأعشى، ص ٢٧. التذكرة، ج ٢، ص ٤١٩.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان الأعشى	التذكرة
ص ١٠٣	ج ١، ص ١٦٧
ص ٢٦١	ج ٢، ص ١٣٥
ص ٢١٤	ج ٨، ص ٣٥٧
ص ١٦٢-١٦٣	ج ٨، ص ٣٥٨

(٤) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٩٥. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ٢٥٠.

اقتبس ابن حمدون من شعر مزرد ستة (٦) شواهد شعرية، تراوحت بين وصف مزرد للخيل، وبين وصفه للرمح، ففي وصف الأول، قال: "وقال مزرد بن ضرار أخو الشماخ:

وعندي إذا الحربُ العوانُ تَلَقَّحَتْ
أجشُ صريحِي كَأَنَّ صَهْبَهُ
وأبدتُ هودبها الخطوبُ الزلازلُ
مزاميرُ شَرَبٍ جَاوَيْتَهَا جَلْجَلُ" (١)
كما اجاد في وصف الرمح بقوله: "وقال مزرد بن ضرار أخو الشماخ يصف الرمح:

ومطرِدٍ لَدُنِ الكعوبِ كَأَنَّ
أصمَّ إذا ما هُزَّ مارتِ سَرَاتُهُ
تَعَشَّاهُ مُنْبَاعٌ مِنَ الزَيْتِ سَائِلُ
كما مار ثعبانُ الرمالِ الموائِلُ
له قَارِطٌ ماضِي الغرارِ كأنه
هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناعِلُ" (٢)

وجاءت هذه الشواهد في أربعة أجزاء من التذكرة، شاهد واحد في كل من الأجزاء الثاني والسادس والتاسع، وثلاثة شواهد في الجزء الخامس^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لمزرد عشرين (٢٠) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي.

١٤. الشماخ ت ٢٢٢/هـ ٦٤٣م

ومن شعراء التذكرة الحمدونية الذين جمعوا بين البلاغة والبأس والشجاعة، كان الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم، وهو من الطبقة الثالثة مع لبيد

(١) مزرد (يزيد بن ضرار ت ١٠/هـ ٦٣٢م): ديوان مزرد، تح خليل العطية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م، ص ٣٥.

التذكرة، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٢) مزرد: ديوان مزرد، ص ٤٦. التذكرة، ج ٥، ص ٣٧٥.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان مزرد	التذكرة
ص ٣٥	ج ٢، ص ٤٧٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٣٥	ج ٥، ص ٢٤٣ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٤٣	ج ٥، ص ٣٧٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٣٣	ج ٦، ص ٢١ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٧٩	ج ٩، ص ١٠٥ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

والنابغة، كان أُرْجَز الناس على البديهة، شهد القادسية^(١)، وشارك في غزو أنربيجان، وتوفي في غزوة موقان^(٢)، وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ^(٣).

اقتبس ابن حمدون من شعر الشماخ ثلاثة عشر (١٣) شاهداً شعرياً، وردت بعض هذه الشواهد ضمن سردٍ لقصة أو حادثة أوردتها ابن حمدون ونقلها من مصادر أدبية وتاريخية أخرى، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "استعدت بنو بهز من سليم عثمان بن عفان رحمه الله على الشماخ ابن ضرار، وادّعوا عليه أنه هجاهم، وساموه اليمين، فتلكأ عليهم ليحرّضهم عليها وليرضوا بها، فلما رضوا باليمين قال من أبيات:

يقولون لي احلف ولست بحالفٍ أخادِعُهُمْ عنها لكيما أنالها
ففرجتُ غمَّ الموتِ عني بحلفةٍ كما شَقَّتِ الشقراءِ عنها جلالها"^(٤)

لقد استقى ابن حمدون هذه الرواية من كتاب الحماسة للبحري، أما فيما يخص الشواهد الشعرية، فقد توزعت في أجزاء التذكرة على النحو الآتي: شاهدان في كل من الجزئين الثاني والرابع، وشاهد واحد في كل من الأجزاء الثالث والسادس والسابع، وستة شواهد في الجزء الخامس^(٥)، وقد بلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للشماخ تسعة وعشرين (٢٩) بيتاً شعرياً.

(١) القادسية: من أشهر المعارك الفاصلة التي قادها العرب المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص، وشارك فيها كبار الصحابة القادة، وتمكنوا خلالها من الانتصار على الفرس وقتل قائدهم رستم سنة ١٥هـ/٦٣٦م. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٥٧٢. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٨٤.

(٢) موقان: بلدة صغيرة تقع في أنربيجان، وكانت هذه الغزوة سنة ٢٢هـ/٦٤٣م في زمن الخليفة عثمان بن عفان، حيث فتحت على يد بكير بن عبد الله . البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٣١٧. ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤١١.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج٩، ص ١٨٤. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ١٧٧. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٣، ص ٢٨٥.

(٤) الشماخ (الشماخ بن ضرار بن حرملة ت ٢٢هـ/٦٤٣م): ديوان الشماخ، تح صلاح الهادي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٩٢. التذكرة، ج٣، ص ٨٢.

(٥) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر :

ديوان الشماخ	التذكرة
ص ٣٣٥	ج٢، ص ٢٦ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٢١	ج٢، ص ٣٣٩ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٢٩٢	ج٣، ص ٨٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢١٥	ج٥، ص ١٩١ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

١٥. الخنساء ت ٢٤هـ/٦٤٥م

تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُّلمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر، أشهر شاعرات العرب بل أشهرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في حقبة ما قبل الإسلام، وأدركت الإسلام فأسلمت، وفدت على رسول الله S مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشد بها ويعجبه شعرها، وأكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قُتلا قبل الإسلام، وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٥هـ/٦٣٦م فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً^(١).

استقى ابن حمدون خمسة (٥) شواهد شعرية من شعر الخنساء، وكما هو معروف بأن الخنساء اشتهرت بالمراثي، وتأكد ذلك عندما جاءت معظم الأبيات في باب "المراثي والتعازي" وخصوصاً لأخويها معاوية وصخر، ويُقتطف ما ذكره ابن حمدون في هذا الصدد ما يلي:

قال ابن حمدون: "وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عيني لقد أضحتني دهرًا طويلا
دفعْتُ بكَ الجليلَ وأنتَ حيٌّ فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلا
إذا قَبَحَ البكاءُ على قَتيلٍ رأيتُ بكاءك الحَسَنَ الجميلا"^(٢)

وقد توزعت الشواهد الشعرية في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثاني والخامس، وثلاثة شواهد في الجزء الرابع^(٣)، وبلغ عدد الأبيات التي وردت في التذكرة للخنساء سبعة عشر (١٧) بيتاً شعرياً، نقلها ابن حمدون بشكل حرفي.

^(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٣٠. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٩٨. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٢٤٠.

^(٢) الخنساء (تماضر بنت عمرو ت ٢٤هـ/٦٤٥م): ديوان الخنساء، تح لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٥م، ص ٢٢٥. التذكرة، ج ٤، ص ١٩٩.

^(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الخنساء	التذكرة
ص ١٥٠	ج ٢، ص ٦٦ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٢٥	ج ٤، ص ١٩٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٣٠	ج ٤، ص ٢٠٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٣٣	ج ٤، ص ٢٠٨ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٠٦	ج ٥، ص ٤٠٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

١٦. حميد بن ثور ت نحو ٣٠هـ/٦٥١م

حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى، شاعر مخضرم، عاش زمنًا في حقبة ما قبل الإسلام، أسلم ووفد على النبي S ومات في خلافة عثمان، وعدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من الشعراء المسلمين، وهو من الشعراء الذين أبدعوا في الوصف والتشبيه^(١).

لم تكن الاقتباسات من شعر حميد بن ثور كثيرة، فبلغت خمسة (٥) شواهد شعرية، وتتنوع موضوعاتها، فمنها ما جاء في وصف السباع قائلاً: "قال حميد بن ثور:

ترى طَرْفِيهِ يَعْسِلَانِ كِلَاهُمَا كما اهْتَرَّ عَوْدُ السَّاسِمِ الْمُتَنَابُعِ
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الأعادي فهو يقظانٌ هاجعٌ"^(٢)
ومنها ما جاء في باب الشيب، قال ابن حمدون: "قال حميد بن ثور:

أرى بصري قد رايني بعد صِحَّةٍ وحسبك داء أن تصحَّ وتسلما"^(٣)

واقصر ورود هذه الشواهد الشعرية في التذكرة على الشكل الآتي: شاهد واحد في الجزء الرابع، وشاهدان في كل من الجزئين الخامس والسادس^(٤)، وبالتالي بلغ عدد الأبيات الشعرية الواردة في التذكرة لحميد بن ثور عشرة (١٠) أبيات شعرية فقط .

١٧. ابن مُقبل ت ٣٧هـ/٦٥٨م

تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب، من الشعراء المخضرمين في حقبة ما قبل الإسلام والإسلام، عُرفَ ببيكائه الكثير على الأطلال، عاش قريباً من مئة وعشرين سنة، وله مرثٍ كثيرة في الخليفة الراشي عثمان بن عفان d قال فيه:

لبيك بنو عثمان ما دام جَدْمُهُم عليه بأسيافٍ تُعَرَّى وتخشبُ

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٨٣. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٢٢. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) حميد بن ثور (حميد بن ثور بن حزن ت ٣٠هـ/٦٥١م): ديوان حميد، تح عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٠٤. التذكرة، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٣) حميد بن ثور: ديوان حميد، ص ٧. التذكرة، ج ٦، ص ١٠.

(٤) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان حميد	التذكرة
ص ١٠٣	ج ٤، ص ٢٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٨٦	ج ٥، ص ٣٣٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٢٠	ج ٦، ص ١١٧ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

له قصة مشهورة مع الخليفة عمر بن الخطاب d حين استعداه على الشاعر النجاشي، لأنهما كانا يتهاجيان، وكل منها يفخر على الآخر بقييلته، لم تذكر المصادر تاريخ وفاته بدقة، ولكن في ديوان شعره ذكر لموقعة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٨م^(١)، ويُستدل من ذلك على أنه عاش حتى وقوع هذه المعركة.

وعلى الرغم من أهمية ما شهدته ابن مقبل من أحداث سياسية وعسكرية، فإن ابن حمدون لم يعتمد عليه إلا بستة (٦) شواهد شعرية، تناوبت ما بين فخر ومفاخرة إلى مدح لبأس قبيلته وشجاعتهم، وصولاً إلى الحب والهوى ووصف محبوبته، فمثلاً، قال ابن حمدون في باب الأوصاف والنعوت: "وقال تميم بن أبي بن مقبل يصف الكتيبة:

وشهباء ينبو الليلُ عنها كأنها
لها كل كلٍّ أعياء على كلِّ غامزٍ
صفاً زلَّ عن أركانها المتزحلفُ
به زورٌ بادٍ من العزِّ أجنفُ"^(٢)

وجاءت هذه الشواهد مبنوثة في أجزاء التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في الجزء الثالث، وثلاثة شواهد في الجزء الخامس، وشاهدان في الجزء السادس^(٣)، وبلغ عدد أبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لابن مقبل ثمانية وعشرين (٢٨) بيتاً شعرياً.

١٨. لبيد بن ربيعة ت ٤١هـ/٦٦٢م

لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف قبل الإسلام، كان من أهل نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي S ويُعدُّ من الصحابة

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤٤٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٩، ص ٤٦٧. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج ١، ص ٤٩٦.

(٢) ابن مقبل: تميم بن أبي بن مقبل ت ٣٧هـ/٦٥٨م: ديوان تميم، تح عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٩١. التذكرة، ج ٥، ص ٣٦٩.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن مقبل	التذكرة
ص ٢٤٢	ج ٣، ص ٣٩٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢١	ج ٥، ص ٢٧٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٨	ج ٥، ص ٤٢٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٣٢٥	ج ٦، ص ١١٧ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية
ص ٤٨	ج ٦، ص ١٣٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

ومن المؤلفة قلوبهم^(١)، ترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً هو:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنْفَسَهُ وَالْمَرْءَ يَصْلُحُهُ الْقَرِينُ الصَّالِحُ
وَسَكَنَ الْكُوفَةَ، وَعَاشَ عَمراً طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات، وكان كريماً، نذر أن لا تهب
الصباب^(٢) إلا نحر وأطعم^(٣).

واقْتَبَسَ من شعر لبيد خمسة (٥) شواهد شعرية فقط، جاء ثلاثة منها رثاءً في أخيه الذي مات
إثر صاعقة ضربته، بينما كانت بقية الشواهد ذماً بالشيب والفجعة بحلولة، فمثلاً، قال ابن حمدون:
"وقال لبيد بن ربيعة يرثي أخاه أريد وأحرقته صاعقة:

أَخْشَى عَلَى أَرِيدَ الْحَتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَجَعَنِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْ- فَارِسَ يَوْمَ الْكُرْبَةِ النَجْدِ
يَا عَيْنُ هَلَّا بِكَيْتٍ أَرِيدَ إِذْ قَمْنَا وَقَامَ الْعَدُوُّ فِي كَبْدِ
مَا إِنْ تُعْرِئِ الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدٍ مَشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ"^(٤)

وجدير بالذكر أن ابن حمدون كان يختار بعض الأبيات ويوردها في متن التذكرة، وأحياناً كان
يظهر اختلافاً في بعض الكلمات، فمثلاً، ورد في شعر لبيد فجعني البرق والرعد، بينما أورد ابن
حمدون الصواعق بدلاً من الرعد، وظهر الاختلاف في البيت الثالث، عندما ورد في الديوان قما وقام
الخصوم، بينما ذكر ابن حمدون العدو بدلاً الخصوم دون تغيير في المعنى.

(١) المؤلفة قلوبهم: أي المستمالة قلوبهم بالمودة والإحسان لأنهم دخلوا في الإسلام من غير أن يرسخ الإيمان في قرارة
نفوسهم وقد كان لهم تأثير في مجتمعهم بسبب مكانتهم الاجتماعية. أبو جيب (سعدى): القاموس الفقهي لغة
واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٢١.

(٢) هي الرياح التي تهب من الشرق إلى الغرب ومعروفة بأنها طيبة النسيم، وكانت موضوعاً محبوباً يتغنّى به شعراء
العرب. مهران (محمد): دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دت، ص ١٠٥.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٥، ص ٣٥٠. ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٣٥. الصفدي: الوافي بالوفيات،
ج ٢٤، ص ٢٩٩.

(٤) لبيد بن ربيعة (لبيد بن ربيعة بن مالك ت ٦٦٢هـ/١٢٦٢م): ديوان لبيد، تح إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت،
١٩٦٢م، ص ١٥٨. التذكرة، ج ٤، ص ٢٥٠.

وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: ثلاثة شواهد في الجزء الرابع، وشاهدان في الجزء السادس^(١)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للبيد أحد عشر (١١) بيتاً شعرياً.

١٩. الحطيئة ت نحو ٤٥٠هـ/٦٦٦م

ضمّت التذكرة بين سطورها الكثير من الأشعار لكبار الشعراء، استقاها ابن حمدون ودونها في أبواب تذكرته لتفيد موضوع الباب الذي يذكره، كان في مقدمتهم، جرول بن أوس بن مالك العبسي، من بني عبس، أبو ملكية، لقّب بالحطيئة لقصر في قامته وقربه من الأرض، كان شاعراً مخضرمًا، أدرك حقبة ما قبل الإسلام والإسلام، كان هجاءً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، حتى أنّه هجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر الذي شكاه إلى عمر بن الخطاب ، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، وقال فيه المؤرخون: " وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحاءهم، متصرف في جميع فنون الشعر، من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع، وكان ذا شرٍ وسفه، ونسبه متدافع بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين"^(٢).

ومع اسم الحطيئة اللامع، لم يقتبس ابن حمدون من شعره إلا أربعة عشر (١٤) شاهداً شعرياً، وقد تنوعت الأغراض الشعرية لهذه الشواهد، فمنها ما جاء في البأس والشجاعة والشكر والثناء، ومنها ما جاء في العتاب والهجاء والذم، وقد أورد ابن حمدون بعضاً من أبيات الحطيئة ضمن رواية نقلها عن بعض المصادر الأدبية كالأغاني للأصفهاني والبيان والتبيين للجاحظ، فعلى سبيل المثال، دوّن أشعاراً للحطيئة في باب البأس والشجاعة مع إضافة تعليق خاص، قال ابن حمدون: "قال الحطيئة:

إذا همّ بالأعداء لم يثنِ همّة
كعابٍ عليها لؤلؤٌ وشُوفُ

(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان لبيد بن ربيعة	التذكرة
ص ١٦٧	ج ٤، ص ٢٣٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٥٤	ج ٤، ص ٢٥١ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٦٩	ج ٦، ص ١٤ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٧١	ج ٦، ص ٢٥ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

(٢) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ١٠٤. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ١٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٦.

ثم يعلّق ابن حمدون بأن الشاعر كثير عزّة قد مدح الخليفة عبد الملك مُعتمداً على الحطيئة، بقوله: "أخذ المعنى وبعض اللفظ كثير فقال لعبد الملك:

إذا ما أراد الغزو لم يثنِ همّه
حصانٌ عليها عقْدُ دُرٍّ يزِينها" (١)

وافتح ابن حمدون الباب الثالث والعشرون الموسوم "في الهجاء والمذمة، قائلاً: "قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه للحطيئة: ويلك لا تهج الناس، فقال: إذن أموت وأطفالي جوعاً، فاشترى منه عمر رضي الله عنه أعراض المسلمين فقال:

وأخذت أطرافَ الكلام فلم تَدْعُ
وحميتني عرضَ اللّثيم فلم يخفُ
شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ
ذمّي وأصبح آمناً لا يَفْزَعُ" (٢)

وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الأول والثاني، وأربعة شواهد في الجزء الرابع، وستة شواهد في الجزء الخامس، وشاهدان في الجزء التاسع (٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للحطيئة أربعين (٤٠) بيتاً شعرياً.

٢٠. حسان بن ثابت ت ٥٤هـ/٦٧٤م

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي S وأحد المخضرمين الذين أدركوها حقبة ما قبل الإسلام وبعده، عاش ستين سنة قبل الإسلام ومثلها بعده، وقد أجمعت المصادر التاريخية على أنه من المعمرين.

كان حسان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعُمي قبيل وفاته، لم يشهد مع النبي S غزوة لعله أصابته ويُقال لجبنه، وكانت له ناصية يسد لها بين عينيه، قيل فيه: "فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام"، وكان شديد الهجاء، فحل الشعر، وقال المؤرخون: "أعرق

(١) الحطيئة (جرول بن أوس بن مالك ت ٤٥هـ/٦٦٦م): ديوان الحطيئة، تح نعمان طه، مكتبة الخانجي، القاهرة،

ط ١، ١٩٨٧م، ص ٢٥٦. التذكرة، ج ٢، ص ٤٤٠.

(٢) الحطيئة: ديوان الحطيئة، ص ٢١٠. التذكرة، ج ٥، ص ٩٢.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الحطيئة	التذكرة
ص ٣٩٤	ج ٤، ص ١٥ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٦٦	ج ٤، ص ٩٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٨٣	ج ٥، ص ٣٢ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢١٠	ج ٥، ص ٩٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنَّهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام"، وتوفي في المدينة سنة ٥٤هـ/٦٧٤م^(١).

اقتبس ابن حمدون من شعر حسان بن ثابت ثمانية (٨) شواهد شعرية، ركز مضمونها على الشرف والسيادة، فاستعرض ابن حمدون بيتان لحسان قائلاً: "وقال حسان بن ثابت:

أصونُ عرضي بمالي لا أدنسُهُ
لا باركَ الله بعد العِرضِ في المالِ
أحتالُ للمالِ إنْ أودى فأكسبه
ولستُ للعرضِ إنْ أودى بمحتالٍ"^(٢)
وذكر بيتان شعريان لحسان في الباب المخصص للغزل لم يردا في ديوانه بقوله: "وقال حسان بن ثابت:

كأنَّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ
إذا ذكرتِ النفسُ شَدَّتْ به قَبْضًا
كأنَّ فجاجَ الأرضِ حلقةُ خاتمٍ
عليَّ فما تزدادُ طولاً ولا عرضاً"^(٣)
وبذلك ساهم ابن حمدون في حفظ بعض الأشعار التي لم ترد في دواوين أصحابها من الضياع، باعتباره نقلها من مصادر أصبحت مفقودة عندما جمعت الأشعار في الدواوين.

وجاءت الشواهد الشعرية موزعة في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الأجزاء الثالث والخامس والسادس والتاسع، وشاهدان في كل من الجزئين الثاني والثامن^(٤)، وأما أغراض هذه

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٤٧. ابن حبان: الثقات، ج٣، ص٧١. أبو نعيم الأصفهاني: معرفة الصحابة، ج٢، ص٨٥٤. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٢، ص٦.

(٢) حسان بن ثابت (حسان بن ثابت بن المنذر ت ٥٤هـ/٦٧٤م): ديوان حسان، تح وليد عرفات، معهد الدراسات الشرقية، لندن، د.ت، ص٣١٤. التذكرة، ج٢، ص٩٨.

(٣) التذكرة، ج٦، ص٥٩.

(٤) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان حسان بن ثابت	التذكرة
ص٣١٤	ج٢، ص٩٨ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص٣٦٩	ج٢، ص٤٣٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص١٣٥	ج٣، ص٢٥ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص٢٥	ج٥، ص٣٩٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
لم يردا في الديوان	ج٦، ص٥٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص١٧	ج٨، ص٣٤٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص٢٧٩	ج٨، ص٣٦٠ ورد في هذه الصفحة ١٠ أبيات شعرية
ص٥١٩	ج٩، ص١٨٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

الشواهد وفي موضع واحد أورد ابن حمدون قصيدة كانت ضمن قصة طويلة عن ما حدث بين حسان والقينة التي كانت تغني شعره، نقلها عن كتاب الأغاني للأصفهاني، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لحسان بن ثابت اثنين وعشرين (٢٢) بيتاً شعرياً.

٢١. قيس بن الملوّح ت ٦٨٨/هـ ٦٨٨م

كان لشعراء الغزل والحب نصيبٌ وافٍ من التذكرة، حيث ضُمَّتْ أبياتاً لشعراء اشتهروا بهذا اللون الأدبي، وكان من أبرزهم قيس بن الملوّح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة العامري، المعروف بمجنون ليلى، من بني صعصعة، شاعر غزل، من المتيّمين، وهو من أهل نجد، لم يكن مجنوناً وإنما لُقّب بذلك لهيامه في حب "ليلى بنت سعد" التي رفض أبوها أن يزوجه إياها، فهم على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وُجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحُمِلَ إلى أهله، وقد فاضت كتب الأدب والتاريخ بقصته مع ليلى وأشعاره فيها، حتى أن المصادر لم تذكر أي جانب من حياته إلا حُبّه ليلي^(١).

اقتبس ابن حمدون من شعر قيس بن الملوّح ستة (٦) شواهد شعرية، متضمنةً اثنين وثلاثين (٣٢) بيتاً شعرياً، ومن الطبيعي أن تأتي جميع هذه الشواهد في الغزل والحب، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "ويروى للمجنون:

وأحبسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةً	بذكراكِ والممشى إليكِ قريبُ
مخافةً أن يَسْعَى الوشاةُ بظُلَّةٍ	وأكرمكُم أن يستريبَ مريبُ
لقد جعلتُ نفسي وأنتِ اخترمتها	وكنْتَ أعزَّ الناسِ عنكَ تطيبُ
ولو شئتِ لم أغضبُ عليكِ ولم يزلْ	لك الدهرَ مني ما حييتِ نصيبُ
أما والذي يبلو السرائرَ كلَّها	ويعلمُ ما يبلو به ويغيبُ
لقد كنتِ ممّن تصطفي النفسُ خُلَّةً	لها دونَ خلانِ الصفاءِ حُوبُ" ^(٢)

وسأهم ابن حمدون في موضع واحد، بنقل أبيات نسبها لقيس لم تَرِد في ديوانه، قال ابن حمدون: "ويروى للمجنون:

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٥٥٢. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ٣. الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ٢٥٠.

(٢) مجنون ليلى (قيس بن الملوّح ت ٦٨٨/هـ ٦٨٨م): ديوان المجنون، تح عبد الستار فراج، دار مصر للطباعة،

القاهرة، د.ت، ص ٥١. التذكرة، ج ٦، ص ١٠٩.

شفيعي إليها قلبها إن تَعَبَّتْ
 وقلبي لها فيما تروم شفيعُ
 لقد ظفرتُ مني بسمعٍ وطاعةٍ
 وكلُّ محبٍّ سامعٌ ومطيعٌ^(١)
 وجاءت جميع الشواهد في الجزء السادس من التذكرة في باب الغزل والنسيب^(٢).

٢٢. أبو الأسود الدؤلي ت ٦٦٩هـ/٦٨٩م

ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، ومن التابعين، رسم له علي بن أبي طالب d شيئاً من أصول النحو حيث وضع له: الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف، ثم رفعه إليه وقال له: تمم على هذا، فكتب فيه أبو الأسود.

وقيل: وإنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود قال: "استأذنت علي بن أبي طالب d أن أضع نحو ما وضع، فسمي لذلك نحواً"، وأخذه عنه جماعة، سكن البصرة في خلافة عمر d، وولي إمارتها في أيام علي d، ولم يزل في الإمارة إلى أن استشهد علي d، وكان قد شهد معه صفين، وهو - في أكثر الأقوال - أول من نَقَطَ المصحف^(٣).

اقتبس ابن حمدون من شعر أبي الأسود أحد عشر (١١) شاهداً شعرياً، بلغ عدد أبياتها اثنين وثلاثين (٣٢) بيتاً شعرياً، جاءت في مواضيع شتى، فبعضها في المدح والكرم والحض على بذل المال لطالب الحاجة، والبعض الآخر نصائح في الولاية الصالحة على الرعية، وقد أورد ابن حمدون بعضاً من هذه الشواهد ضمن روايات نقلها من بعض الموارد، مثل ربيع الأبرار، فعلى سبيل المثال، قوله: "نظر المنذر بن أبي سبرة إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع فقال له: ما أصبرك على هذا القميص!! فقال: ربّ مملول لا يستطيع فراقه، فبعث إليه بتخت من ثياب، فقال أبو الأسود:

كساني ولم أَسْتَكْسِه فحمدته
 أخ لك يعطيك الجزيل وناصرُ

(١) التذكرة، ج ٦، ص ١٦٨.

(٢) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان مجنون ليلى	التذكرة
ص ٨٠	ج ٦، ص ٨٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٩٠	ج ٦، ص ١٠١ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ٥٢	ج ٦، ص ١٧٠ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٦٩	ج ٦، ص ١٨٦ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

(٣) الأمدي: المؤلف والمختلف، ص ١٩٥. الأصفهاني: الأغاني، ج ١٢، ص ٣٤٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٣٥.

وإنَّ أحقَّ الناسِ ان كنت شاكراً
بشكرك من أعطاك والعرضُ وافِرٌ" (١)
توزعت شواهد الدولي في تذكرة ابن حمدون كما يلي: شاهدان في كل من الأجزاء الثاني والرابع والسادس، وثلاثة شواهد في الجزء الثالث وشاهد واحد في الجزئين الخامس والثامن (٢).

٢٣. تأبط شراً ت نحو ٧٠٠/هـ ٨٠

ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر، شاعر عداء، من فتاك العرب في حقبة ما قبل الإسلام، كان من أهل تهامة، قيل: إنما سمي بذلك لأنه أخذ سيفاً تحت إبطه وخرج، فقيل لأمه أين هو؟ قالت: لا أدري تأبط شراً، وكان قد قُتل على يد غلام قد غادره بسهم ورماه بعد ذلك في بئر (٣).

وقد أخذ ابن حمدون من ديوان تأبط شراً خمس (٥) شواهد شعرية، منها على سبيل المثال، في محاسن الأخلاق ومساوئها، "قال تأبط شراً:

لكنما عولي إن كنتُ ذا عولٍ على بصيرٍ يكسبُ الحمدِ سباق
سباقٍ غاياتٍ مجدٍ في عشيرته مُرجعِ الصوتِ هدأً بين أرفاق
حمالِ ألويةٍ شهادٍ أنديةٍ هباطٍ أوديةٍ جوالٍ آفاق" (٤)

اختار ابن حمدون هذه الأبيات من قصيدة لتأبط شراً، مع اختلاف في البيت الثالث، حيث ورد الشطر الثاني في الديوان قولاً مُحَكَّمَةً جوابُ آفاق، وجاءت الشواهد في ثلاثة أجزاء فقط وهي: شاهدٌ

(١) أبو الأسود الدولي (ظالم بن عمرو بن سفيان ت ٦٩هـ/٦٨٩م): ديوان أبو الأسود، تح محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ١٦٦. التذكرة، ج ٢، ص ٢٨٦.
(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي الأسود الدولي	التذكرة
ص ١٧٩	ج ٢، ص ٣٠٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٧٧	ج ٣، ص ٣١٩ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية
ص ١٢٩	ج ٤، ص ٣٧٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٤٩	ج ٨، ص ١١٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٣) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص ٦١. الأصفهاني: الأغاني، ج ١٠، ص ١٣٨. ابن جني (عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، تح مروان عطية وشيخ الزايد، دار الهجرة، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٧.

(٤) تأبط شراً (ثابت بن جابر بن سفيان ت ٨٠هـ/٧٠٠م): ديوان تأبط شراً، تح علي شاكراً، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٣٥. التذكرة، ج ٢، ص ٢٢١.

واحدٌ في كل من الجزئين الأول والسابع، وثلاثة شواهد في الجزء الثاني^(١)، أما عدد الأبيات الشعرية فبلغ أربعة وعشرين (٢٤) بيتاً شعرياً.

٢٤. ليلي الأخيلية ت نحو ٨٠هـ/٧٠٠م

لم تقتصر التذكرة الحمدونية على ذكر شعراء العرب من الرجال فقط، بل ضمّت شاعرات أبدعن في قصائدهن، وفي مقدمتهن، ليلي بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب، الأخيلية من بني عامر بن صعصعة، شاعرة فصيحة ذكية جميلة، كانت من أشعر النساء لا يتقدم عليها إلا الخنساء، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير أحد عشاق العرب المشهورين، وكان يهواها ويقول فيها الشعر، فطلبها من أبيها، فأبى أن يزوجه إياها وزوجها لرجل من بني الأدلع، ولها قصص مشهورة مع معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف^(٢).

اقتبس ابن حمدون من شعر ليلي ثلاثة (٣) شواهد شعرية، جاء بعضها في الفخر والاعتزاز بقبيلتها، والبعض الآخر رثاء حبيبها توبة، فمثلاً: "وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحمير:

أقسمتُ أبكي بعد توبةً هالِكاً	وأحفلُ من دارتُ عليه الدوائرُ
لعمركُ ما بالموتِ عارٌ على امرئٍ	إذا لم تصبه في الحياةِ المعابرُ
ومن كان مما يُحدثُ الدهرُ جازعاً	فلا بدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
فلا الحيُّ مما يُحدثُ الدهرُ مُعتَبٌ	ولا المَيِّتُ إن لم يصبر الحيُّ ناشِرُ" ^(٣)

^(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان تأبط شراً	التذكرة
ص ١٤١ - ١٤٤	ج ١، ص ٢٨٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٥٦ - ١٥٢	ج ٢، ص ٤٣٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٢٢ .	ج ٧، ص ٣٤٨ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية

^(٢) ابن الجوزي: أخبار النساء، ص ٤٤ . الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ٢٢٦ . العاملي (زينب): الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٨٩٤م، ص ٤٦٦.

^(٣) ليلي الأخيلية (ليلى بنت عبد الله بن الرحال ت ٨٠هـ/٧٠٠م): ديوان ليلي، تح خليل العطية وجيليل العطية، وزارة الارشاد، الكويت، د.ت، ص ٦٤. التذكرة، ج ٤، ص ٢٢١.

وبما أن عدد الشواهد قليل فقد أوردها ابن حمدون في جزئين فقط هما: شاهدان في الجزء الرابع، وشاهد واحد في الجزء الخامس^(١)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية أربعة عشر (١٤) بيتاً شعرياً، دونها ابن حمدون بشكل حرفي.

٢٥. جميل بن معمر ت ٧٠٢/هـ ٨٢٢

كان ثاني شعراء الغزل الذين أوردتهم التذكرة الحمدونية، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو، من عشاق العرب، افتتن ببثينة، من فتيات قومه من بني عذرة، وقال فيهما ابن خلكان: "وجميل وبثينة كلاهما من بني عذرة، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك، والجمال والعشق في بني عذرة كثير؛ وقيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنمات كما ينمات الملح في الماء، أما تتجلدون؟ فقال: إنا ننظر إلى محاجر أعين لا تنتظرون إليها، وقيل لآخر: ممن أنت فقال: أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: هذا عذري ورب الكعبة" ^(٢)، وتناقل الناس أخبارهما، وكان شعر جميل يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر، وكانت منازل بني عذرة في وادي القرى^(٣) ومن ثم رحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية، فقصد جميل مصر، وأفداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام فيه قليلاً وتوفي^(٤).

وجدير بالذكر أن معظم الشواهد التي اقتبسها ابن حمدون جاءت في الحب والغزل، وبلغ عددها سبعة عشر (١٧) شاهداً شعرياً، متضمنة ستة وأربعين (٤٦) بيتاً شعرياً، كما أضاف بيتاً شعرياً لجميل كتعليق على قصيدة نقلها لأبي اسحق الصابئ، فقال: "... كأنه أشار في هذا البيت إلى قول جميل:

(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ليلي	التذكرة
ص ١٠٩	ج ٤، ص ٢٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٦٤	ج ٤، ص ٢٢١ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ١٠٨	ج ٥، ص ٣٧٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٢) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٧٠.

(٣) من أعمال المدينة المنورة، وهي ذات نخيل وأشجار، وتبعد عن المدينة حوالي ثلاث مراحل (١٢٠ كم) فيها قرى كثيرة، وكانت تسكنها قبائل قضاة وعذرة وجهينة. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٣٨.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ٣٨٤. الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٦٦٩. ابن الجوزي: المنتظم، ج ٦، ص ٤٢. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٣٣٤.

ولا يسمعن سرِّي وسرِّك ثالثٌ
وفي -شكوى الفراق واحتماله- نقل ابن حمدون: "وقال جميل:^(١)
ألا كلُّ سرٍّ جاورَ اثنين ضائعٌ"

وما مرَّ يومٌ مُدُّ تراختُ بنا النوى
أهمُّ بشكوى منك ثم تردُّني
إليك وتثني عليكَ العوافُ
ولا أن عيني رَدَّها عنك طارفُ"^(٢)

هذه القصيدة مكوَّنة من خمسة أبيات، اختار ابن حمدون منها هذه الأبيات الثلاثة، وقد وقع اختلاف بسيط في كلمتين فقط، ففي الشطر الأول من البيت الأول، وردت في الديوان ترامت بدلاً من تراخت، وفي الشطر الثاني من البيت الثالث، وردت عاطف بدلاً من طارف.

وقد وردت هذه الشواهد موزعة في معظم تذكرة ابن حمدون على النحو الآتي: شاهدان في كل من الجزئين الثالث والثامن، وشاهد واحد في كل من الجزئين الرابع والتاسع، وثلاثة شواهد في الجزء الخامس، وثمانية شواهد في الجزء السادس^(٣).

٢٦. مسكين الدارمي ت ٧٠٨/٨٨٩م

من الشعراء الذين تركوا بصمة واضحة في التذكرة الحمدونية، ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن دارم بن مالك بن حنظلة، من بني تميم الملقب بمسكين الدارمي نسبةً لجده دارم، ومسكين لقوله:

أنا مسكينٌ لمن أنكرني
لا أبيع الناسَ عرضي إنني
ولمَن يعرفني جدَّ نُطِقْ
لو أبيع الناسَ عرضي لَنُفِقْ

كان شاعراً مُجيداً سيِّداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة، واتقاه الفرزدق خشية أن يستعين عليه بجرير، واتقى مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسان، قال

(١) جميل بثينة (جميل بن عبد الله بن معمر ت ٧٠٢/٨٨٢م): ديوان جميل، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١١٥. التذكرة، ج ٣، ص ١٥٣.

(٢) جميل بثينة: ديوان جميل، ص ٨٣. التذكرة، ج ٦، ص ١٠٠.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان جميل	التذكرة
ص ٣٠	ج ٥، ص ٣٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١١٣	ج ٥، ص ١٢٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٠٤	ج ٦، ص ٥٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٠١	ج ٦، ص ٦٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

الفرزدق: "نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباء، ونجوت من مهاجرة مسكين الدارمي، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذ ينتصف مني بيدي ولساني"^(١)، ولمسكين مدائح في خلفاء بني أمية مثل معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، وكان متصلاً بزياد بن أبيه^(٢).

بلغ عدد الشواهد التي وردت في التذكرة ثمانية (٨) شواهد شعرية، ضمت خمسة وعشرين (٢٥) بيتاً شعرياً، وجاءت موضوعاتها متنوعة بين الفخر والحث على صون السر وكتمانه، وبين النعت والوصف، كوصفه النار والحر، مثل وصفه للنعاس، قال ابن حمدون: "وقال مسكين الدارمي:

ومنعقد ثني اللسان بعثته
رماه الكرى في الرأس حتى كأنه
تخالُ النعاس في مفاصله خمرا
أميمٌ جلاميدٍ تركن به وقرا"^(٣)

ولم ينقل الشعر حرفياً، حيث أضاف أبياتاً لاستكمال المعنى، فقد ورد في الديوان البيت الأول فقط، وأزاد البيت الثاني باعتماده على مصادر أدبية أخرى، ووزع ابن حمدون الشواهد كالتالي: شاهدان في الجزء الثالث، وثلاثة شواهد في الجزء الخامس، وشاهد واحد في كل من الأجزاء السابع والثامن والتاسع^(٤).

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٩٩.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج١، ص٥٣٦. الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص٢٢٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٧، ص٣١٣.

(٣) مسكين الدارمي (ربيعة بن عامر بن أنيف ت ٨٩هـ/٧٠٨م): ديوان مسكين، تح عبد الله الجبوري و خليل العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م، ص٤٦. التذكرة، ج٥، ص٣٩٦.

(٤) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان مسكين	التذكرة
ص ٥٢	ج ٣، ص ١٥٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٤٥	ج ٣، ص ٤٢٢ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٣٢	ج ٥، ص ٤١٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٦٥	ج ٥، ص ٤٢٦ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٤٦	ج ٧، ص ١٨٣ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٩	ج ٨، ص ٤٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٥٣	ج ٩، ص ٢٠٠ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية

٢٧. الأخطل ت ٩٢هـ/٧١١م

كان من المتوقع أن لا يغفل ابن حمدون بأن يعتمد على أحد أهم الشعراء العرب، وتضمنين أشعاره في أبواب تذكرته ليزيد الجمال جمالاً، والمقصود هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة، من بني تغلب، والأخطل لقب غلب عليه، والسبب فيه، أنه هجا رجلاً من قومه فقال له: يا غلام إنك الأخطل، وقد عُرِفَ الأخطل بأنه مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، وفي شعره إبداع، نشأ في دمشق، واتصل بالأمويين، فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره، وكان كثير العناية بشعره، أقام حيناً في دمشق، وحيناً في الجزيرة الفراتية، كما تعزرت صلته ببني أمية، فقربه يزيد، فيما جعله عبد الملك بن مروان شاعر البلاط الرسمي، يدافع عن دولة بني أمية ويهاجم خصومها، وقد أقحم نفسه في المهاجاة بين جرير والفرزدق حين فضل الفرزدق على جرير، وامتدّ الهجاء بينه وبين جرير طوال حياته.^(١)

وأخذ ابن حمدون من ديوانه أربعون (٤٠) شاهداً شعرياً، ضمت مائة وخمسة وأربعين (١٤٥) بيتاً شعرياً، وكان يستقي الشواهد من القصيدة نفسها ويضعها في الباب الذي يتناولها، فمثلاً، أورد أبياتاً للأخطل تتحدث عن الحب والهوى، وضعها في الباب التاسع والعشرين الموسوم "في النسيب والغزل"، وأبياتاً أخرى من القصيدة نفسها ولكنها هجاء، فذكرها في الباب الثالث والعشرين الموسوم "في الهجاء والمذمة"، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما نقله في باب الغزل: "وقال الأخطل:

ولما تلاحقنا نَبَذْنَا تَحِيَّةً إِلَيْهِنَّ فَالْتَدَّ الْحَدِيثُ أَصِيلُهَا
فكان لدينا السرُّ بيني وبينها ولمعُ غَضِيضَاتِ الْعُيُونِ رَسُولُهَا"^(٢)
ومن الحكم التي أوردها من شعره قوله:

"وإن امرءاً لا ينثني عن غَوَايَةٍ إذا ما اشتتهتها نفسه لَجَهُولُ"^(٣)

وقد ورّع ابن حمدون أشعار الأخطل على النحو التالي: شاهدان في كل من الأجزاء الأول والثاني والثالث، وأربعة في الجزء الرابع، ونال الجزء الخامس النصيب الأكبر من الشواهد حيث بلغ عددها ثلاثة وعشرين شاهداً،

(١) ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١هـ/٩٣٣م): الاشتقاق، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٣٨. الأصفهاني: الأغاني، ج ٨، ص ٢٩٠. ابن ماكولا (علي بن هبة الله بن جعفر ت ٤٧٥هـ/١٠٨٣م): تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام، تح سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٨٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٨، ص ١٠٤.

(٢) الأخطل: ديوان الأخطل، ص ٢٩٠. التذكرة، ج ٦، ص ١٣٦.

(٣) الأخطل: ديوان الأخطل، ص ٢٩٩. التذكرة، ج ١، ص ٣٦٧.

بينما ورد سبعة شواهد في الجزئين السادس والثامن^(١).

٢٨. عمر بن أبي ربيعة ت ٧١٢/هـ ٩٣

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب، أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قریش أشعر منه، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه، وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه، وقال ابن قتيبة الدينوري: "سيره عمر بن عبد العزيز إلى الدهلك، ثم ختم له بالشهادة"^(٢)، وقال عبد الله بن عمر: "فاز عمر ابن أبي ربيعة بالدنيا والآخرة"^(٣)، وغزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً^(٤).

لم يكن عدد الشواهد التي استقاها ابن حمدون كبيراً، فبلغ خمسة (٥) شواهد شعرية، جاءت في أحد عشر (١١) بيتاً شعرياً، وأما أغراضها الشعرية، فتطرقت إلى الحب والهوى والوصف، فتارةً يصف ابن أبي ربيعة امرأة وجمال وجهها، وتارةً أخرى يصف لباسها وخلخالها، وفي وصف النساء: "قال عمر بن أبي ربيعة:

زهراء أنسة مقبلها
عذب كأن مذاقه الخمر
وإذا تراءت في الظلام جلت
دجن الظلام كأنها البدر
نظرت إليك بعين مغزلة
حوراء خالط طرفها فتر^(٥)

إن هذه الأبيات جزء من قصيدة مؤلفة من خمسة عشر بيتاً شعرياً استقى ابن حمدون هذه الأبيات الثلاثة لتفيد معنى الباب الذي يكتبه، وقد وقع اختلاف في مفردة واحدة فقط، ففي الشطر الأول من البيت الأول وردت في الديوان حوراء بدلاً من زهراء، دون أي تغيير في المعنى.

^(١) وردت هذه الشواهد على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان الأخطل	التذكرة
ص ٢٩٢	ج ٢، ص ٤٢٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٦٦	ج ٥، ص ٥٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٨٩	ج ٦، ص ١١٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٩٠	ج ٦، ص ١٣٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

^(٢) الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٥٣٩.

^(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٣٦.

^(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١، ص ٧٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٥، ص ٩٠.

^(٥) عمر بن أبي ربيعة (عمر بن عبد الله ت ٧١٢/هـ ٩٣م): ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، د.ت.

ص ٩٤. التذکر، ج ٥، ص ٣٠٥.

وقد وردت هذه الشواهد الشعرية كشاهد واحد في الجزء الثاني، وأربعة شواهد في الجزء الخامس^(١).

٢٩. ابن الرقاع ت ٩٥هـ/٧١٤م

كان لشعراء العصر الأموي نصيبٌ وافر من الأشعار التي أوردها ابن حمدون في تذكرته، وكان في مقدمتهم، عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من بني عاملة، من أهل دمشق، يُكنى أبا داود، وابن الرقاع نسبة لجد جده، كان معاصراً لجريز ومهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، ومداحاً لهم، وكان خاصاً بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك من حاضرة الشعراء لا من باديتهم، حتى أن الخليفة الوليد حذر جريراً إذا أتى على ذكر ابن الرقاع بهجاء، حيث قال لجريز: "لئن شتمته لأسرجنك وألجمنك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك"^(٢)، وقد لقّبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، توفي في دمشق^(٣).

وأخذ من شعر ابن الرقاع خمسة (٥) شواهد شعرية، جاءت في عشرة (١٠) أبيات شعرية، بعضها جاءت في وصف النساء، قائلاً: "وقال عدي بن الرقاع العاملي:

وكانها بين النساء أعارها عَيْنِيهِ أَحورُ من جاذِرِ جاسم
وسنانُ أَفْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَقَّتْ في عَيْنِهِ سِنَّةٌ وليس بنائم"^(٤)

وبالمقارنة مع الديوان، ضُبِطت كلمة واحدة فقط فيها اختلاف، ففي الشطر الأول من البيت الأول وردت وسط النساء بدلاً من بين النساء، ولكن المعنى لم يتغير، وربما لم يكن هذا تحريفاً وإنما لسرعة قلمه أثناء النقل، ونتيجة للحالة التي كان يمرُّ بها ابن حمدون.

^(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عمر بن أبي ربيعة	التذكرة
ص ١٢٥	ج ٢، ص ٢٠٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٧١	ج ٥، ص ٣٠٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٣٠	ج ٥، ص ٣١٤ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٥٥	ج ٥، ص ٣١٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

^(٢) الآمدي: المؤلف والمختلف، ص ١٤٦. ابن دريد: الاشتقاق، ص ٣٧٥.

^(٣) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦٠٣. الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ٣٥٠. الأزدي: الاشتقاق، ص ٣٧٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ١٢٦.

^(٤) ابن الرقاع (عدي بن زيد بن مالك ت ٩٥هـ/٧١٤م): ديوان ابن الرقاع، تح حسن نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٩٩. التذكرة، ج ٥، ص ٣٠٦.

وجاءت جميع الشواهد في الأوصاف والنوعت ضمن الباب السابع والعشرين^(١).

٣٠. كثير عزة ت ١٠٥هـ/٧٢٤م

ضمَّ بلاط الخلفاء الأمويين الكثير من الشعراء الذين حظوا عندهم بالرعاية والعطايا، وكان منهم كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، من أهل المدينة، وأكثر إقامته في مصر، وهو من فحول الشعراء وأحد عشاقهم المشهورين، كان مُفْرِطَ القَصْرِ دميماً، في نفسه شمم وترفع، يقال له "ابن أبي جمعة" و "كثير عزة" و "الملحي" نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: "كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحداً"^(٢)، وفد على عبد الملك بن مروان، فازدري منظره، ولما عرف أدبه أكرمه، فاخص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه، وأخبره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة، وكان حبهما عفيفاً، فيقول ابن خلكان في عزة: "ويقال إن عزة دخلت على أم البنين ابنة العزيز، وهي أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك: فقالت لها: أرايت قول كثير:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ قَوْفَى غَرِيمُهُ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مَعْنَى غَرِيمُهَا

ما كان ذلك الدين قالت: وعدته قبله فخرجت منها، فقالت أم البنين: أنجزها وعليَّ إثمها، ثم ندمت أم البنين فاستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة"^(٣)، وقيل له وهو يُحتضر: "هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة"^(٤)، وتوفي بالمدينة^(٥).

(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن الرقاع	التذكرة
ص ١٠٥	ج ٥، ص ٢٧٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٢٢	ج ٥، ص ٣٠٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١١٢	ج ٥، ص ٣١٤ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٢٠٤	ج ٥، ص ٣٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٨٨	ج ٥، ص ٤٠٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

(٢) معجم الشعراء، ص ٣٥٠.

(٣) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٠٦.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ٣٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٧٦. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٥٢.

وبلغ عدد شواهد كثير في التذكرة سبعة (٧) شواهد شعرية، تنوعت موضوعاتها من الفخر إلى الحث على حفظ السر وعدم الغدر، بالإضافة إلى قصيدة غزل قالها كثير في عزة، وكان ابن حمدون يعتمد على أشعار كثير في تعليقه على رواية كان قد أوردتها، فمثلاً، ذكر - في باب التعازي - تعليقاً خاصاً بقوله: "وتبعه كثير فقال:

فما فَرَحُ الدنيا بباقي لأهله ولا شدة البلوى بضربة لازم^(١)

واقْتَسَب في باب الغزل والنسيب أبياتاً لكثير لم تدوّن في ديوانه، مما يُحسب له حفظ الشعر العربي من الضياع، قال ابن حمدون: "ومثله لكثير:

لعمرك إنّ الجزع أمسى ترايهُ من الطيب كافوراً وعيدائهُ رُئداً
وما ذاك إلا أن مَشَتْ في عراضِهِ عزيزة في سربٍ وجَرَتْ به برداً
وأصبح ماءُ الشعب خمراً وأصبحتْ جلاميدُهُ مسكاً وأوراقُهُ ورداً
وظلّت ظبا البيداء تَرعى خمائلاً سقتها رياحُ الجوّ من سحبها شهداً^(٢)

وقد توزعت شواهد كثير في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والثامن، وشاهدان في الجزء الرابع، وثلاثة شواهد في الجزء السادس^(٣)، فيما بلغ عدد الأبيات الشعرية الواردة في التذكرة اثنين وأربعين (٤٢) بيتاً شعرياً.

٣١. الأحوص ت ١٠٥/هـ ٧٢٤م

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، يُكنى أبا محمد، من سكان المدينة، شاعر هجاء، صافي الديباجة، لُقّب بالأحوص لحوص كان في عينيه، كان من طبقة جميل بن معمر ونصيب، ومعاصراً لجرير والفرزدق، وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرمه، ثم بلغه أنه أساء إليه،

(١) كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ت ١٠٥/هـ ٧٢٤م): ديوان كثير، تح إحسان عباس، دار الثقافة،

بيروت، ١٩٧١م، ص ٣١٧. التذكرة، ج ٤، ص ٣٠٣.

(٢) التذكرة، ج ٦، ص ٧٢.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان كثير	التذكرة
ص ٤٢٠	ج ٣، ص ١٥٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٢٥	ج ٤، ص ٣٠٣ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٠٨	ج ٦، ص ٥٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٩٥-١٠٣	ج ٦، ص ١٧٢ ورد في هذه الصفحة ٢٣ بيتاً شعرياً
ص ٤٦٩	ج ٨، ص ١٩ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية

فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فُجِلِدَ، ويُقال أن سليمان بن عبد الملك أمر واليه على المدينة بجلده أيضاً، ونفاه إلى جزيرة "دهلك" ^(١)، فبقي بها محبوساً إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، عندها أطلقه الخليفة يزيد بن عبد الملك، فعاد إلى دمشق وتوفي فيها ^(٢).

ما أخذهُ ابن حمدون من شعر الأحوص عشرة (١٠) شواهد شعرية، مُتضمنة خمسة وعشرين (٢٥) بيتاً شعرياً، ورد بعضها ضمن روايات نقلها من كتابي ربيع الأبرار والأغاني، وجاءت تارة في التعازي والمراثي، وتارة أخرى في العتاب، كقصديته التي يعاتب فيها الخليفة عمر بن عبد العزيز، مروراً بالحب والهوى، ومما قاله في الأمانة: "قال الأحوص:

كريمٌ يميئُ السرَّ حتى كأنه عم بنواحي أمرِه وهو خابِرُ" ^(٣)

وهي قصيدة من سبعة أبيات، اختار منها ابن حمدون هذا البيت ليفيد معنى الباب الذي يكتبه، وتوزعت الشواهد الشعرية في التذكرة كشاهد واحد في كل من الأجزاء الثالث والخامس والثامن، وثلاثة شواهد في الجزء الرابع، وشاهدان في كل من الجزئين السادس والتاسع ^(٤).

٣٢. الفرزدق ت ١١٠هـ/٧٢٩م

من كبار الشعراء الذين ضمتهم التذكرة، واعتمدت على أشعارهم، كان همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يُقال فيه: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، يشبه بزهير بن أبي سلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تُذكر، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من

(١) دهلك: جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب، ج٣، ص١٣٢٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٢٣٤. الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص٢١٧.

(٣) الأحوص (عبد الله بن محمد بن عبد الله ت ١٠٥هـ/٧٢٤م): ديوان الأحوص، تج عادل جمال، مكتبة الخانجي،

القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٤٧. التذكرة، ج٣، ص١٦١.

(٤) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الأحوص	التذكرة
ص٢٢٧	ج٤، ص٣٠٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص٢٥٠	ج٥، ص٤٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص١١٧	ج٦، ص١٦٧ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

يستجير بقبر أبيه، وكان جده من عليّة القوم، ولفدائه المؤدات صيت واسع وأثر نقله المؤرخون في مصادرهم، كما كان أبوه من الأجواد الأشراف^(١).

اعتمد على شعر الفرزدق بثلاثة وعشرين (٢٣) شاهداً شعرياً، ضمت تسعين (٩٠) بيتاً شعرياً، ومن الطبيعي أن تكون جُلّ الأبيات قيلت في الفخر والمفاخرة، التي -طالما- برع الفرزدق فيها، إضافة إلى بعض الأبيات في الوصف والنعته، فضلاً عن الرثاء، قال ابن حمدون: "وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع^(٢):

تَضَعُضَعُ طوداً وائلاً بعدَ مالكٍ وأصبح منها مِعْطَسُ العُرِّ أَجْدَعَا
لقد بان لم يُسَبِّقْ بوئيرٍ ولم يدع إلى العَرَضِ الأَقْصَى من المجدِ منزعا^(٣)
وفي الوصف، قال ابن حمدون: "وقال الفرزدق وذكر الثلج:

وأصبح مبييضُ الصقيع كأنه على سَرَوَاتِ النَّيْبِ قُطُنٌ مُنْدَفُ^(٤)
وجاءت هذه الشواهد في خمسة أجزاء من التذكرة، كان أكبرها الجزء الثامن الذي ضمّ أحد عشر شاهداً، أما بقية الشواهد فوردت كشاهد واحد في كل من الجزئين الثاني والثامن، بينما خصّ الجزء الثالث بخمسة شواهد، ومثلها في الجزء الرابع^(٥).

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤٦٢. الأصفهاني: الأغاني، ج ٩، ص ٣٦٧. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٧٨٥.

(٢) مالك بن مسمع: بن شيبان البكري الربيعي، أبو غسان، سيد ربيعة في زمانه، وكان مقدماً عند الشعراء، دخل في قتال مع مصعب بن الزبير، وتوفي سنة ٧٣هـ/٦٩٣م ودفن في البصرة. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٦، ص ٤٩٧. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٨٧٩.

(٣) الفرزدق (همام بن غالب ت ١١٠هـ/٧٢٩م): ديوان الفرزدق، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٣٣٤. التذكرة، ج ٤، ص ٢١٧.

(٤) الفرزدق: ديوان الفرزدق، ص ٣٨٨. التذكرة، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٥) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الفرزدق	التذكرة
ص ٣٨٧	ج ٣، ص ٤٠٤ ورد في هذه الصفحة ٢٦ بيتاً شعرياً
ص ٣٠	ج ٣، ص ٤٠٩ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٥٣٤	ج ٤، ص ٢٧٥ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية

٣٣. جرير ت ١١٠هـ/٧٢٩م

جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من بني تميم، يُكنى أبا حذرة، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة^(١)، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم، وكان هجاءً مُراً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، الذين قال فيهم أبو الفرج الأصفهاني: "الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة"^(٢)، وقال أبو عبيدة: "كان أبو عمرو يُشَبِّهُ جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة"^(٣)، وقال ابن خلكان: "ويقال: إن بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح وهجاء ونسيب، وفي الأربعة فاق جرير غيره"^(٤)، ولما توفي الفرزدق وجاء خبره جريراً بكى وقال: "أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجماً واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا وتبعه صاحبه"^(٥)، كان جرير عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً، وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جداً، وله مدائح كثيرة في خلفاء بني أمية^(٦).

اقتبس ابن حمدون من شعره ستة وعشرين (٢٦) شاهداً شعرياً، تنوعت موضوعاتها من الفخر والمفاخرة إلى الهجاء والذم، ثم الرثاء، وفي باب القناعة، أورد قائلاً: "قال جرير:

إني لأملُ منك خيراً عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحبِّ العاجلِ"^(٧)

ومن الأبيات التي أوردتها ابن حمدون وهي تخالف ما جاء في ديوان جرير، كان البيت التالي:

"ولا يعرفون الشرَّ حتى يُصيبَهُمْ ولا يعرفون الأمرَ إلاّ تدبّراً

ولكن بالعودة إلى الديوان، يُلاحظ أن هذا البيت ورد بصيغة المخاطب:

"ولا تعرفون الشرَّ حتى يُصيبَكُم ولا تعرفون الأمرَ إلاّ تدبّراً"^(٨)

(١) اليمامة : بلد تابعة لنجد، وبينها وبين البحرين مسير عشرة أيام (٤٠٠كم)، وكان اسمها القديم جوا، فتحها العرب المسلمون سنة ١٢هـ/٦٣٣م الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٤٢.

(٢) الأغاني، ج٨، ص٥.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٢٩٧.

(٤) وفيات الأعيان، ج١، ص٤٣٣.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٦٣.

(٦) الآمدي: المؤلف والمختلف، ص٨٨. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٧٢، ص٨٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٦٢.

(٧) جرير (جرير بن عطية بن حذيفة ت ١١٠هـ/٧٢٩م): ديوان جرير، تح نعمان طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت، ص٧٣٧. التذكرة، ج٣، ص١٣٠.

(٨) جرير: ديوان جرير، ص٤٧٩. التذكرة، ج٣، ص٣٠٤.

وفي الهجاء، وهو الميدان الذي برع فيه جرير والذي لا ينازعه فيه أحد سوى الفرزدق، استقى ابن حمدون الكثير من أبيات جرير وأوردها في باب الهجاء والمذمة، فمثلاً: "وقال جرير:

أقول وذاكم للعجيب الذي أرى أمال بن مال ما ربيعة والفخر
محالفهم فقر قديم وذلة ويئس الحليفان المذلة والفقر^(١)

وبالعودة إلى الديوان، وجد اختلاف واحد في كلمة في الشطر الأول من البيت الثاني، حيث ورد في الديوان يحالفهم بدلاً من محالفهم، وربما كان خطأ في النقل، حيث أن المعنى ظل واحداً ولم يتغير.

وجاءت الشواهد الشعرية موزعة على ستة أجزاء من التذكرة، كان أكثرها في الجزء الخامس الذي ضم عشرة شواهد، بينما وردت البقية كشاهد واحد في الجزء الثاني، وثلاثة شواهد في الجزء الثالث، وستة شواهد في الجزء الرابع، وأربعة شواهد في الجزء السادس، وشاهدان في الجزء السابع^(٢)، وبلغ عدد الأبيات التي وردت لجرير ثمانية وخمسين (٥٨) بيتاً شعرياً.

٣٤. ذو الرمة ت ١١٧هـ/٧٣٥م

غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، لقّب بذئ الرمة، من فحول الطبقة الثانية في عصره، وهو أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبته مية ابنة مقاتل بن طلبة، قال الأصفهاني يصفه: "كان ذو الرمة مدور الوجه، حسن الشعر جعداً، أقنى، أنزع، خفيف العارضين، أكحل، حسن الضحك مفوهاً، إذا كلمك أبلغ الناس يضع لسانه حيث يشاء"^(٣)، وأكثر شعره بكاء على الأطلال، يذهب في ذلك مذهب شعراء حقبة ما قبل الإسلام، وكان مقيماً بالبادية،

(١) جرير: ديوان جرير، ص ١٧٨. التذكرة، ج ٥، ص ١٠٣.

(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان جرير	التذكرة
ص ٨٠	ج ٣، ص ٣٩٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٥٠٤	ج ٤، ص ٢٠٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٨٠٤	ج ٤، ص ٣٦٩ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٨٠	ج ٥، ص ٤٤ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١٨٤	ج ٥، ص ١٠٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٩٤٩	ج ٥، ص ٣٩٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٣) الأغاني، ج ١٨، ص ١٠.

يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً، وكان لدى الرمة إخوة وهم، هشام وأوفى ومسعود وجميعهم شعراء، فمات أوفى، ثم مات بعده ذو الرمة، فقال مسعود:

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغِيلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفُنُ الْعَيْنِ مَلَأْنُ مُتْرَعُ
فَلَمْ يُنْسَنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ^(١)

وشواهد ذي الرمة الشعرية في التذكرة بلغت تسعة وثلاثين (٣٩) شاهداً شعرياً، وضمت عدداً كبيراً من الأبيات بلغ مائة وخمسة وستين (١٦٥) بيتاً شعرياً، وبذلك شكل أحد أعمدة التذكرة الشعرية التي قامت عليها، وتنوعت موضوعات هذه الأبيات، فجاء بعضها في المدح والثناء، لكن الغالب منها جاء في باب الأوصاف والنعوت، ثم الحب والهوى بمختلف ضروبه، فعلى سبيل المثال، يصف ذو الرمة عدوَّ ثورين بقوله:

"لَا يَذْخَرَانِ مِنَ الْإِغَالِ بَاقِيَةً حَتَّى تَكَادَ تَقَرَّى عَنْهُمَا الْأُهْبُ"^(٢)

ولُوحظ اختلاف بين ديوان ذي الرمة وما نقله ابن حمدون في باب الغزل والنسيب، عندما أورد بعضاً من أشعار ذو الرمة، قال فيها: "وقال ذو الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ
فَلَا الْقُرْبُ يُدْنِي مِنْ هَوَاهَا مَلَالَةً وَلَا حُبُّهَا إِنْ تَبْرَحَ الدَّارُ يَبْرَحُ"^(٣)

وبالمقارنة مع الديوان، يتبين أن الاختلاف وقع في الشطر الثاني من البيت الثاني، حيث ورد إن تنزح الدار ينزح، مما لم يغير من المعنى شيئاً.

كان للجزء الخامس من التذكرة النصيب الأكبر من شواهد ذي الرمة، فبلغ عددها اثنان وعشرين شاهداً، بينما توزعت البقية كشاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والسابع، وشاهدان في كل من الجزئين الرابع والثامن،

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٥١٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٨، ص ١٤٢. ابن خلكان:

وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ٢٣١.

(٢) ذو الرمة (غيلان بن عتبة بن نهيس ت ١١٧هـ/٧٣٥م): ديوان ذو الرمة، تح عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة

الإيمان، بيروت، ١٩٨٢م، ١٣١. التذكرة، ج ٥، ص ٢٧٠.

(٣) ذو الرمة: ديوان ذو الرمة، ص ١١٩٢. التذكرة، ج ٦، ص ٥٦.

وأحد عشر شاهداً في الجزء السادس^(١).

٣٥. الطرماح بن الحكيم ت ١٢٥هـ/٧٤٣م

الطرماح بن حكيم بن الحكم، يُكنى أبا نفر، من طيء، شاعر هجاء من فحول الشعراء، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، فكان معلماً فيها، واعتقد مذهب (الشرأة) من الأزارقة الخوارج^(٢)، واتصل بخالد بن عبد الله القسري، فكان يكرمه ويستحسن شعره، وهو معاصر للكميت^(٣) وصديقاً له، لا يكادان يفترقان، وقيل: "وكان قحطانياً عصبياً"^(٤).

استقى ابن حمدون من شعر الطرماح خمسة (٥) شواهد شعرية، كانت متنوعة، فقد جاء بعضها فخرًا ومدحاً، والبعض الآخر هجاء لبني تميم، وقد أورد ابن حمدون شاهداً واحداً مكرراً في التذكرة في موضعين مختلفين، قائلًا: "وقال الطرماح:

وقد زادني حباً لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل
إذا ما رأني قطع الطرف بينه وبينني فعل العارف المتجاهل

^(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ذي الرمة	التذكرة
ص ١٣١٣	ج ٤، ص ١٩ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١٠٤٥	ج ٤، ص ٦١ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٤٥	ج ٥، ص ٢٥٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١١١	ج ٥، ص ٢٧٤ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١١٥	ج ٥، ص ٢٩٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٩٤	ج ٦، ص ٧٥ ورد في هذه الصفحة ١٣ بيتاً شعرياً
ص ١٢٨٥	ج ٦، ص ٨٠ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

^(٢) الأزارقة الخوارج: اشتهرت هذه الفرقة بالخروج على علي بن أبي طالب d بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٨م؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليه، وسموا شرأة لأنهم قالوا شربنا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة، والأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق الذي خاض حروباً طويلة ضد الأمويين. الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تح محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١١٣.

^(٣) الكميت بن زيد الأسدي: أبو المستهل، من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بأدب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، وقال المؤرخون فيه: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت، لكفاهم، وتوفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٠، ص ٢٢٩. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٧٦.

^(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٦٠. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٥٧٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٦٥. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٤٥.

ملأْتُ عليه الأرضَ حتى كأنها من الضيق في عينيه كِفَّةُ حابل" (١) وكانت الاستفادة من تلك الشواهد في الجزء الثاني شاهدان، وثلاثة في الجزء الخامس (٢)، في حين بلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للطرماح اثني عشر (١٢) بيتاً شعرياً.

٣٦. ابن الطثرية ت ١٢٦هـ/٧٤٤م

يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب، المعروف بابن الطثرية، ونسبته إلى أمه طثر، قال فيه ابن خلكان: "وكان شاعراً عاقلاً فصيحاً كامل الأدب وافر المروءة لا يعاب ولا يطعن عليه، وكان سخياً شجاعاً له أصل ومحل في قومه من قشير، وكان من شعراء بني أمية مقدماً عندهم" (٣)، وعُرف بقصائده الغزلية الرائعة، ومنها:

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا، وَتَفْسَكُ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشِعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعاً وَتَجَزَعَ إِنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قِفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لَنَجِدِ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى، فَلَمَّا رَجَرَتْهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خُلَّ عَيْنِيكَ تَدْمَعَا (٤)

قتله بنو حنيفة، في موقعة له معهم يوم الفلج (٥)، حيث كان ابن الطثرية حاملاً الراية، فبينما كان يقاتل علقت جبته بعرق من الشجر، فتعثر،

(١) الطرماح (الطرماح بن حكيم ت ١٢٥هـ/٧٤٣م): ديوان الطرماح، تح عزة حسن، دار الشرق، دمشق، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٣٤٦. التذكرة، ج ٥، ص ٤٣١.

(٢) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الطرماح	التذكرة
ص ٣٤٦	ج ٢، ص ٢٩٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٥٩	ج ٢، ص ٤٤١ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٦٦	ج ٥، ص ١١٩ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١٤٦	ج ٥، ص ٢٧١ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

(٣) وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٧١.

(٤) البغدادى: مصارع العشاق، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٥) فلج: قرية في اليمامة، سميت بذلك لكثرة النخيل فيها، وحدثت هذه الواقعة عندما ثار بنو حنيفة الذين كانوا يقطنون اليمامة على عاملهم علي بن المهاجر بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، وأصبحت القيادة في بني حنيفة لعبد الله بن النعمان المندلث، الذي خاض معركة ضد بنو عامر في قرية الفلج، تمكن من الانتصار عليهم. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧١. النويري: نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٥٠٢.

فضربه الحنفيون حتى قتلوه^(١).

اقتبس ابن حمدون من شعر ابن الطثرية أربعة (٤) شواهد شعرية، بعدد أبيات قليل نسبياً بلغ ستة وعشرين (٢٦) بيتاً شعرياً، جاءت موضوعاتها في الأوصاف والنعوت، والحب والهوى، ففي الوصف، نقل ابن حمدون شعراً ليزيد يصف فيه السماء والنجوم قائلاً: "وقال يزيد بن الطثرية:

إذا ما الثُّريا في السماء كأنها وشاحٌ وهى من سِلْكِهِ فَنَبَدًا" (٢)

ودوّنت هذه الشواهد في جزئين فقط هما: شاهد واحد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء السادس^(٣).

٣٧. أبو النجم العجلي ت نحو ١٣٠هـ/٧٤٨م

الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل، كان من أكابر الرّجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام، له مدائح كثيرة في الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له الفرك، أقطعه إياه الخليفة هشام^(٤)، ولم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته بدقة، لكنّ المرجح أنه توفي حوالي ١٣٠هـ/٧٤٨م.

استمد ابن حمدون من شعر أبو النجم العجلي ستة (٦) شواهد شعرية، تنوعت موضوعاتها، فقد ورد شاهد واحد منها في الفخر والمفاخرة، وبقية الشواهد في الأوصاف والنعوت، وقد أورد ابن حمدون أبياتاً نسبها لأبي النجم لم ترد في ديوانه، حيث قال: "وقال أبو النجم يصف الطعنة:

لنصرعنّ لبتاً يرنّ مائمه بطعنة نجلاء فيها ألمه

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٤١٧. الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٧٦٩. الأصفهاني: الأغاني، ج ٨، ص ١٦٥.

(٢) ابن الطثرية (يزيد بن سلمة بن سمرة ت ١٢٦هـ/٧٤٤م): ديوان ابن الطثرية، تح حاتم الضامن، مكتبة أسعد، بغداد، د.ت، ص ٣١. التذكرة، ج ٥، ص ٣٢٥.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن الطثرية	التذكرة
ص ٧٦	ج ٦، ص ١٣٧ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ٥٤	ج ٦، ص ١٧٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٨٧-٩٠	ج ٦، ص ١٧٧ ورد في هذه الصفحة ١١ بيتاً شعرياً

(٤) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٥٨٨. المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣١٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٤، ص ٤٣.

يجيش من نهر تراقية دمه كمرجل الصباغ جاش بقمه^(١)

أورد ابن حمدون هذان البيتان في باب الأوصاف والنعوت، ولم يردا في ديوان أبي النجم، ومن المرجح أن ابن حمدون قد أخذهما من كتاب التشبيهات لابن أبي عون، الذي عدّ من أهم الموارد التي اعتمد عليها ابن حمدون في التذكرة عموماً وباب الأوصاف والنعوت خصوصاً.

وفي موضع آخر يقول: "وقال أبو النجم العجلي في إصغاء الشمس للمغيب:

والشمس قد صارت كعين الأحول"^(٢)

توزعت الشواهد في التذكرة على الشكل التالي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والتاسع، وأربعة شواهد في الجزء الخامس^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لأبي النجم ثلاثة وثلاثين (٣٣) بيتاً شعرياً.

٣٨. عروة بن أذينة ت ١٣٠هـ/٧٤٨م

هو عروة بن أذينة، وأذينة لقبه واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو، من بني الليث، ويكنى أبا عامر، من أهل الحجاز، كان شاعراً فحلاً من مُقدّمِي شعراء أهل المدينة، وهو محدود في الفقهاء والمحدثين، روى عنه مالك بن أنس، وله مع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قصة مشهورة، عندما وفد عروة مع جماعة من الشعراء على الخليفة هشام، ووعده أن يجزيه بالعطايا، ونسي الخليفة ذلك^(٤).

وقد رقد ابن حمدون التذكرة من شعر عروة بستة (٦) شواهد شعرية، مُتضمنة عشرين (٢٠) بيتاً شعرياً، منها ما جاء في ذمّ بعض العادات الاجتماعية كالحسد، حيث ذكر: وقال عروة بن أذينة:

(١) التذكرة، ج ٥، ص ٣٨٢.

(٢) أبو النجم (الفضل بن قدامة ت ١٣٠هـ/٧٤٨م): ديوان أبو النجم، تح محمد جمران، مطبوعات مجمع اللغة

العربية، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ٣٨٠. التذكرة، ج ٥، ص ٣٢٣.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي النجم	التذكرة
ص ٥٣	ج ٣، ص ٤٢٤ ورد في هذه الصفحة ١٥ بيتاً شعرياً
ص ٤٩٠	ج ٥، ص ٢٥٣ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٢٤٦	ج ٥، ص ٤٢٠ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٤٧٣	ج ٩، ص ٤٠٠ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٨، ص ٣٣٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ١٩٢. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٢، ص ٤٥١.

لا يبعد الله حسّادي وزادهم
إني رأيتهُم في كلّ منزلةٍ
حتى يموتوا بداءٍ فيّ مكنونٍ
أجلّ قدرًا من اللّائي يحبوني^(١)

ومنها ما جاء في باب الغزل، وهي عبارة عن رواية نقلًا عن الأصفهاني، وضمّنها ابن حمدون أبياتاً من شعر عروة، قال فيها: "روي أنّ سكينه بنت الحسين مرّت بعروة بن أذينة، فقالت: يا أبا عامر أنت الذي تقول:

إذا وجدتُ أوارَ الحبِّ في كبدي
هبني تبرّدْتُ برّدَ الماءِ ظاهره
أقبلتُ نحو سقاءِ القومِ أبترِدُ
فمن لنارٍ على الأحشاءِ تتقدُّ
وأنت القائل:

قالتُ وأبثنتها وجدي فبحثُ به
ألست تبصرُ مَنْ حولي فقلتُ لها
قد كنتُ عندي تحب السترَ فاستترِ
غطّى هواك وما ألقى على بصري
قال: نعم، قالت: هنّ حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من قلب سليم^(٢).

ولم تتوزع الشواهد في التذكرة بشكل متساوٍ، بل وجد في كل من الأجزاء الأول والثاني والثالث شاهد واحد، بينما وجد ثلاثة شواهد في الجزء السادس^(٣).

٣٩. القطامي ت ١٣٠هـ/٧٤٨م

عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي، الملقب بالقطامي ليبيت شعرٍ قاله، وذكرت المصادر أن القطامي أول من لقّب بـ "صريع الغواني"، كان شاعراً فحلاً، برع في الغزل ورقيق حواشي الكلام، كثير الأمثال في شعره، كان من مسيحي تغلب في العراق، ثم أسلم، جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الثانية من الشعراء المسلمين، وكان الأخطل قد سئل وهو

(١) ابن أذينة (عروة بن أذينة ت ١٣٠هـ/٧٤٨م): ديوان عروة بن أذينة، تح يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧٠م، ص ٣٨٩. التذكرة، ج ٢، ص ٢١٠.

(٢) ابن أذينة: ديوان عروة، ص ٣١٦ - ٣٢٣. التذكرة، ج ٦، ص ١٨٩.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عروة بن أذينة	التذكرة
ص ٣٠٩	ج ١، ص ٢٠٨ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١١٦	ج ٣، ص ١٢٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٣٥٨	ج ٦، ص ٦٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٣٦٧	ج ٦، ص ١٧٣ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

على فراش الموت: "على من تخلف قومك؟ قال: على العميرين، يزيد القطامي عمير بن شبيب وعمير بن الأيهم"^(١).

استفاد ابن حمدون من شعر القطامي بشواهد شعرية بلغ عددها عشرة (١٠) شواهد، جاءت في اثنين وعشرين (٢٢) بيتاً شعرياً، بعضها في البأس والشجاعة والمشورة والرأي، والبعض الآخر في المديح، ففي الشجاعة أورد قائلاً: "وقال القطامي:

بضرب يُبْصِرُ العميانُ منه وَتَعَشَى دُونَهُ الحَدَقُ البصار" ^(٢)

وقد توزعت الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الأجزاء الثاني والثالث والرابع والسابع، وشاهدان في الجزء السادس، وأربعة شواهد في الجزء الخامس^(٣).

٤٠. ابن الدمينه ت ١٣٠هـ/٧٤٨م

عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تميم، يُكنى أبا السري، وأمه الدمينه بنت حذيفة السلوية، قل أن يرى مادحاً أو هاجياً، وكان أكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر، وهو من شعراء العصر الأموي، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي^(٤) وهو عائد من الحج، انتقاماً لأخيه مزاحم الذي قتله ابن الدمينه مع زوجته، وكان اسمها حماء^(٥)، وهذا ما يدل على استمرار عادة الثأر لدى العرب حتى مع قدوم الإسلام والنهي عنه واللجوء إلى قوانين تجعل المجتمع يرتقي بعباداته وتقاليده، وبالتالي لا يمكن لمجتمع عاش على تقاليد معينة حقب طويلة الاستعاضة عنها بحقبة زمنية بسيطة.

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧١٣. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٤، ص ٢١. المرزباني: معجم الشعراء، ص ٢٤٤.

(٢) القطامي (عمير بن شبيب بن عمرو ت ١٣٠هـ/٧٤٨م) : ديوان القطامي، تح إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٠م، ص ١٤٩. التذكرة، ج ٢، ص ٤١٩.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان القطامي	التذكرة
ص ٣٥	ج ٣، ص ٣٠٥ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٨٤	ج ٤، ص ٩٨ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٢٦	ج ٥، ص ٢٦٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٤٣	ج ٥، ص ٣٩٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٤) لم تذكر معظم المصادر التي وقف عليها البحث معلومات عنه سوى انه قاتل ابن الدمينه.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧، ص ١٠١. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٧، ص ٨٦. المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ص ٨٨٥.

لم تكن الاستفادة من الشاعر كبيرة، بل اقتصرت على ثمانية (٨) شواهد شعرية، جاءت جميعها في الغزل والنسيب، فذكر: "وقال عبد الله بن الدمينه الخثمي:

أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
إِذَا نَحْنُ أَنْفَذْنَا الدَّمْعَ عَشِيَّةً فَمُوعِدُنَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالُعٌ^(١)
وبلغ عدد الأبيات التي وردت في التذكرة لابن الدمينه خمسة وسبعين (٧٥) بيتاً شعرياً^(٢).

٤١. بشار بن برد ت ١٦٧هـ/ ٧٨٤م

بشار بن برد العُقيلي، أبو معاذ، أشعر المولدين^(٣) على الإطلاق، نسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل إنها اعتقته من الرق، وكان ضريراً، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير، قيل: "كان شاعراً راجزاً، سجعاً خطيباً، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة"، اتهم بالزندقة، فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة، وكانت عادته إذا أراد أن ينشد أو يتكلم أن يتقل عن يمينه وشماله ويصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم يقول، وحفلت كتب التاريخ والأدب بالكثير من أخباره وأشعاره^(٤).

(١) ابن الدمينه (عبد الله بن عبيد الله بن أحمد ت ١٣٠هـ/ ٧٤٨م): ديوان ابن الدمينه، تح أحمد النفاح، مطبع المدني، القاهرة، د.ت، ص ٨٨. التذكرة، ج ٦، ص ٥٨.

(٢) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن الدمينه	التذكرة
ص ٩١	ج ٦، ص ٥٩ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٤٨	ج ٦، ص ٦٤ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٣٢	ج ٦، ص ١٣٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢١	ج ٦، ص ١٣٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٠٣	ج ٦، ص ١٦٨ ورد في هذه الصفحة ٢٥ بيتاً شعرياً
ص ١٣	ج ٦، ص ١٧٠ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ٥٠	ج ٦، ص ١٧١ ورد في هذه الصفحة ١٤ بيتاً شعرياً

(٣) المولدون: الشعراء الذي أحدثوا في العربية ألفاظاً وأوضاعاً شعرية ليست أصيلة في تقاليد الشعر العربي القديم.

البستاني: أدباء العرب، ص ٢٧.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ١٢٧. الثعالبي: لباب الآداب، ص ١٧٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان،

ج ١، ص ٢٧١.

استقى ابن حمدون من شعر بشار بن برد ثلاثة عشر (١٣) شاهداً شعرياً، جاءت في واحدٍ وأربعين (٤١) بيتاً شعرياً، وتمحورت في عدة مواضيع، حيث أورد ابن حمدون في المواعظ قائلاً: "وقال بشار:

كيف يبكي لمحبسٍ في طُلُولٍ من يُبكي لحبسٍ يومٍ طويلٍ
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشغلاً عن وقوفٍ برسمِ دارٍ محيلٍ^(١)
وفي محاسن الأخلاق ومساوئها: "وقال بشار في نحوه:

إذا كان ذواقاً أخوك من الهوى موجهةً في كلِّ أُوْبٍ ركائبه
فخلَّ له وَجَهَ الفراقِ ولا تكنُ مطيَّةً رَحَالٍ كثيرٍ مذهبه"^(٢)

وقد تناثرت شواهد بشار في التذكرة فورد شاهدان في الجزء الأول، ومثلهما في الجزئين الثاني والسابع، وشاهد واحد في الجزء السادس، وستة شواهد في الجزء الخامس^(٣).

٤٢. الحسين بن مطير الأسدي ت ١٧٠هـ/٧٨٧م

الحسين بن مطير بن مكلّم الأسدي، مجهول تاريخ الولادة، ولكن أغلب الظن أنه ولد في مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ويُقال أنه كان يعيش في زُبالة، وهي موضع معروف على طريق مكة باتجاه الكوفة، عارمةً بالأسواق، وكان الحسين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، له أماديح في رجالهما، وكان زيه وكلامه كزَيِّ أهل البادية وكلامهم، قدم على معن بن زائدة لما ولي اليمن، فمدحه، ولما مات معن رثاه^(٤).

اقتبس ابن حمدون من شعر الحسين بن مطير ستة (٦) شواهد شعريّة، جاءت في واحدٍ وثلاثين (٣١) بيتاً شعرياً، وكان من الطبيعي أن يكون الرثاء أحد أهم موضوعات هذه الشواهد، وبخاصة رثاؤه لمعن بن زائدة في سبعة أبيات: "قال الحسين بن مطير الأسدي:

(١) بشار بن برد (بشار بن برد العقيلي ت ١٦٧هـ/٧٨٤م): ديوان بشار، تح محمد الطاهر، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م، ج ١، ص ١٨٩. التذكرة، ج ١، ص ٢٠٨.
(٢) بشار بن برد: ديوان بشار، ج ١، ص ٤٥. التذكرة، ج ٢، ص ٢٥٢.
(٣) وردت هذه الشواهد على سبيل المثال لا الحصر:
(٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١١٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٣٣٠. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١١٥٧. الكتبي: فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٨٨.

ديوان بشار بن برد	التذكرة
ج ٢، ص ٢٢٤	ج ٢، ص ٢٢٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ١، ص ١٨٨	ج ٥، ص ٢٦١ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

فيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ من الأرضِ خُطَّتْ للسماحةِ مضجعا
ويا قبرَ معنٍ كيف واريثَ جوده وقد كان منه البرُّ والبحرُ مترعا
بلى قد وَسِعتَ الجودَ والجودُ ميَّتَ ولو كان حيًّا ضِقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبح عرنينُ المكارمِ أجدعا^(١)

ولم تقتصر الشواهد على التعازي والمرثي فقط، بل طرق الحسين موضوع الهوى والحب والوصف، كوصفه السحاب والغيث، وهذا ما دَوَّنه ابن حمدون في تذكرته.

وورد في كلٍّ من الأجزاء الأول والرابع والخامس والتاسع شاهد واحد فقط، بينما ورد شاهدان في الجزء السادس^(٢).

٤٣. ابن هرمة ت ١٧٦هـ/٧٩٣م

إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، أبو إسحاق، شاعر من فحول الشعراء، ومن سكان المدينة، وكان من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي، فأكرمه بالعطايا وحظي عنده بالرعاية، ثم قدم على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة المنورة، بعد أن طلب المنصور بأن يُرسل له من المدينة كبار خطبائهم وشعرائهم، فكان ابن هرمة منهم، وقد أُعجب به المنصور وأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان ابن هرمة مولعاً بالشراب لذلك أقام الحدَّ عليه صاحب شرطة المدينة، فقال ابن هرمة مرةً للخليفة المنصور: "يا أمير المؤمنين، إني مغرم بالشراب، وكلما أمسكني والي المدينة حدني، وقد طال هذا، فاكتب لي إليه، فقال: ويحك! كيف أكتب في حدٍّ من حدود الله تعالى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، احتل لي في ذلك؛ فكتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد، فمن أتاك بابن هرمة سكراناً، فحد ابن هرمة ثمانين واجلد الذي يأتيك به مائة"؛ فكان يمر به العسس وهو سكران ملقى على قارعة الطريق فيقولون: من

(١) ابن مطير (الحسين بن مطير بن مكمل ت ١٧٠هـ/٧٨٧م): ديوان الحسين بن مطير، تح حسين عطوان، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، د.ت، مج ١٥، ص ١٧٢. التذكرة، ج ٤، ص ٢١٤.

(٢) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان الحسين بن مطير	التذكرة
ص ١٦٧	ج ١، ص ٢٢٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٨	ج ٥، ص ٣٤٤ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٥٤	ج ٦، ص ١٣٨ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٤٦	ج ٦، ص ١٦٦ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١٢	ج ٩، ص ٦٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

يشتري ثمانين بمائة؟" ^(١)، ومات في المدينة ودفن في البقيع ^(٢)، ولكن هل يعقل أن يستجيب خليفة المسلمين لشاعر في خرق حدٍّ من حدود الله؟ وكيف سوغ له ذلك؟ وإذا صحيحاً ما قام به المنصور، فيمكن القول بأن الخلفاء كانوا يعملون لمصالحهم الشخصية ليس لمجتمعهم، وعلى ما يبدو أن الخليفة المنصور كان يهيمه أن يستميل كبار الشعراء والخطباء إلى جانبه، لما كان لهم من دورٍ في دعم خلافته، وتثبيت أركان حكمه بين عامة الشعب.

بلغ عدد الشواهد التي اقتبسها ابن حمدون من شعر ابن هرمة تسعة (٩) شواهد شعرية، جاءت أغراضها الشعرية في السخاء والجود والبأس والشجاعة والرضا والقناعة وذم الطمع، وقد أورد شاهداً شعرياً جاء في ثمانية أبيات شعرية، نسبها لابن هرمة، ولم ترد في الديوان ^(٣)، ففي الباب المخصص للعتاب ذكر ابن حمدون: "وقال ابن هرمة:

إن كنت لا ترهبُ ذمِّي لما	تعلم من صفحي عن الجاهل
فاخشَ سكوتي أن أرى منصتاً	فيك لمسموع خنا القائل
فسامعُ الذمِّ شريك له	ومطعمُ المأكول كالآكل" ^(٤)

وبالعودة إلى المصادر الأدبية يُلاحظ بأن هذه المصادر اختلفت فيما بينها بنسب هذه الأبيات.

أما في القناعة والرضى بالحياة، فنقل ابن حمدون عن ابن هرمة قوله:

"وفي اليأس عن بعض المطامع راحةً
ويا رُبَّ خيرٍ أدركته المطامع" ^(٥)

وكالعادة توزعت هذه الشواهد في التذكرة حسب موضوعات أبوابها، فجاءت ثلاثة شواهد في كل من الجزئين الثاني والخامس، وشاهدان في الجزء الثالث،

(١) الكتبي: فوات الوفيات، ج ١، ص ٣٤.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ٤، ص ٣٦١. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٤٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧، ص ٦٣.

(٣) ابن حمدون: التذكرة، ج ٥، ص ٤١.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ٤١.

(٥) ابن هرمة (إبراهيم بن علي سلمة ت ١٧٦هـ/٧٩٣م): ديوان ابن هرمة، تح محمد المعبيد، مكتبة الأندلس، بغداد،

١٩٦٩م، ص ١٤١. التذكرة، ج ٣، ص ١٢٧.

وشاهد في الجزء الرابع ^(١)، بينما بلغ عدد الأبيات الشعرية المعتمدة في التذكرة لابن هرمة واحداً وثلاثين (٣١) بيتاً شعرياً.

٤٤. أبو الهندي ت ١٨٠هـ/٧٩٧م

غالب بن عبد الله القدوس بن شبت بن ربيعي الرياحي اليربوعي، المكنى بأبي الهندي، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، قال فيه المؤرخون: "كان جزل الشعر، سهل الألفاظ، لطيف المعاني، كانت إقامته في سجستان وخراسان، وكان يُتهم بفساد الدين، وجُلُّ شعره كان في وصف الخمر، وهو أول من تقفن في وصفها من شعراء الإسلام" ^(٢)، ويبدو أن سكره هذا كان سبب حقه، فذكر أنه كان يوماً يسكر مع رفاقه على سطح منزل فتملّ، وعندما أرادوا النوم ربطوا قدم أبو الهندي خوفاً من سقوطه، لأنه كان يتقلب كثيراً، وهذا ما حصل بالفعل، حيث سقط من السطح فأمسكه الحبل، فظلّ على هذه الحال حتى الصباح، فوجد ميتاً ^(٣).

ومن المؤكد أن أبي الهندي ما دام مشهوراً بوصف الخمر، فإن الشواهد ستكون مُنصبةً على هذا الموضوع، وقد بلغ عددها أربعة (٤) شواهد شعرية،

^(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن هرمة	التذكرة
ص ١٨٣ - ص ٢٠٦	ج ٢، ص ٢٦٧ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية
ص ١٨٩	ج ٢، ص ٤٣٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٦٧	ج ٢، ص ٤٣٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٤٠	ج ٣، ص ١٢٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٧٠	ج ٤، ص ٢١ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٠٤	ج ٥، ص ٣٨٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢١٤	ج ٥، ص ٤٠٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

^(٢) الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ١٦٣.

^(٣) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦٧١. الأصفهاني: الأغاني، ج ٢٠، ص ٣٤٣. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٦٩.

جاءت في سبعة (٧) أبيات شعرية^(١)، ووردت جميعها في الجزء الثامن من التذكرة، ومما قاله في وصف الخمر: "وقال أبو الهندي:

مُفَدِّمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رَقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْرَعَهَا الرُّعْدُ " (٢)

٤٥. ابن الأحنف ت ١٩٢هـ/٨٠٨م

العباس بن الأحنف بن الأسود اليمامي، أبو الفضل، أصله من اليمامة، وكان أهله في البصرة، وفيها مات أبوه، نشأ هو في بغداد وتوفي فيها، فيما ذكر بعض المؤرخين أنه توفي في البصرة، وخالف الشعراء في طريقتهم، فلم يمدح ولم يهج، واتفق المؤرخون بأن شعره كله غزل رقيق، حيث قال فيه ابن خلكان: "كان رقيق الحاشية لطيف الطباع، جميع شعره في الغزل، لا يوجد في ديوانه مديح"^(٣)، وأكد على ذلك الحموي بقوله: "شاعر مجيد رقيق الشعر من شعراء الدولة العباسية، إلا أن كل شعره غزل لا مديح فيه ولا هجاء ولا شيئاً من سائر ضروب الشعر"^(٤).

اقتبس ابن حمدون من شعر ابن الأحنف أربعة (٤) شواهد شعرية، وردت في عشرة (١٠) أبيات شعرية، وجاءت جميعها في الحب والغزل، باستثناء شاهد واحد جاء في الوصف، ففي الغزل، قال ابن حمدون: "وقال العباس بن الأحنف:

خيالك حين أرقد نُصِبَ عيني إلى وقتٍ انتباهي لا يزول
وليس يزورني صِلَةٌ ولكن حديث النفس عنك به الوصول " (٥)

^(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي الهندي	التذكرة
ص ٤٤	ج ٨، ص ٣٧٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٧	ج ٨، ص ٣٨٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٠	ج ٨، ص ٣٩٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

^(٢) أبو الهندي (غالب بن عبد الله القدوس ت ١٨٠هـ/٧٩٧م): ديوان أبو الهندي، تح عبد الله الجبوري، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٣٠. التذكرة، ج ٨، ص ٣٨٦.

^(٣) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠.

^(٤) معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٤٨١.

^(٥) ابن الأحنف (العباس بن الأحنف بن الأسود ت ١٩٢هـ/٨٠٨م): ديوان العباس بن الأحنف، تح عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٣١. التذكرة، ج ٦، ص ٨٦.

وتركز ورود هذه الشواهد في جزئين فقط هما، الجزء الخامس الذي ضمَّ شاهد واحد، والجزء السادس الذي دُوِّن فيه ثلاثة شواهد شعرية^(١).

٤٦. أبو نؤاس ت ١٩٨هـ/٨١٤م

الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي، أبو نؤاس، ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ في البصرة، وحسب ما ورد في تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق^(٢)، وهو من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، انتقل إلى الأهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نؤاس، وارتحل أبو نؤاس إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء العباسيين، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، ومن ثم عاد إلى بغداد، فأقام فيها حتى وفاته، قال فيه الجاحظ: "ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نؤاس"^(٣)، وقيل: "كان أبو نؤاس للمحدثين كإمرئ القيس للمتقدمين"^(٤)، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، فوصفه ابن خلكان قائلاً: "وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في العشرة، وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء: منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة"^(٥).

لم يَعْلَ على ابن حمدون أهمية شعر أبي نؤاس، لذلك اعتمد على عددٍ كبيرٍ من الشواهد الشعرية بلغت سبعة وخمسين (٥٧) شاهداً شعرياً، مُتضمنَةً مائتين واثنين وثمانين (٢٨٢) بيتاً شعرياً، وجاءت موضوعات هذه الشواهد متنوعةً، في المدح والثناء، والأوصاف والنعت، والغزل والنسيب، والفخر والمفاخرة، حتى أن ابن حمدون في كثير من الأحيان ينقل صفحات كاملة من شعر أبي نؤاس، خاصة في باب الأوصاف والنعت، ففي باب الغزل، قال: "وقال أبو نؤاس:

دع جناناً وذكرها
عنك إن كنت عاقلاً

(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان العباس بن الأحنف	التذكرة
ص ١٥١	ج ٥، ص ٣٣٥ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٥١	ج ٦، ص ٩٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٩٧	ج ٦، ص ١٩٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

(٢) تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٤٠٧.

(٣) الحيوان، ج ٢، ص ٢٧١.

(٤) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ١٩٣.

(٥) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٩٥.

لا تُذَكِّرْ بنفسِكَ الـ موتَ ما دامَ غافلاً^(١)

كما استقى ابن حمدون في باب المدح والثناء أشعاراً لأبي نواس، منها: "وقال الحسن بن هانئ:

ترى الناسَ أفواجاً على بابِ دارِهِ كأنهم رِجْلاً دَبَا وَجَزَادِ
فيومٍ لِلْحَاقِ الْفَقِيرِ بذِي الْغِنَى وَيَوْمُ رِقَابِ بُوكِرَتْ بِحِصَادِ^(٢)

وتوزعت الشواهد في التذكرة: ثمانية شواهد في الجزء الرابع، وتسعة عشر شاهداً في الجزء الخامس، وتسعة شواهد في الجزء السادس، وسبعة عشر شاهداً في الجزء الثامن، وأربعة شواهد في الجزء التاسع^(٣).

٤٧. مسلم بن الوليد ت ٢٠٨هـ/٨٢٤م

مسلم بن الوليد الأنصاري، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني، من أهل الكوفة، ومن فحول شعراء الغزل، امتاز شعره بغزارة البديع فيه وتبعه الشعراء بذلك، وعندما قدم بغداد أنشد الخليفة هارون الرشيد العباسي قوله:

وما العيشُ إلا أن تروَحَ مع الصَّبَا وتغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النَجِلِ

(١) أبو نواس (الحسن بن هانئ ت ١٩٨هـ/٨١٤م): ديوان أبو نواس، تح إيفالد فاغنر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٨٧٧. التذكرة، ج ٦، ص ٦١.
(٢) أبو نواس: الديوان، ص ٣٨٦. التذكرة، ج ٤، ص ٤٦.
(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي نواس	التذكرة
ص ٥٠٨	ج ٤، ص ٦١ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٧٤	ج ٤، ص ٧٧ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٥٣٨	ج ٤، ص ٩٤ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٦٨٧	ج ٥، ص ١٠٧ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٥١١	ج ٥، ص ٢٦٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٨٨	ج ٥، ص ٢٧٥ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٧١	ج ٩، ص ٤٤ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٣١٦	ج ٩، ص ٣٥٣ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية

فلقبه بصريع الغواني، فعرف به من هنا، ودخل في خدمة الفضل بن سهل، فولاه بريد جرجان، فاستمر في منصبه إلى أن مات فيها ^(١)، وذكرت المصادر، أنه قدم مع الخليفة المأمون إلى جرجان، وقبره فيها معزوف ^(٢)، كما خدم الوالي يزيد بن مزيد الشيباني ^(٣) وله فيه قصائد مدح كثيرة ^(٤).

تم الاقتباس من شعر مسلم بن الوليد أربعة عشر (١٤) شاهداً شعرياً، تنوعت أبياتها من وصف إلى فخر ورثاء، مثل رثائه ليزيد بن مزيد الشيباني ومدحه أيضاً، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في المدح قائلاً: "قال مسلم بن الوليد:

جلبت لك الثناء فجاء عفواً ونفس الشكر مطلقاً العقال
ويُرْجَعُنِي إِلَيْكَ إِذَا نَأَتْ بِي ديارى عنك تجربة الرجال" ^(٥)

توزعت الشواهد على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والثامن، وخمسة شواهد في الجزء الرابع، وأربعة شواهد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء السادس ^(٦)، وقد أورد ابن حمدون في موضع واحد أبياتاً لمسلم ذكرها ضمن رواية نقلها عن كتاب الأغاني، وقد بلغ عدد الأبيات في التذكرة لمسلم واحداً وأربعين (٤١) بيتاً شعرياً.

(١) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٧٢.

(٢) تاريخ جرجان، ص ٤٦٣.

(٣) يزيد بن مزيد: أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان، كان والياً بأرمينية وأذربيجان سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، وكان الخليفة هارون الرشيد ينتدبه لأقوى المعارك مع الخوارج، وكان فيما وليه اليمن، وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة. توفي ببردة سنة ١٨٥هـ/٨٠١م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٦، ص ٤٩٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٢٧.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٩، ص ٣٦. ابن المعتز: طبقات فحول الشعراء، ص ٢٣٤.

(٥) مسلم بن الوليد (مسلم بن الوليد ت ٢٠٨هـ/٨٢٤م): ديوان صريع الغواني، تح سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د.ت، ص ٣٣٦. التذكرة، ج ٤، ص ١٠١.

(٦) وردت بعض هذه الروايات في الصفحات التالية:

ديوان مسلم بن الوليد	التذكرة
ص ٢٣٤	ج ٤، ص ٤٥ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٣١٣	ج ٤، ص ٢١٥ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٨٦	ج ٥، ص ٢١٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٧٣	ج ٥، ص ٣١٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٦٣	ج ٥، ص ٣٨٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٣١١	ج ٦، ص ٢٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

٤٨. أبو العتاهية ت ٢١١هـ/٨٢٧م

لم يألو ابن حمدون جهداً في الاعتماد على أعلام الشعر العربي في تذكرته، ومن ألمع هؤلاء الأعلام، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي (من قبيلة عنزة)، أبو إسحاق، الشهير بأبي العتاهية، ولد في (عين التمر) بقرب الكوفة، غير أنه نشأ في الكوفة، ثم سكن بغداد، وكان في بداية حياته يبيع الجرار ففيل له (الجرار)، ثم اتصل بالخلفاء العباسيين وعلت مكانته عندهم، ومدح المهدي والرشيد، ثم تزهد ونأى عن نظم الشعر، يقال أنه كان شاعراً مُكثرًا، سريع الخاطر، وفي شعره إبداع، فكان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل، وهو يُعدُّ من مقدمي المولدين، من طبقة بشار بن برد وأبي نواس وأمثالهما، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء في بداياته، ثم عدلَ عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ، توفي في بغداد في خلافة المأمون^(١).

اقتبس ابن حمدون من شعر أبي العتاهية أربعة عشر (١٤) شاهداً شعرياً، وجاءت هذه الأبيات متنوعة من مدح وثناء إلى عتاب وذم وغير ذلك من الموضوعات، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون في العتاب: "قال أبو العتاهية:

أنتي عليك ولي حالٌ تكذبني فيما أقولُ فأستحيي من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صفدٍ طأطأتُ من سوء حالي عندها رأسي"^(٢)

وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الأجزاء الأول و الرابع والثامن، وثلاثة شواهد في الجزء الثاني، وشاهدان في الجزء الخامس، وثلاثة في الجزء السادس،

(١) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٣٤. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢١٩. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ١، ص ٤٢٦.

(٢) أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم بن سويد ت ٢١١هـ/٨٢٧م): ديوان أبو العتاهية، تح شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ص ٥٦٩. التذكرة، ج ٥، ص ٥٧.

وثلاثة في الجزء التاسع^(١)، فيما بلغ عدد الأبيات الشعرية التي ضمتها التذكرة لأبي العتاهية سبعة وثلاثين (٣٧) بيتاً شعرياً.

٤٩. أبو تمام ت ٢٣١هـ/٨٤٦م

حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج، من أهل جاسم^(٢)، نشأ في مصر، وقيل أنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر، وكان أوجد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه، ولهُ من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره، وقيل إنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد، وله كتاب "الحماسة" الذي دلّ على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله أيضاً "فحول الشعراء"، جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء ما قبل الإسلام والمخضرمين والمسلمين، وله كتاب "الاختيارات من شعر الشعراء"^(٣)، وقال فيه ابن خلكان: "خرج من قبيلة طيء ثلاثة، كل واحد مجد في بابه: حاتم الطائي في جوده، وداد بن نصير الطائي في زهده، وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره"^(٤)، وتوفي في الموصل سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م.

بلغ عدد الشواهد التي اقتبسها ابن حمدون من شعر أبي تمام تسعة وأربعين (٤٩) شاهداً شعرياً، وقد جاءت الأغراض الشعرية في هذه الشواهد متنوعة، من مدح إلى هجاء ثم نعت ووصف، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب المدح والثناء قائلاً: "وقال أوس بن حبيب:

(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي العتاهية	التذكرة
ص ١٤٤	ج ١، ص ٢٦٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٩٦	ج ٢، ص ٣٢٨ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٣١٢	ج ٢، ص ٣٨٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٥٤٠	ج ٤، ص ٥٣ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٣٧٦	ج ٥، ص ٤٥ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٧٥	ج ٩، ص ٢٣١ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

(٢) جاسم: اسم قرية، بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ (٤٠ كم)، على يمين الطريق إلى طبرية، وهي اليوم بلدة تابعة لمحافظة درعا السورية. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٤.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ١٥٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ١٦. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٢٥.

(٤) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١.

إذا أناخوا ببابه أخذوا حكمتهم من لسانه ويده^(١)

يُلاحظ أن ابن حمدون قد قع في الخطأ مرتين، الأولى عندما أخطأ في اسمه فذكره أوس بن حبيب، بدلاً من حبيب بن أوس، والمرة الثانية عندما نقل كلمة خاطئة في الشطر الثاني من البيت الثاني، حيث وردت حكيمهم بدلاً من حكمتهم، ويُلاحظ أن الاختلاف يكون عادةً في كلمة واحدة سواء في التقديم أو في التأخير بحيث لا يؤثر كثيراً على المعنى، مما يُرجح فرضية النقل الخاطئ أثناء الكتابة، كما أورد ابن حمدون بعض الأبيات جاءت ضمن روايات نقلها من موارد أخرى، فعلى سبيل المثال، ذكر ابن حمدون في باب السيادة روايةً نقلها عن الأغاني، قال فيها: "حرم الحجاج الشعراء في أول مقدمه العراق، فكتب إليه عبد الملك أجز الشعراء فإنهم يحبون مكارم الأخلاق ويحرضون على البر والسخاء"، فيعلق ابن حمدون على هذه الرواية بقوله: "نظر إلى هذا المعنى أبو تمام فقال:

ولولا خلال سنّها الشعرُ ما درّت بُغاة العُلَى من أين تُؤتَى المكارم^(٢)

ونال الجزء الخامس النصيب الوافر من الشواهد الشعرية فضمّ واحداً وعشرين شاهداً، بينما ورد شاهدان في الجزء الثالث، وثلاثة شواهد في الجزء الثاني، وسبعة شواهد في الجزء الرابع، وخمسة شواهد في الجزء السادس، وثلاث شواهد في الجزء السابع، وسبعة شواهد في الجزء الثامن، وشاهد واحد في الجزء التاسع^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لأبي تمام مائة وواحد وتسعين (١٩١) بيتاً شعرياً، وبذلك يُعدُّ من أهمّ موارده الشعرية.

(١) أبو تمام (حبيب بن أوس بن الحارث ت ٢٣١هـ/٨٤٦م): ديوان أبو تمام، تح محمد عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت، ج١، ص٤٣٦. التذكرة، ج٤، ص٤٦.

(٢) أبو تمام: ديوانه، ج٣، ص١٨٣. التذكرة، ج٢، ص١٠٩.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي تمام	التذكرة
ج٣، ص١٨٣	ج٢، ص١٠٩ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج٤، ص٤٠٧	ج٢، ص٢٠٧ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج٣، ص٢٦٨	ج٣، ص٢٦٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج١، ص٢٧٦	ج٤، ص٤٧ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج١، ص١٤٥	ج٤، ص١٤٢ ورد في هذه الصفحة ٢٠ بيتاً شعرياً
ج٤، ص٤٨٣	ج٥، ص٢١ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ج٤، ص٣٣	ج٥، ص٢٦٢ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية

٥٠. ديك الجن ت ٢٣٦هـ/٨٥١م

ومن أعلام الشعراء الذي ارتبط اسمه بمدينة حمص، عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، من بني تميم الكلبى، يُكنى أبا محمد، ولُقّب بديك الجن لأن عينيه خضراوتان، أصله من سلمية، ومولده في حمص، كان شاعراً مجيداً، فيه بعض المجون، وهو من شعراء الدولة العباسية، لم يفارق الشام ولم يرحل إلى العراق، ولا إلى غيرها منتجاً بشعر، ولا متصدياً لأحد، وله قصة مشهورة مع جاريته ورد التي كان يهواها، ولكنه اتهمها بغلامه فقتلها وندم على ذلك، فأكثر من رثائها والغزل فيها^(١).

ولم يكن اعتماد ابن حمدون على شعر ديك الجن كبيراً، بل استقى منه أربعة (٤) شواهد شعرية فقط، ضمت تسعة (٩) أبيات شعرية، وجاءت موضوعاتها في الإخاء والمودة، والغزل والحب والهوى، قال ابن حمدون: "وقال ديك الجن:

كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي قِطَاةً تَذَكَّرْتُ عَلَى ظَمَأٍ وَرْدًا فَهَزَّتْ جَنَاحَهَا
وَلِي كَبْدٌ حَرَّى وَنَفْسٌ كَأَنَّهَا بِكَفِّ عَدُوٍّ مَا يَرِيدُ سَرَاحَهَا"^(٢)
وقد جاء شاهد واحد في الجزئين الأول والثامن، وشاهدان في الجزء السادس^(٣).

٥١. عبد الصمد بن المعذل ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م

عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم العبدي، من بني عبد القيس، يُكنى أبا القاسم، كان أخوه أحمد من كبار الفقهاء، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، كان هجاءً، خبيث

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٤، ص ٥٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٣٦، ص ٢٠٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٨٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٥٧.
(٢) ديك الجن (عبد السلام بن رغبان ت ٢٣٦هـ/٨٥١م): ديوان ديك الجن، تح أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ٦٣. التذكرة، ج ٦، ص ٥٩.
(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

التذكرة	ديوان ديك الجن
ج ٤، ص ٣٦٣ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد	ص ١٧٥
ج ٦، ص ٨٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية	ص ٢١٠
ج ٨، ص ٣٧٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية	ص ١٠٨ .

اللسان، حتى الذين مدحوه لم يسلموا من هجائه، وكان له قصائد كثيرة في الحب والغزل^(١)، والسؤال المطروح هنا، لماذا كان ابن المعدل هجاءً لدرجة أنه لم يسلم من لسانه أحد؟

لم تذكر المصادر التي وقف عليها البحث معلومات حول عبد الصمد في الصبا، ولكن يبدو أنه تعرّض لمواقف خلال حياته أجبرته على هذا السلوك، وخاصة أن أسرته لم تعرف هكذا طباع، إضافة إلى أن أخوه أحمد كان من كبار الفقهاء المتكلمين في البصرة.

اقتبس ابن حمدون من شعر عبد الصمد خمسة (٥) شواهد شعرية، بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين (٢٣) بيتاً شعرياً، وجاءت موضوعاتها في الرثاء والهجاء والوصف، ففي الوصف، استقى ابن حمدون من شعر عبد الصمد، يصف فيه آلات الصيد قائلاً: "وقال عبد الصمد:

كأنها والخزُر من أحداقها والخطط السود على أشداقها
ترك جَرى الإثم في آفاقها"^(٢)

وقد توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في الجزء الرابع، وأربعة شواهد في الجزء الخامس^(٣).

٥٢. دعبل ت ٨٢٤٦/٨٦١م

دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي، شاعر هجاء، أصله من الكوفة، أقام في بغداد، له أخبار كثيرة مع خلفاء بني العباس أمثال الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، وقد هجاهم جميعاً، وكان صديقاً للشاعر البحتري، قال فيه ابن خلكان: "كان بذيء اللسان، مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس"^(٤)، وطال عمره، فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٣، ص ٢٥٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٣٠. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٧٥.

(٢) ابن المعدل (عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ت ٨٥٥/٨٢٤م): ديوان عبد الصمد، تح زاهر غازي، مكتبة النعمان، بغداد، ١٩٧٠م، ص ١٣٦. التذكرة، ج ٥، ص ٢٧٤.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان عبد الصمد	التذكرة
ص ١٦٥	ج ٤، ص ٢٨٨ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ١٨٤	ج ٥، ص ١٧٧ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية
ص ٨٠	ج ٥، ص ٣٠٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٩٠	ج ٥، ص ٣٦٣ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

(٤) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٦٦.

يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك^(١)، وتوفي في بلدة تدعى الطيب^(٢)، قال فيه الصفي: "الشاعر المشهور له شعر رائع صنف كتاباً في طبقات الشعراء"^(٣).

وعند العودة إلى التذكرة، لوحظ أن ابن حمدون اقتبس من شعر دعبل واحداً وثلاثين (٣١) شاهداً شعرياً، وعلى الرغم من أن دعبل عُرف بأهاجيه بين الشعراء، إلا أن الأبيات التي وردت له في التذكرة تنوعت أغراضها، فجاءت في الشجاعة والمدح والوصف والعتاب، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون في حديثه عن العتاب: "قال دعبل:

أخ لك عاداك الزمان فأصبحت
مذمة في ما لديه المطالبُ
متى ما تروقه التجارب صاحباً
من الناس تُرجعه إليك التجاربُ"^(٤)

وما اجتهد به ابن حمدون أنه أورد بيتاً واحداً لدعبل في باب الغزل لم يرد في ديوانه، وربما كان هذا البيت من كتبٍ فُقدت فيما بعد، لكنها كانت موجودة زمن كتابة التذكرة، قال فيه: "وقال دعبل:

لا أبتغي سقيا السحاب لها
في مقلتي خَلَفَ من السقيا"^(٥)

توزعت هذه الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في الجزء الرابع، وأربعة وعشرون شاهداً في الجزء الخامس، وشاهدان في الجزء السادس، وأربعة شواهد في الجزء الثامن^(٦)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لدعبل مائة وخمسة وعشرين (١٢٥) بيتاً شعرياً.

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٦٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ٢٤٥.

(٢) الطيب: بليدة بين واسط وخوزستان، وبينها وبين كل واحدة منهما ثمانية عشر فرسخاً (٩٠ كم)، وقد نسب إليها جماعة من العلماء مثل، أحمد بن إسحاق الطيبي وبكر بن محمد الطيبي. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٣.

(٣) الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ١٠.

(٤) دعبل (دعبل بن علي بن رزين ت ٢٤٦هـ/٨٦١م) : ديوان دعبل، تح حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت،

ط ١، ١٩٩٤م، ص ٢٨. التذكرة، ج ٥، ص ٤٩.

(٥) التذكرة، ج ٦، ص ٩٣.

(٦) وردت بعض الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان دعبل	التذكرة
ص ١٣٠	ج ٥، ص ٢٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٩٤-٩٣	ج ٥، ص ٥٦ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٨٤	ج ٥، ص ١١٢ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٧٤	ج ٨، ص ١٦٩ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية

٥٣. علي بن الجهم ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م

علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني لؤي بن غالب، من أهل بغداد، كان أديباً شاعراً مجيداً عالماً بفنون الشعر، ومعاصراً للشاعر أبي تمام، وخُصَّ بالخليفة المتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل لأنه هجاه، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل بعدها إلى حلب، ثم خرج منها عائداً إلى العراق، فورد كتاب إلى الخليفة العباسي المستعين بالله من قبل صاحب البريد في حلب، بخروج ابن الجهم متجهاً إلى العراق، فاعترضه فرسان من بني كلب بالقرب من حلب، وعلى الرغم من أن بني كلب كانوا يقطنون في جنوب بلاد الشام، لكن على ما يبدو أن الفرسان كانوا يعملون ضمن شرطة الخلافة الأموية، فالتقوا بعلي بن الجهم مع جماعة كانوا معه، فقاتلهم، وجرح، ومات من جراحه^(١).

وبين صفحات التذكرة العديد من شواهد علي بن الجهم، بلغ عددها اثني عشر (١٢) شاهداً شعرياً، تنوعت موضوعاتها، فجاء بعضها في الاعتذار والبعض الآخر في الهجاء والفخر والتعازي والمراثي، فعلى سبيل المثال، في باب الاعتذار من التذكرة، بعضاً من أشعار ابن الجهم مثلاً: "وقال علي بن الجهم:

ليس عندي وإن تَغَضَّبْتَ إلا طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضى فإن رضى السا دات عز وعنبهم تقويم^(٢)

وقد توزعت الشواهد في التذكرة على النحو الآتي: ثلاثة شواهد في الجزء الرابع، وستة شواهد في الجزء الخامس، وشاهد واحد في كل من الأجزاء السادس والثامن والتاسع^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لابن الجهم واحداً وخمسين (٥١) بيتاً شعرياً.

(١) ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٣١٩. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٩٠. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٥٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٠، ص ١٧٨.

(٢) ابن الجهم (علي بن الجهم بن بدر ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م): ديوان ابن الجهم، تح خليل مردم بك، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٦م، ص ١١٨. التذكرة، ج ٤، ص ١١٣.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان ابن الجهم	التذكرة
ص ٤١	ج ٤، ص ٣٠٥ ورد في هذه الصفحة ١٤ بيتاً شعرياً
ص ١٣٨	ج ٥، ص ١٣٨ ورد في هذه الصفحة ٨ أبيات شعرية
ص ٢٩	ج ٥، ص ٣٨٥ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٠٥	ج ٨، ص ٣٩٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

٥٤. ابن الرومي ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م

علي بن العباس بن جريج، وقيل: جورجيس الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالى بني العباس، ولد ونشأ في بغداد، ومات فيها مسموماً بعدما دس له السم وزير المعتضد، القاسم بن عبيد الله، بسبب هجائه له، وفي هذا الصدد قال المرزباني: "لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس، إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته"^(١)، وقال فيه ابن خلكان: "الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية، وكان شعره غير مرتب"^(٢)، ومن خلال دراسة الدواوين الشعرية وشعراء التذكرة حتى هذه اللحظة، يُلاحظ أن معظم الشعراء الذين كانوا على صلة بالسلطة الحاكمة ماتوا قتلاً بسبب هجائهم لهؤلاء الحكام، وفي هذا دلالة على أنه من خرج عن الخط المرسوم له يُبعد بأي شكل من الأشكال، إن لم يكن بالقتل فالبسجن.

وقد اعتمد ابن حمدون على شعر ابن الرومي بشكل كبير، واقتبس منه الكثير، فلا يكاد يخلو باب من أبواب التذكرة إلا وفيه شعر لابن الرومي، وبلغ عدد الشواهد الشعرية مائة وأربعة (١٠٤) شواهد شعرية، أما موضوع هذه الشواهد فقد تنوع من وصف لشجاعة ومروءة وكرم وجود، إلى هجاء وذم وتقريع ببخل وجبن، تبعه غزل وهوى وحب، وجاءت معظم الشواهد، التي اقتبسها ابن حمدون من شعر ابن الرومي في الجزء الخامس في الباب الثالث والعشرين الموسوم "باب الهجاء والمذمة" حيث أورد ابن حمدون قائلاً: "وكان أبو تمام والبحتري معاً، مع تقدمهما في الشعر وضروبه، ناقصي الحظ من الهجاء، ولا طائل لهما فيه، إلا أن ابن الرومي كان فيه غاية بل آية، زاد على من تقدمه بالتصرف في فنونه، والغوص على دقيق معان استنبطها لم يسبق إليها، ونهج السبيل لمن تبعه، وأنا جامع ها هنا جملة من أهاجيه متتابعة فمن ذلك قوله:

صبراً أبا الصقر فكم طائر	خرّ صريعاً بعد تحليق
رُوجَتْ نَعْمَى لم تكن كُفُوها	فصانها الله بتطبيق
لا قُدْسَتْ نَعْمَى تسربلتها	كم حُجَّةٍ فيها لزندق ^(٣)

ثم يتابع ابن حمدون سرد ما اختاره لابن الرومي من أشعار وقصائد، وبذلك يُقدم ابن حمدون نفسه على اعتباره ناقدًا شعرياً من الطراز الرفيع مما ساهم في إعلاء شأن تذكرته.

(١) معجم الشعراء، ص ٢٨٩.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٥٨.

(٣) ابن الرومي (علي بن العباس بن جريج ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م): ديوان ابن الرومي، تح حسين نصار، دار الكتب

القومية، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ١٣٩٩. التذكرة، ج ٥، ص ١٤٥.

وما حوته التذكرة من شواهد كالتالي: أربعة شواهد في الجزء الثاني، وثلاثة في الجزء الثالث، وأحد عشر في الجزء الرابع، وستة وخمسون في الجزء الخامس، وستة عشر في الجزء السادس، وتسعة في الجزء الثامن، وخمسة في الجزء التاسع،^(١) وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت لابن الرومي أربعمائة واثنين وأربعين (٤٤٢) بيتاً شعرياً، وهو من أكبر الأرقام المستخدمة في الموارد الشعرية للتذكرة.

٥٥. البحتري ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م

تقدّم ذكر البحتري سالفاً أثناء الحديث عن كتابه الحماسة ضمن الموارد الأدبية، وقد اعتمد ابن حمدون على أشعار البحتري لإغناء التذكرة في مختلف أبوابها .

ومن الطبيعي أن يشكل شعر البحتري أحد أهم الأعمدة التي قامت عليها المادة الشعرية للتذكرة، فقد استقى منه ابن حمدون سبعة وثمانين (٨٧) شاهداً شعرياً، ويكاد لا يخلو بابٌ من أبواب التذكرة إلا وذكر ابن حمدون فيه أبياتاً للبحتري، فكانت هذه الأبيات مدحاً لكرم وجود، ووصفاً لبأسٍ وشجاعة، فضلاً عن الحثّ على التواضع ومكارم الأخلاق، إضافة إلى الأوصاف والنعوت، ففي المدح، ذكر ابن حمدون: "وقال البحتري:

أما أياديك عندي فهي واضحة
لَمْ لا أمدُ يدي حتى أنالَ بها
ما إن تزالُ يدٌ منها تسوقُ يدا
مدَى النجوم إذا ما كُنْتُ لي عَضُدًا"^(٢)
كما استشهد ابن حمدون في باب التواضع بأشعار للبحتري منها: "وقال البحتري:
دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً
كذلك الشمسُ تبعد أن تُسامي
فشأنك انحدرَ وارتفعُ
ويدنو الضوءُ منها والشعاعُ"^(٣)

^(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان ابن الرومي	التذكرة
ج ٤، ص ١٦٥١	ج ٢، ص ٢٢٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ٥، ص ١٩٤٩	ج ٢، ص ٣٠٥ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ج ٥، ص ١٨٥٦	ج ٥، ص ٢٢ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ج ٤، ص ١٧٠٧	ج ٥، ص ٤٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٥٠ - ٢٩٠	ج ٥، ص ١٤٦ ورد في هذه الصفحة ٩ أبيات شعرية

^(٢) البحتري (الوليد بن عبيد ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م): ديوان البحتري، تح حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٧١٩ . التذكرة، ج ٤، ص ٩٢.

^(٣) البحتري: ديوانه، ج ٢، ص ٢٧٤ . التذكرة، ج ٣، ص ١٠٥.

وضمنت أجزاء التذكرة هذه الشواهد موزعةً كالتالي: شاهد واحد في الجزئين الأول والتاسع، وشاهدان في الجزء الثاني، وثلاثة شواهد في الجزء الثالث، وستة عشر شاهد في الجزء الرابع، وثمانية وعشرون شاهداً في الجزء الخامس، وثلاثة وعشرون شاهداً في الجزء السادس، واثنان عشر شاهد في الجزء الثامن^(١)، ورفدت التذكرة بأبيات شعرية عددها ثلاثمائة وثلاثة وخمسين (٣٥٣) بيتاً شعرياً، وبذلك عدّ من أغزر موارد ابن حمدون الشعرية.

٥٦. ابن المعتز ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م

عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس، الشاعر المبدع، ولد في بغداد، ألع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس، فقد حدث صراع على السلطة، وآلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، لكنه لم يستمر في الحكم، إذ استنصره القادة وخلعوه، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة، ولقبوه "بالمترضى بالله"، ثم ما لبث بعد يوم وليلة إلا أن خلعه غلمان القصر، وأعادوا المقتدر الذي قبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فتخلص منه، وخنقه، وللشعراء مراثٍ كثيرةً فيه، وصنف ابن المعتز كتباً، منها "الزهر والرياض" و"البديع" و"الآداب" و"الجامع في الغناء" و"الجوارح والصيد" و"فصول التماثيل" و"حلى الأخبار" و"أشعار الملوك" و"طبقات الشعراء"^(٢).

أخذ ابن حمدون من شعر ابن المعتز سبعة وخمسين (٥٧) شاهداً شعرياً، متضمنةً مائة وثمانية وأربعين (١٤٨) بيتاً شعرياً، جاء معظمها في الأوصاف والنعوت، حيث أبدع ابن المعتز في وصف الخيل والخمر وبعض الأطعمة وغيرها، ففي وصف الخيل قال ابن حمدون: "وقال ابن المعتز:

أسرعُ من ماءٍ إلى تصويبٍ
ومن وقوعٍ لحظةٍ المريبِ

(١) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان البحري	التذكرة
ج ٤، ص ٢٠٩٠	ج ٢، ص ٢٨١ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ٢، ص ١٢٩٩	ج ٢، ص ٤٥٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ج ١، ص ١٤٥	ج ٤، ص ٣٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج ٢، ص ٩٩٢	ج ٤، ص ١٧٩ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ج ١، ص ٤٦٩	ج ٥، ص ١٣ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية
ج ١، ص ٤٦٢	ج ٨، ص ٣٣ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٥١٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٢٤٠.

ومن نفوذ الفكر في القلوب" (١)

وجاء ورود هذه الشواهد في أجزاء التذكرة على النحو الآتي: شاهد واحد في كل من الجزئين الثاني والثالث، وشاهدان في الجزء الرابع، وخمسة وثلاثون شاهداً في الجزء الخامس، وستة شواهد في الجزء السادس، وثمانية شواهد في الجزء الثامن، وثلاثة شواهد في الجزء التاسع (٢).

٥٧. المتنبّي ت ٣٥٤/هـ ٩٦٥م

أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي، أحد مفاخر الأدب العربي، الشاعر الحكيم، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وبعض علماء الأدب يعده أشهر المسلمين، ولد في الكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب، قال الشعر صبيّاً، ووفد على سيف الدولة الحمداني (٣) سنة ٣٣٧/هـ ٩٤٩م فمدحه وحظي عنده بمكانة مرموقة، ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي، الذي وعده بولاية بعض المناطق، لكنه لم يولّه، فغضب أبو الطيب منه وانصرف يهجوّه، وقصد العراق، وزار بلاد فارس ومدح فيها ابن العميد (٤)، وكانت له معه مساجلات، ورحل إلى شيراز، فمدح عضد

(١) ابن المعتز (عبد الله بن محمد ت ٢٩٦/هـ ٩٠٩م): ديوان ابن المعتز، تح يونس السامرائي، وزارة الإعلام، بغداد،

١٩٧٨م، ج ٢، ص ٤١٧. التذكرة، ج ٥، ص ٢٤٨.

(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن المعتز	التذكرة
ج ٣، ص ٢٤٠	ج ٥، ص ١٥٨ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج ٤، ص ١٠٤	ج ٥، ص ٣٠٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ج ١، ص ٢٤٩	ج ٥، ص ٣٤٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ٢، ص ١٩٢	ج ٨، ص ٣٧٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ج ٢، ص ٢٢٩	ج ٨، ص ٣٨٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ج ١، ص ١١٦	ج ٩، ص ١١٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد

(٣) سيف الدولة الحمداني: هو علي بن عبد الله بن أبي الهيجاء بن حمدان، مؤسس الدولة الحمدانية في حلب، عُرف عنه حبه للعلم فكان راعياً للفنون والعلماء، وتزاحم على بابيه في حلب الشعراء والعلماء والأدباء والمفكرون، ففتح لهم بلاطه وخزائنه، توفي سنة ٣٥٦/هـ ٩٦٧م. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤٣، ص ٢١. ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٣، ص ٤٠١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ١٢٦.

(٤) ابن العميد: هو محمد بن الحسين العميد بن محمد، أبو الفضل، يعد من أئمة الكتاب، ولي الوزارة لركن الدولة البويهية (الحسن بن بويه)، وكان حسن السياسة خبيراً بتدبير الملك، كريماً ممدوحاً من قبل الشعراء، وتوسع في علوم الفلسفة والنجوم، ولُقّبَ بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، توفي سنة ٣٦٠/هـ ٩٧١م. البغدادى: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ١٣٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٨٢.

الدولة ابن بويه الديلمي، ثم عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي^(١) في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه مُحسد وغلّامه مفلح، بالقرب من دير العاقول^(٢)، وأخبره في المصادر كثيرة^(٣).

اقتبس ابن حمدون من شعر المتنبي تسعة وخمسين (٥٩) شاهداً شعرياً، ضمت مائتين وأربعة وأربعين (٢٤٤) بيتاً شعرياً، شملت موضوعات متنوعة، فجاءت في المدح والشجاعة، وشكوى العزلة، وفي الشرف والرئاسة، وذم الخنوع، والكرم والجود، وكتمان السر وعدم إعلانه، والحكمة وإعمال العقل في الأمور، وقد ذكر عنه ابن حمدون في باب المدح: "وهذه بدائع من مدائح المتنبي وأمثال شوارد من شعره، جمعتها متصلة متتالية:

ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليب وأهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يُغنيك عن رُحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قانلاً فقل^(٤)

وشكّل اعتماد ابن حمدون على أشعار المتنبي إضافة كبيرة للتذكرة، وجاءت الشواهد في التذكرة كشاهد واحد في الجزء السابع، وثلاثة شواهد في الجزء الأول، وأحد عشر شاهداً في الجزء الثاني، وثمانية شواهد في الجزء الثالث، واثنان عشر شاهداً في الجزء الرابع، وتسعة شواهد في الجزء الخامس، وأحد عشر شاهداً في الجزء السادس، وأربعة شواهد في الجزء الثامن^(٥).

(١) لم يقف البحث على ترجمة له، ولكن المصادر التاريخية تذكر أنه ابن خالة ضبة الذي هجاه المتنبي، وكان بينهما عداوة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) دير العاقول: يقع على نهر دجلة بين المدائن والنعمانية، وبينه وبين بغداد ١٥ فرسخاً (٧٥ كم). الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٢٠.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٦٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٧١، ص ٧٦ وما يليها. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٢٠.

(٤) المتنبي: ديوان المتنبي، ص ٣٣٠. التذكرة، ج ٤، ص ٦٦.

(٥) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان المتنبي	التذكرة
ص ٣١١	ج ٢، ص ٥٨ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٤٣٩	ج ٢، ص ٧٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٤٨٦	ج ٢، ص ٢٤٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٤٣٩	ج ٢، ص ٣١٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٤٤٠	ج ٣، ص ٣٠ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

٥٨. أبو فراس الحمداني ت ٣٥٧هـ/٩٦٨م

الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، كان أميراً وشاعراً وفارساً، وهو ابن عم سيف الدولة، كان صاحب بن عباد يقول فيه: "بُدا الشعر بملكٍ وختم بملكٍ - يعني امرأ القيس وأبا فراس -" وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة الذي كان يحبه ويحلُّه ويأخذه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقُلِّده بلدتي منبج وحرَّان وأعمالهما، فكان يسكن بمنبج^(١) وينتقل في بلاد الشام، وفي إحدى معاركه مع الروم جُرح ووقع أسيراً سنة ٣٥١ هـ/٩٦٢م، فتابع في الأسر كتابه الشعر، الذي امتاز بروميّاته، وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة، وقد اختلف المؤرخون في وفاته، فقال الذهبي: "كانت له منبج، وتملك حمص، وسار ليملك حلب، فقتل في تدمر"^(٢)، بينما عارض ذلك ابن خلكان الذي ذكر بأنه مات قتيلاً في صدد (بالقرب من حمص) على يد أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة^(٣)، وكان أبو فراس خال سعد الدولة وبينهما تنافس^(٤).

اقتبس ابن حمدون من شعر أبي فراس تسعة (٩) شواهد شعرية، تتكون من واحد وعشرين (٢١) بيتاً شعرياً، منها ما جاء في المديح، كمديحه لسيف الدولة الحمداني، ومنها ما جاء في الوفاء والالتزام بالعهود والمواثيق، إضافة إلى الأوصاف والنعوت، مثل وصفه لسفينة تعوم في البحر، وصولاً إلى الحب والهوى، والعتاب وشكوى الزمان، اللذين استشهد بهما ابن حمدون قائلاً: "قال أبو فراس بن حمدان:

إِسَارَ أَقَاسِيَهُ وَلَيْلَ نَجْوَمُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ دَوْنَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بِهِ السَّاعَاتُ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طَوْلُ " (٥)

(١) منبج: مدينة من نواحي قنسرين، بينها وبين الفرات ثلاث فراسخ (١٥ كم)، وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ (٥٠ كم)، عرفت بموقعها المتميز عبر التاريخ العربي الإسلامي، إضافة إلى أنها كانت معروفة بغناها بأشجارها ومياهها، فضلاً على قلعتها الحصينة والمنيعة. الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٥. الحميري: الروض المعطار، ص ٥٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٩٦.

(٣) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٦١.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ١، ص ٥٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٤٢١.

(٥) أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد بن حمدان ت ٣٥٧هـ/٩٦٨م): ديوان أبو فراس، تح سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٤٤م، ص ٣١٤. التذكرة، ج ٥، ص ٧٩.

واقصر ورود شواهد أبي فراس في أربعة أجزاء فقط: شاهد واحد في الجزء الرابع، وثلاثة شواهد في كل من الجزئين الثالث والخامس، وشاهدان في الجزء السادس^(١).

٥٩. كشاجم ت ٣٦٠هـ/٩٧١م

محمود بن الحسين، أبو الفتح الكاتب المعروف بكشاجم، هو من أهل الرملة من نواحي فلسطين، ويُقال: هو من لقب نفسه "بكشاجم" فسئل عن ذلك، فقال: "الكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جواد والميم من منجم"^(٢)، وفي رواية أخرى، أن لفظ (كشاجم) منحوت، فيما يقال من علوم كان يتقنها: الكاف للكتابة، والشين للشعر، والألف للإنشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق، وكان شاعراً متقناً من كُتّاب الإنشاء، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد، وزار مصر أكثر من مرة، واستقر في حلب، فكان من شعراء عبد الله (والد سيف الدولة) بن حمدان، أبو الهيجاء، ثم ابنه سيف الدولة، باعتبار أن بلاطه ضمَّ مجموعة كبيرة من المفكرين والشعراء دون النظر إلى إثنينهم^(٣).

رقد ابن حمدون التذكرة بثلاثة عشر (١٣) شاهداً شعرياً من شعر كشاجم، ضمت ستة وخمسين (٥٦) بيتاً شعرياً، بعضها جاء في الهجاء والمذمة، والبعض الآخر في الوصف والنعته، ففي باب الأوصاف، ذكر ابن حمدون: "وقال كشاجم:

أعددتُ لليل إذا الليلُ عَسَقُ
أغصانَ تَبَرٍ عُرِيَتْ من الِوَرَقِ
ثمارها مثلُ مصابيح الأفق
يغني الندامى ضوءها عن الفلق
شفاؤها إن مَرَضَتْ ضَرَبُ العُنُقِ"^(٤)

(١) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان أبي فراس	التذكرة
ص ٢٢	ج ٣، ص ٢٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٣٥٣	ج ٣، ص ٧٦ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ٨٠	ج ٤، ص ٩٠ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ٢٢٨	ج ٥، ص ٣٥٤ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٢٠١	ج ٥، ص ٣٩٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ١٠٥	ج ٦، ص ٩٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٣٨	ج ٦، ص ١٢٦ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

(٢) الكتبي: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٩٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٧، ص ١٠٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٢٨٥.

(٤) التذكرة، ج ٥، ص ٤١٦.

وفي موضع آخر، قال ابن حمدون: "قال كشاجم في خادم يُسمى كافوراً:
حكيتَ سَمِيكَ في بَرْدِهِ وأخطأكَ اللونُ والرائحةُ"^(١)

وعند التدقيق في ديوان كشاجم، يلاحظ أن هذين البيتين لم يردا فيه، ويبدو أن ابن حمدون اعتمد على مصادر أدبية أخرى في نقله لهما، فيما إن صحت نسبتها لكشاجم ما يدل على الدور الكبير الذي شغله ابن حمدون في حفظ بعض الأبيات التي فُقدت من دواوين أصحابها لأسباب مختلفة.

وقد اقتصر وجود الشواهد في التذكرة في جزئين فقط، عشرة شواهد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء التاسع^(٢).

٦٠. ابن هانئ الأندلسي ت ٣٦٢هـ/٩٧٣م

محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم، وقيل في بعض المصادر: أن نسبه يتصل بالمهلب، حيث أن ابن هانئ من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمُتَنَبِّي عند أهل المشرق، وكان متعاصرين، ولد بإشبيلية^(٣)، ورحل إلى إفريقية، ثم اتصل بالخليفة المعز الفاطمي، وأقام عنده في (المنصورية) بقرب القيروان مدة قصيرة، وعندما رحل المعز إلى مصر بعد أن فتحها قائد جواهر عاد

(١) كشاجم (محمود بن الحسين ت ٣٦٠هـ/٩٧١م): ديوان كشاجم، تح خيرية محفوظ، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠م، ص ١٠١. التذكرة، ج ٥، ص ١٥٦.

(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان كشاجم	التذكرة
ص ٧٩	ج ٥، ص ٢٣ ورد في هذه الصفحة بيت ٤ أبيات شعرية
ص ١٠	ج ٥، ص ٦٠ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص ١٠١	ج ٥، ص ١٥٦ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص ٨٣	ج ٥، ص ٣٦٤ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ٩٢	ج ٥، ص ٤٢٢ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ١٤٥	ج ٩، ص ١٧٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

(٣) إشبيلية: مدينة تقع في الجهة الجنوبية من بلاد الأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً (١٥٠ كم)، عرفت بتاريخها العريق، وشغلت دوراً في التاريخ العربي الإسلامي في الأندلس، وكانت مُستقراً لبني عباد، يطل أمامها جبل يُدعى جبل الشرف. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٥.

ابن هانئ إلى إشبيلية ليأخذ أهله لاحقاً بالمعز، فلما وصل إلى برقة^(١) قتل فيها غيلةً، وقد تعددت الروايات حول مقتله، فمن المؤرخين من ذكر بأنه نزل ضيفاً في أحد بيوت برقة، فغدر به وقتل، وفي رواية أخرى، ذكر بأنه وجدَ مُلقاً على قارعة طريق مخنوقاً، وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر سبب قتل ابن هانئ، إلا أنه من المستبعد أن يكون التحاقه بالخليفة الفاطمي المعز سبباً في ذلك، وعلى ما يبدو أن القتل تم بدافع السرقة لا أكثر^(٢).

أورد ابن حمدون أشعاراً لابن هانئ، بلغ شواهدا ثلاثة وعشرين (٢٣) شاهداً شعرياً، جاء بعضها في الرثاء والمدح، والبعض الآخر في الحرب والبأس والنجدة والشجاعة، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب الأوصاف أبياتاً لابن هانئ يصف فيهما فرساً قائلاً: "وقال محمد بن هانئ وأغرق في المبالغة:

عُرِفَتْ بساحةٍ سبقها لا أنها عِلَقَتْ بها يومَ الرهانِ عيونُ
فأَجَلُّ عِلْمِ البرقِ فيها أنها مرَّتْ بجانحتَيْهِ وهي ظنونُ"^(٣)

وجاءت هذه الشواهد موزعة في التذكرة على النحو الآتي: شاهدان في الجزء الأول، وأربعة شواهد في الجزء الثاني، وشاهد واحد في كل من الجزئين الثالث والثامن، وخمسة شواهد في الجزء الرابع، وخمسة شواهد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء التاسع^(٤)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة لابن هانئ تسعة وثمانين (٨٩) بيتاً شعرياً.

(١) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية، وبين برقة والإسكندرية مسيرة شهر، فُتحت على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤٢م. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٨. ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ١٣١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٩٠. بامخرمة: قلادة النحر، ج ٣، ص ١٩٠.

(٣) ابن هانئ (محمد بن هانئ بن محمد ت ٣٦٢هـ/٩٧٣م): ديوان ابن هانئ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٢م، ص ٣٥٣. التذكرة، ج ٥، ص ٢٤٩.

(٤) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن هانئ	التذكرة
ص ٣٠٣	ج ١، ص ٢١٦ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ص ٢٧	ج ١، ص ٢٨٥ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية
ص ١٤٤	ج ٢، ص ٨٧ ورد في هذه الصفحة ٧ أبيات شعرية
ص ٣٠٨	ج ٢، ص ٤٤٥ ورد في هذه الصفحة ١٦ بيتاً شعرياً

٦١. السري الرفاء ت ٣٦٦هـ/٩٧٧م

السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن، شاعر وأديب من أهل الموصل، عذب الألفاظ، مُفَتَّنٌ في التشبيهات والأوصاف، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان فيها-أي الموصل- فعرف بالرفاء، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة في حلب، فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاة سيف الدولة إلى بغداد، ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، وكانت بينه وبين الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم مهاجاة، فاتهمهما بسرقة شعره وشعر غيره، عمل في الوراقة، فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، وركبه الدين، وتوفي في بغداد على تلك الحال^(١).

وقد اقتبس ابن حمدون من شعر السري الرفاء واحداً وثلاثين (٣١) شاهداً شعرياً، بعضها جاء في المديح، وبعضها الآخر في الوصف، ففي باب المديح ذكر: "قال السري الرفاء يصف طبيباً:

كَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِ أَفْكَارِهِ يَجُولُ بَيْنَ الدَّمِ وَاللَّحْمِ
إِنْ غَضِبْتُ رُوحٌ عَلَى جِسْمِهَا أَلْفَ بَيْنِ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ"^(٢)

ولدى ضبط الأبيات مع الديوان، تبين أنه وقع اختلاف بكلمة واحدة، حيث وردت أصلح بدلاً من أَلْفَ في الشطر الثاني من البيت الثاني.

وقد وردت أبيات الرفاء مبنوثة في كل أجزاء التذكرة، ففي الجزئين الثالث والسابع شاهد واحد، وشاهدان في كل من الأجزاء الثاني والسادس والثامن، وتسعة شواهد في الجزء الرابع، وأربعة عشر شاهداً في الجزء الخامس^(٣)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للسري الرفاء مائة وأربعة عشر (١١٤) بيتاً شعرياً.

(١) ابن بسام: الذخيرة، ج٨، ص٥٧٥. الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٣٤٣. ابن العديم: بغية الطلب، ج٩،

ص٤٢٠٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٥٩.

(٢) السري الرفاء (السري بن أحمد بن السري ت ٣٦٦هـ/٩٧٧م): ديوان السري الرفاء، تح كرم البستاني، دار صادر،

بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٤٢٧. التذكرة، ج٤، ص٧٤.

(٣) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان السري الرفاء	التذكرة
ص٢٥٨	ج٢، ص٧٧ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ص٥٥	ج٤، ص٥٥ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ص٢٤٧	ج٥، ص١٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص٢٠٤	ج٥، ص٨٣ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً

٦٢. الخالديان ت ٣٨٠هـ/٩٩٠

تقدم الحديث عنهما.

استقى ابن حمدون من شعر الخالديين (أبي بكر وأبي عثمان) ثلاثة عشر (١٣) شاهداً شعرياً، وقد افتتح ابن حمدون باب الهجاء والذم ببيتين شعريين لأبي عثمان الخالدي قائلاً: "لا بدّ للهاجي من سبب يدعو به إلى الهجاء ويحركه، ومن شأنه أن يُعذّر بمقدمة تنبه المهجو من غفلة اللوم، أو يُصرّ فيقوم في هجائه العذّر، وكثيراً ما يكون سبب الهجاء وسبيله وبداية الذمّ وطريقه كما قال أبو عثمان الخالدي:

قل لمن يشتهي المديح ولكنّ دون معروفه مطالّ ولّي
سوف أهجوك بعد مدحٍ وتحريـ كِ وعَنبٍ وآخرُ الداء كي^(١)

وردت هذه الشواهد في أربعة أبواب على النحو الآتي: شاهدان في كل من الجزئين الرابع والسادس، وستة شواهد في الجزء الخامس، وثلاثة شواهد في الجزء الثامن^(٢)، وبلغ عدد الأبيات الشعرية التي وردت في التذكرة للخالديين ثمانية وأربعين (٤٨) بيتاً شعرياً.

٦٣. ابن نباتة السعدي ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة التميمي السعدي، أبو نصر، كان شاعراً مجيداً، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى، قصد الملوك والوزراء، فله في سيف الدولة الحمداني غر القصائد ونخب المدائح، وقال فيه ابن خلكان: "ومعظم شعره جيد، وله ديوان كبير، وكان قد وصل إلى مدينة

(١) الخالديان (سعيد بن هاشم ت ٣٧١هـ/ ٩٨٢م ومحمد بن هاشم ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): ديوان الخالديين، تح سامي الدهان ، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م، ص ١٥١. التذكرة، ج ٥، ص ٣٠.
(٢) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان الخالديان	التذكرة
ص ٨٠	ج ٤، ص ١٧٢ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٢٦	ج ٤، ص ٣٠٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٢٨	ج ٥، ص ١٦٧ ورد في هذه الصفحة ١٢ بيتاً شعرياً
ص ٨٢	ج ٥، ص ٣١٩ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ص ١٣٩	ج ٦، ص ٨٩ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان

الري، وامتدح أبا الفضل محمد بن العميد ^(١)، وقيل فيه: "أحد الشعراء المحسنين المجودين، كان جزل الكلام، فصيح القول" ^(٢).

وعند دراسة التذكرة، لوحظ أن ابن حمدون اقتبس من شعر ابن نباتة سبعة عشر (١٧) شاهداً شعرياً، ضمت واحداً وسبعين (٧١) بيتاً شعرياً، وتتوالت موضوعاتها من تقييد وتوبيخ إلى وعيد وتحذير، تبعها نعت ووصف كوصفه للخيل، وصولاً إلى أبيات في الحب والهيام، ففي الغزل أورد ابن حمدون قائلاً: "وقال ابن نباتة:

مَلَأَكَ عِلْمِي فِي هَوَا لِك أَن أَتَمَّنَى النَّوَى وَالصَّدُودَا
وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رَقْدَةٍ أَذْكَرُ طَيْفَاكِ فِيهَا الْعَهْدَا" ^(٣)

وجاء شاهد واحد في كل من الأجزاء الثالث والرابع والتاسع، وخمسة شواهد في الجزء الخامس، وستة شواهد في الجزء السادس، وثلاثة شواهد في الجزء الثامن ^(٤).

٦٤. الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م

محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي، مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الطالبين في حياة والده، وكان من أهل الفضل والأدب والعلم، تلقن القرآن بعد أن دخل في السن - يعني بعد أن جاوز عمره الثلاثين سنة - فجمع حفظه في مدة يسيرة ^(٥)، وذكر الثعالبي: "ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع ما أنشأ الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو

(١) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٩٠.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٤١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٣٤.

(٣) ابن نباتة (عبد العزيز بن عمر ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م): ديوان ابن نباتة، تح عبد الأمير الطائي، وزارة الإعلام،

بغداد، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٤٧. التذكرة، ج ٥، ص ٦٥.

(٤) وردت بعض هذه الشواهد في الصفحات التالية:

ديوان ابن نباتة	التذكرة
ج ١، ص ٤٦٠	ج ٥، ص ٢١٣ ورد في هذه الصفحة ١٠ أبيات شعرية
ج ٢، ص ٧٣	ج ٥، ص ٢٣٣ ورد في هذه الصفحة بيتان شعريان
ج ١، ص ٢٧٣	ج ٥، ص ٢٥٠ ورد في هذه الصفحة ١٠ أبيات شعرية
ج ١، ص ٥٥٤	ج ٦، ص ٧٣ ورد في هذه الصفحة ٤ أبيات شعرية
ج ١، ص ٣٩٨	ج ٨، ص ١٢٨ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية
ج ١، ص ٤٢٦	ج ٨، ص ١٣٤ ورد في هذه الصفحة ٣ أبيات شعرية

(٥) تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٤٠.

أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غير^(١)، وقد صنف العديد من الكتب، منها "ديوان شعر" و"نهج البلاغة" و"المجازات النبوية" و"مجاز القرآن" و"رسائل الصابي والشريف الرضي" و"حقائق التأويل في متشابه التنزيل" وغيرها^(٢).

شكل شعر الشريف الرضي أهم الأعمدة الرئيسة للمادة الشعرية في التذكرة، حيث ورد شعره في مختلف الأجزاء والأبواب، وبلغ عدد الشواهد تسعة وسبعين (٧٩) شاهداً شعرياً، مُتضمنةً خمسمائة وسبعين (٥٧٠) بيتاً شعرياً، ولم يخلُ باباً من أبواب التذكرة إلا ودُكر فيه أبياتاً للرضي، وتوزعت بأعداد متفاوتة على الأبواب منها: ثلاثة شواهد في الجزء الأول، أحد عشر شاهداً في الجزء الثاني، تسعة عشر شاهداً في الجزء الثالث، سبعة عشر شاهداً في الجزء الرابع، اثنين وعشرين شاهداً في الجزء الخامس، وشاهد واحد في كلٍّ من الأجزاء السادس والسابع والثامن، وثلاثة شواهد في الجزء التاسع^(٣)، وعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون شعراً للرضي في باب الهدايا قائلاً: "وقال الرضي:

إن أهد أشعاري إليك فإنها كالسرد أعرضه على داود
لكنني أعطيت صفو خواطري وسقيت ما صببت علي رعودي
وسمحت بالموجود عند بلاغي إني كذاك أجود بالموجود^(٤)

شكّلت الدواوين الشعرية التي اعتمد عليها ابن حمدون، أهم الركائز الأساسية التي بنى عليها تذكّره، وخاصةً في الأبواب التي تناول فيها ابن حمدون مواضيع البأس والشجاعة والسخاء والبخل، فأغنى التذكرة بمادة شعرية وفيرة، نقلها من أمهات الدواوين وأشهرها، وهذا ما يشير إلى أهميتها، حيث يمكن القول بأنها تشكّل ما يشبه الموسوعة التاريخية والأدبية، وإن كانت كلمة الموسوعات غير مطروقة في ذلك الوقت.

(١) يتيمة الدهر، ج٣، ص١٥٥.

(٢) القفطي: المحمودون من الشعراء، ص٢٤٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٧٦.

(٣) وردت هذه الشواهد في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

ديوان الشريف الرضي	التذكرة
ج١، ص٦٢٣.	ج١، ص٢٨٣ ورد في هذه الصفحة ٦ أبيات شعرية
ج١، ص٥٤٣	ج١، ص٣٩٩ ورد في هذه الصفحة بيت شعري واحد
ج١، ص٢٩٧-ج٢، ص٤٠٨-ج١، ص١٠٣-ج١، ص٦٠٩	ج٢، ص٨٤ ورد في هذه الصفحة ٦ شواهد شعرية
ج٢، ص٤٩٨، ج١، ص٣٠٣	ج٢، ص١٥٧ ورد في هذه الصفحة ٥ أبيات شعرية

(٤) الشريف الرضي (محمد بن الحسين بن موسى ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م): ديوان الرضي، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م،

ج١، ص٢٩٠. التذكرة، ج٥، ص٢١.

جدول بالدواوين الشعرية التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم الشاعر	الوفاة	عدد الشواهد	عدد الأبيات
١	عمرو بن قميئة	٥٤٠م	٤ شواهد	١٢ بيتاً شعرياً
٢	امرئ القيس	٥٤٥م	١٢ شاهد	٢٤ بيتاً شعرياً
٣	حاتم الطائي	٥٧٨م	٥ شواهد	٢٠ بيتاً شعرياً
٤	المتلمس الضبعي	٥٧٦م	٦ شواهد	٣٦ بيتاً شعرياً
٥	عدي بن زيد	٥٩٠م	٦ شواهد	٣٦ بيتاً شعرياً
٦	عنتر بن شداد	٦٠٠م	٥ شواهد	١٨ بيتاً شعرياً
٧	علقمة الفحل	٦٠٢م	٣ شواهد	٨ أبيات شعرية
٨	النابغة الذبياني	٦٠٤م	١٨ شاهد	٧١ بيتاً شعرياً
٩	زهير بن أبي سلمى	٦٠٩م	٢٥ شاهد	٨٩ بيتاً شعرياً
١٠	قيس بن الخطيم	٦٢٠م	١٦ شاهد	٦٦ بيتاً شعرياً
١١	أوس بن حجر	٦٢٠م	٨ شواهد	٤٠ بيتاً شعرياً
١٢	الأعشى	٦٢٩هـ/٧٧م	٢١ شاهد	٨٩ بيتاً شعرياً
١٣	مزد	٦٣٢هـ/١٠م	٦ شواهد	٢٠ بيتاً شعرياً
١٤	الشمخ	٦٤٣هـ/٢٢م	١٣ شاهد	٢٩ بيتاً شعرياً
١٥	الخنساء	٦٤٥هـ/٢٤م	٥ شواهد	١٧ بيتاً شعرياً
١٦	حميد بن ثور	٦٥١هـ/٣٠م	٥ شواهد	١٠ أبيات شعرية
١٧	تميم بن أبي بن مقبل	٦٥٨هـ/٣٧م	٦ شواهد	٢٨ بيتاً شعرياً
١٨	لبيد بن ربيعة	٦٦٢هـ/٤٠م	٥ شواهد	١١ بيتاً شعرياً
١٩	الحطيئة	٦٦٦هـ/٤٥م	١٤ شاهداً	٤٠ بيتاً شعرياً
٢٠	حسان بن ثابت	٦٧٤هـ/٥٤م	٨ شواهد	٢٢ بيتاً شعرياً
٢١	قيس بن الملوح	٦٨٨هـ/٦٨م	٦ شواهد	٣٢ بيتاً شعرياً
٢٢	أبو الأسود الدؤلي	٦٨٩هـ/٦٩م	١١ شاهداً	٣٢ بيتاً شعرياً
٢٣	تأبط شراً	٧٠٠هـ/٨٠م	٥ شواهد	٢٤ بيتاً شعرياً
٢٤	ليلي الاخيلية	٧٠٠هـ/٨٠م	٣ شواهد	١٤ بيتاً شعرياً
٢٥	جميل بثينة	٧٠٢هـ/٨٢م	١٧ شاهد	٤٦ بيتاً شعرياً
٢٦	مسكين الدارمي	٧٠٨هـ/٨٩م	١٨ شاهد	٢٥ بيتاً شعرياً
٢٧	الاخطل	٧١١هـ/٩٢م	٤٠ شاهداً	١٤٥ بيتاً شعرياً

٢٨	عمر بن أبي ربيعة	٧١٢هـ/٧٩٣م	٥ شواهد	١١ بيتاً شعرياً
٢٩	ابن الرقاع	٧١٤هـ/٧٩٥م	٥ شواهد	١٠ أبيات شعرية
٣٠	كثير عزة	٧٢٤هـ/٨٠٥م	٧ شواهد	٤٢ بيتاً شعرياً
٣١	الأحوص	٧٢٤هـ/٨٠٥م	١٠ شواهد	٢٥ بيتاً شعرياً
٣٢	الفرزدق	٧٢٩هـ/٨١٠م	٢٣ شاهد	٩٠ بيتاً شعرياً
٣٣	جرير	٧٢٩هـ/٨١٠م	٢٦ شاهد	٥٨ بيتاً شعرياً
٣٤	ذو الرمة	٧٣٥هـ/٨١٧م	٣٩ شاهد	١٦٥ بيتاً شعرياً
٣٥	الطرماح بن الحكيم	٧٤٣هـ/٨٢٥م	٥ شواهد	١٢ بيتاً شعرياً
٣٦	ابن الطثرية	٧٤٤/١٢٦م	٤ شواهد	٢٦ بيتاً شعرياً
٣٧	أبو النجم العجلي	٧٤٨هـ/٨٣٠م	٦ شواهد	٣٣ بيتاً شعرياً
٣٨	عروة بن أذينة	٧٤٨هـ/٨٣٠م	٦ شواهد	٢٠ بيتاً شعرياً
٣٩	القطامي	٧٤٨هـ/٨٣٠م	١٠ شواهد	٢٢ بيتاً شعرياً
٤٠	ابن الدمينه	٧٤٨هـ/٨٣٠م	٨ شواهد	٧٥ بيتاً شعرياً
٤١	بشار بن برد	٧٨٤هـ/٨٦٧م	١٣ شاهد	٤١ بيتاً شعرياً
٤٢	الحسين بن مطير	٧٨٧هـ/٨٧٠م	٦ شواهد	٣١ بيتاً شعرياً
٤٣	ابن هرمة	٧٩٣هـ/٨٧٦م	٩ شواهد	٣١ بيتاً شعرياً
٤٤	أبو الهندي	٧٩٧هـ/٨٨٠م	٤ شواهد	٧ أبيات شعرية
٤٥	ابن الاحنف	٨٠٨هـ/٨٩٢م	٤ شواهد	١٠ أبيات شعرية
٤٦	أبو نواس	٨١٤هـ/٨٩٨م	٥٧ شاهد	٢٨٢ بيتاً شعرياً
٤٧	مسلم بن الوليد	٨٢٤هـ/٩٠٨م	١٤ شاهد	٤١ بيتاً شعرياً
٤٨	أبو العتاهية	٨٢٧هـ/٩١١م	١٤ شاهد	٣٧ بيتاً شعرياً
٤٩	أبو تمام	٨٤٦هـ/٩٣١م	٤٩ شاهد	١٩١ بيتاً شعرياً
٥٠	ديك الجن	٨٥١هـ/٩٣٦م	٤ شواهد	٩ أبيات شعرية
٥١	عبد الصمد بن المعذل	٨٥٥هـ/٩٤٠م	٥ شواهد	٢٣ بيتاً شعرياً
٥٢	دعبل	٨٦١هـ/٩٤٦م	٣١ شاهد	١٢٥ بيتاً شعرياً
٥٣	علي بن الجهم	٨٦٣هـ/٩٤٩م	١٢ شاهد	٥١ بيتاً شعرياً
٥٤	ابن الرومي	٨٩٦هـ/٩٨٣م	١٠٤ شاهد	٤٤٢ بيتاً شعرياً
٥٥	البحثري	٨٩٧هـ/٩٨٤م	٨٧ شاهد	٣٥٣ بيتاً شعرياً
٥٦	ابن المعتز	٩٠٩هـ/٩٩٦م	٥٧ شاهد	١٤٨ بيتاً شعرياً

٥٧	المتنبي	٩٦٥/هـ٣٥٤م	٥٩ شاهد	٢٤٤ بيتاً شعرياً
٥٨	أبو فراس الحمداني	٩٦٨/هـ٣٥٧م	٩ شواهد	٢١ بيتاً شعرياً
٥٩	كشاجم	٩٧١/هـ٣٦٠م	١٣ شاهد	٥٦ بيتاً شعرياً
٦٠	ابن هانئ الأندلسي	٩٧٣/هـ٣٦٢م	٢٣ شاهد	٨٩ بيتاً شعرياً
٦١	السري الرفاء	٩٧٧/هـ٣٦٦م	٣١ شاهد	١١٤ بيتاً شعرياً
٦٢	الخالديان	٩٩٠/هـ٣٨٠م	١٣ شاهد	٤٨ بيتاً شعرياً
٦٣	ابن نباته	١٠١٥/هـ٤٠٥م	١٧ شاهد	٧١ بيتاً شعرياً
٦٤	الشريف الرضي	١٠١٦/هـ٤٠٦م	٧٩ شاهد	٥٧٠ بيتاً شعرياً

جدول من صنع الطالب

الفصل الخامس: الموارد التاريخية

أولاً: كتب التاريخ

١. الزبير بن بكار
٢. ابن طيفور
٣. مؤلف مجهول
٤. الطبري
٥. المسعودي
٦. مسكويه

ثانياً: السير والمغازي

١. الواقدي
٢. ابن هشام

شكّل ابن حمدون ظاهرة فريدة في مجتمع مليء بالصراعات السياسية والاجتماعية والمذهبية، فعلى الرغم من قربيه من الخليفة، إلا أن ذلك لم يشفع له، وتعرّض للضغط السياسي والسجن، ومع ذلك عُدَّ أحد أعمدة الأدب البارزة في تلك الحقبة، ويمكن القول أن تذكّره تعادل موسوعة من الموسوعات التي انتشرت في عصر سيطرة السلاجقة، ومع أن السمة العامة للتذكرة أدبية، إلا أنها حوت بين صفحاتها الكثير من أخبار الدول والخلفاء والأمراء، وعليه فقد اعتمد ابن حمدون على بعض الموارد التاريخية، خاصة في الأبواب التي جاءت في أخبار العرب والخطب والوصايا والسيرة النبوية وغير ذلك، والملاحظ أن عدد هذه الموارد بالنسبة لحجم التذكرة قليل نسبياً، بسبب فقدان جزء مهم منها، لذلك تبرز مشكلة معرفة منهج ابن حمدون التاريخي، وهنا يُطرح السؤال الآتي، **كيف يمكن معرفة منهج ابن حمدون في ضوء الموارد التاريخية القليلة التي نقل عنها؟**

من الصعوبة تحديد منهج ابن حمدون في كتابته للأحداث التاريخية، وذلك لسببين اثنين، الأول: هو أن جلّ المصادر التي اعتمد عليها ابن حمدون هي موارد أدبية، والمقصود هنا، ذات صبغة أدبية ولا يعني ذلك أنها ليست تاريخية، لأن كتب الأدب تُعدّ من أهم المصادر التاريخية وإن كانت تحتاج إلى التريث والمهارة في استقاء المادة التاريخية منها، والثاني: هو أن الباب التاسع والأربعين من التذكرة المخصص للتاريخ قد سقط من النسخة المطبوعة، فمن المؤكد أن شخصية ابن حمدون ومنهجه التاريخي، كانت ستبدو جلية دون أدنى شك في هذا الباب، وكان سيوضح وجهة نظر ابن حمدون في التاريخ، ويمكن التساؤل، هل سجل ابن حمدون في هذا الباب الأحداث على طريقة الحوليات -ولو باختصار-؟ أم كان سيتابع على نهج أبواب التذكرة نفسها، بذكر قصص وروايات ووقائع ربما معروفة أو غير معروفة ذات عبرة وفائدة؟.

لقد استقى ابن حمدون من هذه الموارد روايات متنوعة، ورغم أنّه لم يصرح باسمها، ولا بأسماء مؤلفيها، لكن يمكن الاستدلال إلى هذه الموارد من خلال مقارنة ما ورد في التذكرة مع ما جاء في متون هذه المصادر، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون أخباراً تناولت حكم الدولة البويهية - سيأتي البحث على ذكرها - نقلها بشكل حرفي من كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه.

ولم يكن اقتباس ابن حمدون من هذه الموارد حرفياً في جميع الروايات، فكثير من الروايات التي نقلها كانت طويلة، لذلك كان يعمد إلى اختصارها بأسلوبه الأدبي الخاص، خوفاً من الإطالة، وخاصةً أنه قد أكد في مقدمة التذكرة محاولته إبعاد القارئ عن أي ملل قد يصيبه، وبالتالي لم يكن النقل الحرفي منهجاً راسخاً عنده، فقد لجأ - أحياناً - إلى الاختصار والزخرفة الأدبية الهادفة إلى إدخال المتعة إلى قلب قارئه.

ولمعرفة مصادر التذكرة، لابد من قراءتها قراءة متأنية ومعقدة، والاستفادة منها قدر الإمكان، وهذا ما حاول البحث تقديمه، لذلك لابد من إيراد تلك الموارد، وفق منهج واحد، من خلال استعراضهم وتقسيمهم إلى صنوف عدة، مثل كتب التاريخ وكتب السير والمغازي، وترتيبهم وفق سني وفاتهم، بدءاً من الأقدم إلى الأحدث.

أولاً: كتب التاريخ

لم تخلُ التذكرة من الاعتماد على بعض المصادر التاريخية- كما سلف ذكره- مثل كتب التاريخ العام كالطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) والمسعودي (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م) و (ابن مسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) ومن كتب تواريخ المدن، مثل "كتاب بغداد" لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، إضافة إلى المصادر التي جمعت بين القصص والتاريخ مثل كتاب الموفقيات، فضلاً عن الكتب التي أرخت لحقبة زمنية محددة مثل كتاب "تاريخ الدولة العباسية"، وبسبب عددها القليل نسبياً ضمها البحث ضمن فقرة واحدة، وسار على المنهج نفسه المتبع في كل فصول الدراسة من خلال ذكر لمحة عن كل مؤلف، وتبيان أهمية المورد، وإحصاء عدد الروايات التي استقاها ابن حمدون من كل مورد، وجاء في مقدمة هذه المصادر:

١. الزبير بن بكار ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م

الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، يُكنى أبا عبد الله، عالم بالأنساب وأخبار العرب، سكن المدينة مع أهله بني الزبير، ورحل إلى بغداد مرات عدة، واختاره الخليفة المتوكل العباسي مؤدباً لابنه الموفق^(١) وهو صغير، كما ولاه قضاء مكة، حيث توفي فيها، قال فيه البغدادي: "كَانَ ثَقَّةً ثَبَتًا عَالِمًا بِالنَّسَبِ، عَارِفًا بِأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ"^(٢)، وترك العديد من المؤلفات منها: "أخبار العرب، وأيامها"، و"جمهرة نسب قريش" و"الأوس والخزرج" و"الموفقيات" الذي ألفه للخليفة العباسي الموفق، و"أخبار حسان" وغيرها من المؤلفات^(٣).

(١) الموفق بالله: طلحة بن جعفر (المتوكل على الله) ابن الخليفة المعتصم العباسي، من رجال السياسة والإدارة والحزم، كان شجاعاً عادلاً، وعالماً بالأدب والأنساب والقضاء، اعتمد عليه أخو المعتمد على الله عندما آلت الخلافة إليه، وخاصة في حروب الخلافة العباسية مع الزنج، وكان ولياً للعهد بعد أخيه المعتمد، لكنه توفي سنة ٢٧٨هـ/٨٩٢م في خلافة أخيه. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٧٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤.

(٢) تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٨٦.

(٣) الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٣٢٢. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٤، ص ١٢٥. ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد ت ٧٩٩هـ/١٣٩٧م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح محمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج ١، ص ٣٧١.

يعدُّ كتاب "الموفقيات" من أهم كتب التراث العربي في القصص والأخبار، وتأتي أهمية هذا الكتاب، أن ابن بكار انفرد بذكر كثير من الروايات التاريخية، التي لم تذكرها أمهات المصادر الأخرى، فضلاً على أنه أورد الكثير من الأشعار التي لم تورد في الدواوين الشعرية ولا حتى في المصادر الأدبية الأخرى، ويُلاحظ أن أغلب أخبار هذا الكتاب كانت تدور حول الخلفاء ورجال البلاط، وهي غير مختصة ببيئة جغرافية معينة، إنما تشمل العراق والحجاز والجزيرة والشام، وإن كانت أخبار العراق تزيد على ما سواها من البلاد الأخرى، ولذلك اعتمد كثيراً على الرواة العراقيين.

أيضاً طفت أخبار الدولتين الأموية والعباسية على ما نقله ابن حمدون من كتاب الموفقيات، والتي بلغ عددها أربع عشرة (١٤) رواية تاريخية، فمما ذكره في أخبار الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عندما احتضر قائلاً: "ونظر هشام بن عبد الملك لما احتضر إلى بنيهِ وهم يبكون عليه فقال: جاد هشام لكم بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما كسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له"^(١)، حيث نقل ابن حمدون هذه الرواية بشكل حرفي دون أي تغيير.

ولم يقتصر ما أخذه ابن حمدون من ابن بكار على روايات تاريخية فقط، بل دعمها بأشعار أيضاً، فعلى سبيل المثال، ما أورده أثناء حديثه عن مالك بن أنس، بقوله: "وفيه قيل (المقصود مالك بن أنس):

يأبى الجواب فما يُرَجَّعُ هيبَةً والسائلون نواكسُ الأذقانِ
أدب الوقارِ وعزُّ سلطانِ التقى فهو المهيَّبُ وليس ذا سلطانِ"^(٢)

كما نقل ابن حمدون، في باب البأس والشجاعة روايتان من الموفقيات، الأولى، حملت بين طياتها الشجاعة والطرفة في آن واحد، حيث قال فيها: "ولما ذهب بهدبة بن الخشرم^(٣) ليقتل انقطع قبال نعله، فجلس يصلحه، ففيل له: أتصلحه وأنت على مثل هذه الحال؟ فقال:

أشدُّ قبالَ نعلي أن يراني عدوي للحوادثِ مستكيناً"^(٤)

(١) الزبير بن بكار (الزبير بن بكار بن عبد الله ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م): الموفقيات، تح سامي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ١٨٢. التذكرة، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) الزبير بن بكار: الموفقيات، ص ١٤٩. التذكرة، ج ٢، ص ٩٥.

(٣) هدبة بن خشرم: شاعرًا فصيحاً، وكان رواية الخطيئة، وكان بينه وبين زيادة بن زيد أهاج كثيرة انتهت بقتل هدبة لزيادة، فطالب أهله بدمه، فسجن ثم قُتل سنة ٦٣هـ/٦٨٣م. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٦٨٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ١٩٦م.

(٤) الزبير بن بكار: الموفقيات، ص ٢٣٨. التذكرة، ج ٢، ص ٤٠٩.

أما الثانية: "وقال مصعب الزبيري: كان عليّ عليه السلام حذراً في الحروب، شديد الروغان من قرّنه، لا يكاد أحد يتمكّن منه، وكانت درعه صدرّاً لا ظهر لها، فقليل له: ألا تخاف أن تُوتى من قِبَلِ ظهرك؟ فقال: إذا أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقي الله عليه إن أبقي عليّ"^(١).

ولم تخلُ الروايات المنقولة من مواظ وعبر، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "أوصى رجل من ربيعة ابنه فقال: يا بُنيّ، إذا حَزَبَكَ أَمْرٌ فَحَكْ رُكْبَتَيْكَ بِرُكْبَةِ شَيْخٍ مِنْ قَوْمِكَ وَشَاوِرُهُ، قَالَ: فَأَرَدْتُ التَزْوِيجَ، فَأَتَيْتُ شَيْخاً مِنْ قَوْمِي فِي نَادِيهِ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ حَتَّى خَفَّ مَنْ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَرَدْتُ التَزْوِيجَ فَأَتَيْتُكَ أَشَاوِرَكَ، فَقَالَ: أَقْصِرُ النِّسْبَ أَمْ طَوِيلْتَهُ؟ فَمَا أَجَدْتَ وَلَا أَرَدَيْتَ (أَي لَمْ أَقُلْ جَيْداً وَلَا ردياً) فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لِأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا أَنْكَرْتُ، وَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا لَمْ تُنْكَرْ وَلَمْ تَعْرِفْ، فَأَمَّا الْعَيْنُ إِذَا عَرَفَتْ فَإِنَّهَا تَتَخَاوَصُ لِلْمَعْرِفَةِ، وَإِذَا أَنْكَرَتْ تَحْجِظُ لِلْإِنْكَارِ، وَإِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكَرْ فَإِنَّهَا تَسْجُو سَجْواً، يَا ابْنَ أَخِي، لَا تَتَزَوَّجْ إِلَى قَوْمٍ أَهْلُ دَنَاءَةٍ أَصَابُوا مِنَ الدُّنْيَا عُسْرَةً فَتَشْرَكَهُمْ فِي دَنَاءَتِهِمْ وَلَا يَشْرُكَوكَ فِي أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: فَقَمْتُ وَقَدْ اكْتَفَيْتُ"^(٢).

وجدير بالذكر أن ابن حمدون لم يُصرّح على عادته باسم المؤلف، لكن من خلال الاطلاع على المورد والنقل الحرفي، يتبين أن ابن حمدون قد استقى رواياته من كتاب الموفقيات.

٢. ابن طيفور ت ٢٨٠هـ / ٨٩٤م

ورد ذكر ابن طيفور فيما سلف أثناء الحديث عن كتابه (بلاغات النساء) ضمن الموارد الأدبية، ولكن لم يقتصر الاعتماد عليه أدبياً من خلال كتاب البلاغات، بل اعتمد أيضاً على بعض الروايات التاريخية من كتابه المسمى "بغداد" وهو من أهم المصادر التاريخية، حيث لم يسبقه أحد من المؤرخين في ذلك، إذ يعدُّ أقدم ما كُتِبَ من تواريخ بغداد، وما ميّزه أنه اختلف في منهجه عن غيره من المصنفات التي جاءت بعده، حيث انفرد بذكر الوقائع والأحداث أكثر من ذكره للتراجم، مثل كتاب "تاريخ بغداد" للبغدادي وكتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر، ومما يعطيه أهمية خاصة وكبيرة أنه شكل مصدراً أولياً لطائفة من كبار المؤرخين والأدباء، الذين تناولوا بعده جوانب من تاريخ بغداد وغيرها من التواريخ كالطبري وأبي الفرج الأصفهاني، فاعتمدوا عليه ونقلوا عنه، وقد خصَّ المؤلف كتابه في التأريخ لحقبة حكم الخليفة العباسي المأمون، وما جرى فيها من أحداث واضطرابات، فضلاً عن تأريخه لمن توفي في تلك الحقبة حيث يختم كتابه بقوله: ذكر من مات في أيام المأمون ببغداد وغيرها من سنة أربع ومائتين وما بعدها من السنين.

(١) الزبير بن بكار: الموفقيات، ص ١٣٠. التذكرة، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٢) الزبير بن بكار: الموفقيات، ص ٥١٢. التذكرة، ج ٣، ص ٣٤٤.

وبناءً على أنه أرخ لحقبة المأمون، فكان من الطبيعي أن تكون جُلّ الروايات المُقتبسة قد تناولت جميعها أخبار هذا الخليفة، وصوراً عما كان يدور في قصره من أحداث، وقد بلغ عددها **خمس (٥)** روايات تاريخية، وهذه إحداها: "وكان للمأمون خادم يتولى وضوءه فيسرق طساسه^(١)، فقال له يوماً: كم تسرقها، فهلا تأتيني بها فأشتريها منك، قال فاشتري مني هذه التي بين يديك، قال: بكم؟ قال: بدينارين، فاشتراها منه وقال: فهذه الآن في أمان، قال: نعم قال: فلنا فيها كفاية إلى دهر^(٢)".

وفي صورة أخرى ذكر ابن حمدون: "كان أحمد بن يوسف يوماً بحضرة المأمون في جماعة من خواصه، فقال لهم: أخبروني عن غسان بن عباد^(٣)، فإنّي أريده لأمر جسيم، وكان عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود بن يزيد، فتكلّم كلّ فريق منهم في مدحه بما عنده، وقال أحمد بن يوسف: هو يا أمير المؤمنين رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا ينصرف به أمر إلاّ تقدّم فيه، ومهما تخوّف عليه فإنه لم يأت أمراً يعتذر منه، لأنّه قسم أيامه بين أيام الفضل فجعل لكلّ خلق نوبة، إذا نظرت في أمره لم تدر أيّ حالاته أعجب: ما هداه إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه، فقال المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه، فقال: لأنّي فيه كما قيل:

نصحتك في الصديق وفي عدائي
يكونُ هواكُ أغلب من هوائي

كفى ثمناً لما أسديت أنّي
وأني حين تتدبني لأمرٍ
فأعجب المأمون ذلك منه^(٤).

(١) إناء كبيرٌ مستديرٌ من نجاس أو نحوه، يغسل فيه. الفيروز آبادي: تاج العروس، ج ٥، ص ٥.

(٢) ابن طيفور (أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ/٨٩٤م): بغداد، تح عزت الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٢م، ص ٥٦. التذكرة، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٣) غسان بن عباد: بن أبي الفرج، من رجال الخليفة العباسي المأمون، ولاء خراسان بعد عزل بشر بن داود المهلب، ثم ولاء السند وأحسن السيرة فيها، وتوفي حوالي ٢١٦هـ/٨٣١م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٨٠٨.

(٤) ابن طيفور: بغداد، ص ١٣٠. التذكرة، ج ٤، ص ٥٣.

وجميع الروايات المنقولة وردت بشكل حرفي باستثناء رواية واحدة ضُمَّت شعراً لدعلج - سبق ذكره أثناء الحديث عن الدواوين الشعرية- قيل في مجلس الخليفة المأمون، ذكر ابن حمدون هذه الرواية بالاعتماد أيضاً على كتاب ثمار القلوب للثعالبي^(١).

٣. مؤلف مجهول القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي

من الموارد التاريخية المهمة جداً التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته كان كتاب " أخبار الدولة العباسية" لمؤلف مجهول، وكان عُثر على مخطوطة هذا الكتاب بإحدى مكتبات العراق، لكن سقط من هذه المخطوطة القسم الأول ومعه اسم مؤلفه^(٢)، وقد اقتصر الكتاب على أخبار الدعوة العباسية، حيث تناول الكتاب أخبار العباس بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس وعلي بن عبد الله ومحمد بن علي، ويعرض هذا الكتاب وجهة نظر العباسيين أثناء الدعوة والحقبة العباسية الأولى، حيث ينتهي قبيل قيام الدولة العباسية، لذلك جدير بهذا الكتاب أن يكون اسمه أخبار الدعوة العباسية وليس الدولة العباسية.

وقد انفرد هذا الكتاب بذكر رواية تعدُّ في غاية الأهمية، وهي طويلة تُقارب أربع صفحات، نقلها ابن حمدون في الباب السابع والعشرين الموسوم " في أنواع السير والأخبار وعجائبها"، تتناول هذه الرواية قدوم وفدي قريش وبني هاشم وبينهم عبد الله بن العباس على معاوية بن أبي سفيان إلى الشام عندما آل الحكم له، وجواب عبد الله له عندما سأله، بما يفخر بنو هاشم على بني أمية، وما كان رد ابن عباس عليه بأجوبةً بليغة، وقد ابتدأ ابن حمدون هذا الخبر بقوله: "دخل رجالٌ من قريشٍ وبني هاشم فيهم عبد الله بن العباس على معاوية في خلافته، فأقبل معاوية على القوم بوجهٍ وقال: يا بني هاشم، بم تفخرون علينا؟ أليس الأبُّ واحدٌ، والأمُّ واحدةٌ، والدارُّ واحدةٌ؟ فقال ابن عباس: نَفخر عليك بما أَصَبَحْتَ تَفخر به على سائرِ قريشٍ، وتَفخر به قريشٌ على الأنصارِ، وتَفخر به الأنصارُ على

(١) وردت باقي الروايات في الصفحات التالية:

كتاب بغداد	التذكرة
ص ١٥٩	ج ٢، ص ٢٠٤
ص ٣٦	ج ٤، ص ٥٨
ص ١٢٠	ج ٧، ص ٢١٠

(٢) رجَّح محقق الكتاب عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، أن مؤلف هذا الكتاب هو محمد بن صالح بن هران (ابن نطاح)، حيث أن ابن نطاح، هو أول من صنَّف في تاريخ الدعوة العباسية على ما ذكره النديم في الفهرست، إضافةً إلى أن ابن نطاح كان مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهذا الولاء يجعله على صلة وثيقة بأخبار العباسيين، وجدير بالذكر أنه توفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م. مؤلف مجهول: تاريخ الدولة العباسية، تح عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص ١٦.

العرب، وتقخر به العربُ على العجم، برسول الله صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بما لا تستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً، فقال: يا ابن عباس! لقد أعطيت لساناً ذرياً، تكاد تغلب بباطلك حق سواك، فقال ابن عباس: يا معاوية، إنَّ الباطل لا يغلب الحقَّ، فدع عنك الحسدَ، فبئسَ الشعارُ الحسدُ! فقال معاوية: صدقت يا ابن عباس، أما والله إنِّي لأحبُّكَ لأربع: إحداهنَّ لقربتك من رسول الله S، والثانية لأنك رجلٌ من أسرتي، والثالثة لأنك لسانُ قُريشٍ وزعيمها، وأما الرابعة، فإنَّ أباك كان خلاً لأبي. (١) ..

وكان جواب ابن عباس لمعاوية ولعمرو بن العاص، الذي حاول التكلُّم والتعرُّض له بالحديث، لكن ابن عباس اسكته بجوابه، وعلى الرغم من أن ابن حمدون لم يُسمِّ اسم المورد ولا مؤلفه، إلا أن المقارنة تثبت بأنها من المورد المذكور، وخاصة أن هذا الكتاب - أخبار الدولة العباسية - انفرد بذكر هذه الرواية بكل تفاصيلها، وبدوره نقل ابن حمدون هذه الرواية بشكل حرفي في معظمها، مع اختلاف ببعض الكلمات.

٤. الطبري ت ٣١٠هـ/٩٢٣م

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ والمفسر والإمام، ولد في آمل طبرستان (٢)، رحل في طلب العلم، فسمع بالري وبغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر، وعاد فسكن بغداد وتوفي فيها، وعُرِضَ عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى، قال فيه الصفدي: "كَانَ إِمَاماً فِي فَنُونٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا التَّفْسِيرُ وَالحَدِيثُ وَالفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة وكان من الأئمة المُجْتَهِدِينَ" (٣)، وذكره ابن خلكان بقوله: "وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها" (٤)، ومن مصنفاته: "تاريخ الرسل والملوك" المعروف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" و"اختلاف الفقهاء" و"جزء في الاعتقاد" و"القراءات" وغير ذلك من المؤلفات (٥).

يعدُّ كتاب "تاريخ الرسل والملوك" أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب، كتبه الطبري على منهج مرسوم، وساقه بطريقة استقرائية شاملة، وبلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان،

(١) مؤلف مجهول: تاريخ الدولة العباسية، ص ٦٢-٦٦. التذكرة، ج ٩، ص ١٨١-١٨٤.

(٢) آمل: اسم أكبر مدينة في طبرستان، وهي في الإقليم الرابع، وطولها سبع وسبعون درجة وثلاث، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع، اشتهرت بصناعتها للسجاد، وخرج منها الكثير من العلماء. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٧.

(٣) الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢١٢.

(٤) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٩١.

(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٥٤٨. الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٩٣. الحموي: معجم الأدباء، ج ٦، ص ٢٤٤١. القفطي: إنباء الرواة، ج ٣، ص ٨٩.

أكمل ما قام به المؤرخون قبله بوضعهم أسس كتابة التاريخ، كاليقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، ومهّد السبيل لتقدمه لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون، وبدأ الطبري كتابه بذكر الدلالة على حدوث الزمان، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً، على ما وردت بذلك الآثار، ثم ذكر آدم وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، متعرضاً للحوادث التي وقعت في زمانهم، مُفسراً ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم، مُعرجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم، وملوك الفرس على الخصوص، مع ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول S، وأما القسم الإسلامي، فقد رتبّه على الحوادث من عام الهجرة، حتى سنة ثلاثمائة واثنين (٣٠٢هـ/٩١٥م)، وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة (الحواليات) والأيام المشهورة، وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزأها على حسب السنين، أو يشير إليها بالإجمال ثم يذكرها في الموضع الملائم^(١).

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال، ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً، وعرضها عرضاً رائعاً رائعاً، ناسباً كل رواية إلى صاحبها، وكل رأي لقائله، كما أنه أودع هذا الكتاب فصلاً صالحاً وتنفّاً متنوعة من متون الكتب التي أتت عليها عوادي الأيام، وأورد من أقوال العلماء ما لم تأت على ذكره بقية المصادر^(٢).

أخذ ابن حمدون من تاريخ الطبري ثلاثاً وثلاثين (٣٣) رواية تاريخية، وقد اعتمد عليه في أخبار الفرس وبعض أخبار الخلفاء الراشدين، وبعض أخبار الخلفاء الأمويين والعباسيين، إضافة إلى العديد من الخطب والوصايا، وعلى الرغم من أن ابن حمدون لم يذكر اسم المورد، إلا أن المقارنة تثبت أنها من تاريخ الطبري، ففي الباب الثامن والأربعين الموسوم "في الملح والنوادر" ينقل ابن حمدون أربع روايات متتالية حول الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وردت متتالية في تاريخ الطبري، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون: "لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن جاء الخبر إلى المنصور وهو ببغداد في المضارب وقد بدأ بنيانها في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، وعمّه عبد الله بن عليّ محبوس عنده، فعظم عليه خروجه. فأرسل إلى عمّه بقوم من أهله يستشيريه، وكان عبد الله بن عليّ ذا رأي في الحرب، فقال: إنّ المحبوس محبوس الرأي، فأخرجوني يخرج رأيي، فأرسل إليه أبو جعفر: لو جاءني محمد بن عبد الله يضرب عليّ بابي ما أخرجتك وأنا خير لك منه"^(٣).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٦٥. التذكرة، ج ٩، ص ٢٤٧.

أما الرواية التي أتت بعدها، فجاءت أيضاً خبراً عن أبي جعفر المنصور، قال ابن حمدون: "ولمّا أتى المنصور برأس إبراهيم^(١)، وضعه بين يديه وجلس مجلساً عاماً، فكان الرجل يدخل، يسلم ويسيء القول لإبراهيم ويتناوله بالكلام القبيح طلباً لرضا المنصور، وهو مُطرقٌ ممسكٌ متغيّر الوجه، حتى دخل عليه جعفر بن حنظلة البهراني، فوقف وسلم ثم قال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حقك، فأسفر لون أبي جعفر وأقبل عليه فقال: أبا خالد، ههنا، مرحباً وأهلاً، فعلم أنّ ذلك قد أرضاه فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة"^(٢).

وجدير بالذكر أن ابن حمدون نقل بعض الروايات بتصرف وبأسلوبه الخاص، حيث كان يختصر منها، دون أي تغيير في مضمونها، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون في باب الإغراء والتحريض رواية حول عزل قتيبة بن مسلم الباهلي من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك عن ولاية ما وراء النهر، قال ابن حمدون: "بلغ قتيبة بن مسلم^(٣) أنّ سليمان بن عبد الملك يريد عزله واستعمال يزيد بن المهلب^(٤)، فكتب إليه ثلاث صحائف وقال للرسول: ادفع كتابي الأول إلى سليمان، فإن دفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني، فإن شتمني عند الثاني فادفع إليه الثالث، فدفع إليه الكتاب الأول فإذا فيه: إنّ بلائي في طاعة أبليك وأخيك كذا، قال: فرمى بالكتاب إلى يزيد، فأعطاه الثاني فإذا فيه: كيف تأمن يزيد على أسرارك وكان أبوه لا يأمنه على أمهات أولاده؟! قال: فشتمه فدفع إليه الكتاب الثالث، فإذا فيه: من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك، سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد:

(١) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قاد ثورة مع أخيه محمد النفس الزكية ضد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وانطلقت من البصرة وسيطر على العديد من المناطق، والتحم جيشه مع جيش الخلافة العباسية بمعركة كبيرة انتهت بمقتله سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م. مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٣، ص ٤١٥. ابن كثير: ج ١٠، ص ٨٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦٤٨. التذكرة، ج ٩، ص ٢٥٠.

(٣) قتيبة بن مسلم: بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص، من قادة الفتح العربي الإسلامي الشجعان، ولي الري في أيام عبد الملك ابن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد، وأرسله لفتح بلاد ما وراء النهر، فتوغل فيها. وفتح الكثير من المدن مثل: سمرقند وخوارزم وسجستان، واستخلف سليمان بن عبد الملك، وكان هذا يكره قتيبة، فدبّ الخلاف بينهما، وجاهر قتيبة بنزع الطاعة، واختلف عليه قادة جيشه، فقتله وكيع ابن حسان التميمي، بفرغانة سنة ٩٦هـ/٧١٥م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٨٧. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ١٠٤٣.

(٤) يزيد بن المهلب: بن أبي صفرة الأزدي، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، ثم عزله عبد الملك بن مروان، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان ابن عبد الملك، ولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، وافتتح جرجان وطبرستان، ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز، فعزله، وطلبه، فجئ به إلى الشام، فحبسه بخلب، وبعدها تمكن من الفرار ودخل في معركة مع مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتله سنة ١٠٢هـ/٧٢١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٢٧٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٠٣.

فلأوثقنَّ لك آخِيَّة لا ينزعها المهر الأرنُّ، فقال سليمان: ما أَرانا إِلَّا قد عجلنا على قتيبة، يا غلام، جدِّ له عهده على خراسان^(١).

أورد الطبري هذه الرواية مع بعض الزيادات التي لم ينقلها ابن حمدون، وهذا ما ينسحب على جميع الروايات التي نقلها ابن حمدون بتصرف^(٢).

٥. المسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م

علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، المؤرخ، الرَّحالة، الجغرافي، من ذرية الصحابي عبد الله بن مسعود d، اشتهر باسم "هيرودوت العرب"، فقد كان من العلماء الأوائل الذين جمعوا التاريخ والعلوم الجغرافية في عمل شامل، وهو من أهل بغداد، وأقام في مصر وتوفي فيها، وقال فيه الصفدي: "وَكَانَ إخبارياً عَلَامةً صَاحِبَ غرائب وملح ونوادر"^(٣)، ولم تحفل المصادر التاريخية بمعلومات حول حياته، سواءً بعمله أو وظائف تقلدها، ولكن يبدو أن المسعودي كان ينتمي لأسرة ميسورة الحال، ولولا ذلك لما تمكَّن من القيام برحلاته حول العالم، وهي رحلات تتطلب طول صبر وأناة وأموال كثيرة غير متوفرة إلا لدى الأغنياء، وقد ترك المسعودي العديد من المؤلفات منها "مروج الذهب ومعادن الجوهر" و"أخبار الزمان ومن أبادته الحدثنان" و"التنبيه والإشراف" و"أخبار الخوارج" و"ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور" و"الرسائل" و"الاستنكار بما مر في سالف الأعصار" و"أخبار الأمم من العرب والعجم" و"خزائن الملوك وسرّ العالمين" و"المقالات في أصول الديانات" و"البيان" .. وغيرها من المؤلفات^(٤).

ويعدُّ كتاب "مروج الذهب" من أهم المصادر التاريخية والجغرافية التي اعتمد عليها ابن حمدون في التذكرة، وهو بذلك يثبت أنه خبير في اختيار الموارد التاريخية ذات القيمة الكبيرة، حيث

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٠٨. التذكرة، ج ٥، ص ٢٢٤.

(٢) وردت بعض هذه الروايات على سبيل المثال في الصفحات التالية:

التذكرة	تاريخ الرسل والملوك
ج ١، ص ١٤٤	ج ١، ص ٢٧٤٣
ج ١، ص ٤١٩	ج ٣، ص ١٠٣
ج ٣، ص ٣٤	ج ١، ص ٣٢١٨
ج ٣، ص ٣٢٨	ج ١، ص ٢٧٧٨
ج ٤، ص ١٢٢	ج ٣، ص ١٢٨٧

(٣) الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ٥.

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٠٥. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٨٢٩.

أَرخ فيه المسعودي من بدء الخليقة إلى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٨م من تاريخ الدولة العباسية، ويبدأ المسعودي كتابه بعرض أهم الكتب التي سبق أن ألفها قبل هذا الكتاب، ثم يذكر الأسباب الكامنة وراء تأليف هذا الكتاب، فيقول: "وكان ما دعاني إلى تأليف كتابي هذا في التاريخ وأخبار العالم، ما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم مساكنها مَحَبَّة احتذاء الشاكلة التي قَصَدَهَا العلماء، وَقَفَّاهَا الحكماء، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً، وعلماً منظوماً عتيداً.." ^(١)، ثم يتابع المسعودي بوصف كتابه فيقول: "وقد سمت كتابي هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لنفاسة ما حواه، وعظم خطر ما استولى عليه من طوابع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه، وغرر مؤلفاتنا في مغزاه، وجعلته تحفة للأشراف من الملوك وأهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة إليه، وتتنزع النفوس إلى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان، وجعلته مُنَبِّهاً على أغراض ما سلف من كتبنا، ومشتملاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها، ولا يُعذر في التغافل عنها، ولم نترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً، أو ذكرناه مجملاً، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو لوَحنا إليه بفحوى من العبارات" ^(٢)، ثم يعرض نماذج لأبرز المؤرخين ومصنفاتهم، مُذكراً بالأمانة العلمية عند تأليفه لهذا الكتاب.

استمدَّ ابن حمدون من "مروج الذهب" ست عشرة (١٦) رواية تاريخية، وتضمَّنت أخبار الخلفاء الراشدين لكن بعناوين غير سياسية، فعلى سبيل المثال، نقل ابن حمدون في باب المواعظ والآداب الدينية، رواية عن الإمام علي d قائلاً: "ووقف عليه سائل، فقال لأحد ولديه: قل لأمك هاتي درهما من ستة دراهم. فقالت: هي للدقيق، فقال: لا يصدقُ إيمانُ عبدٍ حتى يكونَ بما في يد الله أوثقُ منه بما في يديه فيتصدق به، ثم مرَّ به رجلٌ يبيعُ جملاً فاشتراه بمائة وأربعين درهماً وباعه بمائتين، فجاء بالسنتين إلى فاطمة عليها السلام، فقالت: ما هذا؟ قال: هذا ما وعدنا الله على لسان أبيك: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾" ^(٣) ^(٤).

ومن أخبار الخلفاء الراشدين، ما أورده ابن حمدون عن الخليفة عمر بن الخطاب d نقلاً عن مروج الذهب، وهي رواية طويلة نقلها بشكل حرفي - سيذكر البحث جزءاً منها - قال ابن حمدون: "وروي أن عمر بن الخطاب d استعمل سعيد بن أمر بن خديم الجمحي على حمص، فلما قدم عمر حمص قال: كيف وجدتم عاملكم؟ قال: وكان يقال لحمص الكويبة الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال:

(١) مروج الذهب، ج ١، ص ٨.

(٢) مروج الذهب، ج ١، ص ١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٠.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ١٧٦. التذكرة، ج ١، ص ٧٩.

عظيمة، وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا، قال: عظيمة، وماذا؟ قالوا: يَغْنُظُ الغنظ^(١) بين الأيام حتى تأخذه موته، قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تقيل رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه؟ قالوا لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم، قال عمر: وما تشكون منه؟ قالوا: لا يجب أحداً ليل، قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله....^(٢)، ثم يتابع الخليفة حديثه مع الناس، ومُدافعاً عن واليه، ومُستمعاً لمشاكل الناس.

ونقل ابن حمدون بعض الروايات بتصريف، فعلى سبيل المثال، أورد في باب أنواع السير والأخبار، روايةً عنوانها ابن حمدون "بخبر ادعاء معاوية زياداً" وهي رواية طويلة قاربت الثلاث صفحات، استقاها ابن حمدون من مروج الذهب، ونقلها بشكل حرفي دون أي تغيير في مضمونها^(٣).

وكان للوصايا والخطب والرسائل نصيباً وافياً فيما نقله ابن حمدون من مروج الذهب، فقد ذكر رسالةً من الخليفة عبد الملك بن مروان مُرسلةً إلى الحجاج الذي كان واليه على العراق، بقوله: "لما أسرف الحجاج في القتل بالعراق وإعطاء أصحابه الأموال، كتب إليه عبد الملك بن مروان: أما بعد، فقد بلغني سرفك في الدماء وتبذير الأموال، ولا أحتمل هاتين لأحد من الناس، وقد حكمت عليك في الدّم بالقود في العمد، والدية في الخطأ، وأن تُردّ الأموال إلى مواضعها، فإنما المال مال الله ونحن أمناؤه، وسيان منع حق وإعطاء باطل، فلا يؤمنك إلا الطاعة ولا يخيفك إلا المعصية، وكتب في أسفل كتابه:

وتطلب رضائي بالذي أنت طالبة	إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها
إلى الله منه ضيع الدرّ حالبه	وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً
فيا ربّما قد غصّ بالماء شاربهُ	وإن ترّ مني غفلةً فُرشيّة
فهذا وهذا كلّهُ أنا صاحبه	وإن ترّ مني وثبةً أُمويّة
تَقُمْ فاعلمن يوماً عليك نواديه ^(٤)	فلا تعدّ ما يأتيك مني، فإن تعدّ

وردت هذه الرواية -حرفياً- من مروج الذهب، مع اختلاف واحدٍ وهو أن ابن حمدون نقل خمسة أبيات فقط من أصل سبعة أبيات وردت في المورد المذكور.

(١) يغنظ: يصيبه كرب وجهه حتى يشرف على الهلاك. ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٤٤٩.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٨. التذكرة، ج ١، ص ١٣٣.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ١٩١-١٩٤. التذكرة، ج ٩، ص ٢١٤-٢١٧.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٤١-٣٤٢. التذكرة، ج ١، ص ٤٥٤-٤٥٥.

وبذلك يمكن القول أن معظم هذه الروايات نُقلت بشكل حرفي دون أي تغيير، والبعض الآخر نُقل بتصرف، وعلى الرغم من أن ابن حمدون لم يُصرِّح باسم المورد ولا اسم مؤلفه، إلا أن المقارنة تثبت أنها من كتاب المسعودي^(١).

٦. مسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م

أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي الخازن، مؤرخ جليل، أصله من الري، سكن أصفهان ومات فيها، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق، ثم أُلِع في التاريخ والأدب، اختصَّ بحكَّام بني بويه، وحظي عندهم بأعلى المناصب، قال فيه الثعالبي: "في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه مُنصِّلاً بآبِ العَميد مُختَصّاً بِهِ"^(٢)، وقال الحموي في جملة ما وصفه: "وكان مسكويه مجوسياً وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة"^(٣)، وخلف العديد من المؤلفات منها "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" و"المُسْتوفى" و"الفوز الأصغر" و"الفوز الأكبر" و"ترتيب العادات" وغيرها^(٤).

ويعدُّ كتاب "تجارب الأمم وتعاقب الهمم" من أهم مؤلفات ابن مسكويه في التاريخ، حيث بدأه في أخبار ملوك الفرس السابقين على الإسلام، حتى سنة ٣٦٩هـ/٩٨٠م، وذكر ابن مسكويه في مقدمة كتابه يوضح أسباب تأليفه للكتاب، قائلاً: "وإني لما تصفَّحت أخبار الأمم وسير الملوك، وقرأت أخبار البلدان وكتب التواريخ، وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة لا تزال يتكرَّر مثلها وينتظر حدوث شبيهها وشكلها، كذكر مبادئ الدول ونشأة الممالك، وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافى من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال، وإغفال من أغفله واطَّرحه إلى أن تأدَّى إلى الاضمحلال والزوال... "^(٥).

(١) وردت بعض هذه الروايات في الصفحات التالية:

مروج الذهب	التذكرة
ج ٤، ص ٣٣١	ج ٢، ص ٣٤٥
ج ٤، ص ١٣٦	ج ٥، ص ٢٢٢
ج ٣، ص ٢١٤	ج ٩، ص ١٧١
ج ٥، ص ٦٧	ج ٩، ص ٢٤٤

(٢) يتيمة الدهر، ج ٥، ص ١١٥.

(٣) معجم الأدباء، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٣٣١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٧٣.

(٥) تجارب الأمم، ج ١، ص ٤٧.

اقتبس ابن حمدون من هذا المورد خمس (٥) روايات تاريخية فقط، روى في الأولى ما حصل عند تولي الخليفة العباسي المقتدر^(١) الخلافة، حيث قال: "ومن الآراء السديدة ما فعله أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات بعد فتنة ابن المعتز، فإن ابن المعتز، لما تفرق أصحابه وهلك، واستقام الأمر للمقتدر في ملكه، استوزر أبا الحسن ابن الفرات، فظفر بصندوقين عظيمين فيهما جرائد بأسماء من بايع ابن المعتز فلم يفتحهما ولا قرأ الجرائد، ودعا بنار عظيمة، وألقى الصندوقين فيها وقال: لا حاجة بنا إلى الوقوف على ما فيها فتفسد نية أمير المؤمنين في كل أوليائه، ويستشعرون هم الخوف منه، وقد عفا أمير المؤمنين عن كل من كان له في أمر ابن المعتز فعل أو قول، واقتدى في هذا الفعل بأخيه أبي العباس ابن الفرات"^(٢).

نقل ابن حمدون هذه الرواية بشكل حرفي، وكان قد ورد في تجارب الأمم بأن هذه الجرائد ألقاها ابن الفرات في دجلة بعد إحراقها، وهذا ما أغفله ابن حمدون، حيث لم يذكر أنها أُلقيت في دجلة، ومما يؤخذ عليه .

وأما الرواية الثانية، فكانت حول وزارة الحسن بن محمد المهلب لمعز الدولة أحمد بن بويه، فأورد ابن حمدون هذه الرواية ونقلها بشكل حرفي، قائلاً: "ومن صائب الرأي ما كان يفعله أبو محمد الحسن بن محمد المهلب، فإن صاحبه معز الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه، كان حديداً، سريع الغضب، بذية اللسان، يشتم وزرائه ويسبهم، وكان المهلب مع فضله وعلمه وكمال مروءته وأدبه يصبر من ذلك على ما لا يصبر عليه أحد، ولا ينكسر لما يبدو منه في حقّه، ف قيل له: لو أظهرت الانخزال والانكسار لكان أصلح لئلا يظن بك تهاوناً بأمره، فقال: ليس يخفى عليّ ذلك، ولكن هذا الأمير خرق عجل لا يملك لسانه، فإن ذهبت أظهر الاستيحاش من هديانه، وقع له أني قد تنكرت له وأنّي لا أناصحه، ولعله يتهمني بما لا يدور في فكري فيكون سبباً لجائحة ونكبة، وليس له غير التغافل والتبسّم في وجهه إذا أمكن، فإن لم يمكن ذلك خوفاً من غضبه فليس إلا قلة الفكر فيه"^(٣).

وجاءت الرواية الثالثة ليؤرخ فيها ابن حمدون لحقبة الملك البويهى أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه، ويذكر ما قام به من عمارة لبغداد، قائلاً: "وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن الحسن بن بويه من ساسة الملوك، وله في ذلك أخبار مشهورة وأفعال مستحسنة، ولما ملك بغداد

(١) المقتدر بالله: جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، ابن المعتض بالله، ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م، فاستصغره الناس، فخلعوه بعد أربعة أشهر فقط من توليه الخلافة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوه، فعاد المقتدر بعده، وبقي بالخلافة حتى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م حيث قتل بعد ثورة خادمه ويدعى مؤنس. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ١٢٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥، ص ٦٦. التذكرة، ج ١، ص ٤٥٥.

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، ج ٦، ص ١٨٢. التذكرة، ج ١، ص ٤٥٦.

والعراق وجدها خراباً، والأسواق بعضها تلوث بالحريق، والجوامع خراب، فبدأ بعمارتها وعمارة الأسواق، وألزم أرباب العقار بالعمارة، فمن قَصَرَتْ قدرته عن النفقة اقترض من بيت المال ما يُنْفِقُهُ عليها وذلك في الأسواق والدور، وكان ببغداد أنهاراً كثيرة فيها مرفق للمحال البعيدة عن دجلة قد انقطعت ودرست فابتدأ بحفرها مثل نهر العبارة، ونهر مسجد الأنباريين، ونهر البزازين، ونهر الدجاج، ونهر طابق، ونهر القلائين، ومسرأها إلى دجلة والصرافة، ونهر اشتق من دجيل إلى الحربية، وعمر القناطر ورتب أمر الجسر وجعل له الدرايزينات تحفظ من يجتاز به، ووكل به الحفظة، واستقصى في عمارة السواد، وعمر طريق مكة ورفع الجباية عنها، وأطلق الصدقات والصلوات لسائر طبقات الناس من المسلمين، ثم تجاوز ذلك إلى الذمة^(١).

وبالعودة إلى كتاب تجارب الأمم، يلاحظ أن مسكويه ذكر هذه الرواية ضمن أحداث سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٦م، وجاءت على شكل أخبار متفرقة جمع فيما بينها ابن حمدون وأوردها في تذكرته.

وأما الروايتان الرابعة والخامسة، فكانتا حول حكم ركن الدولة علي بن بويه^(٢)، ومن الضرورة بمكان ذكر أن جميع هذه الروايات وردت متعاقبة، وجاءت في الباب الثاني الموسوم "في الآداب والسياسية الدنيوية ورسوم الملوك والرعية".

ثانياً: كتب السير والمغازي

ضمت التذكرة الحمدونية بين صفحاتها أخبار الرسول S وأقواله، إضافة إلى غزواته، فكان من الطبيعي أن يعتمد ابن حمدون على أشهر ما ألف في هذا المجال، وهما:

١. الواقدي ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م

محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله، الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد في المدينة سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م، ثم قدم بغداد سنة ١٨٠هـ/٧٩٧م فولاه الخليفة العباسي هارون الرشيد القضاء في شرقي بغداد والمأمون من بعده، واستمر إلى أن توفي فيها، ولم تفض المصادر في أخبار الواقدي في بدء حياته، لكن من الواضح أنه اجتهد منذ سن مبكرة في جمع المعلومات عن المغازي والسير النبوية، وخلف العديد من الكتب، منها، "المغازي النبوية" و"فتح إفريقية"، و"فتح العجم" و"فتح مصر والإسكندرية"^(٣).

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٦، ص ٤٥٥. التذكرة، ج ١، ص ٤٥٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج ٥، ص ٤٠٧. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٤٦٤.

(٣) ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد ٣٥٤هـ/٩٦٥م): المجروحين، تح محمود زايد، دار الوعي، حلب، ط ١، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٢٩٠. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٤، ص ٤٣٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٤٨.

يعدُّ كتاب "المغازي" من أهم الكتب التي أُلِّفت في السيرة النبوية، وخاصة في تاريخ الحياة النبوية في المدينة المنورة، والغزوات التي وقعت، فأرَّخ الواقدي للغزوات التي قام بها النبي S أو أرسلها للجهاد، وبدأ الكتاب بتاريخ الهجرة النبوية، وتعداد الغزوات والسرايا، ومن شهدها ومن استشهد فيها، وصولاً لحجة الوداع ووفاة الرسول S .

وما نُقِلَ من قبل ابن حمدون من كتاب المغازي سبع (٧) روايات، تمحورت مواضيعها حول الغزوات النبوية وفتح مكة، إضافة إلى أخبار السيرة النبوية، وهذا ما أكده صاحب التذكرة في باب الوفاء والمحافظة والأمانة، عندما أورد ما فعلته زينب بنت الرسول S عندما وقع أبو العاص بن الربيع في أسر المسلمين، قال ابن حمدون: "كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختنُ رسول الله S على ابنته زينب، تاجراً تُضاربهُ قريشُ بأموالهم، فخرج إلى الشام سنة الهجرة، فلما قدم عَرَضَ له المسلمون فأسروه وأخذوا ما معه وقدموا به المدينة ليلاً، فلما صلّوا الفجر، قامت زينب على باب المسجد، فقالت: يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله S : قد أجزنا من أجزت، ودفع إليهم جميع ما أخذ منه، وعرض عليه الإسلام فأبى، وخرج إلى مكة ودعا قريشاً فأطعمهم ثم دفع إليهم أموالهم، وقال: هل وفيت؟ قالوا: نعم قد أدّيت الأمانة ووفيت، فقال: اشهدوا جميعاً أنني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وما منعتني أن أسلم إلا أن تقولوا: أخذ أموالنا ثم هاجر، فأقره رسول الله S على النكاح، وتوفي سنة اثنتي عشرة" (١).

غير أن هذه الرواية نُقلت مع بعض الاختصار، سيما أنها وردت عند الواقدي بتفاصيل أكثر قائلاً: "وأسروا ناساً ممن كان في العير معهم، منهم أبو العاص بن الربيع، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص، فأما أبو العاص فلم يغد أن جاء المدينة، ثم دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سحراً، وهي امرأته، فاستجارتها فأجارتها"، ثم يتابع ابن حمدون ذكر الرواية.

والمثال الآخر الذي اعتمده صاحب التذكرة جاء في باب التقرير والتوبيخ، وهو قولاً للرسول S بعد موقعة بدر عندما أُلقي بالمشرّكين في بئر، قائلاً: "ولما قتل أهل بدر وقف رسول الله S على أهل القليب (٢) فقال: يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلّم قوماً موتى؟ فقال: لقد علموا أنّ ما وعدتهم حق" (٣).

(١) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م): المغازي، تح مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ٣،

١٩٨٩م، ج ٢، ص ٥٥٣ . التذكرة، ج ٣، ص ٩ ..

(٢) القليب: البئر العادية القديمة . ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٦٨٩.

(٣) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٢٢ . التذكرة، ج ٥، ص ٢٠٨.

وهكذا جاءت معظم روايات التذكرة منقولة بشكل حرفي من كتاب المغازي، وإذا ما وُجِدَ بعض الاختلاف أثناء النقل، فسببه أن ابن حمدون أراد الاختصار وإضفاء طابع أدبي وأسلوب خاص على الروايات التي ينقلها^(١).

٢. ابن هشام ت ٢١٣هـ/٨٢٨م

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي في مصر، لم تذكر المصادر التاريخية غير هذين البلدين، ولكن من المرجح أن ابن هشام تنقل بين البلدان وجمع الكثير من الأخبار، وأشهر كتبه "السيرة النبوية" المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق، وله "القوائد الحميرية" في أخبار اليمن وملوكها، و"التيجان في ملوك حمير" و"شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب" وغير ذلك^(٢).

و يُعدُّ كتاب "السيرة النبوية" من أشهر ما ألّف في السيرة النبوية الشريفة، اختصرها ابن هشام من كتاب المغازي والسير لابن إسحق ت ١٥١هـ/٧٦٨م، فأسقط منها ابن هشام ما كان قبل إسماعيل عليه السلام من أخبار أبناء إسماعيل، وما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل به قرآن، والسؤال المطروح هنا، لماذا تعمّد ابن هشام عدم ذكر أخبار ما كان قبل إسماعيل عليه السلام؟

أكد ابن هشام في مقدمة كتابه، بأنه لم يذكر هذه الأحداث اختصاراً، سيما أنّه خلال تصنيفها سعى إلى تحري الدقة والموضوعية والابتعاد عن ذكر الروايات والأشعار الغريبة التي ليس لها سند موثوق.

ولم يورد صاحب التذكرة عند نقله من السيرة اسم المؤلف بشكل صريح، على الرغم من أنه اعتمد عليه في سبع (٧) روايات، غير أن المقارنة أثبتت أنها من كتاب السيرة النبوية.

(١) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية:

المغازي	التذكرة
ج ١، ص ١٣٠	ج ٣، ص ٩
ج ١، ص ٣٥٤	ج ٣، ص ٣٥
ج ١، ص ١٢٢	ج ٥، ص ٢٠٩
ج ٣، ص ٩٣٢	ج ٩، ص ١٦٢
ج ٢، ص ٨١٤	ج ٩، ص ١٦٨

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٧. القفطي: إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢١١. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٤٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٨.

وجاءت معظم هذه الروايات طويلة، مثل رواية قدوم وفد بني تميم على النبي وبينهم الزبرقان بن بدر وما دار بينه وبين حسان بن ثابت من أشعار^(١)، وكذلك خطبة الرسول S عند حجة الوداع^(٢)، وفتح مكة^(٣).

ومن الطبيعي أن لا يكون نقل ابن حمدون لهذه الروايات الطويلة بشكل حرفي، بل إنها جاءت بتصرف، ويمكن تسويغ ذلك - كما سبق وذكر - بأن ابن حمدون، كان يعمل على تقيد كل رواية يحصل عليها ضمن الباب المناسب، وبذلك كان لا يألو جهداً في تبسيط رواياته، وإبعاد أي ملل ممكن أن يصيب المطلع على تذكرته.

وعند الانتهاء من الحديث عن الموارد التاريخية التي اعتمد عليها ابن حمدون، يمكن ذكر بعض الخطوط العامة التي عمل بها ابن حمدون في نقله للروايات التاريخية، والتي يمكن أن تشكل منهجاً عاماً - إن جاز التعبير - لمنهجه التاريخي:

١. النقل الحرفي - غالباً - والاختصار في بعض الأحيان، بما يتناسب مع الموضوع الذي يتناوله، بغية عدم إدخال الملل إلى قلب القارئ.
٢. عدم التغيير في مضمون الرواية عند الاختصار، وبالتالي المحافظة على المصادقية في النقل، وهو أمر مهم عند المؤرخ الموضوعي.
٣. عدم تقصّي صحة الروايات المذكورة بأي أسلوب واضح لدى المؤرخ، وهو السمة العامة آنذاك لمؤرخي تلك الحقبة.
٤. إغفال بعض الروايات التاريخية المهمة، رغم مروره على أحداث متقاربة منها زمانياً ومكانياً، وهذا ما يؤخذ عليه.
٥. اعتماده على الكتب والمصادر التاريخية الأشهر والأهم، مما يُحسب له.
٦. تدوينه للكثير من الأحداث التي جرت داخل قصور الحُكّام وسيرهم وسلوكهم، مما أغفلته المصادر الأخرى.
٧. نظرة ابن حمدون للتاريخ على أنه يشكل أهم مصدرٍ ومنهل للترؤد بالعبر والخبرات التي يجب الاطلاع عليها، وهذا يدل على أن ابن حمدون كان يملك حساً تاريخياً جيداً.

(١) ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب ت ٢١٣هـ/٨٢٨م): السيرة النبوية، تح مصطفى السقا وآخرون، دار مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ج ٢، ص ٥٦٠-٥٦٥. التذكرة، ج ٣، ص ٤١٩-٤٢٣.

(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ٦٠٣. التذكرة، ج ٦، ص ٢٣٦.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ٤٠٠. التذكرة، ج ٩، ص ١٦٨.

وبالنظر إلى العصر الذي عاش فيه ابن حمدون، يمكن اعتباره مؤرخاً من نوع خاص، حيث اقتطف من التاريخ عبره ومواعظه، أي ما غلا ثمنه وقلّ وزنه، لذلك يمكن عدّه من مؤرخي الحركة الاجتماعية والأدبية والأخلاقية بشكلٍ عام.

جدول بالموارد التاريخية التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	اسم المورد	عدد الروايات
١	الزبير بن بكار	٨٧٠/هـ ٢٥٦م	الموفقيات	١٤ رواية
٢	ابن طيفور	٨٩٤/هـ ٢٨٠م	بغداد	٥ روايات
٣	مؤلف مجهول	٩٣/هـ ٩٣م	تاريخ الدولة العباسي	رواية واحدة
٤	الطبري	٩٢٣/هـ ٣١٠م	تاريخ الرسل والملوك	٣٣ رواية
٥	المسعودي	٩٥٨/هـ ٣٤٦م	مروج الذهب	١٦ رواية
٦	مسكويه	١٠٣٠/هـ ٤٢١م	تجارب الأمم وتعاقب الهمم	٥ روايات
كتب السير والمغازي				
١	الواقدي	٨٢٣/هـ ٢٠٧م	المغازي	٧ روايات
٢	ابن هشام	٨٢٨/هـ ٢١٣م	السيرة النبوية	٧ روايات

جدول من صنع الطالب

الفصل السادس: كتب التراجم والطبقات والأنساب

أولاً: كتب التراجم والأنساب التاريخية

١. ابن سعد
٢. البلاذري
٣. وكيع
٤. أبو نعيم الأصبهاني
٥. ابن حزم
٦. ابن عبد البر
٧. الخطيب البغدادي

ثانياً: كتب تراجم الشعراء

١. ابن سلام
٢. ابن قتيبة الدينوري
٣. ابن المعتز
٤. الأمدي
٥. الحرزباني

شكلت كتب التراجم والطبقات موارد مهمة أغنت التذكرة الحمدونية، من خلال ما قدمته من روايات انفردت هذه الكتب بذكرها، وجدير بالذكر أن ابن حمدون لم يسجل في تذكرته تراجم لأشخاص سواء كانوا شعراء أو فقهاء أو علماء أو غيرهم، ولكنه اعتمد على هذه الكتب بما فيها من أشعار وقصص وروايات، تحمل بين طياتها موعظةً وعبرةً، ليُخَصِّصَ هذه الروايات للمنهج الذي اتبعه في تذكرته، وهو تقييد كل رواية ضمن الباب المخصص لها من التذكرة.

وبالمقابل لم تخلُ بعض الأبواب من ذكر ابن حمدون لبعض الأنساب، سواءً لبعض الشعراء أو القبائل، فعلى سبيل المثال، أورد ابن حمدون نسب بعض القبائل العربية معتمداً على كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم، فيما رجع لكتاب معجم الشعراء ليستفيد منه في نسب بعض الشعراء الذين ورد ذكرهم في التذكرة، وبذلك تُعدُّ التذكرة الحمدونية مصدراً مهماً في هذا المضمار.

وقد تمَّ ترتيبهم وفق سني وفاتهم بدءاً من الأقدم:

أولاً: كتب الطبقات والتراجم والأنساب التاريخية

كان لتنوع محتوى التذكرة الحمدونية الأثر الكبير في تنوع مصادرها، وعلى الرغم من أن ابن حمدون لم يُعنى بذكر أبواب خصصها لتراجم أشخاص أو أنساب قبائل، إلا أنه اعتمد على هذا اللون من المصادر واقتبس منها الكثير من الشواهد والروايات التي دَوَّنَها ضمن تذكرته، بدءاً من ابن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م وكتابه "الطبقات الكبرى" والبلاذري ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م وكتابه "أنساب الأشراف" وصولاً لأبي نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠هـ/١٠٣٩م وكتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، فما هو مقدار ما اقتبس ابن حمدون من هذه الموارد؟

١. ابن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م

محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، أبو عبد الله، مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة سنة ١٦٨هـ/٧٨٥م، وسكن بغداد، فتوفي فيها، وصحب الواقدي المؤرخ مدة من الزمن، فكتب له وروى عنه، وعرف بكتاب الواقدي، قال فيه البغدادي: "محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته" ^(١)، وأشهر كتبه "الطبقات الكبرى" ^(٢).

يعدُّ كتاب "الطبقات الكبرى" من أوائل ما صنف في بابيه، ولا يوجد كتاب سبقه في هذا إلا كتاب الطبقات للواقدي، وقد تناول المصنف في الكتاب ذكر سيرة الرسول S، وذكر سيرة الصحابة

(١) تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٣، ص ٦٣. الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): الكاشف، تح محمد عوامة وآخرون، دار القبلة، جدة، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٧٤. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٢.

والتابعين إلى عصره، فقسّم الصحابة على حسب أسبقيتهم في الإسلام؛ فبدأ بالمهاجرين البدرين، ثم بالأنصار البدرين، ثم بمن أسلم قديماً ولم يشهد بدرًا، ثم بمن أسلم قبل فتح مكة، وهكذا، بعد ذلك تدخل العنصر المكاني، فأخذ يترجم للصحابة ومن بعدهم، على حسب الأمصار التي نزلوها، فسمّى من كان بالمدينة ومكة والطائف واليمن واليمامة، ثم من نزل الكوفة، ثم من نزل البصرة ومن كان موطنه الشام ومصر وغيرهما، هذا فيما يتعلق بالرجال، أما طبقات النساء فقد أفردها في آخر الكتاب.

تم اعتماد التذكرة على كتاب الطبقات في اثنتي عشرة (١٢) رواية، كانت إحداها جزءاً من خطبة طويلة للخليفة عمر بن الخطاب d اقتبس ابن حمدون جزءاً منها وأوردها في باب المواعظ والآداب الدينية، قائلاً: "وقال في خطبة له: تعلمون أنّ أكيس الكيس النقي وأنّ أعجز العجز الفجور، وأنّ أقواكم عندي الضعيف حتّى أعطيه حقّه، وأنّ أضعفكم عندي القويّ حتّى آخذ منه الحقّ، أيها الناس إنما أنا متّبّع ولست بمبتدع، فإذا أحسنت فأعينوني، وإذا رُغْتُ فقوموني"^(١).

وفي موضع آخر قال ابن حمدون: "أتى عمر d مال كثير فأنته حفصة فقالت: يا أمير المؤمنين حقّ أقرّيك، فقد أوصى الله بالأقربين، فقال: يا حفصة إنما حقّ أقرّائي من مالي، فأما مال المسلمين فلا، يا حفصة نصحت قومك وغششت أباك، فقامت تجرّ ذيلها"^(٢).

ومعظم ما ورد في التذكرة من روايات، إما بشكل حرفي أو بتصرف، إلا في رواية واحدة ورد فيها اختلاف^(٣)، قال: "قال عمر d: لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها"، بينما وردت في كتاب الطبقات: "قال عمر d: لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه"^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ١٨٣. التذكرة، ج ١، ص ١٢٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢٧٧-٢٧٨. التذكرة، ج ١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٣) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

الطبقات الكبرى	التذكرة
ج ١، ص ٤٥٢	ج ١، ص ٥٧
ج ٢، ص ٥٥	ج ٣، ص ٣٥
ج ٥، ص ٢٠٠	ج ٩، ص ٩١

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٠٥. التذكرة، ج ١، ص ١٢٨.

٢. البلاذري ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، مؤرخ، جغرافي، ونسابة، من أهل بغداد، لم تذكر المصادر التاريخية تاريخ ولادته، ولكن يبدو أنه سمع منذ صغره من كبار شيوخ الحديث، ونادم الخليفة المتوكل العباسي، ومات في أيام الخليفة المعتمد، وله في المأمون مدائح، وكان يجيد الفارسية، قال فيه الحموي: "وسوس آخر أيامه، وكان سبب وسوسته أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة، فلحقه ما لحقه"^(١)، حيث أن ثمر البلاذر كان يؤخذ لزيادة الحفظ وتقوية الذاكرة، ولكن الإكثار منه قد يؤدي إلى التسمم، وهذا ما حصل مع البلاذري، وترك العديد من الكتب منها: "فتوح البلدان" و"أنساب الأشراف"^(٢).

ويعد كتابه "أنساب الأشراف" من أضخم الكتب في أنساب قبائل مضر وأخبارها، جعل الأول منه في سيرة النبي S ونسبه الشريف، والثاني في علي وبنيه، والثالث في العباس وبنيه، والرابع في معاوية وزيد وبزيد، والخامس في عثمان بن عفان ومروان، والسادس في ولد عبد الملك وفتنة ابن الزبير، والسابع في بقية ولد عبد الملك، وطرف من ربيعة بن عبد شمس، والثامن في بني زهرة حتى عبد مناف، وتيم ومخزوم، والتاسع في تنمة قريش: جمح وسهم وعدي وعامر ومحارب، والعاشر في تنمة مدركة^(٣) وقسم من طابخة، والحادي عشر في تنمة طابخة^(٤) وتميم، والأخير في نسب قيس.

وعلى الرغم من أن كتاب البلاذري يختص بالأنساب، إلا أن ما أخذه ابن حمدون لا يقتصر على الأنساب فقط، بل جاء بعضها كموعظة وحكمة، وقد بلغ عددها عشر (١٠) روايات، وما يؤكد هذا القول، هذه الرواية التي تدخل في باب الفخر والمفاخرة نقلاً عن البلاذري: "قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم: بلغني أنك لهجت بقول الشعر، فقال: هو ذاك، فقال: إياك والمدح فإنه طعمة الوقاح من الرجال، وإياك والهجاء فإنك تُحنق به كريماً، وتستثير به لئيماً، وإياك والتشبيب بالنساء

(١) معجم الأديباء، ج ٢، ص ٥٣١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٧٤. ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ١، ص ١٥٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٦٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٥٥.

(٣) مدركة بن الياس: بطن من مضر، من العدنانية، وهم: بنو مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان. وهم: بطون كثيرة، أعظمها: هذيل، والقارة، وأسد، وكنانة، وقريش. كحالة: معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ١٠٦٠.

(٤) طابخة: بن الياس، بطن من مضر، من العدنانية، وهم: بنو طابخة، واسمه عمرو بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد ابن عدنان، وينقسم الى عدة أفخاذ، أشهرها: ضبة، الرباب، مزينة، تميم، ويطون صغار اخوة لتمام، منهم: صوفة، ومحارب. علي (جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت، ج ٤، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ١٨.

فإنك تفصحُ الشريفة وتعرّ العفيفة، ولكن افخر بمفاخر قومك وقُل من الأشعار ما تزين به نفسك وتؤدّب به غيرك^(١).

واعتمد ابن حمدون على هذا المورد في نسب القبائل، فعلى سبيل المثال، أورد في الباب الخامس والثلاثين الموسوم "في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم" أنساب بعض القبائل، وجاءت روايات متعاقبة، قال ابن حمدون: "هاشم بن عبد مناف اسمه عمرو، وسمي هاشماً لأنه هشم الثريد لقومه"^(٢).

"وحلف المطيبين من قريش: بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر، غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا"^(٣).

"والأحلاف بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي، نحروا جزورا وغمسوا أيديهم في دمها وتحالفوا فسموا لعقة الدم"^(٤).

"الأحابيش: الذين حالفوا قريشاً من القبائل، اجتمعوا بذنّب حبشيّ - جبل بمكة-، فقالوا: تالله إنهم يد على من خالفهم ما سجا ليل وما رسا الحبشيّ مكانه، وقيل هو من التحبش وهو من الاجتماع، الواحد أحبوش"^(٥).

ولم يكن نقل ابن حمدون لهذه الروايات حرفياً، إذ أنه كان يقدم بعض الإضافات، مثل قوله في الرواية الأخيرة: وقيل هو من التحبش...^(٦).

(١) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف، تح سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٥، ص ٢٢. التذكرة، ج ٣، ص ٤٠٨.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٨. التذكرة، ج ٧، ص ٣٦٩.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٦٠. التذكرة، ج ٧، ص ٣٦٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٦. التذكرة، ج ٧، ص ٣٦٩.

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٢. التذكرة، ج ٧، ص ٣٦٩.

(٦) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية:

التذكرة	أنساب الأشراف
ج ٣، ص ٤٠٨ وردت في هذه الصفحة روايتان	ج ٥، ص ٢٢
ج ٧، ص ٣٦٨	ج ١، ص ٣٣
ج ٧، ص ٣٦٩ وردت في هذه الصفحة ٦ روايات	ج ١، ص ٥٦ - ص ٥٧ - ص ٦٦
ج ٧، ص ٣٧٤	ج ١، ص ٤٧
ج ٧، ص ٣٧٥	ج ١، ص ٤٦

٣. وكيع ت ٣٠٦هـ/٩١٨م

محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي، أبو بكر، الملقب بـ وكيع، قاضي، فقيه، عالم بالتأريخ والبلدان، سمع الحديث من كبار الشيوخ، وولي القضاء بالأهواز، وتوفي في بغداد، له مصنفات عديدة منها "الطريق" في أخبار المدن ومسالك الطرق، و"أخبار القضاة" و"الشريف" على نمط المعارف لابن قتيبة، و"المكايل والأوزان"^(١).

ويعدُّ كتاب "أخبار القضاة" من أقدم ما وصل في أخبار القضاة، ويضم تراجم القضاة في جميع الأمصار الإسلامية في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مع وصف طرقهم في ولايتهم، وتحقيق أنسابهم وقبائلهم، ومن روى الحديث منهم، مع ذكر روايات من لم يشتهر منهم، واشتمل على وثائق رسمية مهمة، حول الدعاوى والقضايا التي تصدرت مواضيع القضاء الإسلامي الأول.

وبلغ تعداد الروايات المأخوذة منه أربع عشرة (١٤) رواية، وهي بالطبع تختصُّ بالعدل والجور وغيرها مما يتعلق بالقضاة، فقال ابن حمدون في رواية نقلها من كتاب وكيع بشكل حرفي: "أخذ عمر بن الخطاب d من رجل فرساً على سَومٍ، فحمل عليه رجلاً فَعَطَبَ الفرسُ، فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال له الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً عراقياً، فقال: يا أمير المؤمنين أخذتهُ صحيحاً سليماً فعليك أن تردّه كما أخذتهُ، فأعجبه ما قال، وبعث به قاضياً، ثم قال: ما وجدته في كتاب الله سبحانه فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يَسْتَتِنْ في كتاب الله فالزم السُّنة، فإن لم يكن في السنة فاجتهد رأيك"^(٢).

ومن أخبار القضاة أيضاً: "ويقال: إنَّ شريحاً عاش مائة وست سنين، ففضى منها ستين سنة"^(٣).

وشملت التذكرة روايات تؤرخ للعصر العباسي منها قوله: "وكتب المهديّ إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة أن ينظرَ الأنهار التي كانت في أيام عمر وعثمان، رضي الله عنهما، فيأخذَ الصدقةَ منها، نحو نهر مَعْقِلٍ ونهر الأُبُلَّةِ وما أشبههما، ويأخذَ من الأنهار التي أحدثتْ بعد ذلك الخراج، فلم يُنفِذْ كتابه، فتوعَّدهُ، فلما بلغ عبيد الله الخبرُ أحضرَ أشرفَ أهل البصرة من أهل العلم

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٢٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٢٣٧. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ٥، ص ١٥٦.

(٢) وكيع (محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦هـ/٩١٨م): أخبار القضاة، نج عبد العزيز المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ١، ١٩٤٧م، ج ٢، ص ١٨٩. التذكرة، ج ٣، ص ١٨٠.

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ج ٢، ص ٣٩٨. التذكرة، ج ٣، ص ١٨١.

بالقضاء، وأشهدهم أنه قد قضى لأهل الأنهار كلها التي بجزيرة العرب بالصدقة، فلم يردد المهدي شيئاً عليه من فعله" (١).

وجدير بالذكر أن ابن حمدون لم يصرح باسم وكيع ولا اسم الكتاب، إلا أن اقتباس الروايات بشكل حرفي أكد على أن ابن حمدون استقى رواياته من هذا المورد.

٤. أبو نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م

أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد وتوفي في أصفهان، كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وقام برحلة إلى بغداد لطلب العلم، من تصانيفه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" و"معرفة الصحابة" و"طبقات المحدثين والرواة" و"دلائل النبوة"، وغيرها (٢).

وكتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" كتاب حسن معتبر في التراجم، وموسوعة في تاريخ النساك والزهاد، ويشتمل على زهاء ثمانمائة ترجمة، ويتضمن أسماء جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ومن الأئمة والمنتصوفة والنساك في عصره، مع بعض أحاديثهم وكلامهم.

ذكر أبو نعيم في مقدمة كتابه: "فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق وياشر الأحوال والطرائق وساكن الرياض والحدائق وفارق العوارض والعلائق" (٣).

شملت الروايات المنقولة من كتاب حلية الأولياء مائة وتسعاً وثلاثين (١٣٩) رواية، وردت بشكل حرفي، وضمت أحاديث نبوية شريفة، وما سُجِّلَ من مآثر وحكم للخلفاء الراشدين، وما روي عن الصحابة والتابعين، وجاء معظم هذه الروايات في الجزء الأول من التذكرة، فمن جملة ما قال ابن حمدون في الإمام علي d: "ودخل عليه بعض أصحابه بالخورنق وهو يرعد تحت سَمَلٍ قطيفة، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟! فقال: والله ما أرزأكم من مالكم شيئاً، وإنما لقطيقتي التي خرجت بها من منزلي، أو قال: من المدينة" (٤).

(١) وكيع: أخبار القضاة، ج ٢، ص ٩٦. التذكرة، ج ٣، ص ١٨٢.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٣٧٦. ابن نقطة: التقييد، ص ١٤٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٩١.

ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ١، ص ٢٠١.

(٣) حلية الأولياء، ج ١، ص ٣-٤.

(٤) أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي،

بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٨٢. التذكرة، ج ١، ص ٦٩.

وتابع الحديث عن الإمام علي a في الرواية التي تلتها، فقال فيها: "وقسم عليه السلام ما في بيت المال على سبعة أسباع، ثم وجد رغيفاً فكسره سبع كسر، ثم دعا أمراء الأجناد فأقرع بينهم"^(١).

وعلى الرغم من أن ابن حمدون لم يُصرِّح باسم المورد، إلا أن كثيراً من الروايات التي وردت متتالية في كتاب حلية الأولياء وردت بالترتيب نفسه في التذكرة، مما يدل على أن ابن حمدون استقى معلوماته من هذا المورد، فمثلاً، جاء في التذكرة نقلاً عن الحلية ثلاث روايات جاءت متعاقبة، الرواية الأولى: قال ابن حمدون: "ولما مات علي بن الحسين غسلوه، ثم جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره فقالوا: ما هذا؟ قيل: كان يحمل جُربَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة"^(٢).

أما مضمون الرواية الثانية: "وقال محمد بن إسحاق: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات زين العابدين فقدوا ما كانوا يُؤْتَوْنَ به بالليل"^(٣).

بينما جاء في الثالثة: "وكان نافع بن جبير يقول لزين العابدين: غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم تذهبُ إلى هذا العبد فتجلس معه؟! يعني زيد بن أسلم، فقال: إنه ينبغي للعلم أن يُتَّبَعَ حيث كان"^(٤)، وبذلك لم يغير ابن حمدون في أي من الروايات التي أخذها من هذا الكتاب^(٥).

٥. ابن حزم ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، ولد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٥م بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة، حيث تولى وزارة الخليفة الأموي عبد الرحمن بن هشام المستظهر بالله (٣٩١ - ٤١٤ هـ / ١٠٠١ - ١٠٢٤م) فزهد بها وانصرف إلى

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج ٧، ص ٣٠٠. التذكرة، ج ١، ص ٦٩.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٦. التذكرة، ج ١، ص ١١٠.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٦. التذكرة، ج ١، ص ١١٠.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٣٦. التذكرة، ج ١، ص ١١٠.

(٥) للاستزادة على سبيل المثال لا الحصر:

التذكرة	حلية الأولياء
ج ١، ص ٥٦	ج ٣، ص ٢٥٦
ج ١، ص ٦٨	ج ١، ص ٧
ج ١، ص ١٠٨	ج ٣، ص ١٣٤
ج ١، ص ١١٠ ورد في هذه الصفحة ثلاث روايات	ج ٣، ص ١٣٥
ج ١، ص ١٤٩ ورد في هذه الصفحة روايتان	ج ٦، ص ٣٨٧
ج ٢، ص ٩٥	ج ٧، ص ٣٩

العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيهاً حافظاً عالماً بعلوم الحديث، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، قال ابن خلكان في ذلك: "كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكاد يسلم أحد من لسانه، ففرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ منه، فأقصته الملوك وشردته عن بلاده" ^(١)، ومن أشهر مصنفاته "الفصل في الملل والأهواء والنحل" وله "المحلى" و"جمهرة أنساب العرب" و"الناسخ والمنسوخ" وغيرها ^(٢).

ارتبط كتاب "جمهرة أنساب العرب" باسم ابن حزم ارتباطاً وثيقاً، كونه أحد أهم الكتب المختصة التي توثق أنساب العرب، وفيه ما يحبس الأنفاس من نواذر التراجم والمؤلفات والدول الدارسة طوال أربعة قرون، وقد أوجز ابن حزم أخبارها مرة وتوسع أخرى، وذكر في أثناء ذلك مؤلفات في الأنساب صرح بالإفادة من بعضها، فبناه على ثلاث شجرات هي أنساب قبائل عدنان، ثم قبائل قحطان ثم قبائل قضاة، وفي ذلك يقول: "وأما قضاة فمختلف فيه: فقوم يقولون: هو قضاة بن معد بن عدنان، وقوم يقولون: هو قضاة بن مالك بن حمير، فالله أعلم، ووجدنا في كتب بطليموس، وفي كتب العجم القديمة، ذكر القضاةيين ونبذة من أخبارهم وحروبهم، فالله أعلم أهم أوائل قضاة هذه وأسلافهم، أم هم غيرهم" ^(٣).

وجميع الروايات المنقولة من كتاب الجمهرة والبالغ عددها خمس (٥) روايات، خصت بعض أنساب القبائل، مثل نُبت بن زيد بن يشجب، وأعصر بن قيس بن عيلان، وجعفر بن قريع التميمي، وختعم، وجذيمة بن سعد الخزاعي.

فمثلاً، قال ابن حمدون: "أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان أبو غني وباهلة القبيلتين، اسمه منبّه، سمّي أعصر لقوله:

قالت عميرة ما لرأسك بعدما فقد الشَّبابَ أتى بلونٍ منكِرٍ
أعمير إنَّ أباك غيرَ رأسه مرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ" ^(٤)

وبالعودة إلى كتاب الجمهرة يُلاحظ أن ابن حمدون قد أضاف البيتان الشعريان بالاعتماد على مصدر آخر، لأن ابن حزم لم يذكرهما في كتابه.

(١) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٢٩.

(٢) ابن مأكولا: الاكمال، ج ٢، ص ٤٥١. الحميدي: جذور المقتبس، ص ٣٠٨. الضبي: بغية الملتبس، ص ٤١٥. الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٦٥٠.

(٣) ابن حزم (علي بن احمد بن سعيد ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م): جمهرة أنساب العرب، تح لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م، ص ٨.

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٤. التذكرة، ج ٧، ص ٣٧٠.

وفي قبيلة ابن قريع التميمي، قال ابن حمدون نقلاً عن الجمهرة: "جعفر بن فُرَيْع التميمي: نحر أبوه ناقَةً قَسَمَهَا بين نسائه، فأدخل يده في أنفها فجرَّ الرأس إلى أمه فَنَزَّ به وعَيَّرَ أولادُه به إلى أن جاء الحطيئة فقال:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاكَةِ الذَّنْبَا
فصار فخراً لهم^(١).

٦. ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م

سبق وورد ذكره في فصل الموارد الأدبية أثناء الحديث عن كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس، واعتمد ابن حمدون أيضاً على "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، هو كتاب في ترجمة الصحابة، ويعدُّ من أوائل الكتب التي أُلِّفَتْ في الصحابة، وكان منهج المؤلف في كتابه أنه كان يذكر الصحابي ومن روى عنه، وشيئاً ممن روى عن رسول الله S وبعض أمور تتعلق به ووفاته وعمره، وقد قال ابن عبد البر في مقدمة كتابه: "أما بعد، فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم - بعد كتاب الله عز وجل - سنن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهي الميمنة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضلَّ وغوى، وولاه الله ما تولى، ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس ... " (٢).

وما تم نقله من هذا المورد ثلاث (٣) روايات دون أن يسمي المصدر الذي نقل عنه بشكل صريح، أما الرواية الأولى فكانت قصة أروى بنت أويس مع مروان بن الحكم، حيث قال ابن حمدون: "استعدت أروى بنت أويس مروان بن الحكم على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقالت: أخذ حَقِّي فأدخله في أرضه، فقال سعيد: كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله S يقول: من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طَوَّقَهُ الله من سبع أرضين يوم القيامة، وترك لها سعيد ما ادعت ثم قال: اللهم إن كانت أروى ظلمتني فأعم بصرها واجعل قبرها في بيتها، فعميت وخرجت في بعض حاجاتها فوقع في

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٩-٢٢٠. التذكرة، ج ٧، ص ٣٧٠.

(٢) الاستيعاب، ج ١، ص ١.

البئر فماتت، ولما عميت سألت سعيداً أن يدعو لها وقالت: إني قد ظلمتك فقال: لا أردّ ما أعطانيه الله^(١).

أما الرواية الثانية فكانت قصة الخليفة عمر بن الخطاب d مع رباح بن المعترف^(٢)، والرواية الثالثة فكانت قولاً لعبد الله بن الزبير في وصف أبي سفيان^(٣)، ونقل ابن حمدون هذه الروايات مع اختلاف في بعض الكلمات دون تغيير في المضمون.

٧. الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/١٠٧٢م

سلف ورود ترجمته أثناء الحديث عن كتاب البخلاء ضمن الموارد الأدبية، واعتمد ابن حمدون أيضاً على كتابه الموسوم "تاريخ بغداد" الذي يعدّ من أهم وأكبر مؤلفات الخطيب البغدادي، وأكثرها شهرة على الإطلاق، ونال من أجله صيتاً ذائعاً لما تميز به من ميزات عظيمة، فهو أول كتاب تناول تاريخ علماء بغداد منذ تأسيسها إلى عصره، وتظهر أهميته بما حواه من تراجم بلغت حوالي سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين ترجمة، شملت هذه التراجم العلماء من فقهاء ومحدثين، فضلاً عن رجال الدولة من خلفاء ووزراء، وكما تجلت أهميته في المقدمة التي وصف بها مدينة بغداد منذ تأسيسها، حيث بين فيها مراحل بنائها من اختيار المكان وتخطيطه والعاملين فيها، واعتمد في ذلك على الذين سبقوه من المؤرخين مثل اليعقوبي والطبري وابن طيفور وغيرهم، وهو كتاب تراجم وليس كتاب تاريخ، حيث وضع أصلاً لخدمة علوم الحديث التي اشتهر البغدادي بالعناية بها، ومن هنا كان المترجم لهم من رجال الحديث في هذا الكتاب زهاء خمسة آلاف.

اقتبس ابن حمدون من هذا المورد ست (٦) روايات، تناولت أخبار بعض القضاة كوكيع القاضي، وعافية القاضي وما حدث بينه وبين الخليفة المهدي العباسي، والفرج بن فضالة والخليفة المنصور العباسي، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون في باب الاعتذار والاستعطاف نقلاً عن البغدادي: "أقبل المنصور يوماً راكباً، والفرج بن فضالة^(٤) جالس على باب الذهب، فقام الناس إليه ولم يقم، فاستشاط المنصور غضباً وغيظاً، ودعا به فقال له: ما منعك من القيام مع الناس حين رأيتني؟

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٦١٨. التذكرة، ج ٣، ص ٢١٧.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٢، ص ٤٨٦. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ١٥.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج ٤، ص ١٦٧٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ٩، ص ١٧٩.

(٤) الفرّج بن فضالة: بَنُ النعمان بَنُ نعيم، أَبُو فضالة الحمصي التنوخي، من الفقهاء الأجلاء، كان من أهل الشام، حمص، فقدم بغداد، وولي بيت المال في أول خلافة هارون الرشيد، ومات سنة ١٧٦هـ/٧٩٣م. أبو نعيم: معجم الصحابة، ج ٤، ص ١٩٩٠. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٧٧.

قال: خفت أن يسألني الله عنه لم فعلت، ويسألك عنه لم رضيت، وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكن غضبه وقضى حوائجه^(١).

وقد نقل ابن حمدون جميع هذه الروايات بشكل حرفي^(٢)، مع وجود بعض الاختلافات في بعض الكلمات، دون المساس بالمضمون.

ثانياً: كتب تراجم الشعراء

لم تكن كتب الأدب العامة والكتب الشعرية المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها صاحب التذكرة عند شروعه بتأليفها، بل أيضاً استمد من كتب طبقات وتراجم الشعراء العديد من الروايات والأشعار التي وردت ضمن التذكرة، فاستقى ابن حمدون من ابن سلام ت ٢٣٢هـ/٨٤٧م وكتابه "طبقات فحول الشعراء" وابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م وكتابه "الشعر والشعراء" وابن المعتز ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م وكتابه "طبقات الشعراء" وغيرها من كتب التراجم، وبذلك توجّب على البحث دراسة هذه المصادر ودراسة مؤلفيها، وتبيان ما أخذه ابن حمدون منها، بدءاً بابن سلام.

١. ابن سلام ت ٢٣٢هـ/٨٤٧م

تقدّم ذكره أثناء الحديث عن كتابه الأمثال في فصل الموارد الأدبية، ولكن ابن حمدون - في هذا المجال - اعتمد على كتاب آخر له هو "طبقات فحول الشعراء".

ويعدّ كتاب "طبقات فحول الشعراء" من أقدم ما وصل من كتب طبقات الشعراء، عرض ابن سلام في مقدمته لمسألة الشعر المنحول، داعياً إلى ضرورة تنقية الشعر من الزيف، كما ترجم في كتابه لمائة وأربعة عشر شاعراً، جعلهم على طبقات، عشر طبقات من شعراء حقبة ما قبل الإسلام، وتضم أربعين شاعراً، وعشر طبقات من الإسلاميين، وتضم أربعين شاعراً أيضاً، وطبقة أصحاب المراثي، وهم أربعة شعراء، وطبقة شعراء القرى، وهم اثنان وعشرون شاعراً، وطبقة شعراء اليهود، وهم ثمانية شعراء.

(١) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٧٧. التذكرة، ج ٤، ص ١٢٣.

(٢) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية:

تاريخ بغداد	التذكرة
ج ١٢، ص ٣٣٨	ج ٣، ص ١٨٣
ج ١٤، ص ٢٥٤	ج ٣، ص ١٨٤
ج ١٢، ص ٣٠٠	ج ٩، ص ١٥٠
ج ٤، ص ٦٣	ج ٩، ص ٣٣٩

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد سبع (٧) روايات فقط، نقل فيها أخبار بعض الشعراء غير المعروفين، كضابئ البرجي وسعية بن عريض اليهودي، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون في باب البأس والشجاعة: " وقال ضابئ البرجمي:

وما الفتك ما شاورت فيه ولا الذي تخبر من لاقيت أنك فاعله ^(١)

وفي باب الاعتذار والاستعطاف، ذكر ابن حمدون نقلاً عن طبقات ابن سلام: " وكان كعب بن جعيل شاعر معاوية يمدحه ويذم غيره، فقال معتذراً:

ندمت على شتم العشيرة بعد ما مضى واستنبت للرواة مذاهبه
فأصبحت لا أستطيع رد الذي مضى كما لا يرد الدر للضرع حاليه ^(٢)

كما نقل رواية طويلة عن أبي زيد الطائي، عندما دخل على الخليفة عثمان بن عفان d ، بشكل حرفي دون أي زيادة أو نقصان ^(٣).

وعلى عادته -أيضاً- لم يصرح ابن حمدون باسم المورد ولا مؤلفه، ولكن من خلال مقارنة بين نصوص الكتابين لوحظ أن ابن حمدون اقتبسها من هذا الكتاب ^(٤).

٢. ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م

سبق ووردت ترجمته أثناء الحديث عن كتابه عيون الأخبار ضمن الموارد الأدبية، واعتمد ابن حمدون أيضاً على كتاب آخر لابن قتيبة هو "الشعر والشعراء".

ويعد هذا الكتاب - الشعر والشعراء - من عيون كتب التراجم والأدب، أنجز في أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ويتألف من قسمين، الأول: في الشعر وفنونه وأقسامه وعيوبه وجيده ورديئه، والثاني: في تراجم الشعراء، ترجم فيه لعدد كبير من شعراء ما قبل الإسلام وحتى

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ١٧٤. التذكرة، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٢) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٥٧٤. التذكرة، ج ٤، ص ١٢٥.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج ٢، ص ٥٩٤. التذكرة، ج ٥، ص ٢٦٧.

(٤) وردت باقي الروايات في الصفحات التالية:

طبقات فحول الشعراء	التذكرة
ج ١، ص ٢٨٥	ج ٤، ص ٣٢١
ج ١، ص ٣٣	ج ٦، ص ٣٣ وردت في هذه الصفحة روايتين
ج ١، ص ٥٧	ج ٧، ص ٢٧٩

منتصف القرن الثالث الهجري، وهو يذكر الشاعر ونتقاً من أخباره، ثم يذكر شيئاً من شعره، مُعقّباً عليه بالشرح والتعليق.

اعتمد ابن حمدون على هذا الكتاب، وأخذ عنه خمس عشرة (١٥) رواية، جاءت معظمها أبياتاً شعرية لشعراء مغمورين، فعلى سبيل المثال، أورد في باب الشرف والرئاسة والسيادة: "قال مروان بن أبي حفصة:

هُم يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارُهُمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ"^(١)

ولم يقتصر اعتماد ابن حمدون على هذا المورد في نقله أبيات شعرية فقط، بل استقى منه بعض القصص التي دارت أحداثها مع بعض الشعراء، ومن هذه القصص، ما حصل مع حاتم الطائي، عندما استجارت به جارته، وذكرها ابن حمدون في باب السخاء والجود قائلاً: "قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء، وراحت الإبل حذباً حدابير"^(٢)، وضنت المراضيع عن أولادها أن تبض بقطرة، وجلفت السنة المال^(٣) وأيقنا بالهلاك، فو الله إني لفي ليلة صنيئر بعيدة ما بين الطرفين^(٤) إذ تضاغى أصيبيئتنا جوعاً، عبد الله وعدي وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت إلى الصبية، فو الله ما سكتوا إلّا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعللني، فعرفت ما يريد فتناومت، فلما تهوأت النجوم^(٥) إذا شيء قد رفع كسر البيت^(٦) فقال: من هذا؟ فولى ثم عاد آخر الليل، فقال: من هذا؟ قال: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاون عواء الذئاب، فما وجدت موعلاً إلا عليك أبا عدي، فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنتين، ويمشي جانبيها أربعة، كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه فوجأ لبته^(٧) بمدية فخر، ثم كشط عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة، فقال: شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يأتيهم بيتاً بيتاً فيقول: هُبُوا،

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٥٣. التذكرة، ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) الحذب: جمع حذباء، وهي التي بدت حراقفها وعظم ظهرها. الحدابير: جمع حذار وحديبر، بكسر الحاء فيهما،

وهي العجفاء الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال. الفراهيدي: العين، ج ٣، ص ١٨٦.

(٣) جلفت: أصل الجلف: القشر، فكأن السنة قشرت المال، والجلفة: السنة التي تذهب بأموال الناس. الأزهرى: تهذيب

اللغة، ج ٦، ص ١٦١.

(٤) الصنيئر: الباردة، وليل الشتاء طويل، ويزيده الجوع طولاً. ابن سيدة: المخصص، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٥) تهوأت النجوم: ذهب أكثرها. الفيروز أبادي: تاج العروس، ج ٢٤، ص ١١١.

(٦) كسر البيت: وكسره والكسران: جانباً البنيث من عن يمينك ويسارك. ابن سيدة: المخصص، ج ٤، ص ٤٠٣.

(٧) اللبة: هي موضع القلادة من العنق، وهي المنحر. ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٧٣٣.

عليكم بالنار، والتفع بثوبه ناحيةً ينظر إلينا، لا والله إن ذاق منه مُرْعَةً وأنه لأَحْوَجُ إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظمٌ أو حافر^(١).

وقد أورد ابن حمدون هذا النص دون أي تغيير، ويمكن اعتبار كتاب الشعر والشعراء مورداً مهماً للتذكرة الحمدونية على الرغم من عدد الروايات القليل التي أخذها ابن حمدون عنه^(٢).

٣. ابن المعتز ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م

وردت ترجمته أثناء الحديث عن أشعاره التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته ضمن فصل الدواوين الشعرية، وأخذ ابن حمدون من كتاب آخر له وهو "طبقات الشعراء".

وكان ابن المعتز قد ألف هذا الكتاب - **طبقات الشعراء** - في أيام قصار من أخريات حياته، وعني فيه بجمع النوادر والمحاسن التي أثرت عن شعراء عاشوا في بلاط بني العباس وقصور وزرائهم ورجالاتهم.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا الكتاب روايتين فقط، الأولى، كانت أبياتاً شعرية لعتبة الأعور: "وقال عتبة الأعور في ابن حجام:

أبولك أوهى النجاد عائقه
كم من كمي دمي ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه
لم يمس من ثاره على وجل^(٣)
أما الرواية الثانية، فهي مناقشة لببيت شعري ذكره أبو الشيص، قال ابن حمدون: "ذكر أبو الشيص يوماً في مجلس الرياشي^(٤) فقال: أخطأ أبو الشيص في بيت واحد في أربعة أماكن، وهو قوله:

أشاقك والليل ملقى الجران
غراب ينوح على غصن بان

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢٣٦. التذكرة، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) للاستزادة على سبيل المثال لا الحصر:

الشعر والشعراء	التذكرة
ج ١، ص ٥٢٨	ج ٥، ص ١٢٣
ج ١، ص ٣٩٤	ج ٥، ص ١٤٥

(٣) ابن المعتز: الطبقات، ص ٩٢. التذكرة، ج ٤، ص ٧٩.

(٤) الرياشي: محمد بن يسير، من بني رياش، من أهل البصرة، وعُرف بتنوع شعره، فقال في الغزل والهجاء والوصف والرتاء، وتوفي حوالي سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م. ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص ٢٧٩.

فالكلام شاقك لا غير، فجعل أَفْعَلَ مكانَ فَعَلَ؛ وذكر أن الذي شاقه بالليل غرابٌ، والغراب لا يصيح بالليل؛ وقال: غرابٌ ينوحُ، وصياحُ الغراب لا يقال له نوح إنما يقال: نَعَبَ الغراب ونعق وشَحَجَ؛ وقال: غراب ينوح على غصن بان، وغصن البان أضعفُ من أن يحمل غراباً^(١).

٤. الأمدي ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م

الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، أبو القاسم، أصله من آمد ومولده ووفاته بالبصرة، عالم بالأدب، كان حسن الفهم جيد الدراية والرواية، سريع الإدراك، ومن كتبه "المؤتلف والمختلف" في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، و"الموازنة بين البحتري وأبي تمام" و"معاني شعر البحتري" و"الخاص والمشارك" و"نثر المنظوم" وغيرها...^(٢).

أما كتابه "المؤتلف والمختلف" فهو كتاب نفيس ومن أروع كتب التراث العربي الإسلامي، قصره الأمدي على ذكر المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء خاصة، ويعني بالمؤتلف والمختلف: اتفاق شاعرين فأكثر في الاسم، أو الاسم واسم الأب، أو اللقب، أو الكنى، وتمييز ذلك برد كل شاعر إلى قبيلته وأصله، كما أن هناك كثيراً من الأسماء تتقارب في اللفظ أو في الخط، فلا يفرق بينها إلا الشكل أو النقط مثل: يزيد وبريد، والأشعر والأسعر، وقد افتتح الكتاب بمن يقال لهم: امرؤ القيس وهم عشرة، ثم بمن يلقب بالأعشى وهم سبعة عشر أعشى، ثم من يلقب بالأخطل وهم أربعة، ويشتمل على ذكر ستمائة وخمسة وأربعين شاعراً.

وقف ابن حمدون على سبع (٧) روايات من كتاب المؤتلف، تخص من تلقب من الشعراء بألقاب كالأخطل والنابعة والأسعر، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "الأسعر ابن أبي حمران الجعفي: لقب الأسعر لقوله:

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك
واسمه مرثد بن الحارث.^(٣)

وفي لقب المتلمس قال ابن حمدون: "المتلمس: اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي، وقيل جرير بن يزيد الضبعي، سمى المتلمس لقوله:

فذاك أوان العرض حي ذبابه
زنابيره والأزرق المتلمس^(٤)

(١) ابن المعتز: الطبقات، ص ٧٨. التذكرة، ج ٧، ص ٢٩٨.

(٢) الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ٨٤٧. القفطي: إنباه الرواة، ج ١، ص ٣٢٠. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٣١١.

(٣) الأمدي: المؤتلف والمختلف، ص ٥٨. التذكرة، ج ٧، ص ٣٧١.

(٤) الأمدي: المؤتلف والمختلف، ص ٩٥. التذكرة، ج ٧، ص ٣٧٢.

وفي لقب الأخطل، أورد ابن حمدون قائلاً: "الأخطل: اسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو عمرو: غويث بن الصلت، قال له رجل وهو صبي: يا غلام إنك لأخطل، فغلبت عليه وقيل لخطل في لسانه وثقل في كلامه"^(١)، وبهذه الإضافات التي استعان بها ابن حمدون، أغنى بها تذكرته، وجعلها أقرب إلى الموسوعة.

٥. المرزباني ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م

سلف وورد ذكره، أثناء الحديث عن كتابه (الموشح) ضمن الموارد الأدبية للتذكرة، ولم يقتصر اعتماد ابن حمدون على كتاب الموشح فقد استفاد أيضاً من كتاب آخر للمرزباني وهو "معجم الشعراء" الذي يُعدُّ من نواذر الكتب المؤلفة في تراجم الشعراء، وقد بقي القسم الأخير منه الذي يتضمن: حرف العين (مادة عمرو) حتى آخر الحروف الهجائية، ويستفاد من حديث النديم عن الكتاب أن المرزباني ترجم فيه خمسة آلاف شاعر، وأن الكتاب يقع في ألف ورقة^(٢).

وما أُقتبس من كتاب المرزباني يخص شعراء مغمورين وغير معروفين، وما نُقل من روايات بلغ خمس عشرة (١٥) رواية، نقلها بشكل حرفي ولم يصرح باسم المورد، ولكن من خلال المقارنة تبين أنها من المعجم، فقيل في باب محاسن الأخلاق: "وقال يحيى بن زياد الحارثي:

ولكن إذا ما حلَّ كُرَّةُ فسامحتُ به النفسُ يوماً كان للكره أذهباً"^(٣)

وعند الضبط بين ابن حمدون والمعجم لوحظ اختلاف كلمة واحدة فقط، حيث ورد الشطر الثاني في معجم المرزباني كان للحنن أذهباً.

وفي الباب نفسه، ذكر ابن حمدون بيتاً شعرياً نسبته للكميت الأسدي، وما يؤكد أن ابن حمدون أخذه من معجم المرزباني، أن كثير من المصادر ذكرت هذا البيت دون نسبة، أو نسبته لشاعر آخر، قال ابن حمدون: "ولقد أحسن الآخر في قوله، وهو الكميت بن معروف الأسدي:

فدام لي ولهم ما بي وما بهم مات أكثرنا غيظاً بما يجِدُ"^(٤)

(١) الآمدي: المؤلف والمختلف، ص ٢١-٢٢ . التذكرة، ج ٧، ص ٣٧٣.

(٢) الفهرست، ص ١٩٠.

(٣) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٤٩٨ . التذكرة، ج ٢، ص ١٨٨.

(٤) المرزباني: معجم الشعراء، ص ٣٤٧ . التذكرة، ج ٢، ص ٢١٠.

وجاءت معظم الروايات أبياتاً شعرية استفاد منها ابن حمدون لإغناء تذكرته بمختلف أبوابها^(١). وبذلك قدمت كتب التراجم بمختلف صنوفها، إضافة رائعة أغنت أبواب التذكرة بروايات ذات قيمة كبيرة، وساهمت بإضفاء صفة الموسوعية على التذكرة الحمدونية.

(١) للاستزادة على سبيل المثال:

التذكرة	معجم الشعراء
ج ٢، ص ٣٦٦	ص ٢١٤
ج ٣، ص ٢٤	ص ٢٥٩
ج ٥، ص ٢١٥	ص ٣٣٥

جدول بكتب التراجم والطبقات والأنساب التاريخية والشعرية

#	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	اسم المورد	عدد الروايات
١	ابن سعد	٢٣٠هـ/٨٤٥م	الطبقات الكبرى	١٢ رواية
٢	ابن سلام	٢٣٢هـ/٨٤٧م	طبقات فحول الشعراء	٧ روايات
٣	ابن قتيبة الدينوري	٢٧٦هـ/٨٨٩م	الشعر والشعراء	١٥ رواية
٤	البلاذري	٢٧٩هـ/٨٩٢م	أنساب الأشراف	١٠ روايات
٥	ابن المعتز	٢٩٦هـ/٩٠٩م	طبقات الشعراء	روايتان
٦	وكيع	٣٠٦هـ/٩١٨م	أخبار القضاة	١٤ رواية
٧	الآمدي	٣٧٠هـ/٩٨٠م	المؤتلف والمختلف	٧ روايات
٨	المرزباني	٣٨٤هـ/٩٩٤م	معجم الشعراء	١٥ رواية
٩	أبو نعيم الأصبهاني	٤٣٠هـ/١٠٣٨م	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	١٣٩ رواية
١٠	ابن حزم	٤٥٦هـ/١٠٦٣م	جمهرة أنساب العرب	٥ روايات
١١	ابن عبد البر	٤٦٣هـ/١٠٧١م	الاستيعاب في معرفة الأصحاب	٣ روايات
١٢	البغدادي	٤٦٣هـ/١٠٧٢م	تاريخ بغداد	٦ روايات

جدول من صنع الطالب

الفصل السابع: الموارد الدينية

أولاً:	القرآن الكريم
ثانياً:	كتب الحديث
ثالثاً:	كتب الفقه

تنوّعت الموارد الدينية التي اعتمد عليها ابن حمدون في تذكرته، لكن يبقى أجّل هذه الموارد وأهمها هو ما استقاه ابن حمدون من آيات قرآنية من الذكر الحكيم عند افتتاحه لكل باب من أبواب التذكرة، حيث كان يأتي على ذكر بعض الآيات كشواهد، وذلك بما يخدم معنى الباب الذي يتناوله، وتمّ إحصاء عدد الآيات التي سجلها ابن حمدون في مطلع كل باب من أبواب التذكرة.

إضافة إلى كتب الحديث الشريف كالصحيح لمثل صحيح البخاري ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م وصحيح مسلم ت ٢٦١هـ/٨٧٤م، وكتب المسانيد مثل مسند ابن حنبل ت ٢٤١هـ/٨٥٥م، وكتب السنن مثل سنن ابن ماجه ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م وسنن الترمذي ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م، فضلاً عن كتب الفقه والزهد والإرشاد والآداب مثل الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م وجمعه لكتاب نهج البلاغة للإمام علي d ، والغزالي ت ٥٠٥هـ/١١١١م وكتابه "إحياء علوم الدين".

وتجدر الإشارة إلى عدة ملاحظات حول تسجيل ابن حمدون للأحاديث النبوية:

١. اعتمد ابن حمدون في منهج تذكرته على إيراد الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بعنوان الباب الذي يكتبه بعد ذكر الآيات القرآنية.
 ٢. إن جُلّ الأحاديث النبوية التي أوردها ابن حمدون في تذكرته اقتبسها من المصادر الأدبية التي كان ينقل عنها، أي أن كتب الحديث لم تكن هي فقط مصادر الأحاديث الوحيدة.
 ٣. كان ابن حمدون يذكر الأحاديث دون إسناد، حيث يبدأ بالحديث بشكل مباشر.
 ٤. لم يميّز ابن حمدون بين الأحاديث الصحيحة أو الضعيفة أو الموضوعية، وترك هذا الموضوع يقع على كاهل الرواة.
 ٥. لم يُصرّح ابن حمدون بأسماء كتب الحديث التي أخذ عنها، باستثناء رواية واحدة فقط، حين صرح فقط بقوله: جاء في الصحيحين.
 ٦. وُجدت صعوبة بالغة في تحديد المورد الذي نقل عنه ابن حمدون الحديث باعتبار أن كثير من الأحاديث وردت في أكثر من كتاب.
- لذلك تمّ ترتيب هذه الموارد وفق سني وفاة مؤلفيها بدءاً من الأقدم.

أولاً: القرآن الكريم

كان من الطبيعي أن يشكل القرآن الكريم أهم الموارد الدينية التي اعتمد عليها ابن حمدون عند كتابته للتذكرة وفقاً للمنهج الذي اتبعه، سيما أنه كان يفتح كل باب من الأبواب الثمانية والأربعين ببعض من آيات الذكر الحكيم بما يتناسب وموضوع الباب الذي يكتب فيه.

بدأ ابن حمدون الباب الأول الموسوم "في المواعظ والآداب الدينية وسيرة السلف الأول والصالحين" بقوله: "قد حوى الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من المواعظ والإنذار والآداب التي يفوز ممتثلها وينجو من عمل بها، ما فيه عبرة لمن اعتبر.." (١)، مدعماً هذا الباب بـ **خمس وعشرين (٢٥) آية**، منها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢).

بينما ضمَّ الباب الثاني الموسوم "في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملك والرعية" ثمانية (٨) آيات، منها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (٣)، وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٤).

فيما اقتصر الباب الثالث المخصص للشرف والرئاسة والسيادة، بذكر آية واحدة فقط وهي، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥).

وحوى البابان **الرابع والخامس**، وموضوعهما محاسن الأخلاق ومساوئها، والسخاء والجود والبخل، إحدى عشرة (١١) آية، أتى سبع (٧) منها في الرابع، وأربع (٤) آيات في الخامس، وهذه مقتطفات من بعض هذه الآيات المتعلقة بتلك المواضيع، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

(١) التذكرة، ج ١، ص ٣٣.

(٢) سورة الحج، الآية ١-٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٤) سورة الممتحنة، الآية ١٣.

(٥) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^(١) و﴿قُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٣).

وعلى المنهج نفسه سار ابن حمدون، بقرن الأقوال بالأفعال، في الأبواب التالية السادس والسابع والثامن والتاسع، المتعلقة بالشيء ونقيضه، كالبأس والشجاعة والجبن والضراعة، والوفاء والغدر، والصدق والكذب، والتواضع والكبر، وقد ضمت هذه الأبواب مجتمعة ما يساوي إحدى وعشرين (٢١) آية، منها على سبيل المثال قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾^(٤)، وأيضاً قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٥) و﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٦)، أما في الصدق قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٧)، وفي التواضع، استشهد ابن حمدون بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾^(٨).

وانطبق على الأبواب الباقية من الباب العاشر حتى الباب الرابع عشر، ذكر الموضوع ونقيضه كمثل القناعة والطمع، وصون السر والنميمة، والعدل والجور، والعقل والحكمة والحمق، والمشورة والرأي صوابه وخطأه، وبلغت عدد الآيات في هذه الأبواب إحدى وعشرين (٢١) آية، منها، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٩) وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ هَمَزٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ^(١٠) و﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١١)، وفي التعقل والحكمة أورد ابن حمدون آيات منها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

(١) سورة فصلت، الآية ٣٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٨.

(٣) سورة آ عمران، الآية ٩٢.

(٤) سورة الصف، الآية ٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

(٦) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٧) سورة الجاثية، الآية ٧.

(٨) سورة الإسراء، الآية ٣٧.

(٩) سورة النحل، الآية ٩٧.

(١٠) سورة القلم، الآية ١٠-١١.

(١١) سورة النحل، الآية ٩٠.

أَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١)، أما في المشورة على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

بينما اعتمد الباب الخامس عشر المعنون "في العهود والوصايا" على أربع (٤) آيات في وصايا الوفاة والتأديب والإرشاد فمنها قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأُولَادِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

وقد تساوت بعض الأبواب المتتالية في عدد الآيات التي تم الاعتماد عليها، بدءاً من الباب السادس عشر وصولاً للباب العشرين، على الرغم من تنوع موضوعاتها ما بين الفخر والمفاخرة، والمدح، والتهاني، والتعازي والمراثي، والمرض، حيث بلغ عددها في كل منها أربع (٤) آيات، باستثناء الباب السابع عشر الذي ضم ست (٦) آيات، فعلى سبيل المثال أورد ابن حمدون في الفخر قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٤) أما في المدح قال تعالى: ﴿تَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٥)، بينما ذكر في التهاني قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾^(٦)، واستشهد ابن حمدون في التعازي بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٧) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(٨)، وفي المرض قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(٩).

وبلغ عدد الآيات الواردة في الأبواب من الباب الحادي والعشرين حتى الباب السابع والعشرين ثماني عشرة (١٨) آية، باستثناء الباب الثالث والعشرين المعنون في الهجاء والمذمة الذي لم ترد فيه أية آية قرآنية، وتناولت موضوعات المودة والإخاء، والهدايا، والتقريع، والوعيد والتحذير، والأوصاف والنعوت، فعلى سبيل المثال قال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(١٠)، وفي التعريض قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

(١) سورة الملك، الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٣٤.

(٥) سورة ص، الآية ٤٤.

(٦) سورة فاطر، الآية ٣٤.

(٧) سورة البقرة، الآية ١٥٦-١٥٧.

(٨) سورة النساء، الآية ١٠٢.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١)، وذكر ابن حمدون في التفریع والتوبيخ قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، واستشهد في الأوصاف والنعوت بعدة آيات منها قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٣).

وجاءت الأبواب من الباب الثامن والعشرين حتى الباب الرابع والثلاثين، مُتضمنة خمس وعشرين (٢٥) آية، باستثناء الباب التاسع والعشرين المخصص للغزل، الذي لم ترد في أية آية قرآنية، أوردها ابن حمدون كشواهد على موضوعات هذه الأبواب، التي جاءت في الشيب والخضاب، والخطب، والمكاتبات والرسائل، وشوارد الأمثال، والحجج الدامغة، وكبوات الجياد وهفوات الأمجاد، فعلى سبيل المثال، استشهد ابن حمدون في الشيب بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(٤)، وذكر في الخطب قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٥)، وكان لشوار الأمثال النصيب الأوفى بعدد الآيات، ومنها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦)، وفي الحجج البالغة قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٧) و﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٨)، بينما اقتبس ابن حمدون شواهد من الذكر الحكيم في كبوات الجياد مثل قوله تعالى: ﴿رَنَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٩).

(١) سورة نوح، الآية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٤٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ١٨.

(٤) سورة فاطر، الآية ٣٧.

(٥) سورة ص، الآية ٢٠.

(٦) سورة يونس، الآية ٢٤.

(٧) سورة يس، الآية ٧٨.

(٨) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٥٥.

وضمَّت الأبواب من الخامس والثلاثين حتى الباب الأربعين ما مقداره تسع عشرة (١٩) آية، تمحورت حول موضوعات الكهانة والقيافة واليسر بعد العسر، والغنى والفقر والأسفار والاعترا، وتنجز الحوائج، ففي أخبار العرب وأوابدهم استشهد ابن حمدون بقوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١)، أما في الكهانة قال تعالى: ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾^(٢)، بينما جاء في الغنى قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾^(٣)، وأورد ابن حمدون آية واحدة في الأسفار وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾^(٤).

اقتبس ابن حمدون من الباب الحادي والأربعين حتى الباب الثامن والأربعين، ما مقداره خمس عشرة (١٥) آية قرآنية، باستثناء الباب الأخير الذي لم يحو أي آية قرآنية، وتناولت موضوعات الإذن والحجاب، والحيل والخدائع، والتعريض، والخمر والمعاقرة، والغناء، والمواكلة والتطفل، وأنواع السير والأخبار، فعلى سبيل المثال، ذكر ابن حمدون في الحجاب قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥)، وإن قيل لَكُمْ ارجعوا فارجعوا هو أَرْجَى لَكُمْ^(٦)، أما في الحيل قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَخَنْتْ ﴾^(٧)، وفي الخمر قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ﴾^(٨)، وأورد ابن حمدون في الغناء آية واحدة وهي، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُولًا ﴾^(٩)، أما في أنواع السير والأخبار أورد ابن حمدون ثلاث (٣) آيات منها قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾^(١٠) و ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(١١).

(١) سورة المائدة، الآية ١٠٣.

(٢) سورة النمل، الآية ٤٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٨.

(٤) سورة الملك، الآية ١٥.

(٥) سورة النور، الآية ٢٧-٢٨.

(٦) سورة ص، الآية ٤٤.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

(٨) سورة لقمان، الآية ٦.

(٩) سورة هود، الآية ٤٩.

(١٠) سورة يوسف، الآية ٣.

وبذلك يكون عدد الآيات التي استند عليها ابن حمدون في تذكرته مائة وإحدى وتسعين آية (١٩١) جاءت في خمسة وأربعين باباً، فيما خلت الأبواب (٢٣-٢٩-٤٨) من ذكرٍ لأي آية، وكان الباب الأول الأوفر حظاً بعدد الآيات، وقد بلغت خمس وعشرين آية، ويُلاحظ أن تفاوت عدد الآيات بين أبواب التذكرة يعود إلى متطلبات الموضوع الذي يدونه ابن حمدون.

جدول بالآيات القرآنية التي وردت في التذكرة لحمدونية

عدد الآيات	الباب
خمساً وعشرين (٢٥) آية	الباب الأول الموسوم " في المواعظ والآداب الدينية وسيرة السلف الأول والصالحين "
ثمانى (٨) آيات	الباب الثاني الموسوم " في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملك والرعية "
آية واحدة	الباب الثالث الموسوم " في الشرف والرئاسة والسيادة وما هو من خصائصها ومعانيها "
سبع (٧) آيات	الباب الرابع الموسوم " في محاسن الأخلاق ومساوئها "
أربع (٤) آيات	الباب الخامس الموسوم " في السخاء والجود والبخل واللؤم "
آيتان (٢)	الباب السادس الموسوم " في البأس والشجاعة والجبن والضراعة "
أربع (٤) آيات	الباب السابع الموسوم " في الوفاء والمحافظة والأمانة والغدر والممل والخيانة "
ست (٦) آيات	الباب الثامن الموسوم " في الصدق والكذب "
تسع (٩) آيات	الباب التاسع الموسوم " في التواضع والكبر "
آيتان (٢)	الباب العاشر الموسوم " في القناعة والظلف والحرص والطمع "
ثلاث (٣) آيات	الباب الحادي عشر الموسوم " في صون السر وتحصينه وذم السعاية والنميمة "
عشر (١٠) آيات	الباب الثاني عشر الموسوم " في العدل والجور "
خمس (٥) آيات	الباب الثالث عشر الموسوم " في العقل والحنكة والتجارب والحق والجهل "
آية واحدة	الباب الرابع عشر الموسوم " في المشورة والرأي صوابه وخطئه "
أربع (٤) آيات	الباب الخامس عشر الموسوم " في العهود والوصايا "
أربع (٤) آيات	الباب السادس عشر الموسوم " في الفخر والمفاخرة "
ست (٦) آيات	الباب السابع عشر الموسوم " في المدح والثناء "
أربع (٤) آيات	الباب الثامن عشر الموسوم " في التهاني "
أربع (٤) آيات	الباب التاسع عشر الموسوم " في المراثي والتعازي "
أربع (٤) آيات	الباب العشرون الموسوم " في العيادة والمرض "
آية واحدة	الباب الحادي والعشرين الموسوم " في المودة والإخاء والمعاشرة والاستئذنة "
آية واحدة	الباب الثاني والعشرون الموسوم " في الهدايا "
لم يورد أي آية قرآنية	الباب الثالث والعشرون الموسوم " في الهجاء والمذمة "
آيتان (٢)	الباب الرابع والعشرون الموسوم " في الإغراء والتعريض "
أربع (٤) آيات	الباب الخامس والعشرون الموسوم " في التقريع والتوبيخ "

الباب السادس والعشرين الموسوم " في الوعيد والتحذير "	ست (٦) آيات
الباب السابع والعشرين الموسوم " في الأوصاف والنعوت "	أربع (٤) آيات
الباب الثامن والعشرين الموسوم " في الشيب والخضاب "	آية واحدة
الباب التاسع والعشرين الموسوم " في النسب والغزل "	لم يورد أي آية قرآنية
الباب الثلاثين الموسوم " في الخطب "	آية واحدة
الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل "	آيتان (٢)
الباب الثاني والثلاثين الموسوم " في شوارد الأمثال "	عشر (١٠) آيات
الباب الثالث والثلاثين الموسوم " في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة "	عشر (١٠) آيات
الباب الرابع والثلاثين الموسوم " في كبوات الجياد وهفوات الأمجاد "	آيتان (٢)
الباب الخامس والثلاثين الموسوم " في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم، وغرائب من عوائدهم "	آيتان (٢)
الباب السادس والثلاثين الموسوم " في الكهانة والقيافة والزجر والعيافة "	آيتان (٢)
الباب السابع والثلاثين الموسوم " في اليسر بعد العسر "	أربع (٤) آيات
الباب الثامن والثلاثين الموسوم " في الغنى والفقر "	أربع (٤) آيات
الباب التاسع والثلاثين الموسوم " في الأسفار والاعتراب "	آية واحدة
الباب الأربعين الموسوم " في تنجُر الحوائج "	ست (٦) آيات
الباب الحادي والأربعين الموسوم " في الإذن والحجاب "	أربع (٤) آيات
الباب الثاني والأربعين الموسوم " في الحيل والخدائع "	آية واحدة
الباب الثالث والأربعين الموسوم " في الكناية والتعريض "	آية واحدة
الباب الرابع والأربعين الموسوم " في الخمر والمعاقرة "	آيتان (٢)
الباب الخامس والأربعين الموسوم " في الغناء "	آية واحدة
الباب السادس والأربعين الموسوم " في المواقلة والتطفل "	ثلاث (٣) آيات
الباب السابع والأربعين الموسوم " في أنواع السير والأخبار "	ثلاث (٣) آيات
الباب الثامن والأربعين الموسوم " في الملح والنوادر "	لم يورد أي آية قرآنية

جدول من صنع الطالب

ثانياً: كتب الحديث

تشغل كتب الأحاديث الشريفة المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد القرآن الكريم، فيما اعتمده ابن حمدون في التذكرة، وكان من الطبيعي أن يلجأ المؤلف إلى الاستعانة بهذه الكتب كمورد مهم للأحاديث النبوية الشريفة، بما تمثله من توثيق معرفي وأخلاقي وديني للعديد من الموضوعات التي وردت في التذكرة، بحيث تعطىها المصداقية والأهمية في عقول قراء التذكرة، وقد تنوعت كتب الحديث، فمنها كتب الصحاح والمسانيد والسنن.

أ. كتب الصحاح

عُني عددٌ من العلماء بجمع الحديث الشريف عنايةً كبيرةً، حتّى انتقل الحديث الشريف من مرحلة الحفظ في الصدور إلى مرحلة الكتابة والتدوين، وقد وجد علماء الجرح والتعديل أن أهم مصادر الحديث هما صحيحا البخاري ومسلم، ثم جاء أبو عبد الله الحاكم فاستدرك بعض الأحاديث التي لم ترد فيهما، فما هو مقدار الأحاديث النبوية الشريفة التي اقتبسها ابن حمدون من هذه الموارد؟

١. البخاري ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله S، صاحب "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري، و"الضعفاء" في رجال الحديث، و"خلق أفعال العباد" و"الأدب المفرد"، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ/٨١٠م، ونشأ يتيماً، وتقل بين بلدان عديدة لطلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثّق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو^(١).

وقد اعتمد ابن حمدون على كتاب "الصحيح" للبخاري في تخريج ثمانية عشر (١٨) حديثاً نبوياً، تنوعت موضوعاتها باختلاف أبوابها، فيما طرق الباب الأول المواعظ والآداب الدينية، حيث أورد مجموعة من الأحاديث للرسول S، منها، قائلًا: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا"^(٢).

(١) ابن حبان: الثقات، ج ٩، ص ١١٣. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥، ص ٥٠. ابن نقطة: التقييد، ص ٣٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٩١.

(٢) البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م): صحيح البخاري، تح محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٣٩٥ (ر ح ١٣٩٣). التذكرة، ج ١، ص ٤٧.

وفي حديث آخر: "وقالت عائشة g: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن دُرْعَهُ لمرهونة بثلاثين صاعاً من شعير"^(١).

ورد هذا الحديث في صحيح البخاري، غير أن ابن حمدون أضاف عليه (ثلاثين صاعاً من الشعير).

وقد نقل معظم الأحاديث بشكل حرفي دون ذكر سند الحديث، إلا في رواية واحدة، حيث ذكر: "ومن الأخبار المتفق عليها في الصحيحين"، حيث نقل رواية طويلة حول الإمام علي d^(٢).

٢. مسلم ت ٨٧٤/٢٦١م

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ/٨٢٠م، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور، أشهر كتبه "صحيح مسلم" جمع فيه خمسة آلاف وخمسمائة وخمسة نصوص مسندة، تشتمل على كثير من أصول الشرع الشريف، في جميع جوانبه العملية والاعتقادية، ثم رتبها في عدة كتب، وأدرج تحت كل كتاب عدداً من الأبواب، كل باب فيه عدد من النصوص يختلف قلة أو كثرة، وفق مراد المؤلف، كتبها في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المَعُولَ عليهما في الحديث، وقد شرحه كثيرون، ومن كتبه "المسند الكبير" رتبه على الرجال، و"الجامع" مرتب على الأبواب، و"الكنى والأسماء"^(٣).

ما نُقِلَ من كتاب "صحيح مسلم" بلغ اثنين وعشرين (٢٢) حديثاً نبوياً، بشكل حرفي، وفي بعض الحالات وردت هذه الأحاديث منفردة وقصيرة لتخدم المعنى، فعلى سبيل المثال، في الباب الأول المعنون "في المواعظ والآداب الدينية وسيرة السلف الأول والصالحين" استُفِّت مجموعة أحاديث قصيرة ومتتالية أخرج بعضها مسلم في صحيحه، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قال

(١) البخاري: صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٤٩ (ر ح ٢٥٠٩). التذكرة، ج ١، ص ٤٠.

(٢) للاستزادة في بعض الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر:

صحيح البخاري	التذكرة
ج ٦، ص ٥٧٦	ج ١، ص ٥٦
ج ١٣، ص ٩٠	ج ٨، ص ١٩٦
ج ٦، ص ٨٢	ج ٩، ص ٨٢

(٣) ابن نقطة: التقييد، ص ٤٤٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٩٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٥٥٦.

الرسول S : السعيد من وعظ غيره^(١)، ولكن بالعودة إلى صحيح مسلم، يُلاحظ أن ابن حمدون كان يجتزئ من الحديث ما يفيد غرضه الأدبي، حيث ورد الحديث في الصحيح: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره، وكذا الأمر في الباب الثاني من التذكرة الموسوم "في الآداب والسياسة الدنيوية ورسوم الملك والرعية".

وفي باب الصدق والكذب، قال ابن حمدون: "وقال S : من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه"^(٢).

وذكر ابن حمدون في باب القناعة: "قال S : يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر"^(٣).

واستقى أيضاً - في باب الأوصاف حديثاً للرسول S في وصف الخيل، قال ابن حمدون: "قال رسول الله S : الخيل معقود في نواصيها الخير. وخصّ الناصية من بين سائر الأعضاء لأنّ العرب تقول: فلان مغضور الناصية أي مباركها"^(٤).

ولم يذكر ابن حمدون من أين كان ينقل الحديث الشريف، ولكن -على سبيل المثال- عند حديثه عما جاء في تحريم الخمر قال ابن حمدون: "ومن الأخبار المتفق عليها في الصحيحين....."^(٥).

٣. أبو عبدالله الحاكم ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م

محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي، النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، مولده ووفاته في نيسابور، رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ/٩٥٣م وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ، وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث، صنّف كتباً كثيرة

(١) مسلم (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ/٨٧٤م): صحيح مسلم، تح محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٠٣٧ (ر ح ٢٦٤٥). التذكرة، ج١، ص٤٥.

(٢) مسلم : صحيح مسلم، ج٣، ص١٢٧٢ (ر ح ١٦٥١). التذكرة، ج٣، ص٦٥.

(٣) مسلم : صحيح مسلم، ج٢، ص٧٢٤ (ر ح ١٠٤٦). التذكرة، ج٣، ص١١٨.

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٩٢ (ر ح ١٨٧١). التذكرة، ج٥، ص٢٤١.

(٥) مسلم : صحيح مسلم، ج٦، ص٨٥. ابن حمدون: التذكرة، ج٨، ص٣٣٨.

جداً، ومن تصانيفه: "المستدرك على الصحيحين"، و"الإكليل" و"المدخل" في أصول الحديث، و"تراجم الشيوخ" و"الصحيح" في الحديث، و"فضائل الشافعي" وغيرها^(١).

وقد جمع الحاكم في كتابه "المستدرك" الأحاديث الصحيحة الزائدة على ما في الصحيحين صحيح البخاري وصحيح مسلم، مما رآه على شرطهما، أو شرط أحدهما، أو أنها ليست على شرط أحدهما ولكنها صحيحة الإسناد، وقد خرّجاً عن روايته في كتابيهما، حيث بلغ عدد الأحاديث التي استدرکها الحاكم تسعة آلاف حديث لم تُدَوَّن في الصحيحين، وقد رتب المصنف كتابه على الأبواب الفقهية، مقدماً عليها كتابين هما كتاب الإيمان وكتاب العلم^(٢).

وقد نقل ابن حمدون عن هذا المورد خمسة (٥) أحاديث نبوية، وردت جميعها في الباب الأول منها: "قال رسول الله S : تحفة المؤمن الموت"^(٣).

وفي حديث آخر، قال ابن حمدون: "قال رسول الله S : اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"^(٤).

والجدير بالذكر أن ابن حمدون اقتبس هذه الأحاديث بشكل حرفي دون تغيير^(٥).

(١) ابن نقطة: التقييد، ص ٧٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٦٢.

(٢) أبو عبد الله الحاكم (محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، تح مصطفى عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٢.

(٣) أبو عبد الله الحاكم: المستدرك، ج ٤، ص ٣٥٥ (ر ح ٧٩٠٠). التذكرة، ج ١، ص ٤٥.

(٤) أبو عبد الله الحاكم: المستدرك، ج ٤، ص ٣٤١ (ر ح ٧٨٤٦). التذكرة، ج ١، ص ٤٦-٤٧.

(٥) للاستزادة في باقي الأحاديث:

المستدرك	التذكرة
ج ٤، ص ٢٧٧	ج ١، ص ٤٧
ج ٤، ص ٣٤٣	ج ١، ص ٥٥
ج ١، ص ١١٦	ج ١، ص ٥٦

ب. كتب المسانيد

تعدُّ كتب المسانيد ثاني أنواع كتب الحديث، وقد اعتمد فيها ابن حمدون على مسند ابن حنبل في نقله لبعض الأحاديث النبوية الشريفة.

١. أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ/٨٥٥م

أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني، إمام المذهب الحنبلّي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨١م، فنشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة، ثم رحل إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة، فكتب عن علماء ذلك العصر، وتعرّض للسجن وكثير من التعذيب زمن الخليفة المأمون والمعتصم لعدم القول بخلق القرآن، حتى أن الخليفة المعتصم كان يُرسل له يومياً - وهو مسجون - من يناظره من العلماء ولكن دون جدوى، حتى أن الخليفة المعتصم عندما أراد أن يقابله، قيدوا ابن حنبل بكثير من الأغلال، وضربوه بالسوط، ومن جملة ما قاله الصفدي في ذلك: "... وكان الرجل يضربه سوطين فقبل له؛ شدّ قطع الله يدك فيتأخّر ويتقدم غيره فيضربه سوطين كذلك ونخسه عجيف بسيفه وقال تريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وبعضهم يقول: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي اقتله، ولم يزل يضربه إلى أن أغمي عليه، وسحب وخرج به وألقي على ظهره وداسوه وهو مغشي عليه فأفاق بعد ذلك وجيء إليه بسويق وقالوا اشرب وتقياً فقال لا أفطر وكان صائماً ثم خلي عنه..."^(١).

غير أن الأمر اختلف زمن الخليفة المتوكل، حيث أكرمه وقربه منه، وقد توفي في عهد خلافته أيضاً، وصنّف "المسند"، ويحتوي على ثلاثين ألف حديث، ومن كتبه "الناسخ والمنسوخ" و"التفسير" و"فضائل الصحابة" و"المناسك" و"الزهد" وغيرها^(٢).

وما أقتبس عن "مسند ابن حنبل" متنوع العناوين والأغراض، حيث بلغ عدد الأحاديث النبوية اثنين وثلاثين (٣٢) حديثاً، منها: "وقال S: مررت ليلة أسري بي يقوم تقرض شفاهم بمقارض من نار، فقلت لجبريل: من هؤلاء؟ فقال: خطباء أمتك الذين يقولون الشيء ولا يعملون به"^(٣).

(١) الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٢٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥، ص ٢٥٢. ابن نقطة: التقييد، ص ١٥٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٧.

(٣) ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ/٨٥٥م): مسند ابن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت، ج ١، ص ٥١ (ر ح ١٢٢٣٢). التذكرة، ج ١، ص ٥١.

وكان من الطبيعي أن يُعتمد على الأحاديث الشريفة في باب محاسن الأخلاق، فعلى سبيل المثال: "قال رسول الله S: ما نُزعت الرحمة إلا من شقي"^(١).

وقد وردت بعض هذه الأحاديث في صحيح البخاري، مع وجود بعض الاختلاف، فمثلاً، قال ابن حمدون: "قال الحسن بن علي سمعت رسول الله S يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الحق طمأنينة والكذب ريبة"^(٢)، وأورد ابن حنبل الحديث نفسه مع اختلاف بكلمة واحدة وهي الصدق بدلاً من الحق^(٣)، أما البخاري فذكر فقط دع ما يريبك إلى ما لا يريبك^(٤).

ج. كتب السنن

ما دام ابن حمدون اعتمد على مصادر الحديث، فلا بد أن تكون كتب السنن إحدى تلك المصادر، ومن أهم تلك الكتب ابن ماجه، والترمذي، والنسائي، فمن هم هؤلاء العلماء؟

١. ابن ماجه ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م

محمد بن يزيد الربيعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه، أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، ولد سنة ٢٠٩هـ/٨٢٥م، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث، فأخذ العلم عن كبار العلماء والفقهاء، وصنف كتابه "السنن"، وله "تفسير القرآن" وكتاب في "تاريخ قزوين"^(٥).

وقد اعتمد ابن حمدون على النقل الحرفي للأحاديث من كتاب "السنن" والتي بلغ عددها واحداً وعشرين (٢١) حديثاً نبوياً، وتوافق ورود بعض هذه الأحاديث في كتب الحديث الأخرى كسنن الترمذي وصحيح مسلم وغيرها، ما يدل على اعتماد بعضها على بعض، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن سنن ابن ماجه: "وقال عبد الله بن عمر: أخذ رسول الله S ببعض جسدي وقال: اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"^(٦).

(١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل، ج٢، ص٣٠١ (ر ح ٧٩٨٨). التذكرة، ج٢، ص٢٠٥.

(٢) ابن حمدون: التذكرة، ج١، ص٥٦.

(٣) ابن حنبل: مسند ابن حنبل، ج١، ص٢٠٠ (ر ح ١٧٢٣).

(٤) البخاري: ج٥، ص٢١١.

(٥) الخليلي (خليل بن عبد الله بن أحمد ت ٤٤٦هـ/١٠٥٤م): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٨٩م، ج٢، ص٧١٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٦، ص٢٧٠. ابن نقطة: التقويد، ص١١٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٢٧٧.

(٦) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج٢، ١٣٧٨ (ر ح ٤١١٤). التذكرة، ج١، ص٤٩.

٢. الترمذي ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م

محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ^(١) تتلمذ على يد البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز لطلب الحديث عن كبار العلماء، وعمي في آخر عمره، وكان يضرب به المثل في الحفظ، تُوفى في ترمذ، ومن تصانيفه "سنن الترمذي" أو الجامع الصحيح في الحديث، و"الشمال النبوي" و"العلل" في الحديث^(٢).

ولم يكن ما أخذه ابن حمدون "سنن الترمذي" أقل مما استقاه من سنن ابن ماجه، من حيث الأهمية من جهة، وعدد الأحاديث التي تطابقت عند الاثنين من جهة أخرى، فبلغ عددها أيضاً واحداً وعشرين (٢١) حديثاً نبوياً، جاءت معظمها في باب المواعظ والآداب الدينية، ومنها: "وقال صلى الله عليه: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل"^(٣).

ومن الواضح أن هذه الأحاديث نُقلت بشكل حرفي دون تغيير، وتوافق ورودها في سنن الترمذي مع كتب الحديث الأخرى^(٤).

٣. النسائي ت ٣٠٣هـ/٩١٥م

أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، أبو عبد الرحمن، الحافظ، ولد سنة ٢١٥هـ/٨٢٩م في بلدة نسا في خراسان، طلب العلم والحديث وهو صغير، فرحل إلى خراسان والحجاز والعراق والشام والجزيرة العربية، ثم استقر في مصر، وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس، ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق، حيث تعرّض لمحنة فيها، وذكر ابن خلكان أن النسائي سُئل عن

(١) ترمذ: مدينة مشهورة في خراسان، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة بالصغانيان، وهي مدينة حسنة عامرة أهلة مفروشة الأزقة في الشوارع بالآجر، بينها وبين بلخ مرحلتان (٨٠كم) وبينها وبين مدينة الصغانيان خمس مراحل (١٢٠كم). الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦. الحميري: الروض المعطار، ص ١٣٢.

(٢) ابن نقطة: التقييد، ص ٩٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٧٨. المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ٢٥٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٧٠.

(٣) الترمذي (محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): سنن الترمذي، تح احمد شاکر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ٣٦٦ (ر ح ٢٤٥٠). التذكرة، ج ١، ص ٥٥.

(٤) للاستزادة على سبيل المثال لا الحصر:

سنن الترمذي	التذكرة
ج ٥، ص ٥٣٢	ج ١، ص ٣٨
ج ٥، ص ١٧	ج ١، ص ٤٣
ج ٥، ص ٥١	ج ١، ص ٢٤١
ج ٤، ص ٣٢٤	ج ٢، ص ٢٠٥

معاوية بن أبي سفيان، فأجاب: ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك^(١)، فكان هذا سبب محنته، فخرج إلى مكة، وتوفي ودفن فيها، وترك إرثاً فكرياً يختص بالحديث سُمِّيَ "السنن الكبرى"، شكل مصدراً مهماً للحديث النبوي الشريف^(٢).

وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب، إلا أن ابن حمدون لم يعتمد عليه بشكل كبير، بل نقل منه أربعة (٤) أحاديث نبوية فقط، وردت جميعها في الباب الأول بشكل حرفي، وتوافق ورودها في كتب السنن والمسانيد الأخرى كمسند ابن حنبل وصحيح البخاري^(٣).

ومما نُقل من السنن: "ومن كلامه صلى الله عليه وعلى آله: الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه أوشك أن يواقع ما استبان، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع"^(٤).

ثالثاً: كتب الفقه

كان من الضروري أن يعتمد ابن حمدون على العديد من كتب الفقه، لما ضمته من فضائل دينية، وقواعد أخلاقية تُنظم سلوك الإنسان في حياته، فضلاً عما حوته من آيات وأحاديث نبوية شريفة، فاقتبس منها ابن حمدون الكثير من الشواهد التي دَعَمَت أبواب تذكّره، فاستقى من ابن حبان ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م وكتابه "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء"، والشريف الرضي ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م وكتابه "تهج البلاغة" للإمام علي d، والبيهقي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م وكتابه "دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة"، مُشكّلةً رافداً أساسياً للتذكرة الحمدونية، فمن هم مؤلفي هذه الموارد؟ وما هي أهميتها؟ وما هو مقدار ما استفاد ابن حمدون من شواهد دَوَّنَها في تذكّره؟

(١) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٧٧.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٢، ص ٧٨٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ١٢٥. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٦.

(٣) وردت الأحاديث في الصفحات التالية:

السنن الكبرى	التذكرة
ج ١، ص ٦٣٠	ج ١، ص ٤٧
ج ٣، ص ٤٦٧	ج ١، ص ٤٨
ج ٣، ص ٢٣٩	ج ١، ص ٥٦

(٤) النسائي: سنن النسائي، ج ٣، ص ٢٣٩ (ر ح ٥٢١٩). التذكرة، ج ١، ص ٥٠.

(١) الخطابي ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، فقيه، من أهل بست (من بلاد كابل)، كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الزاهد وأبي علي إسماعيل الصفار وأبي جعفر الرزاز وغيرهم من علماء العراق، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله ابن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري وغيره، قال عنه الثعالبي: "كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفعماً"^(١)، ومن مؤلفاته: "معالم السنن"، في شرح سنن أبي داود، و"بيان إعجاز القرآن" و"إصلاح خطأ المحدثين" و"غريب الحديث" و"العزلة"^(٢).

استعرض الخطابي كتاب "العزلة" بطريقة صوفية عالجه معالجة الفقهاء المحدثين فذكر حجة من أنكر العزلة، ثم ذكر ما جاء فيها، وما يسهلها، وخفة الظهر وقلة العيال، والتحذير من قرناء السوء، التحرز من الشر بسوء الظن، والإقلال من صحبة السلاطين، وختم بالقصد والتوسط بين العزلة والخلطة، وقد ذكر المؤلف أنه ابتدأ بتأليف الكتاب، ثم تركه، وقد اطلع عليه بعض إخوانه، فحثه على تمامه، وأبدى بعض الملاحظات، بأن يحذف منه أطرافه وزوائده، قال المؤلف: "فهمت قولك أخي .. وما قد ذكرت من أمر كتاب العزلة، وبعثتني إليه من إتمامه بعد إبتدائه، والفرغ منه بعد إنشائه، وما شكوته من طول مأخذه، ..."^(٣)، ويبدو أن السبب الحقيقي وراء تأليفه للكتاب حياة المؤلف نفسها، وميله إلى العزلة والتفرد والبعد عن شرار الناس وأثامهم، وقد جعل الكتاب تعبيراً ذاتياً عما يدور في صدره ويؤمن به.

نقل ابن حمدون من كتاب العزلة قولاً واحداً فقط للخليفة لعمر بن الخطاب d "لا يكون حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً"^(٤).

(٢) الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م

سلف ذكره أثناء الحديث عن الأشعار التي استقاها ابن حمدون من ديوانه، ولم يقتصر اعتماد ابن حمدون على الرضي من خلال أشعاره فقط بل اعتمد أيضاً على كتاب نهج البلاغة.

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٤، ص ٣٨٣.

(٢) ابن ماكولا: الاكمال، ج ٣، ص ١١٧. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٠٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤٦٩.

(٣) الخطابي (حمد بن محمد بن إبراهيم ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م): العزلة، تح ياسين السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٣.

(٤) الخطابي: العزلة، ص ٩٩. ابن حمدون: التذكرة، ج ١، ص ٣٨١.

وكتاب " نهج البلاغة" اسم وضعه الشريف الرضي على كتاب جمع فيه المختار من كلام الإمام علي بن أبي طالب d في الخطب والمواعظ والحكم وغيرها، واشتمل الكتاب على عدد كبير من الخطب والمواعظ والعهود والرسائل والحكم والوصايا والآداب، توزعت على مائتين وأربعين خطبة، وتسع وسبعين رسالة وأربعمائة وتسعة وسبعين قولاً وحكمة.

والواضح أن المنقول من هذا المورد بلغ مائة وسبعاً وسبعين (١٧٧) رواية، ومن الطبيعي أن يكون الاعتماد أساسياً وكبيراً على هذا الكتاب، سيما أن منهج ابن حمدون في التذكرة هي جعل أقوال الإمام علي d وآل البيت تأتي بعد أحاديث الرسول S في مطلع كل باب من أبواب التذكرة.

وبما أن جميع الروايات جاءت حكم ومواعظ ورسائل وخطب للإمام علي d ، فهذا يعني أن ما نُقل متعلق بما يفيد معنى الباب الذي دونه ابن حمدون، ومما ذكره في باب المواعظ والآداب الدينية: "ومن كلامه عليه السلام: يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك فاحذره" (١)، وألحقها ابن حمدون برواية أخرى وهي: "وقال: من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب" (٢).

وفي باب الآداب والسياسة الدنيوية: "قال علي عليه السلام: من كشف ضره هانت عليه نفسه" (٣).

ومن أسلوب ابن حمدون في اقتباسه من نهج البلاغة، أن لا يجعل أقوال الإمام علي d متناثرة كما في نهج البلاغة، بل يجمعها في رواية واحدة، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "ومن كلامه، الفقر يخرس الفطن عن حجته، المقلّ غريب في وطنه، العجز آفة، الورع جنة، نعم القرين الرضي، العلم وراثه كريمة، البشاشة حباله المودة، إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه، ما أضمر أحدكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه" (٤).

وفي البخل نقل عن الإمام علي d : "وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء" (٥).

(١) الشريف الرضي (محمد بن الحسين بن موسى ت ٤٠٦هـ / ١٠١٦م): نهج البلاغة، تح صبحي الصالح، دار

الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٤م، ص ٤٧٢ . التذكرة، ج ١، ص ٧٠.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٤٧٢ . التذكرة، ج ١، ص ٧٠.

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٤٦٩ . التذكرة، ج ١، ص ٢٥٠.

(٤) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٤٦٩-٤٧٢ . التذكرة، ج ١، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٥) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ٥٤٣ . التذكرة، ج ٢، ص ٣٢٢.

والكثير من خطب الإمام علي d وردت في باب الخطب، أقتبس منها: "ومن خطبة له في ذكر النبي S : اختارهُ من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذوابة العلياء، وسرّة البطحاء، ومصاييح الظلمة، وينابيع الحكمة"^(١).

وفي موضع آخر: "ومن خطبة له عليه السلام: نحمده على ما أخذ وأعطي، وعلى ما أبلى وابتلى، الباطن بكلّ خفية، الحافظ لكل سريرة، العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون. ونشهد أن لا إله غيره، وأنّ محمداً نجيه وبعيئه، شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان والقلب اللسان"^(٢).

وبالعودة لكتاب نهج البلاغة، يُلاحظ اختلاف بثلاث كلمات فقط، حيث وردت في النهج والحاضر بدلاً من الحافظ، وورد أن محمد نجيبه بدلاً من محمد نجيه، وجاء في النهج شهادة الحق فيها السر والإعلان.

وقد أخذ ابن حمدون الكثير من الروايات بشكل حرفي ووردت بشكل متتالٍ في نهج البلاغة، حتى أنه كان ينقل الصفحة الواحدة بأكملها^(٣).

٣) الماوردي ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م

تقدم ذكره أثناء الحديث عن كتابي "قوانين الوزارة وسياسة الملك" و"تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك" ضمن موارد ابن حمدون الأدبية.

لكن صاحب التذكرة اعتمد أيضاً على كتاب "أدب الدنيا والدين" الذي يعدّ كتاباً في الأخلاق والفضائل الدينية والآداب الاجتماعية، وهو يعول على ما في القرآن والسنة النبوية من آيات وأحاديث تحث على الفضائل وتتنهى عن الرذائل، وقد قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أبواب: الأول: فضل العقل وذم الهوى، الثاني: أدب العلم، الثالث: أدب الدين، الرابع: أدب الدنيا، الخامس: أدب النفس.

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ١٠٠. التذكرة، ج ٦، ص ٢٤١.

(٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة، ص ١٨٩. التذكرة، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٣) للاستزادة على سبيل المثال لا الحصر:

التذكرة	نهج البلاغة
ج ١، ص ٤٥	ص ٢٥٩
ج ٢، ص ٣٢٢	ص ٥٤٣
ج ٣، ص ٧٥	ص ٥١٢
ج ٤، ص ٨٤	ص ٥٠٥
ج ٦، ص ٢٤٠ وردت في هذه الصفحة روايتان	ص ١٢٢
ج ٧، ص ١٦٤	ص ٣٨٥

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد تسع (٩) روايات، نقلها بشكل حرفي دون أي تغيير، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون نقلاً عن الماوردي: "ومن الكلام البديع فيما يوصى به أتباع السلطان ما وصّى به الرشيد الأصمعي^(١) في أول ما عزم على تأنيسه، قال له: يا عبد الملك، أنت أحفظ منا ونحن أعقل منك، لا تعلّمنا في ملاء، ولا تسرع إلى تذكيرنا في خلاء، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال، فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدد، وإياك والبدار إلى تصديقنا، أو شدة العجب بما يكون منا، وعلمنا من العلم ما نحتاج إليه على عتبات المنابر وفي أعطاف الخطب وفواصل المخاطبات، ودعنا من رواية حوشي الكلام وغرائب الأشعار، وإياك وإطالة الحديث إلا أن يستدعي ذلك، ومتى رأيتنا صادفين عن الحق فأرجعنا إليه ما استطعت، من غير تقرير بالخطأ ولا إضجار بطول الترداد، قال الأصمعي: أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج منّي إلى كثير من البر"^(٢).

وقد شملت الروايات المقتبسة أحاديث نبوية، وحكماً ومواعظ، وبعض الأبيات الشعرية التي تتعلق بموضوع الباب الذي وردت به^(٣).

(١) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها وينتقل أخبارها، وترك الكثير من المصنفات، وتوفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ١١٥٩. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١٢٦.

(٢) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): أدب الدنيا والدين، تح محمد راجح، دار اقرأ، بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م، ص ٨٢. التذكرة، ج ١، ص ٣٥٣.

(٣) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية:

أدب الدنيا والدين	التذكرة
ص ٣٥٦	ج ١، ص ٤٥
ص ٢٥٢	ج ١، ص ١٤٥
ص ٣٢١	ج ٢، ص ٦٩
ص ٢٥١	ج ٢، ص ١٧١
ص ٢٣٧	ج ٢، ص ١٨١
ص ٢٤٤	ج ٢، ص ٢٠٧
ص ٢٣٧	ج ٣، ص ٩٨
ص ٢٦٨	ج ٣، ص ١٥٧

٤) البيهقي ٤٥٨هـ/١٠٦٦م

أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد^(١)، ونشأ في بيهق، قدم بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، واستقر في نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده، وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته باختلاف^(٢)، وصنّف الكثير، منها "السنن الكبرى"، و "السنن الصغرى" و "المعارف" و "الأسماء والصفات" و "دلائل النبوة" و "الآداب"، و "الترغيب والترهيب" و "المبسوط" و "الجامع المصنف في شعب الإيمان"، وغيرها^(٣).

ويعدُّ كتابه "دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة" من أهم الكتب الفقهية، وقد ذكر البيهقي في مقدمته، أنه جمعه في معجزات النبي ودلائل نبوته، وبيان شرف أصله وطهارة مولده وبيان أسمائه وصفاته وقدر حياته ووقت وفاته وغير ذلك مما يتعلق بمعرفته بشرط الاكتفاء بالصحيح من السقيم والاجتزاء بالمعروف من الغريب إلا فيما لا يتضح المراد من الصحيح أو المعروف دونه فيورده مع كون الاعتماد على جملة ما تقدمه من الصحيح أو المعروف عند أهل المغازي والتواريخ.

وقد أخذ ابن حمدون من هذا المورد ست (٦) روايات، وردت جميعها في الجزء الباب السابع والأربعين الموسوم "في أنواع السير والأخبار وعجائبها وفنون الأشعار وغرائبها" وجاءت جميعها روايات حول النبي S، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "لما حاصر رسول S أهل الطائف، قال عُيَيْنَةُ بن حصن لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ائذن لي حتى آتي حِصْنَ الطائف فأكلهم، فأذن له رسول الله S، فجاءهم فقال: أدنو منكم وأنا آمِن؟ قالوا: نعم، وعرفه أبو محجن فقال: أدن، فدخل عليهم الحصن فقال: فداكم أبي وأمي، والله ما لاقى محمد مثلكم، ولقد ملَّ المقام، فاثبتوا في حِصْنكم، فإنَّ حصنكم حصين، وسلاحكم كثير، ونَبْلُكم حاضرة، وطعامكم كثير، وماءكم واثق لا تخافون قَطْعَهُ، فلما خرج قالت ثقيف لأبي محجن: فإنَّا كرهنا دخوله، وخشينا أن يُخبر محمداً بخلِّ إن رآه في حصننا، فقال أبو محجن: أنا كُنْتُ أعرفَ به، ليس منا أحد أشدَّ على محمدٍ منه وإن كان معه، فلما رجع إلى رسول الله S قال: ما قلتَ لهم؟ قال: قلت: ادخلوا في الإسلام، فو الله ما يَبْرَحَ محمد عقر داركم حتى تنزلوا، فخذوا لأنفسكم أماناً، فخذلتهم ما استطعت، فقال له رسول

(١) خسروجرد: مدينة كانت قسبة بيهق من أعمال نيسابور، وبين نيسابور وخسروجرد مرحلتان (٨٠كم). الإدريسي:

نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٩١. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٦٣.

(٣) ابن نقطة: التقييد، ص ١٣٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٧٥. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢١٩.

الله S : كذبت، قلت لهم كذا وكذا. وعاتبه أبو بكر على ذلك، فقال: أستغفر الله يا أبا بكر، وأتوب إليه، ولا أعود إليه أبداً^(١).

وأورد ابن حمدون باقي الروايات بشكل حرفي، باستثناء بعض الروايات الطويلة التي قام باختصارها^(٢).

٥) الغزالي ت ٥٠٥/هـ ١١١١م

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، متصوف، مولده ووفاته في الطابران^(٣)، رحل إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده، ونسبته إلى صناعة الغزل، له نحو مئتي مصنف، من كتبه "إحياء علوم الدين" و"تهافت الفلاسفة" و"الاقتصاد في الاعتقاد" و"محك النظر" و"المنقذ من الضلال" و"بداية الهداية" و"جواهر القرآن" وغيرها الكثير^(٤).

ومن أشهر كتبه "إحياء علوم الدين"، وقد أكد ذلك صاحب كشف الظنون بقوله: "أنه من أجل كتب المواعظ، وأعظمها، حتى قيل فيه: إنه لو ذهبت كتب الإسلام، وبقي الإحياء أغنى عما ذهب"^(٥)، وقد قسم الغزالي كتابه إلى أربعة أرباع، وهي ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وكل ربع مُقسم إلى عشرة فصول.

أقتبس من هذا المورد خمس (٥) روايات، ونُقلت بشكل حرفي دون تغيير، وردت بشكلٍ متتالٍ في الباب الثالث عشر من التذكرة الموسوم "في العقل والحنكة والتجارب والحمق والجهل".

(١) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي ٤٥٨/هـ ١٠٦٦م): دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة، نج عبد المعطي

قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ج ٥، ص ١٦٣. التذكرة، ج ٩، ص ١٦٢.

(٢) وردت الروايات في الصفحات التالية:

دلائل النبوة	التذكرة
ج ١، ص ٢٧٨	ج ٩، ص ١٤٥
ج ٢، ص ١٥	ج ٩، ص ١٥٨
ج ٢، ص ٣٣٨	ج ٩، ص ١٥٩
ج ٥، ص ٢٦٧	ج ٩، ص ١٦٠
ج ٥، ص ١٦٣	ج ٩، ص ١٦٢ ورد في هذه الصفحة روايتان

(٣) الطابران: إحدى مدينتي طوس لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان، نسب إليها الكثير من العلماء. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢١٦. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٢٢. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٢١١.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٣.

من الروايات التي نقلها ابن حمدون عن الغزالي: "وقال أنس بن مالك: أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وعلى آله حتى بالغوا، فقال صلى الله عليه وعلى آله: كيف عقل الرجل؟ فقالوا: نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: إنَّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنَّما يرتفع العباد غداً في الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم"^(١).

وألحقها برواية أخرى نقلها من الصفحة نفسها قائلاً: "وعن عمر d أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما اكتسب رجلٌ مثلَ فضلِ عقلٍ يهدي صاحبه إلى هدى، ويردّه عن ردى، وما تمَّ إيمانُ عبدٍ ولا استقامَ دينُهُ حتى يكمل عقله"^(٢).

وصرح ابن حمدون باسم أبو حامد بقوله: "قال أبو حامد: العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معانٍ كما يطلق اسم العين مثلاً على معانٍ عدّة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حدّ واحد، بل يفرد كلّ قسم بالكشف عنه "^(٣)، ثم يتابع بذكر الرواية والتي تقارب السبع صفحات، وبالتالي دَعَم ابن حمدون هذا الباب بما يُناسبه من الشواهد التي أضفت أهميةً جليّةً عليه.

وبعد استعراض أهم الموارد الدينية للتذكرة الحمدونية، يُلاحظ أنها شكلت رافداً هاماً لها، وخاصة في الأبواب الأولى، التي عُنيّت بالأدب الدينية والمواعظ، إضافةً إلى أخبار السيرة النبوية الشريفة، وبعض الروايات التي نُقلت عن الخلفاء الراشدين، وكان من الطبيعي أن يعتمد ابن حمدون على هذا النوع من الكتب، لما لها من مصداقية في عقول القراء، فهي تضيفي على التذكرة صبغةً أخلاقيةً وتوثيقيةً، وتعطيها نوعاً من الحالة الموسوعية الشاملة، وجدير بالذكر أن ابن حمدون لم يصرح باسم أي من مؤلفي هذه الموارد باستثناء أبو حامد الغزالي، الذي صرّح باسمه في رواية واحدة فقط .

(١) الغزالي (محمد بن محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ/١١١١م): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص ٨٣.

التذكرة، ج ٣، ص ٢٣١.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ص ٨٤. التذكرة، ج ٣، ص ٢٣١.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، ص ٨٥. التذكرة، ج ٣، ص ٢٣٣.

جدول بالموارد الدينية التي اعتمد عليها ابن حمدون

اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	اسم المورد	عدد الروايات
كتب الصحاح			
البخاري	٢٥٦هـ/٨٦٩م	صحيح البخاري	١٨ حديث
مسلم	٢٦١هـ/٨٧٤م	صحيح مسلم	٢٢ حديث
أبو عبد الله الحاكم	٤٠٥هـ/١٠١٤م	المستدرک علی الصحيحين	٥ أحاديث
كتب المسانيد			
أحمد بن حنبل	٢٤١هـ/٨٥٥م	مسند ابن حنبل	٣٢ حديث
كتب السنن			
ابن ماجه	٢٧٣هـ/٨٨٦م	سنن ابن ماجه	٢١ حديث
الترمذي	٢٧٩هـ/٨٩٢م	سنن الترمذي	٢١ حديث
النسائي	٣٠٣هـ/٩١٥م	السنن الكبرى للنسائي	٤ أحاديث
كتب الفقه			
الخطابي	٣٨٨هـ/٩٩٨م	العزلة	رواية واحدة
الشريف الرضي	٤٠٦هـ/١٠١٥م	نهج البلاغة	١٧٧ رواية
الماوردي	٤٥٠هـ/١٠٥٨م	أدب الدنيا والدين	٩ روايات
البيهقي	٤٥٨هـ/١٠٦٦م	دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة	٦ روايات
الغزالي	٥٠٥هـ/١١١١م	إحياء علوم الدين	٥ روايات

جدول من صنع الطالب

الفصل الثامن: الموارد الفلسفية

١. حنين بن إسحق
٢. أبو الحسن العامري
٣. ابن هندو
٤. مسكويه
٥. المبشر بن فاتك

على الرغم من أن علم الفلسفة (علم الكلام)، لم يشهد تقدماً خلال الحقبة التي عاشها ابن حمدون، لأن جُلَّ الاهتمام انصبَّ على علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية، إلا أن ذلك لم يمنع ابن حمدون من الاعتماد على بعض المصادر الفلسفية، فقد ضُمَّتْ التذكرة في أبوابها المختلفة الكثير من القصص التي تحمل بين طياتها العبر والمواعظ ذات الصبغة الفلسفية، وتجلّى ذلك في كثير من أقوال الحكماء والفلاسفة، كأفلاطون وسقراط وأرسطو، علاوة على ذلك، ذكره لِسِير بعض الملوك عبر التاريخ، كالإسكندر المقدوني وداريوس ملك الفرس، لكن السؤال هنا، ماهي المصادر التي ارتكز عليها ابن حمدون في تلك المواضيع؟ لِيُلاحظ بأنه لدى القراءة المُتأنية للتذكرة أنه اعتمد على العديد من كتب الحكمة والفلسفة، منها على سبيل المثال كتاب "آداب الفلاسفة" لحنين بن إسحق ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م وكتاب "الكلم الروحانية في الحكم اليونانية" لابن هندو ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩، وكتاب "الحكمة الخالدة" لمسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م.

والواضح أن معظم الروايات التي اقتبسها ابن حمدون من الموارد الفلسفية جاءت في الباب الأول والثاني من التذكرة، ويعود ذلك إلى أن جُلَّها كان مواعظ حول الآداب العامة ونصائح للسلطين والملوك في أمور الرعية، إضافة إلى قصص الإسكندر المقدوني وملوك الفرس التي وردت في باب السيادة والرئاسة، لذلك قدمت هذه الموارد مادةً حملت التشويق والجاذبية، إضافة إلى المعرفة الشاملة والحكمة للأجيال القادمة، وهي أحد أهم أهداف التذكرة عند ابن حمدون.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف لم يأخذ رواياته من هذه الموارد بشكل حرفي، ويعود ذلك إلى طبيعة المادة التي ينقلها وبعدها الزمني والمكاني، فضلاً عن صعوبة توفر هذه المصادر آنذاك، لذلك من المرجح أن يكون ابن حمدون قد استقى هذه الروايات من كتب نقلت من هذه الموارد، وهذا ما يفسر ظهور اختلاف في بعض الروايات، وبيعض الكلمات، ولكن دون تغيير في المضمون.

وقد تم ترتيب هذه الموارد وفق سني وفاة مؤلفيها بدءاً من الأقدم:

١. حنين بن إسحق ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م

حنين بن إسحق، المُكنى أبو زيد العبادي، عالم ومترجم وطبيب مسيحي، كان يجيد بالإضافة إلى العربية، السريانية والفارسية واليونانية، قام بترجمة أعمال أبقراط وأرسطو، وعيَّنه الخليفة المأمون العباسي مسؤولاً عن بيت الحكمة^(١) وديوان الترجمة، وله العديد من المؤلفات والترجمات التي تزيد عن المئة، وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين جميعاً، ورئيساً لطب العيون، حتى أصبحت مقالاته العشرة

(١) بيت الحكمة: أُسس في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، واتخذ من بغداد مقراً له، نشأ أولاً كمكتبة، وتطور بعدها ليصبح مركزاً للترجمة، ثم مركزاً للبحث العلمي والتأليف، وبعد ذلك أصبح داراً للعلم تقام فيه الدروس وتمنح فيه الإجازات العلمية. الرياضي (مفتاح): المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، الإدارة العامة للمطبوعات والمنشورات، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٤.

في العين أقدم مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون^(١)، قال فيه ابن خلكان: "كان إمام وقته في صناعة الطب، وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة، وهو الذي عرّب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية، وجاء ثابت بن قرة فنقحه وهذبه، وكذلك كتاب المجسطي، وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعرّبت، وكان حنين المذكور أشد الجماعة اعتناءً بتعريبها، وعرّب غيره أيضاً بعض الكتب، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان.." ^(٢).

ولكن التساؤل، لماذا وُضِع ابن اسحق ضمن الموارد الفلسفية مع أنه كان من أهم المشتغلين والمؤلفين في الطب؟

من المعروف أن ابن اسحق اشتغل بالفلسفة أيضاً، وله في هذا المجال كتاب يدعى "آداب الفلاسفة" اعتمد عليه ابن حمدون في رواية واحدة فقط، وهي رسالة الإسكندر إلى أمه إبان وفاته، قال ابن حمدون: "وروي أنّ الاسكندر كتب إلى أمه قبل وفاته بقليل: إذا وصل إليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك، وأعدّي لهم طعاماً، ووكّلي بالأبواب من يمنع من أصابته مصيبة في أبٍ أو أمٍّ أو أخٍ أو أختٍ أو ابنٍ أو أهلٍ أو حبيبٍ أو صديقٍ من حضور ذلك الطعام، ولا يحضره إلا من لم يُصَبِّ بمصيبة قط في أحدٍ، فلما ورد الكتاب عليها أمرت بالطعام فاصطنع، ووكلت بالأبواب قوماً لا يأذنون لأحدٍ إلا بعد أن يسألوه عن مصابه في أهله وناسه، فصدر الناس ولم يبقَ أحد، فلما رأت ذلك تعرّضت وصبرت وأيقنت بالحال وقالت: إنّ الاسكندر عزّاني عن نفسه"^(٣).

٢. أبو الحسن العامري ت ٣٨١هـ/٩٩١م

أبو الحسن محمد بن يوسف العامري النيسابوري من فلاسفة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراسان، أقام في الري خمس سنوات، واتصل بابن العميد الكاتب وقرأ معه عدة كتب، وأقام في بغداد مدة، ثم عاد إلى بلده، يقول أبو حيان التوحيدي: "كانت بين العامري وابن سينا مباحثات في الفلسفة، وقد كتب ابن سينا كتاب الأجوبة على أسئلة سأل عنها أبو الحسن العامري، ويضيف أبو حيان: كان العامري من أعلام عصره، وكان متبحراً في الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو، وله على بعضها شروح"^(٤) ومن أهم مؤلفاته

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٥١ وما بعدها . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص ١٣٠.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢١٧.

(٣) ابن إسحق (حنين بن اسحق ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م): آداب الفلاسفة، تج عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٩١ . التذكرة، ج ٤، ص ٢٤٦.

(٤) الإمتاع والمؤانسة، ص ٥١.

"شروح على كتب أرسطو" و"الأبصار والمبصر" و"الإعلام بمناقب الإسلام" و"السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية"^(١).

ويُعدُّ كتاب "السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية" من أروع ما خلفه العامري، تناول من خلاله السلوك الإنساني، معلقاً نظره أبداً في هدف السعادة، ففي القسم الأول، السعادة، تلخيص لكتاب نيقوماخوس لأرسطو والتعليق عليه، أما القسم الثاني، الإسعاد، فهو تلخيص لكتاب السياسة لأفلاطون مع إضافات وتعليقات، وفي الفصول الخاصة بموضوع الحب، ويشير إلى وجهات نظر فلسفية سابقة على زمنه، ثم يعلق على تلك الآراء^(٢).

اقتبس عن "السعادة والإسعاد" روايتين فقط، بشكل حرفي، الأولى: قال فيها: "قال حكيم: لا تقبل الرئاسة على أهل مدينتك، ولا تنهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو، ولا تلاح رجلاً غضباناً فإنك تقلقه باللاجاج، ولا تجمع في منزلك بين نفسين تتنازعان في الغلبة، ولا تفرح بسقطه غيرك فما تدري كيف يدور الزمان، ولا في وقت الظفر فإنك لا تدري حدثان الدهر، ولا تهزأ بخطأ غيرك لأن المنطق لا تملكه، ولا تؤاخذ بالخطأ بنوع الصواب الذي في جوهرك، ولا تغرس النخل في منزلك، وينبغي للأديب أن يأخذ من جميع الآداب أجودها كما أن النحل يأخذ من كل زهر أطيبه"^(٣).

بينما رفدت الرواية الثانية، فجاءت في باب الوفاء والمحافظة والأمانة، وفحواها الحديث الذي دار بين مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين مع كاتبه عبد الحميد عندما قوي أمر بني العباس، قال ابن حمدون: "لما قوي أمر بني العباس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه: إنا نجد في الكتب أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيضطر إليك هؤلاء القوم - يعني ولد العباس - فصير إليهم فإني لأرجو أن تتمكن منهم فتتفعني في مخلفي وفي كثير من أموري، فقال: وكيف لي بعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك وكلهم يقول: إني غدرت بك وصرت إلى عدوك وأنشد:

أسير وفاء ثم أظهر غدره
فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره
ثم أنشد:

ولؤم ظاهر لا شك فيه
للائمة وعذري بالمغيب

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٨٦ . كحالة (عمر): معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج ١٢، ص ١٢٧ . الزركلي: الإعلام، ج ٧، ص ١٤٨.

(٢) عطية (أحمد): الفكر السياسي والأخلاقي عند العامري، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٧ وما يليها.

(٣) العامري (محمد بن يوسف ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م): السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية، تح مجتبى مينيوي، فيسبادن، ألمانيا، ١٩٥٨م، ص ١٦٨-١٦٩ . التذكرة، ج ١، ص ٤٠١.

فلما سمع مروان ذلك علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد: إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، ولك عليّ الصبر معك إلى أن يفتح الله عليك أو أقتل معك^(١).

جاءت هذه الرواية منقولة حرفياً، ولكن ابن حمدون زاد البيت الثاني الذي لم يرد في كتاب السعادة والإسعاد.

٣. ابن هندوت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م

علي بن الحسين بن الحسن بن هندو، أبو الفرج، من أهل الري، كان أحد الكتّاب في ديوان الإنشاء للملك عضد الدولة، ثم كتب بجرجان، وكان مشهوراً بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل والبلاغة وحسن العبارة، قال فيه الثعالبي: "هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسَّهام الفائزة ومملكه رق البراعة في البلاغة قرد الدهر في الشعر وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ونظم القلائد والفرائد مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة"^(٢)، وقال ابن أبي أصيبعة "كان من الأكابر المتميزين في العلوم الحكيمة والأمور الطبية والفنون الأدبية له الألفاظ الرائقة والأشعار الفائقة والتصانيف المشهورة والفضائل المذكورة ..."^(٣)، ترك عدة مصنفات منها: "الكلم الروحانية من الحكم اليونانية" و"أنموذج الحكمة" و"الرسالة المشرقية" و"مفتاح الطب" و"المقالة المشوقة" في المدخل إلى علم الفلك^(٤).

شكّل الكتاب الفلسفي "الكلم الروحانية في الحكم اليونانية" صورة تُظهر تأثر العرب بالوافد الثقافي والفلسفي اليوناني، وسادت هذه الظاهرة في المجتمع العربي إثر تشجيع العرب على الترجمة من اللغات كافة، سواءً اليونانية التي كانت تُنقل إلى السريانية ثم إلى العربية، إلى جانب الفهلوية، والسنسكريتية وغيرها، والمُلاحظ أن كتاب ابن هندو بدأ بذكر الحكم التي نُقلت عن أفلاطون، وأرسطو، وسقراط وصولاً إلى فيثاغورث وأبقراط، وما جاء بينهم من محاورات، فقد بلغ عدد الفلاسفة اليونان المذكورين في الكتاب مائة وسبعة وعشرين فيلسوفاً أخذاً عنهم الكثير من الحكم والمحاورات.

(١) العامري: السعادة والإسعاد، ص ١٠٦. التذكرة، ج ٣، ص ١٠.

(٢) يتيمة الدهر، ج ٥، ص ١٥٥.

(٣) عيون الأنباء، ص ٤٢٩.

(٤) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٨، ص ٢٢٥. الحموي: معجم الأديباء، ج ٤، ص ١٧٢٣. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٣.

والواضح أن ما أخذ من كتاب الكلم الروحانية سبع (٧) روايات فقط، نُقلت بشكل حرفي دون أي تغيير، منها، قال ابن حمدون: "قال أفلاطون: لا تجربوا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"^(١).

والدارس للروايات يجد أن جميع ما اقتبس من الكتاب هي أقوالٌ وحكمٌ لأفلاطون أو " أفلاطين" ورواية واحدة لسقراط^(٢).

٤. مسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م

تناول البحث ترجمة مسكوية أثناء الحديث عن كتابه تجارب الأمم تعاقب الهمم ضمن الموارد التاريخية للتذكرة.

ولكن ما سيتناوله هذا الفصل كتاب فلسفي موسوم بـ "الحكمة الخالدة" وأخذ عنه ابن حمدون ستاً وعشرين (٢٦) رواية، منها جاء في باب الشرف والرئاسة والسيادة، مثل: "قال معاوية: ما غضبي على من أملك وما غضبي على من لا أملك"^(٣).

(١) ابن هندو (علي بن الحسين بن الحسن ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): الكلم الروحانية في الحكم اليونانية، تح مصطفى الدمشقي، دار الترقى، القاهرة، ١٩٠٠م، ص ٨ . التذكرة، ج ١، ص ٢٥٦.

(٢) وردت هذه الروايات في الصفحات التالية:

الكلم الروحانية	التذكرة
ص ٨ أفلاطون	ج ١، ص ٢٥٦
ص ١٧ أفلاطون	ج ١، ص ٣٠٧
ص ١٦ أفلاطون	ج ١، ص ٣٤٠
ص ١٥ أفلاطون	ج ١، ص ٣٧٣
ص ١٩ أفلاطون	ج ١، ص ٣٨٥
ص ٨٢ سقراط	ج ٣، ص ١٣٧

(٣) مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): الحكمة الخالدة، تح عبد الرحمن بدوي، طهران، ١٩٥٨م، ص ١٢٧ . التذكرة، ج ٢، ص ١٣٩.

وكان للمؤلف فيما نقله عن مسكويه طريقتين، الأولى أنه نقل بعض الروايات دون تغيير^(١)، بينما الثانية نقلها بتصرف وبأسلوبه الخاص، فعلى سبيل المثال، قال ابن حمدون: "قيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: ببذل القرى، وترك المرا، ونصرة المولى"، وبالعودة لكتاب الحكمة الخالدة وردت على الشكل التالي: "وقال قيس بن عاصم: السؤدد هو بذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القرى"^(٢).

٥. المبشر بن فاتك ت ١٠٥٣/هـ ٤٤٥

المبشر بن فاتك الأمري، أبو الوفاء، محمود الدولة، وأصله من دمشق، ولكنه سكن مصر حتى صار يُعدُّ من أعيان مصر وأفاضل علمائها أيام الخليفيتين الفاطميين الظاهر^(٣) والمستنصر بالله^(٤)، وأحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ والمصنفين فيها، تتلمذ على يد الحسن بن الهيثم وتعلَّم الكثير من العلوم الحكيمة والطب، ترك العديد من المصنفات منها "البداية في المنطق" و"الوصايا والأمثال والموجز من محكم الأقوال" و"كتاب في الطب" و"مختار الحكم ومحاسن الكلم"^(٥).

يتحدث كتابه "مختار الحكم ومحاسن الكلم" عن تاريخ الفلسفة، حيث استقصى فيه ابن فاتك أخبار الفلاسفة، وتلاها بنبذ من أقوالهم تدخل في باب الحِكم القِصَار والأمثال، ويمتاز بتوسعه في

(١) وردت بعض هذه الروايات في الصفحات التالية:

التذكرة	الحكمة الخالدة
ج ١، ص ٦٠	ص ١٦٣
ج ٢، ص ١٢٨	ص ١٣١

(٢) مسكويه: الحكمة الخالدة، ص ١٣٩. التذكرة، ج ٢، ص ١٧.

(٣) الظاهر لإعزاز دين الله: علي بن منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل، ابن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، أبو الحسن، بويح بالخلافة سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م، عرف بأنه عاقلاً سمحاً جواداً يميل إلى دين وعفة وحلم مع تواضع، واشتهر بحبه للعلم وتقريبه للعلماء، توفي سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٠٧. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ١٤٨.

(٤) المستنصر بالله: معد (المستنصر بالله) بن علي (الظاهر لإعزاز دين الله)، يُكنى بأبي تميم، بويح بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م، وتوسعت في حقبة الخلافة الفاطمية بشكل كبير فوصلت إلى بغداد والحجاز واليمن والمغرب، توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٢٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٠، ص ٥٨٨.

(٥) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٥٦٠. القفطي: إخبار العلماء، ص ٢٠٤.

إيراد الأخبار والحكايات عن هؤلاء الفلاسفة والحكماء الذين يترجم لهم، وبأنه أورد تلك النصوص التي كانت في نظره الغرض الأساسي من تأليف كتابه مختار الحكم^(١).

اعتمد ابن حمدون على مختار الحكم في عشر (١٠) روايات فقط، نقل من خلالها أقوال وحكم فلاسفة كأفلاطون، وروى أخبار الإسكندر المقدوني، لكن وُجدت في بعض الروايات - في التذكرة - منسوبة لأرسطاليس على حد زعم ابن حمدون، بينما تُسبت في مختار الحكم لأفلاطون، مثلاً: "قال أفلاطون: لا ينبغي للأديب أن يخاطب من لا أدب له، كما لا ينبغي للصاحي أن يخاطب السكران"^(٢).

وقد اقتبس ابن حمدون هذه الروايات دون أي تغيير، مع اختلاف ببعض الكلمات أحياناً^(٣).

وبذلك يمكن القول بأن الموارد الفلسفية شكلت إضافة هامة للتذكرة، بما قدمته من روايات تاريخية ذات قيمة عظيمة، حملت بين طياتها فائدة وعبرة وموعظة وحكمة.

(١) ابن فائق (المبشر بن فائق ت ٤٤٥هـ/١٠٥٣م): مختار الحكم ومحاسن الكلم، تح عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٤.

(٢) ابن فائق: مختار الحكم، س ١٥٣. التذكرة، ج ١، ص ٢٨٦.

(٣) للاستزادة في بعض الروايات:

مختار الحكم	التذكرة
ص ٢٦٢	١، ص ٦١
ص ٢٥٤	ج ١، ص ١١٣
ص ١٣٢	ج ١، ص ٢٧١
ص ٢٤٤	ج ١، ص ٤٠٦
ص ٣٢٦	ج ٢، ص ١٨٠

جدول بالموارد الفلسفية التي اعتمد عليها ابن حمدون

#	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	اسم المورد	عدد الروايات
١	حنين بن اسحق	٨٧٣/هـ ٢٩٠	آداب الفلاسفة	رواية واحدة
٢	أبو الحسن العامري	٩٩١/هـ ٣٨١	السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية	روايتان
٣	ابن هندو	١٠٢٩/هـ ٤٢٠	الكلم الروحانية في الحكم اليونانية	٧ روايات
٤	مسكويه	١٠٣٠/هـ ٤٢١	الحكمة الخالدة	٢٦ رواية
٥	المبشر بن فانتك	١٠٥٣/هـ ٤٤٥	مختار الحكم ومحاسن الكلم	١٠ روايات

جدول من صنع الطالب

الفصل التاسع: المشاهدات الشخصية

لم يكن لشغف ابن حمدون في حفظ التراث العربي الإسلامي في تجلياته كافة -إن على مستوى التاريخ أو الشعر أو التراث الديني أو المرويات المختلفة- من أن يبعده عن ترك بصمة واضحة له في هذا المنجز الهام (التذكرة) الذي خلّد اسمه كواحدٍ من أهم حفظة التراث، هذه البصمة التي أرادها ابن حمدون كمساهم جاد وجدير في التذكرة، إلى جانب من استقى منهم موارد المختلفة، فكان أن زوّد التذكرة بالعديد من المشاهدات الشخصية، بلغ عددها أربعين مشاهدة، وعلى الرغم من أن هذا العدد ضئيلٌ نوعاً ما قياساً إلى حجم التذكرة، لكنها جاءت متنوعة شاملة ضمّت بين مفرداتها كنزاً أدبياً توثيقياً شاملاً تتناول موضوعات متنوعة، مما أضفى على التذكرة مرويات وأحداث معاصرة للمؤلف جعلتها في سلسلة متواصلة - غير منقطعة - بدأت من عصور سابقة وصولاً لعصر المؤلف، وبذلك يكون ابن حمدون قد ساهم مساهمة رائعة في تذكّره، وقد توزعت هذه الروايات على مختلف أجزاء التذكرة باستثناء الجزئين الأول والسابع، حيث لم يرد فيهما أي رواية نقلها ابن حمدون كمشاهدة شخصية.

وجدّير بالذكر أن معظم هذه الروايات جاءت كتعبير أو وصف لحالة اجتماعية سائدة، سواء الفقر أو الغنى، أو من ضربٍ به المثل بالكرم والجود أو البخل، مع تفاوت هذه الروايات من حيث الأهمية، ولذلك عُدّت بعضها وثيقة تاريخية مهمة، مثال الرسالة التي أرسلها الخليفة المقتفي لأمر الله لسلطان سلاجقة الروم مسعود بن قلج أرسلان يهنئه بالانتصار على الفرنجة، أو العهد الذي أصدر من قبل الخلافة العباسية بتنصيب عبد يشوع جاثليقاً على المسيحيين في بغداد، حيث لم تأتي المصادر التاريخية على ذكر هذا العهد، ومما دفع ابن حمدون لذكر هذه المشاهدات أنها رسائل كتبها أخوه أبو نصر الذي تولى منصب الكتابة في ديوان الخلافة العباسية.

وكان بإمكان ابن حمدون أن يشارك أكثر في تسجيل أحداث عصره ضمن التذكرة، فهو المعاصر لأهم الحقب التاريخية في تاريخ العرب والإسلام، وشاهدٌ على صراعات وقعت سواء بين الخلافة العباسية والسلاجقة من جهة، أو بين السلاجقة مع بعضهم البعض من جهة أخرى، إضافة إلى تسجيل بعض المظاهر الاجتماعية التي كانت قد بدأت تنتشر في عصره، مثل حركة العيارين، وما رافق ذلك من انفلاتٍ لحبل الأمن.

وتوجّب خلال البحث الاعتماد على المصادر التاريخية التي أرخت للحقبة نفسها من أجل الوقوف على بعض الحوادث التي سجلها ابن حمدون، إذ أنه لم يكن يذكر تاريخ صدور الرسائل من ديوان الخلافة، حتى أن مناسبة صدور تلك الرسائل كان يلفه بعض الغموض، ومن خلال الاستقراء من المصادر التاريخية، تمكّن البحث من الوصول لبعض النتائج.

وعلى الرغم من أن مشاهدات ابن حمدون جاءت معظمها لوصف حالات اجتماعية، إلا أنها حملت بين طياتها بعض المعلومات التي من خلالها يمكن فهم واقع المجتمع العراقي آنذاك، سواء من حيث الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية، فعلى سبيل المثال، عندما يورد المؤلف بأنه شاهد محاولة القبض على بعض العياريين في السوق، مما يعني أنه يقدم الدليل على أن حالة فقدان حبل الأمن داخل البلاد قوبلت بالمراقبة والمحاسبة، وبالتالي يمكن اعتبار التذكرة مصدراً تاريخياً وأدبياً واجتماعياً ودينياً مهماً، ويمكن تسويغ عدد الروايات القليل التي سجلها ابن حمدون كمشاهدة شخصية، يعود إلى موقع ابن حمدون الحساس داخل قصر الخلافة العباسية، إلى جانب الجو المشحون بالمؤامرات والفتن.

وإذا كان فيما سبق قد رُتبت الموارد حسب قدم وفاة مؤلفيها، فإن المشاهدات الشخصية رُتبت حسب ورودها في أبواب التذكرة على النحو الآتي:

الرواية الأولى، جاءت في الباب الثالث الموسوم "في الشرف والرئاسة والسيادة"، مفادها: "أخبرني الشيخ الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الفارقي^(١) قال: كان بميفارقين^(٢) بائع يعرف بأبي نصر بن جري، واسع المعيشة، فرفع إلى نصر الدولة بن مروان^(٣) أنه تحصّل له من دلالة المقايضة في ليلة واحدة عشرون ألف درهم، فأحضره وسأله عما أنهى إليه فقال: كذب الواشي أيها الأمير، إنما كانت عشرين ألف دينار وهي خدمة مني للمولى فضل - يعني ولده - وهو قائم على رأسه، فقال: معاذ الله بل نوّقر عليك، وأحمد الله على أن حصل لتاجر من رعيتي في ليلة واحدة من الدلالة مثل هذا المال، ثم إنّ البائع المذكور قال له: أيها الأمير أنا كثير المال، واسع الحال، وقد جمعت شيئاً أعددته لعمل مصلحة إن أعنتني عليها وأذنت لي فيها، قال: وما هي؟ قال أن أسوق الماء من الجبل إلى البلد وأنقب له خرقاً في السور، قال: وما يصنع بدور الناس ومجازه فيها؟ قال:

(١) محمد بن عبد الملك: من زهّاد العراق، ولد سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وروى عنه كثير من العلماء، قدم بغداد في صباه واستوطنها إلى أن مات وكان منقطعاً إلى الزهد والعبادة والتجرد عن الدنيا، وكان يتكلّم إلى الناس كل جُمعة بعد الصلاة بجامع القصر حيث كان يجلس على آجرتين، توفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٣٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٥٠٠.

(٢) ميفارقين: أشهر مدينة بديار بكر، وهي مدينة كبيرة حسنة خصبية في طرف جبل، وهي منيعة مسورة حصينة، وبينها وبين آمد خمسة فراسخ (٢٥ كم). الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٣٥. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٦٥.

(٣) نصر الدولة: أحمد بن مروان بن دوستك، صاحب ديار بكر وميفارقين، تملك بعد مقتل أخيه منصور سنة ٤٠١ هـ/١٠١١م واستمر في الملك ٥١ سنة، عرف عنه بهمته العالية وعذله، وقصده الكثير من الشعراء، وتوفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٧٨. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ١٥٥.

أشتري كل دار تكون مجازاً للماء فإن لم يبيعنيها صاحبها أجريت له الماء في داره، فأذن له وأخرج مائة ألف دينار عمل بها هذه المصلحة، وأجرى الماء إلى المسجد الجامع والأسواق والآدر^(١).

فيما وردت الرواية الثانية في الباب الرابع الموسوم "في محاسن الأخلاق ومساوئها" حيث قال ابن حمدون: "وكان في عصرنا زنكي بن آق سنقر^(٢) والي الموصل والشام، أقسى الناس وأعظمهم تجبراً، أما قسوته وغلظه على من ناوأه واتهمه فما يقصر فيهما عن الحجاج، وزاد عليه بأنه كان يعامل ندمائه ومطريه ونسائه وذوي هواه بما يعامل به أعداءه: خلا تجارية له بكر - ليفتضها فتلوت تحته فضربها بالسيف حتى قتلها. واستدعى أخرى بكرأ فرأت صاحبته متشحة في دماها فكادت تموت فرقا، وكان له نديم محدث يتعاطى كثرة الشراب والزيادة على غير ندمائه، فسقاه الخمر العتيق الشامي صرفاً وأكثر عليه وهو يستقيه ويستعطفه فلا يرجع، فنقطعت كبده ومات، وركب بغلة كان يؤثرها فمحممت تحته فضرب عنقه بالسيف، وهو راكبها، ونزل فانقل إلى أخرى.

وكان إذا رأى صبياً وضيئاً^(٣) خصاه وتركه في قلعة من قلاع، ظناً منه أن نفسه تدعوه إليه فيما بعد، فيكون قد التحى، ولعله لا يذكره ولا يعلم ما يكون منه.

وسقى يوماً بعض أصحابه خمرأ صرفاً في أقواح دسها عليه في أثناء شربه^(٤)، وأراد قتله سراً بذلك، فمرض ولم يهلك سريعاً، وعالجه طبيب كان من أصحابه ولم يشعر بالقصة، فبرأ، فأحضره زنكي وقال له: عالجت فلاناً وقد أردت قتله، فقال: كيف لي بعلم ذاك؟ وإنما أنا طبيب دخلت إلى مريض فداويته بما أخذ علينا في صناعتنا، ولو علمت أنك سقيته واعتمدت قتله ما دخلت إليه، فقال: اسقوه الخمر صرفاً، فقال: الله الله اقتلني بالسيف ولا تعذبني، فلم يلتفت إلى تضرعه، وسقاه حتى تقطعت كبده ومات بعد أيام^(٥).

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٩٠-٩١.

(٢) زنكي بن آق سنقر: عماد الدين، كان من كبار قادة الدولة الأتابكية، توفي أبوه وهو صغير فتواصى به أصحاب أبيه إلى أن شب وتولى مدينة واسط إقطاعاً، وقاد ميمنة الجيش في حرب الخليفة المسترشد بالله مع ديبس بن صدقة سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م فظفر، وأقطع البصرة فحماها من الأعراب، وتتابع الأحداث فتولى الموصل وسائر بلاد الجزيرة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م وسلم إليه السلطان محمود ولده (فرخشاه) ليربيه، ولهذا قيل له (أتابك) وتملك حلب، وتصدى للفرنج في أكثر من مكان، قُتل غيلة سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م أثناء حصاره لقلعة جعبر. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٨٤٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) يعني صبيأ جميلاً. ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٩٥.

(٤) يوجد هنا اضطراب في النص، حيث يفهم في بقية الرواية أنه سقى أحد أصحابه الخمر وليس بعضهم.

(٥) التذكرة، ج ٢، ص ٢٤٧.

يمكن الجزم بأن هذه الرواية قد انفرد بها ابن حمدون ولا صدق لها في المصادر التاريخية الأخرى، إذ أن المصادر التي وقف عليها البحث لم تذكر هكذا صفات حملها عماد الدين زنكي ولكن السؤال المطروح هنا، ما سبب ذكر ابن حمدون هذه الرواية في تذكرته؟ ولماذا التحامل على عماد الدين بهذا الشكل؟

يحتاج الجواب على هذا السؤال للكثير من التدقيق والتعمق، فمن خلال المقارنة والاطلاع على ما ورد في المصادر التاريخية حول شخصية عماد الدين، يُلاحظ أنها حفلت بذكر آثاره العظيمة في جهاده ضد الفرنجة، باعتباره شكّل الجبهة العربية الإسلامية الأولى في مقاومة الصليبيين، واستطاع في مدة زمنية قصيرة تأسيس دولة قوية شكلت الخط الدفاعي الأول ضد الفرنجة، ولكن بالمقابل، كان عماد الدين أحد الرجال المتحالفين مع السلاجقة، منذ أن أصبح والياً على الموصل، ودخل في تحالف معهم عندما نشبت الحرب مع الخليفة العباسي المسترشد بالله الذي جهز جيشاً قوياً حاصر به الموصل ثمانين يوماً، ولكنه أثر الانسحاب عندما وردته أنباء بقدوم السلاجقة إلى بغداد سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م، وهنا يجب أن لا يُغفل أن ابن حمدون كان شاهد عيان على كل هذه الأحداث، ولقربه هو وأسرته من الخلافة العباسية، لذلك كان من الطبيعي أن يكون ابن حمدون متحاملاً على عماد الدين زنكي، وواصفاً إياه بسفك الدماء والقيام بالمحظورات.

يبدو أن طبيعة التذكرة كموسوعة شاملة، هي من فرضت على ابن حمدون أن يختار من مشاهداته الشخصية ما يدعم تذكرته بأنواع مختلفة من هذه المشاهدات، بحيث تتسق مع الهدف العام للتذكرة، إن من حيث التاريخ، أي ذكر أحداث معاصرة للمؤلف، أو من حيث المواضيع، فكان اختيار موضوع السخاء والجود والبخل واللؤم، كمفردات اجتماعية، وربما أخلاقية وسلوكية تجعل من التذكرة منهلاً ثرياً لقضايا معبرة عن طبيعة العصر، فضمّ الباب الخامس الذي خصّه المؤلف بهذه الطوائع أربع روايات، فقال ابن حمدون في الرواية الثالثة: "أما أنا فما رأيت جواداً يُطلق عليه اسم الجود، إلّا أن يكون أبا منصور محمد بن علي الأصفهاني^(١) الملقب بالجمال وزير الموصل، فإنه عمّ بعبائمه وصلاته أهل ولايته، وتجاوزهم إلى أهل العراق والجبل وأصفهان والحرمين، فكان يعطي من نأى عنه تبرعاً كما يعطي من هاجر إليه سائلاً، والذي أطلق عليه اسم الجود أنه كان مؤثراً على نفسه، متقللاً في خاصته، وحاصله في السنة خمسون ألف دينار، كما قيل، ولا يزال يأخذ بالدين يتم به صلاته، وتصدّق بداره التي يسكنها، فكان يؤدي أجرتها في كلّ شهر على السبيل الذي جعلها فيه، ومن عجيب

(١) جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني، أبو جعفر الملقب بالجواد، كان في خدمة عماد الدين زنكي حين كان صاحب الموصل، ثم وزر لابنه سيف الدين غازي ثم لأخيه قطب الدين، وحبسه الأخير فتوفي في الحبس بالموصل سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م. الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص١٣٧٠. الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص٣٠٨.

أمره أنه خدم زنكي بن آق سنقر في مبدأ أمره مشرفاً على الاصطبل، وكان ذاك موصوفاً بالشح، فتقرب إليه بما يطابق هواه، حتى بما يسقط من النعال، وتوسل عنده بالتبخل تكلفاً تتطلع السجايا الكريمة من خلاله، ويشهد بما ستبديه الأيام من شرف جلاله، حتى صار مشرف ديوانه، فكان أقرب أصحابه إليه، فلما قُتل زنكي وقام ولده بالأمر ووزر له وملك أمره، وأمن ما كان يخافه من أبيه، أظهر مكنون سجيته، وباح بما كان يضمره وأبان عن جود برمكي، ومن المستفيض عنه أنه لم يتضجر قط على سائل، ولم يبرم بملح، ولا منع أحداً، ولا أصغى بسمعه إلى عاذل في الجود ولا مشير^(١).

وما قاله ابن حمدون في وصف جمال الدين الأصفهاني جاء متطابقاً مع ما ورد في بقية المصادر، حيث أجمعت جميع المصادر التي وقف عليها البحث على الأخلاق الحميدة التي تمتع بها الأصفهاني، فعلى سبيل المثال، يقول فيه ابن تغري بردي: "أبو جعفر جمال الدين الأصفهاني وزير الأتابك زنكي وسيف الدين غازي وقطب الدين مودود، وكان هو الحاكم على الدولة، كانت الموصل في أيامه ملجأ لكل ملهوف. ولم يكن في زمانه من يضاهيه ولا يقاربه في الجود والنوال؛ وكان كثير الصلوات والصدقات، بنى مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالاً عظيمة، وجدد الحجر إلى جانب الكعبة، وزخرف البيت بالذهب، وبنى أبواب الحرم وشيّد بها ورفع أعتابها صيانة للحرم، وبنى المسجد الذي على عرفة والدرج الذي فيها، وأجرى الماء إلى عرفات، وعمل البرك والمصانع...."^(٢).

بينما وصف في **الرابعة**، بقوله: "وشاهدت اثنين أحدهما من أوساط الناس والآخر من فقرائهم: أما الأول فكان يجوع ويطعم، ويعرى ويكسو، ويتكسب بالتصرف فيلبس القميص المرقوع ويركب الدابة الضعيف، لا زوجة له ولا ولد ولا عبد، ويصرف ما يحصله في معونة الناس وإرفادهم وإطعامهم، وأما الثاني فرجل ضعيف يجتدي الناس في الأسواق ويسألهم، ويجمع ذلك فينفقه على المحبوسين: يطعمهم ويسقيهم ويداوي مرضاهم، ويضع الأجاجين على الطرق يملأها ثريداً^(٣)، ويدعو الفقراء إليها، وهو بقميص متخرق مكشوف الرأس، لا يعود على نفسه مما يحصله إلا ببلغته، فهذان يستحقان اسم الكرم"^(٤).

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ٣٦٥.

(٣) الثريد: ما يُثرد من الخبز، وهو طعام من خبز مفتوت وماء. الأزهرى: تهذيب اللغة، ج ١٤، ص ٦٣. ابن منظور:

لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٢.

(٤) التذكرة، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٦١.

وقال ابن حمدون في الرواية الخامسة: "وكان يوسف بن أحمد الحرزي وكيل المستظهر بالله يُدْكَرُ بالكرم، وليس في هذه الرتبة: كان يعطي ويُفْضِلُ، لكن قليلاً من كثير، ولما قبض عليه المسترشد بالله وجد له ذخائر عظيمة وأموالاً جليلاً لا يدّخرها جواد" (١).

بالمقارنة مع بقية المصادر، اختلف المؤرخون في اسمه، البعض ذكره يوسف بن أحمد الحرزي، والبعض الآخر الحرزي، وهناك من سماه الحزي، وقد ولّاه الخليفة العباسي المستظهر بالله خازن بيت المال، ولكن ابن الجوزي ذكر أنه كان لا يعير الخليفة المسترشد بالله أي اهتمام عندما كان ولياً للعهد، وعندما سُئِلَ عن ذلك أجاب الحرزي: "أنا أخدم شاباً في أول عمره يشير إلى المستظهر، وما أبالي" (٢)، ونتيجة ذلك أقسم المسترشد أنه سيسجنه عندما يتولى الخلافة، وبالفعل هذا ما حصل سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، وقد اتفق المؤرخون على أنه عندما سُجِنَ وُجِدَ في داره أربعمئة ألف دينار (٣).

وأكمل ابن حمدون في الرواية السادسة لما تقدمها من الروايات حول الكرم والجود، بقوله: "وفات هؤلاء المذكورين بالكرم، وفاقهم في حسن الشيم من أهل زماننا صاحب مدينة إربل وما والاها من الأعمال، وهو الأمير مجاهد الدين قايماز (٤)، فإنه كلف بحب الحسنات، وعكف على فعل الخيرات، وقصر زمانه على مكارم الأخلاق؛ فما شاهدته من ذلك أنه كان موثقاً لكل وافد عليه من بلادنا العراقية، ملجأ لكل خائف يصل إليه منها... " (٥)، ثم يتابع ابن حمدون بسرد ما قام به مجاهد الدين من أعمال عمرانية في الموصل، مثل بناء بیمارستان للمرضى، ورباطاً للصوفية.

ولا يختلف ما أورده ابن حمدون مع ما ذكرته كتب التاريخ والتراجم حول مجاهد الدين، فمثلاً قال ابن خلكان في مجاهد الدين: "وأثر بالموصل آثاراً جميلة، منها أنه بنى بظاهرها جامعاً كبيراً ومدرسة وخانقاه، والجميع متجاورة، ووقف أملاكاً كثيرة على خبز الصدقات، وأنشأ مكتباً للأيتام، وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه، ومدّ على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلي... " (٦).

(١) التذكرة، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) المنتظم، ج ١٧، ص ١٦٩.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٥، ص ٢٧٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٨٣.

(٤) مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني، كان عتيق زين الدين علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل، أخذ من سجنان صغيراً، ولما كبر جعله مُعتقه أتابك ولده، وفُوض إليه أمور إربل سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م فأحسن السيرة وعدل في الرعية، ثم انتقل إلى الموصل سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م وتولى تدبيرها وأوجد فيها آثاراً جميلة، ووقف أملاكاً كثيرة كصدقات، وتوفى بقلعة الموصل سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٨٢. ابن الفوطي: مجمع الآداب، ج ٤، ص ٣٧٢.

(٥) التذكرة، ج ٢، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٦) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٨٣.

وجدير بالذكر أن ابن الفوطي ذكر في كتاب مجمع الآداب ترجمة مجاهد الدين قايمار نقلاً عن التذكرة الحمدونية.

أما الرواية السابعة، فجاءت في الباب الخامس عشر الموسوم "في العهود الوصايا"، وهي رسالة طويلة جاءت في ثلاث صفحات، وذات أهمية بالغة، حيث تتضمن تنصيب عبد يشوع بطريكاً للمسيحيين في بغداد، وتأتي أهميتها بأن ابن حمدون انفرد بذكر هذا العهد، مُعتمداً على أخيه الذي كان كاتباً في ديوان الخلافة، ولم تذكر المصادر التاريخية - التي وقف عليها البحث - هذه الرواية، حيث قال ابن حمدون: "نسخة عهد جاثليق^(١) من إنشاء أخي رحمه الله: هذا كتابٌ أمر بإنشائه سيدنا ومولانا أمير المؤمنين^(٢) لعبد يشوع الجاثليق البطريرك^(٣)؛ أما بعدُ، فالحمد لله العميم إحسانه، العظيم سلطانه، الواجب حمده، الغالب جنده، الكامل فضله، الشامل عدله، المعروف بغير رؤية تُدرِكُه ولا نَظَر، الخالق من غير رؤية يجيلها ولا فكر، العالم بالأشياء ما ظهر منها وما بطن، المتعالي عن التكيف ببعيد الأوهام وغوص الفطن، الذي ابتدع المخلوقات على غير تمثيل، واخترع المصنوعات بغير قياس اتبَعَه ولا دليل، وأقام شواهد البينات على وحدانيته....

ولما أنهيت حالكَ لأمير المؤمنين، وأنتك أمثلُ أهلِ نحلتك طريقةً، وأقربُهُم إلى الصلاح مذهباً وخلقاً، وأحوامهم للخلال التي أجمعوا على تمييزك بها عنهم وانفرادك، واستحقاقك للإسعاف من بينهم بمأموك ومُرادك، وكونك حالياً بشروط الجثلة المتعارفة عندهم بأدواتها، مشهوداً لك بنوعيتها الكاملة وصفاتها، وحضر جماعة من النصارى الذين يُرجع إليهم في استعلام سيرة أمثالك، واستطلاع أنباء مضارعتك وأشكالك، وذكروا أنهم تصفّحوا أحوال ذوي الديانات فيهم، واستثبتوا بادبهم منها وخافهم، بحكم مساس حاجتهم إلى جاثليق ينظر في أمورهم، ويُرَاعِي مصالح جمهورهم، فاتفقوا باجتماع من آرائهم، والتمام من قلوبهم وأهوائهم، على اختيارك لرياسة دينهم، ومراعاة شؤونهم، وتدبير وقوفهم، والتسوية في عدل الوساطة بين قوِيهم، وضعيفهم، وسألوا إمضاء نصّهم عليك بالإذن الذي به تُستقرى قواعده، وتصدق مواعده، وتستحكم مبادئه، وتقوى وأخيه، فأوعز بإسعافهم في ما سألوه بالإيجاب، وإلحافهم في ما طلبوه جناح الإطلاب. وبرز الإذن الإمامي الأشرف، لا زالت أوامره بالتوفيق معضودة، بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام، ومن تضمه منهم ديار الاسلام، وزعيماً

(١) الجاثليق: كلمة يونانية بمعنى العام أو الأب العام وجمعها الجثالة، وقد استعملت للرئيس الديني الأعلى لدى النساطرة، ويكون تابعاً لبطريرك أنطاكية، ويقابلها اليوم كلمة البطريرك أو البطريرك . الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، ص ٨٧١.

(٢) المقصود الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله.

(٣) هو عبد يشوع الثالث المعروف بابن المقل، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م . أبو اسحق (رفائيل): أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م، ص ٥٢.

لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد، وكلّ حاضرٍ من هذه الطوائف وبإدٍ، وانفرادك عن كافة أهل نحتك، بتقمص أهبة الجثقة

وأن يقتصر في استيفاء الجزية على تناولها من العقلاء الواجدين من رجالكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم من أطفالكم، ويكون استيفاؤها مرة واحدة في كلّ سنة، من غير عدولٍ في قبضها عن قضية الشرع المستحسنة، وفُسح في الجائليق أن يتوسّط طوائف النصارى في محاكماتهم، فيأخذ النصف من القويّ للمستضعف، ويقود إلى الحق من مال إلى القسط والجَنَف، وينظر في وقوفهم نظراً يقوم بحقوق الأمانة وأشراتها، ويمضي على واضح حدودها وسوي سراطها، فقابل هذا الإنعام الذي شملك، وحقّق مناك في ما ناجتكَ به نفْسُك وأملُك، بدعاء ينبي عن الاعتراف ويُعرب، ويدع في الإخلاص ويُعرب، وسبيل كافة المطارنة والقسيسين والأساقفة من الطوائف المذكورة أن يحتذوا المأمور به في هذا المثال، ويتلقّوه بالانقياد والامتثال، إن شاء الله تعالى^(١).

كان المسيحيون يعيشون في ظل الخلافة العباسية حياة عُرِفَت بالتسامح والتعايش، حيث قدم لهم الخلفاء العباسيون كل ما لهم من حقوق، فكان الخلفاء العباسيون يهنئون المسيحيين عند تنصيب جاثليق عليهم، ويرسلون لهم الهدايا السنوية، فقد أنعم الخليفة العباسي المعتضد بالله ت ٢٨٩هـ/٩٠٢م على الجاثليق يوحنا بن عيسى المعروف بالأعرج بثوب ديباج وعكاز مُعَفَر^(٢).

أما العهد أو الإذن الإمامي، لم يكن جديداً على الخلفاء العباسيين، فقد جرت العادة أن يقوم الخلفاء العباسيون بمشاركة المسيحيين في إقامة الجثقة وتنصيب المطارنة، ولكن هذا العهد لم يكن يُمنح من جميع الخلفاء العباسيين، فقد سبق وورد عهدان لتنصيب الجاثليق، الأول: كان في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ت ٤٦٧هـ/١٠٧٥م، وكان عهداً بتنصيب عبد يشوع الثاني المعروف بابن العارض ت ٤٨٢هـ/١٠٩٠م، والثاني: عهداً من الخليفة المقتدي بالله ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بتنصيب الجاثليق ميكاخا الأول ت ٥٠٢هـ/١١٠٩م، أما السجل أو العهد الإمامي فكان يشتمل على مجموعة من البراءات تتضمن الأمور الآتية:

١. تخويل الجاثليق الرئاسة على جميع المسيحيين المنتشرين في أنحاء الدولة العباسية ممن هم في ديار الإسلام.
٢. حق النظر في مصالح أبناء طائفته والحكم فيها حلاً وإبراماً وحق الفصل فيما يقع من الخلاف إلا ما كان في حدود القضاء.

(١) التذكرة، ج ٣، ص ٣٦٤-٣٦٧.

(٢) فيه (جان) : أحوال النصارى في خلافة بني العباس، تر حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٨٤.

٣. تخويله الرعاية والامتياز في مصليات المسيحيين ومحافلهم ومجالسهم.

٤. الحق بإدارة أوقاف طائفته كافة.

٥. السلطة لمعاقبة المخالفين^(١).

ويمكن معرفة حالة التعايش التي كانت سائدة في بغداد بين جميع الطوائف من خلال ما شاهده ووصفه الرحالة بنيامين التيطلي ت ٥٦١هـ/ ١١٦٥م، الذي توفي قبل ابن حمدون بعام واحد، وكان قد زار بغداد في ظل خلافة المستجد بالله، فأعجب بصورة خاصة بما شاهده في بغداد من جماعات يهودية كانت يومئذ تنعم بالطمأنينة والرفاهية في ظل الخلافة العربية الإسلامية، وفي عصر لم يكن يهود أوروبا يعرفون سوى ضروب الإرهاق والاضطهاد الديني والاقتصادي، فيقول في ذلك: " وقيم ببغداد نحو (أربعين) ألف يهودي^(٢)، وهم يعيشون بأمان وعز ورفاهة في ظل أمير المؤمنين الخليفة، وبينهم عدد من كبار العلماء ورؤساء المثيبيّة^(٣) وعلماء الدين، ولهم في بغداد عشر مدارس مهمة^(٤)."

وتطابق في المصادر مع ما أورده ابن حمدون من شروط الجزية التي كانت تؤخذ من أهل الذمة حيث كانت تُجمع على النحو الآتي:

١. أغنياء ويؤخذ منهم ٤٨ درهماً.

٢. متوسطو الحال ويؤخذ منهم ٢٤ درهماً.

٣. فقراء ويؤخذ منهم ١٢ درهماً.

٤. ولا تؤخذ الجزية من مسكين يُتصدق عليه، ولا من لا قدرة له على العمل، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون وغيرهم من ذوي العاهات، ولا من الرهبان إلا إذا كانوا من الأغنياء، ولا تجوز أن تفرض إلا على الرجال الأحرار والعقلاء، كما أنها لا تفرض على امرأة أو صبي^(٥).

وجدير بالذكر أن المصادر التاريخية التي وقف عليها البحث لم تذكر هذا العهد، مما يجعل هذه الوثيقة التي أوردها ابن حمدون في غاية الأهمية، لما تضمنته من معلومات حول الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله، فضلاً عن حالة التسامح التي كانت سائدة خلال الحقبة العباسية.

(١) أبو اسحق: أحوال النصارى، ص ٥١.

(٢) هذا العدد يبدو منطقي بالنسبة إلى عدد المدارس اليهودية التي ذكرها بنيامين.

(٣) المثيبيّة: لفظة آرامية تفيد معنى المجلس، ويقابلها في اليهودية "مشيبي" وتطلق على المدارس الدينية العليا. بنيامين: الرحلة، ص ١١٧.

(٤) بنيامين: الرحلة، ص ٣٠٠.

(٥) أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٣هـ / ٨٠٠م): الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٢٢ وما بعدها.

أراد ابن حمدون المساهمة في تذكّره من خلال مشاهدات حملت صبغةً شعرية تناولت أغراض المديح والثناء، فضمَّ الباب السابع عشر روايتان فقط، حيث جاءت الرواية الثامنة بقول ابن حمدون: "وقد مدح السوداوي الفارقي سائساً بمثل هذا فقال وأجاد:

وَقَالَكَ رَبُّكَ رَمَحَ كُلِّ حِصَانٍ وَكَفَى مَحَسَّكَ طَارِقَ الْحَدَثَانِ
وَأَمْنَتْ مِنْ حَنْقِ الْخِيُولِ إِذَا سَطَّتْ وَتَصَاهَلْتُ حَقّاً عَلَى الْغِلْمَانِ^(١)
وهي طويلة أنشدنيها الشيخ الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الفارقي، قال: أنشدنيها أبو علي وَلَدُ شَاعِرِهَا^(٢).

بينما أورد في الرواية التاسعة: "حدثني أبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي^(٣) الشاعر قال: حضرت مُرْجَى بن نبيه خال ابن أبي الخير صاحب البطيحة^(٤)، وكان هجاءً خبيث اللسان، وقد قال لعمر القلانسي وهو أكبر قَوَادِ البطيحة: إني قد مدحتك يا أصفهسلار بشعرٍ جيد، فقال: أسمعني فقال:

فِي عُمَرِ أَلْفِ خَيْرٍ تَمَحُّو لَهُ أَلْفَ ذَنْبٍ
فَقَالَ لَهُ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ: تَقُولُ بِفَضْلِكَ هَذَا، فَلَمَّا أَتَمَّ الْبَيْتَ قَالَ لَهُ: بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ مُرْجَى:

وَاحِدَةٌ أَنَّهُ حَمَارٌ بِغَيْرِ مَكْرٍ وَغَيْرِ خَبٍّ
فَقَالَ لَهُ عَمْرٍ: صَدَقْتَ، وَاللَّهِ مَا عِنْدِي لَا خَبٌّ وَلَا مَكْرٍ، وَلَوْ مَدَحْتَنِي بِهَذَا^(٥).

من المشاهدات المهمة التي أراد إيصالها ابن حمدون وأغفلتها أغلب المصادر التاريخية الأخرى، ما يندرج في سياق آداب التعامل وخاصة بين الملوك والقادة، فقد أورد في الباب الثامن عشر الموسوم "في التهاني" ثلاث روايات، جاءت الرواية العاشرة كرسالة صادرة عن ديوان الخلافة تهنيئ

(١) أورد ابن حمدون سبعة أبيات من هذه القصيدة.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ٧٦.

(٣) محمد بن الحسين: أبو المكارم، من فحول الشعراء، شاعر بغدادي مكثر مدح جمال الدين الأصبهاني وزير الموصل، توفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م . ابن خلكان: وفات الأعيان، ج ٣، ص ٣٩٨ . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٥.

(٤) البطيحة: وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وشكلت مجموعة من القرى المتصلة مع بعضها البعض، وكانت مشهورة بمياهها وسفنها. الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥١ . ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٠٦ .

(٥) التذكرة، ج ٤، ص ٨٠.

مسعود بن قلع أرسلان بن سليمان بن قتلش^(١) لتصديه للفرنجة، وقد نقلها ابن حمدون عن أخيه، قال فيها: "كتب أخي رحمه الله عن ديوان الخلافة إلى الملك مسعود بن قتلش تهنئة بفتح، وكان الإفرنج وردوا بلاده من المغرب في عدد عظيم فبَدَّ الله شملهم وعادوا خائبين: كتابي - أطال الله بقاء سيدنا الملك - ومواهب الله في الجناح الأشرف آلهة الربوع، عذبة الينبوع، صافية الورود، ضافية البرود، والحمد لله رب العالمين....." ^(٢).

لم يحدد ابن حمدون تاريخ إرسال هذه الرسالة على وجه الدقة، وخاصة أن مسعود بن قلع أرسلان خاض الكثير من الحروب ضد الفرنجة، والسؤال المطروح هنا، كيف يمكن تحديد تاريخ هذه الرسالة؟ وما هو الانتصار الذي حققه مسعود ودفع الخليفة العباسي على تهنتته بذلك؟

خاض العرب المسلمون الكثير من الحروب في وجه الفرنجة، وكان سلاجقة الروم يقفون ضد جبهتين الأولى بيزنطة، والثانية الفرنجة وحملاتهم المتعاقبة، وعليه كانت الحروب تقوم بين لحظة وأخرى، وتحمل انتصاراً حيناً وهزيمة حيناً أخرى، وعليه كان من الطبيعي أن لا يُرسل الخليفة العباسي عند كل انتصار رسالة تهنئة، وهذا يقود إلى أن إرسال أي رسالة لا يكون إلا بنصر كبير، ونجاح ملفت يمكن أن يغير مجرى الأحداث.

ومن خلال استقراء مطلع الرسالة، يُلاحظ أن الانتصار كان عند قدوم الفرنجة من الغرب وهزيمتهم وعودتهم خائبين، أي أن الانتصار لم يكن بحصار مدينة أو معسكر، لهذا فمن المرجح أن هذه الرسالة أرسلت نتيجة انتصار سلاجقة الروم بقيادة مسعود على الحملة الصليبية الثانية - سلف الإشارة إليها - التي قادها كونراد الثالث ملك ألمانيا، حيث أوقع السلاجقة الفرنجة في كمين وقُتل الكثير منهم، حتى أن كونراد الثالث أصيب في جراح خطيرة، وكان ذلك سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م أي في الوقت الذي كان يحكم المقتفي لأمر الله الخليفة العباسي، وكان أبو نصر غرس الدولة أخ ابن حمدون كاتباً في ديوان الرسائل، وبذلك يمكن تحديد زمن الرسالة ومدى أهميتها.

بينما وردت الرواية الحادية عشرة في الفصل السادس المتضمن بعث التهاني بالمواسم والأعياد، إذ ذكر ابن حمدون: "وكتب أخي رحمه الله نسخة لما يبرز به التوقيع الإمامي في عيد الفطر: الحمد لله الواجب شكره، الغالب أمره، المنصور حزبه، المثبور حربه، الدال على وحدانيته

(١) مسعود بن قلع أرسلان: حاكم قونية وسلاجقة الروم، تولى الحكم سنة ٥١٠هـ/١١١٦م ودخل في عدة معارك مع الصليبيين وانتصر عليهم، حيث تمكن من إيقاف الحملة الصليبية الثانية، وقام بتصفية مملكة الرها الصليبية بعد فتحها، وتوفي سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م وخلفه في الحكم ابنه قلع أرسلان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٢٥. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٠٦.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ١٥٣.

ببدائع فطرته..... والحمد لله الذي منح عباده المؤمنين منائح من نعمه تستوعبُ الشكر، وتستوجبُ الإذاعة لها والنشر، فجعل لهم من أيامهم مواسمَ يُكفَّرُ بطاعته فيها سيئاتهم، ويرفعُ بتوفيقهم لصالح العمل عنده درجاتهم، وخصَّ شهرَ رمضان بالصيام الذي ختمه لهم بعيد يبشرهم بالقبول، يتقارضون فيه التهاني بدرك المأمول، وأمرهم باتخاذ الزينة وإظهارها، وإراحة النفوس بقضاء المباح من لذاتها وأوطارها..... " (١).

وتسجل الرواية الثانية عشرة حدثاً تاريخياً في غاية الأهمية، فيقول ابن حمدون: "كتب أخي رحمه الله تهنئةً بالسلامة من حريق وقع في دار الخلافة:

الدنيا - أعرَّ الله أنصارَ المواقفِ الشريفة - دارُ الامتحانِ والاختبار، ومَجَازُ الابتلاء والاعتبار، والله تعالى في ما نزل فيها فالحمد لله الذي جعل ما جَرَتْ به الأقدارُ من الأمر الرائع ظاهره، الوجل لوقعه ناظره، لعنايته - جَلَّتْ عظمتُه - عنواناً، وعلى دوام نعمه دليلاً واضحاً وبرهاناً، وإليه الرغبة في أن يجعل الديار وساكنيها، والنفاثس في أقاصي الدنيا وأدانيها، لشريفِ الحوزة التي بها صلاحُ العالم فداء، وعنهما للمكروه وقاء، فكلُّ حادثٍ مع دوام هذه الأيام الزاهرة خلل، وكلُّ غمرٍ من نوائبِ الدهر ما دافع لطف الله عنها وشل" (٢).

وهنا يُطرح السؤال التالي، كيف يمكن معرفة الحريق الذي تحدَّث عنه ابن حمدون في تذكرته في ضوء عدم ذكره لتاريخ الرسائل التي دوَّنها في التذكرة؟

من المؤكد بأن واقعة الحريق هذه وقعت في الحقبة التي حكم بها الخليفة المقتفي لأمر الله، ولكن الحريق المقصود لم يكن في قصر المقتفي، فمن خلال الاطلاع على ما ذكره ابن كثير عند تأريخه لما وقع من أحداث سنة ٥٤١هـ/١١٤٦، يذكر أن حريقاً وقع في القصر الذي بناه الخليفة المسترشد بالله، وكان في غاية الحسن، وقد انتقل إليه الخليفة المقتفي مع أسرته ليقيم فيه ثلاثة أيام، فما إن ناموا حتى احترق عليهم القصر، ويعلل ابن كثير الحريق، بأن جارية كانت تحمل شمعة أدت إلى احتراق بعض جوانب القصر، وعند الصباح تصدَّق الخليفة على الناس وأطلق عدداً من المسجونين مقابل سلامته من الحريق (٣)، ولكن من غير المستبعد أن يكون للسلاجقة يد في هذا الحريق، وخاصة أن الحرب بينهم وبين الخليفة كانت في أوجها.

(١) التذكرة، ج ٤، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ١٨٧-١٨٨.

(٣) البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٧٤.

غير أن الرواية الثالثة عشرة، كانت مختلفة في المضمون عما سبقها، حيث رثى ابن حمدون بعضاً ممن فقدهم من أقربائه بأبياتٍ شعريةٍ في باب المراثي والتعازي، قائلاً: "تتابع أهلي فمات منهم أحد عشر من عصبتي وجماعة من إخواني في مدة تقاربها فرثيتهم بهذه الأبيات"^(١):

يقولون صبراً عن مَحَبَّتِكَ الألى	دعا بهم داعي المنون إلى القبرِ
أبي وبنيّ ابني وولدي تتابعوا	سراعاً وإخواني فعزّ بهم صبري
فلو أنّ ميتاً يرتجى منه أوبةٌ	صبرتُ ولكنّ لا إيابَ إلى الحشرِ ^(٢)

وذكر ابن حمدون الرواية الرابعة عشر في الباب العشرين الموسوم "في العيادة والمرض" بقوله: "كان لنا صديق يعرف بأبي نصر الكلوزاني ويلقب بالرفشعر - جمعاً بين رفاء وشاعر - مرض بواسط فأشفى، وسمع أخوه وهو ببغداد خبره فأنحدر ظناً أنه يموت فيحوز ميراثه، فلما وصل إليه وجدّه قد أبلّ فقال: يا أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت بمرضك فجئت أعودك وأمّرضك، فقال: عُدْ يا أخي فإنّ الحاجة ما قُضِيَتْ"^(٣).

ومن الأغراض الشعرية، التي تعبر عن بعض سمات عصر المؤلف، وأراد ابن حمدون تزيين تذكّره بها، كانت نقله لثلاث روايات أوردها في الباب الثالث والعشرين الموسوم "في الهجاء والمذمة"، فذكر ابن حمدون في الرواية الخامسة عشرة بيت شعري لابن جكينا^(٤) وهو من الشعراء المعاصرين له، والبيت الشعري هو:

ولستُ أستبطي ولكنني ينقطعُ الغيثُ فاستسقي^(٥)

(١) بلغ عدد أبيات هذه القصيدة ١٣ بيتاً شعرياً.

(٢) التذكرة، ج ٤، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) التذكرة، ج ٤، ص ٣٤١.

(٤) ابن جكينا البغدادي: الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا البرغوث، أبو محمد، من ظرفاء الشعراء، من أهل بغداد، أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة شعره، سار شعره وحُفظ، على فقر كان يعانيه وضيق معيشة كان يقطع زمانه بها، وله مهاجاة مع ابن الشجري والحريري، توفي سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٤٩ . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٩٧.

(٥) التذكرة، ج ٥، ص ٥٧.

أما الرواية السادسة عشرة: "ومن هذا الفن، أن شاعراً في زماننا هجا بعض الأعيان بأبيات مطبوعة تداولها الناس فحسَّ وعزَّز. وأراد الوزير أبو علي ابن صدقة^(١) أن يستكفَّه عن الزيادة فقال له: ما أردت إلى هجاء هذا الرجل؟ هل اجتديته فمنعك، أو مدحتَه فحرمك، أو كانت لك حكومة فمال فيها عليك؟ قال: كلُّ ذلك لم يكن، بل قَطَعُ كان على عِرضِهِ وقفائي"^(٢).

ونقل ابن حمدون في الرواية السابعة عشرة، بعضاً من أهاجي عصره، فيقول: "وهذه مقطعات من أهاجي شعراء عصرنا"^(٣) ثم يورد بيتين شعريين لكل من أبو منصور بن الأصباغي وأبي تمام الدبَّاس.

وأورد الباب السابع والعشرين الموسوم "في الأوصاف والنعت" الرواية الثامنة عشرة، التي قال فيها صاحب التذكرة: "أنشدني أبو الفوارس بن الصفي^(٤) لنفسه متشبَّهاً بالقدماء:

وتمسُّه كفُّ الوليدِ الموضعِ	دانٍ تكادُ الوحشُ تَكَرَّعُ وَسَطُهُ
رَكَبَاتُ قَيْصَرَ أو سرايا تُتَّبِعُ	متتابعٌ جَمٌّ كأنَّ رُكَّامَهُ
سَحّاً كمنذفعِ الأتْيِ المترعِ" ^(٥)	فهَمَى فألقى بالعراءِ بعاهه

كان للغزل والنسيب على علو شأنهما في الشعر، نصيبٌ وافر من مشاهدات ابن حمدون في تذكرته، التي خلد بها أشعاراً قبلت في عصره، دونها في الباب التاسع والعشرين الموسوم "في الغزل والنسيب" من خلال ست روايات، فأورد في الرواية التاسعة عشرة بيتان شعريان قالهما الخليفة المستظهر بالله - وهو معاصر لابن حمدون - بقوله: "وكتب المستظهر بالله أبو العباس إلى يوسف بن أحمد الجزري وكيله في سفرة سافرها متمثلاً:

قلت وقالوا بأن أحبابه
وبَدَلُوهُ البعدَ بالقربِ

(١) الوزير ابن صدقة: الحسن بن علي بن صدقة، عميد الدولة جلال الدين: وزير الخليفة المسترشد بالله، العباسي كان حسن السيرة، ممدوحاً، استوزره المسترشد سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩م وصرفه سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢م وأعاده سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣م فظل في الوزارة إلى أن توفي في بغداد سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨م. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٩١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٣٧٧.

(٢) التذكرة، ج ٥، ص ٩٥.

(٣) التذكرة، ج ٥، ص ١٦٩.

(٤) ابن الصفي: سعد بن محمد بن سعد، شهاب الدين، المعروف بالحيص بيص، من أهل بغداد، كان يلقب بأبي الفوارس، نشأ فقيهاً وغلِبَ عليه الأدب والشعر، وكان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم، وكان يلبس زيَّ أمراء البداية، وينقل سيفاً، ولا ينطق بغير العربية الفصحى، وتوفي في بغداد سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٩م. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٩، ص ٤٢٦٢. الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٣٥٢. الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ١٠٣.

(٥) ورد ستة أبيات في هذه القصيدة. التذكرة، ج ٥، ص ٣٤٥.

والله ما شطّنت نوى نازحٍ سار عن العينِ إلى القلبِ^(١)

وذكر ابن حمدون في الروايات العشرين والحادية والعشرين والثانية والعشرين^(٢) أبياتاً شعرية نقلها عن مقدار بن المطاميري^(٣)، الذي كان معاصراً له، قائلاً: "وقال مقدار بن المطاميري، وهو ممّن عاصرناه، وكان قليل البضاعة في الأدب على حلاوة ألفاظه ورشاقة معانيه:

إن حال في الحبِّ عما كنتُ أعهده وبات يرقُدُ ليلاً لستُ أرقدهُ
فلا طويْتُ الحشا إلا على حُرْقٍ يُبلي من الصبرِ عنه ما أجدهُ^(٤)
الرواية الحادية والعشرون، وقال أيضاً:

ومجدولة مثل جدل العنانِ صبوتٌ إليها فأصْبِيئُهَا " ^(٥)

الرواية الثانية والعشرون، لما صرمت الثريا عمر بن أبي ربيعة قال فيها:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَرِيَا فَإِنِّي ضَعْتُ ذِرْعاً بهجرها والكتابِ^(٦)

أما الروايتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون^(٧) نقلهما ابن حمدون عن الوزير علي بن طراد الزينبي^(٨) بقوله: "ومثل هذه الحكاية ما سمعته من شرف الدين علي بن طراد الزينبي الوزير، وإن لم يكن من فن الغزل".

(١) التذكرة، ج ٦، ص ١٠٣.

(٢) التذكرة، ج ٦، ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) ورد اسمه في معظم المصادر التاريخية "مقدار بن مختار المطاميري" يُكنى أبا الجزائر، كان جيّد القول رقيق الغزل، كثير النظم، أصله من تكريت، نسبته إلى (المطامير) وهي ضيعة بخلوان العراق، توفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م. الكتبي: فوات الوفيات، ج ٤، ص ١٥٨. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ٦٩٩.

(٤) أورد ابن حمدون ٥ أبيات من هذه القصيدة.

(٥) أورد ابن حمدون ٣ أبيات من هذه القصيدة.

(٦) أورد ابن حمدون ٤ أبيات من هذه القصيدة.

(٧) التذكرة، ج ٦، ص ٢٢٧.

(٨) علي بن طراد: بن محمد بن علي الزينبي الهاشمي من العقلاء العارفين بسياسة الملك وتدبيره، ولاه المستظهر العباسي الوزارة ونقابة النقباء، ثم استوزره الخليفة المسترشد بالله وخلع عليه سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٩م، ولما صارت الخلافة إلى "المُفْتِي لأمر الله" حدثت بينهما وحشة كان سببها اعتراضه الخليفة في شؤون أمر بها، فاستقال سنة ٥٣٤ هـ/١١٣٩م ولزم بيته في بغداد إلى أن توفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ١٠٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٤٩.

كان لوجود ابن حمدون في قصر الخلافة، وتولي أخيه منصب الكتابة في ديوان الخلافة العباسية أهمية كبيرة في وقوفه على المكاتبات والرسائل التي كانت ترد أو تخرج من القصر، وقد أوردها في الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل " من خلال أربع روايات، حيث جاءت الرواية الخامسة والعشرون عبارة عن رسالة طويلة مُرسلة من ابن العميد للصاحب بن عباد، حصل عليها ابن حمدون: "وجدت كتاباً منسوباً إلى ابن العميد كتبه إلى الصاحب أبي القاسم ابن عباد - وفيه ما يشكك في قبوله - وفيه إنكار بسياسة مستفادة: مولاي وإن كان سيداً بهرتنا نفاسته، وابن سيدٍ تقدّمت علينا رياسته، فإننا نعتدّه سنداً ووالداً، وأعدّه ولداً واحداً، ومن حقّ ذلك أن يعضد رأيي رأيه ليزداد استحكاماً، ويستمرّ عقداً وإبراماً، وحضرة مجلس ركن الدولة تفاوضني ما جرى بينه وبين مولاي طويلاً، ووصل به كلاماً بسيطاً، وأطلعني على أنّ مولاي لم يزد بعد الاستقصاء والاستيفاء على التقضي والاستعفاء وألزم عبده أنا أن أكره مولاي إكراه المسألة وأجبره إجبار الطلبة، علماً بأنه إن دافع المجلس المعمور طلباً للتحرز، لم يزد وساطتي أخذاً بالتطول، وأقول بعد أن أقدم مقدمة^(١).

كان ابن العميد علي بن محمد بن الحسين وزيراً لركن الدولة البويهية سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م، كان يدير شؤون الدولة بكفاءة بالغة، وقد استكتب اسماعيل بن عباد، فأصبح قريباً منه، ولُقّب بذلك صاحب ابن العميد، ثم تولى الصاحب الوزارة لبني بويه سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م بعد وفاة ابن العميد، وقد حفلت كتب التاريخ بالكثير من الرسائل المتبادلة بين ابن العميد والصاحب بن عباد، ويبدو أن الرسالة التي أوردها ابن حمدون من الرسائل النادرة المرسلة من قبل ابن العميد للصاحب بن عباد، ولا يُعرف على وجه الدقة سبب كتابة هذه الرسالة، ولكن على ما يبدو أن سوء تفاهم حصل في مجلس ركن الدولة البويهية وهذا ما دفع ابن العميد مكاتبة الصاحب بخصوص أمر ما.

وقال ابن حمدون في الرواية السادسة والعشرون: "ومن كلام أخي أبي نصر الحسن بن الحسن بن حمدون: وقد كان الاحتياطُ من طعنِ الغائبِ يقتضيني إخلاءَ هذا الجمعِ مما يُتهمُ هوايَ فيه، وحكمُ الإنصافِ عليّ بأن أُوقِيَه حَقُّه إذ كان لاحقاً بالقدماءِ في صناعتِهِ؛ تشهد له بذلك رسائله"^(٢).

وهذه الرسالة قصيرة نقلها ابن حمدون عن أخيه وجاءت كحكمة وموعظة، ويُفهم من خلالها شروط مكاتبة الرسائل بعدم الغيبة والاعتراف بكفاءة من يكتب.

(١) التذكرة، ج ٦، ص ٣٤٥.

(٢) التذكرة، ج ٦، ص ٣٧٥.

بينما ذكر في الرواية السابعة والعشرون: "رسالة كتبها جواباً عن تاج الدولة أبي طالب بن الطاهر نقيب الطالبين إلى أبي عبد الله أحمد بن علي بن المعمر.

أوصل إليّ فلان - أدام الله علوّ الجانب الفلاني وقدرته، ورفع في الآخرة كما رفع في الدنيا درجته، وكملّ بنيل الأمانى جذله ومسرّته، وأضاء باتّصال البشائر والتهاني لديه أسرّته، وجملّ بطول بقائه عترته الطاهرة وأسرّته - كتاباً كريماً يشتمل على ضروب من البرّ وفنون، وأبكار من الطّول المتتابعة أمداده اليّ وعون، وفضل يذعن له بالسبق كلّ ذي براعة وخطّ، يهزأ حسناً بما تخطّه يد كلّ ذي براعة وتصرّف في العبارة، لم يكن للصّاحب ولا ابن العميد، وتمكّن في البلاغة لم يعطه مولى العلاء بن وهب عبد الحميد، ويقسم للمعاني التي ركّبت في جسد الكلام روحاً، وجعلت صدر قارئها وسامعها بالالتذاذ بها مشروحاً^(١).

ضمّت هذه الرسالة الكثير من التعابير الجميلة والجمال المسجوعة، ويظهر بأن هذه الرسالة جاءت جواباً على رسالة كان قد أرسلها ابن المعمر لتاج الدولة أبو طالب، وكان ياقوت الحموي قد ذكر في ترجمة ابن المعمر: "أحمد بن علي بن المعمر، أبو عبد الله النقيب الطاهر، نقيب نقباء الطالبين ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم: أديب فاضل شاعر منشىء، له رسائل مدونة حسنة مرغوب فيها يتداولها الناس، وبينه وبين محمد بن الحسن بن حمدون مكاتبات"^(٢)، وهذا يعني أن الرسائل بينه وبين أبو نصر أخ ابن حمدون كانت رائجة ومتبادلة بكثرة.

وشابهت الرواية الثامنة والعشرون ما سبقها من روايات، قال صاحب التذكرة: "وكتب إلى صديق له من البغداديين انتقل إلى الموصل وصار إليها، وعرض فيها بذكر الجمال محمد بن علي الأصبهاني، وزير الشام والموصل، المشهور بالأفضال والجود.

سيّدنا - أطال الله بقاءه، وأدام ارتفاعه إلى فلك المعالي وارتقائه، ويسرّ له كلّ أرب تسمو نحوه همته - وصلّ النّجح لقاءه، وضاعفّ عناء حسوده الرّاغم وشقائه - حُجّة بغداد على مَنْ جدّد فضلها، ولسانها المجادل بالحقّ لمنّ عاند أهلها، وعنوان ما خصّها الله به من المحاسن التي لا ينكرها إلا ظالم معتدّ، ولا يخالف عليها إلا كلّ جائر عن القصد غير مُهتدّ"^(٣).

وهذه الرسالة طويلة جاءت بحوالي الخمس صفحات، ضمت مناقب الأصفهاني، من كرم وجود وأخلاق حميدة، وسيرة حسنة مع الرعية، وقد حوت الكثير من التعابير الجميلة والجمال المسجوعة.

(١) التذكرة، ج ٦، ص ٣٧٦.

(٢) معجم الأديباء، ج ١، ص ٤٠٦.

(٣) التذكرة، ج ٦، ص ٣٧٧ - ٣٨١.

وتناول ابن حمدون واقعة لقاء الخليفة المسترشد بالله العباسي مع السلطان السلجوقي مسعود بن محمد، في الرواية التاسعة والعشرون، والتي جاءت في الباب السادس والثلاثين الموسوم "في الكهانة والقيافة" بقوله: "ولما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد ونزل بذات مرج وقع على الشمسية التي ترفع على رأسه طائراً من الجوارح وألحّ، كلما نفرّ عاد؛ فتفاعل الناس له بذلك وسرّ هو به، فقال له إنسان يعرف بملك دار: هذا جارج ومنقبض الكف وليس فيه بشرى بل ضدها. وأقبل السلطان في جيشه وكانت الكسرة وقبض على المسترشد، وقتل من بعد" (١).

جرت هذه المعركة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م بين جيش الخلافة العباسية بقيادة الخليفة المسترشد بالله، وجيش السلاجقة بقيادة السلطان مسعود - سلف الإشارة إليها - وقد مُني جيش الخلافة بهزيمة قاسية وانتهت بمقتل الخليفة العباسي.

لم يكن ابن حمدون يعيش في برجه العاجي يُدَوّن -فقط- مشاكل الخلفاء أو القادة، بل أطل برأسه على مشاكل الناس وهمومهم وأفراحهم بعد أتراحهم، فأفرد في تذكرته باباً خاصاً لمن جاءهم اليسر بعد العسر، وذلك في الباب السابع والثلاثين من خلال ست روايات، فجاءت الرواية الثلاثون طويلة تتحدث عن ما حصل مع أسفهلار مقدم الخراسانية مع السلطان محمد بن ملكشاه، قال ابن حمدون: "حدثني النقيب أبو الغنائم ابن المختار العلوي قال: حدثني أسفهلار (٢) شيخ مقدم الخراسانية على باب محمد بن ملكشاه قال: لما قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن علي الآبي وصلبه (٣)، قبض على أصحابه ومن جملتهم أبو إسماعيل الكاتب المنشيء وسلمه إليّ، وكان صديقي وله عليّ حقوق ... " (٤).

وفحوى هذه الرسالة بأن السلطان محمد أعطى الأمر بإلقاء القبض على سعد بن محمد الآبي، أبو المحاسن، وكان وزيره، وكان سبب ذلك بأن السلطان محمد بلغه بأن سعد كان يعمل على تدبير مؤامرة للإطاحة به، فألقي محمد القبض عليه وقتله سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، وكان أبو إسماعيل الكاتب

(١) التذكرة، ج ٨، ص ٢٧-٢٨.

(٢) الأصفهلار أو الاسفهلار، كلمة مكونة من لفظين، أحدهما فارسي وهو «أسفه» ومعناه المقدم، والثاني تركي وهو «سلار» ومعناه العسكر، فكان معناها: «مقدم العسكر». الفلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٤٨٣.

(٣) سعد بن محمد الآبي، أبو المحاسن، سعد الملك، كان وزيراً للسلطان محمد بن ملكشاه، وكان سبب قتله بأن السلطان محمد بلغه بأن سعد كان يعمل على تدبير مؤامرة للإطاحة بالسلطان، فألقي محمد القبض عليه وقتله سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٠٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٩٤.

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ٦٩.

من أصحاب الوزير المقتول، فسجنه ولكنه عاد عن قراره وأخرجه من السجن واتخذته كاتباً له، لخطه وفصاحته.

ونقل ابن حمدون في الرواية الحادية والثلاثون، عن شخصٍ تمكن من النجاة بعد أن أُحْدق به الموت، بقوله: "كنت واقفاً على فرسي بسوق الخيل، وبهروز الخادم^(١) إذ ذاك والي بغداد، وقد ورد الخبر بتولية آخر مكانه. وقد أخرج من حبسه اثنين: أحدهما قاطع طريق والآخر عليه قود، وقدماً للقتل، فبدأ بقاطع الطريق فقتل، ثم قُرب الآخر إلى السيف فطلعت خيل آخر، فاشتغل أصحاب بهروز وأعادوا الرجل إلى الحبس، ونحن وقوف؛ وخرج منه أصحاب الجرائم وذلك الرجل فيهم وهو يحجل في عتلته، وتبعه أرباب الدم وكانوا أطفالاً ونساء فعجزوا عنه وهرب حتى لحق بالدار السلطانية، واعتصم بها فنجا"^(٢).

وقال في الرواية الثانية والثلاثون: "حُدثُ عن نجاح الخادم المسترشدي قال: أعطيت رقعة عن محبوس ونحن بخلوان في الخدمة المقتفية، فعرضتها بين يدي فوقع فيها: ليُخْلَد في السجن، فانزعجت وقلت في نفسي: ليتني لم أكن عرضتها، ولم يكن لي فيها حيلة، فإنه وقع فيها وألقاها بين الرقاع لتخرج في الجمع إلى الوزير على العادة، قال: ثم أعاد التأمل للرقاع فوقعت تلك الرقعة في يده، فخرق التوقيع الأول ووقع: يُسأل عن حاله؛ وألقاها في الجمع، ثم قلب الرقاع فعادت في يده، فخرق التوقيع الثاني ووقع فيها: ليُفْرَج عنه"^(٣).

ويُلاحظ أنَّ جزءاً وافياً من المشاهدات التي سجلها ابن حمدون كانت نقلاً عن بعض الرجال المتنفذين في الدولة العباسية، وهذا يدل على المكانة العالية التي حظي بها ابن حمدون سواءً في حكم الخليفة المقتفي أو المستنجد.

وخصّصت الروايتان الثالثة والثلاثون والرابعة والثلاثون، لذكر ما حصل لإسفنديار بن رستم^(٤) مع الخليفة المسترشد بالله العباسي، والوزير دبيس بن صدقة^(٥).

(١) بهروز الخادم ابن عبد الله، أبو الحسن مجاهد الدين، خادم السلطان مسعود السلجوقي، ولي إمرة بغداد والحلة سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م، وله مآثر فيها، منها أنه عمّر دار السلطان والجامع، وسدّ البثوق، وأسكر السكور، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٦م. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ٢٤٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٢٠، ص ٣٥٦.

(٢) التذكرة، ج ٨، ص ٧٠.

(٣) التذكرة، ج ٨، ص ٧١.

(٤) لم يقف البحث على ترجمة له.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٧١.

وجاءت الرواية الخامسة والثلاثون في غاية الأهمية، يصف فيها ابن حمدون حالة فقدان الأمن الذي كانت تسود تلك الحقبة بقوله: "حدثني أبو الحارث ابن المعجون المغني، قال: كنت في شرب بالكرخ وقد صلب الشحنة جماعة من العيارين على باب المساكين، فلما انتصف الليل تعاطى الجماعة شدة القلب والجلد، فقالوا: من يخرج فيقف على هؤلاء المصلوبين في هذا الوقت ويأتي بعلامة منهم؟ فانتدب أحدهم، فلما وصلهم رأى رجلاً منهم يتضور في خناقه، فدنا منه فوجده حياً، وقد وقع الحبل تحت حنكه، وهو بأخر رمق؛ فأرخى الحبل وحطه وحمله على ظهره إلينا، وقال: هذه علامة لا تنكر، وعاش الرجل، فكان ما تعاطاه أولئك الجهلة في نصف الليل سبباً لحياته واستنقاذه"^(١).

للهولة الأولى يتبين أن هذه الرواية تحكي قصة شخص كان على حافة الموت ولكنه نجا في اللحظات الأخيرة، ولكنها بالمقابل تعبر بشكل غير مباشر على حالة الفلتان الأمني التي كانت تعاني منها بغداد في تلك الحقبة، فقد نشط العيارون فيها، ودخلوا في مواجهات دامية مع شرطة الخلافة العباسية من جهة، وأحياناً مع شحنة بغداد من جهة أخرى، واستمروا على هذه الحال سنوات طوال، ويذكر ابن الجوزي: "وكان للعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يطوفون الخانات والرجبة والصيارف والجوهريين، فإذا عاينوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه"^(٢).

وشابهت الرواية السادسة والثلاثون ما سبقها من روايات، نقلها ابن حمدون عن صديق له يدعى ابن الباقوني، وتحدث عن ما حصل معه أثناء حبسه، وكيف تمكن من النجاة^(٣).

كان ابن حمدون يدرك جيداً أن في عصره - على الرغم من مشاهد الترف التي كانت تتبدى على البعض - هناك من تصح عليه مقوله إن دوام الحال من المحال، وأن الغنى قد يأتي بعد الفقر، والعكس صحيح، لذلك أفرد في الباب الثامن والثلاثين المخصص لهذا الموضوع مشاهدتين، فقال في **الرواية السابعة والثلاثون**: "ومثل هذا كثير لا يحصى، وقد رأينا في عصرنا مسعود بن المؤمل ابن الهيبي اليهودي، ملك مائتي ألف دينار عيناً وأجناساً وقروصاً، ثم رأيناه بعد وقد أسلم وهو يطلب رغيف خبز من اليهود يقاته في السوق مكانه"^(٤).

(١) التذكرة، ج ٨، ص ٧١-٧٢.

(٢) المنتظم، ج ١٨، ص ٣٠.

(٣) التذكرة، ج ٨، ص ٢١.

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ١٠٦.

أورد ابن حمدون هذه الرواية كدليل على أن الحياة مُتقلبة الظروف، ولكن السؤال المطروح هنا، لماذا ذكر ابن حمدون بأن ابن الهيثمي اليهودي كان يملك هذا المبلغ الكبير من المال؟

ذكر الرحالة بنيامين التطيلي عندما زار بغداد بأن عدد اليهود الذين يسكنون فيها بلغ أربعون ألف يهودي^(١)، وقد حرص اليهود على ممارسة الأعمال والمهن التي تدر عليهم الأموال، فتركز عملهم في الأمور المالية والمصرفية، فعملوا في التجارة والصياغة والمصارف، ويمكن تسويق نجاح اليهود بهذا النوع من المهن نتيجة موقف الإسلام من الربا والاحتكار^(٢)، وبذلك كان من الطبيعي أن يكون اليهود من أغنى فئات المجتمع.

بينما ذكر في الرواية الثامنة والثلاثون قصة مشابهة قائلاً: "ورأينا نصر بن الدريج^(٣) ملك ستين ألف دينار عيناً سوى ما له من الأملاك والعقار، ثم احتاج حتى كتب رقاعاً يستميح الناس، ومات على تلك الحال"^(٤).

وجاءت الرواية التاسعة والثلاثون في الباب الثاني والأربعين الموسوم "في الحيل والخدائع"، وهي رواية نقلها ابن حمدون عن بهروز الخادم والي العراق آنذاك^(٥).

أما الرواية الأربعون، فقد وردت في الباب السابع والأربعين الموسوم "في أنواع السير والأخبار وعجائبها".

وهي رواية حملت بين سطورها طُرفةً، وفحواها أن حاجباً في دار الخلافة يُدعى ابن الحسام أحب امرأة وأراد مواعدها، أما هي فذهبت إلى صائغ وطلبت منه أن يعد لها خُلِياً على شكل جُنيٍّ، واستغلت الرجل لذلك، قال ابن حمدون: "وقد اتفق في عصرنا مثلُ هذا، كان من حواشي دار الخلافة حاجبٌ يُعرفُ بابن الحسام، عظيم الخَلقة وحشيُّها، ومع هذا يميلُ إلى النساء ويظنُّ أنهنَّ يَهوينه فتعرّضت له امرأة وأطمعته في نفسها، وواعدته دكان بعض الصاغة، وأن يكون اجتماعهما هناك، فترزّن وتأهّب وقصد ذلك الدكان ينتظرها، وأبطأت المرأة، فلما فرغ الصائغ من مراده قال له: يا سيدي

(١) الرحلة، ص ٣٠٠.

(٢) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي، ص ١٩٢.

(٣) لم يقف البحث على ترجمة له، ولكن من المرجح أن نصر هذا كان من اليهود الذين عملوا في الصيرفة، حيث أن ابن حمدون تحدّث عن ابن الهيثمي في الرواية الأولى وبتعها حديثه عن نصر بن الدريج .

(٤) التذكرة، ج ٨، ص ١٠٦.

(٥) التذكرة، ج ٨، ص ٢٣٨.

قم في دعة الله، قال له: ويلك! وما ذاك؟ قال: إن امرأة استعملتني صورة جنّي، فقلت: ما رأيت جنّيًا قطّ، فقالت: أنا أنفذ إليك رجلاً هو الصورة المطلوبة، وقد رسمت لها ما أردت، فشتمه وانصرف^(١).

شكلت هذه المشاهدات - على الرغم من عددها القليل - إضافة قيمة للتذكرة لما تضمنته من بعض الرسائل التاريخية المهمة، إضافة إلى بعض المشاهدات التي ألقت الضوء على بعض المظاهر الاجتماعية التي عاصرها ابن حمدون.

(١) التذكرة، ج ٩، ص ٣٤٨.

جدول بالمشاهدات الشخصية التي وردت في التذكرة

الرواية	الباب
الرواية الأولى	الباب الثالث الموسوم " في الشرف والرئاسة والسيادة "
الرواية الثانية	الباب الرابع الموسوم " في محاسن الأخلاق ومساوئها "
الرواية الثالثة	الباب الخامس الموسوم " في السخاء والجود والبخل واللؤم "
الرواية الرابعة	الباب الخامس الموسوم " في السخاء والجود والبخل واللؤم "
الرواية الخامسة	الباب الخامس الموسوم " في السخاء والجود والبخل واللؤم "
الرواية السادسة	الباب الخامس الموسوم " في السخاء والجود والبخل واللؤم "
الرواية السابعة	الباب الخامس عشر الموسوم " في العهود الوصايا "
الرواية الثامنة	الباب السابع عشر الموسوم " في المدح والثناء "
الرواية التاسعة	الباب السابع عشر الموسوم " في المدح والثناء "
الرواية العاشرة	الباب الثامن عشر الموسوم " في التهاني "
الرواية الحادية عشرة	الباب الثامن عشر الموسوم " في التهاني "
الرواية الثانية عشرة	الباب الثامن عشر الموسوم " في التهاني "
الرواية الثالثة عشرة	الباب التاسع عشر الموسوم " في المراثي والتعازي "
الرواية الرابعة عشرة	الباب العشرين الموسوم " في العيادة والمرض "
الرواية الخامسة عشرة	الباب الثالث والعشرين الموسوم " في الهجاء والمزمة "
الرواية السادسة عشرة	الباب الثالث والعشرين الموسوم " في الهجاء والمزمة "
الرواية السابعة عشرة	الباب الثالث والعشرين الموسوم " في الهجاء والمزمة "
الرواية الثامنة عشرة	الباب السابع والعشرين الموسوم " في الأوصاف والنوعت "
الرواية التاسعة عشرة	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية العشرون	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية الحادية والعشرون	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية الثانية والعشرون	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية الثالثة والعشرون	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية الرابعة والعشرون	الباب التاسع والعشرين الموسوم " في الغزل والنسيب "
الرواية الخامسة والعشرون	الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل "
الرواية السادسة والعشرون	الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل "

الرواية السابعة والعشرون	الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل "
الرواية الثامنة والعشرون	الباب الحادي والثلاثين الموسوم " في المكاتبات والرسائل "
الرواية التاسعة والعشرون	الباب السادس والثلاثين الموسوم " في الكهانة والقيافة "
الرواية الثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية الحادية والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية الثانية والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية الثالثة والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية الرابعة والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية الخامسة والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية السادسة والثلاثون	الباب السابع والثلاثين الموسوم " ما جاء في اليسر بعد العسر "
الرواية السابعة والثلاثون	الباب الثامن والثلاثين الموسوم " في الغنى والفقر "
الرواية الثامنة والثلاثون	الباب الثامن والثلاثين الموسوم " في الغنى والفقر "
الرواية التاسعة والثلاثون	في الباب الثاني والأربعين الموسوم " في الحيل والخدائع "
الرواية الأربعون	الباب السابع والأربعين الموسوم " في أنواع السير والأخبار وعجائبها "

جدول من صنع الطالب

الخاتمة

هي تذكرة أراد مؤلفها أن تكون "تذكرة للناسي، وتبصرة للساھي، فيستخرج منها أدباً يقدح من زنادها قبساً، ويكشف بضيائها لبساً"

والدراسة وهي في طور الاكتمال المبتغى، وبعد رحلة طويلة في حياة ابن حمدون وتذكرته، توصلت لعدة استنتاجات منها:

❖ فيما يخص عصر المؤلف:

١. لقد كان عصر المؤلف عصرًا عُرِفَ بالاضطرابات وكثرة المشاحنات من أجل الاستيلاء على السلطة، وكان حصاد هذه الروح التنافسية القائمة على القوة والدم سلسلة من المتاعب التي فرضت نفسها على الحياة العراقية، أما ابن حمدون فلم يكن بمعزل عن هذه الأحداث، فقد ولَّاه المقتفي لأمر الله العباسي وظيفة عارض الجيش في خضم الصراع مع السلاجقة، فكان له أثر مهم في الانتصارات التي حققها جيش الخلافة العباسية على السلاجقة.
٢. كان هذا العصر، عصر المؤامرات والدسائس، لذلك من المرجح أن تكون إحدى هذه المؤامرات قد أطاحت بابن حمدون على الرغم من قربه من الخليفة المستنجد بالله، وانتهى به الأمر ميتاً في سجنه، وهذا ما بدا جلياً في مقدمة تذكرته، حيث قال أنه ألف كتابه "حين بدل الصفو بالكدر، وغيّرت بني الأيام الغير، وخان الإخوان، وأوحش الأنيس، وخيف الجليس، وصار مكروه العزلة مندوباً" فهذا يدل على حالة نفسية صعبة رافقت ابن حمدون خلال تأليفه للتذكرة.

❖ فيما يخص منهج ابن حمدون في التذكرة:

١. أعطى ابن حمدون للأمانة العلمية حقها حين قال: "هذا كتاب جمعته من نتاج الأفكار، وطُرف الأخبار" ويلاحظ هنا أنه قال جَمَعْتُهُ ولم يقل أَلَفْتُهُ، وبذلك حفظ حقَّ غيره عندما نقل نتاج أفكارهم وما أبدعوه في كتبهم.
٢. يُستنتج أيضاً بأن ابن حمدون كان يمر بظروف استثنائية أثناء جمعه للتذكرة، فقد كان يعاني نوعاً من العزلة، وفضل معاشرته الكتب على معاشرته الناس، حيث دونَ كتابه والوحدة قد ضربت سياجها حوله، وقيدته العزلة بسلاسلها، وجعلت كلَّ محبوبٍ مكروهاً لديه.
٣. لم يكن ابن حمدون يصرّح بموارده، وهذه السمة العامة في التذكرة بمختلف أبوابها، وما صرّح به كان قليلاً نسبياً بالنسبة لحجم التذكرة، فقد بلغ عدد المصادر التي صرّح بها ابن حمدون ستة عشر مصدراً فقط.

٤. في بعض الأحيان، كان ابن حمدون يورد الرواية وينسبها لأكثر من قائل في الوقت ذاته، وقد يعود ذلك إلى أنه كان في سباق مع الزمن، فقد ذكر بأنه لم يكن يملك الوقت الكافي لمراجعة ما كتبه، حتى أنه طلب من المطلع على التذكرة أن يعفو عنه بسبب أي خطأ قد وقع فيه، لذلك من المرجح أن ابن حمدون عندما نقل من موارده المختلفة، لم يُجرِ عملية تدقيق في الروايات وبذلك أخذ الروايات كما وردت في مصادرها الأصلية سواء كانت صحيحة أم خاطئة، أو كانت منسوبة لشخص أم لآخر.
٥. وفي حالاتٍ أخرى، يذكر ابن حمدون الرواية نفسها في أكثر من موضع في التذكرة، ويمكن تسويغ ذلك، بأن ابن حمدون استغرق سنواتٍ عدة في جمع مادة التذكرة قبل تدوينها، فكان من غير المستبعد أن يكون قد سهى وأعاد كتابة رواية كان سبق وكتبها في موضع آخر.
٦. أورد ابن حمدون الكثير من الأبيات الشعرية لشعراء لم تثبت في دواوينهم، وبذلك ساهم بحفظ الكثير من الأشعار المفقودة.
٧. كان ابن حمدون يضيف بعض التعقيبات والشروحات تعليقاً على ما نقل ووثق في تذكرته، حيث أغنت هذه الملاحظات التذكرة بشكل كبير.
٨. وردت الأحاديث النبوية في متون التذكرة بدون إسناد، وهذا ما أوقع الخلط بين أحاديث الرسول S وأحاديث غيره، إضافة إلى أن ابن حمدون خلط في بعض الأحيان بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة والموضوعة.
٩. يستتج أيضاً بأن كتابات ابن حمدون لا تتم عن ميلٍ أو هوى، فكانت حيادية ومحكومة بالموضوع المتناول، وجاءت الأدعية في فواتح الأبواب من إنشائه.

❖ فيما يخص موارد التذكرة

١. شكلت كتب الأدب العامة الركيزة الأساسية التي قامت عليها التذكرة الحمدونية، فقد بلغ عدد الموارد التي اقتبس منها ابن حمدون رواياته اثنين وسبعين (٧٢) مورداً ألفها سبعة وأربعون (٤٧) مؤلفاً.
٢. عُرِفَت الكثير من الموارد التي لم يصرح ابن حمدون بأسماء مؤلفيها من خلال النقل الحرفي للروايات، إضافة إلى نقل صفحاتٍ كاملةٍ من بعضها.
٣. اعتبرت الدواوين الشعرية أهم ركائز التذكرة، حيث بلغ عددها أربعة وستين (٦٤) ديواناً شعرياً.
٤. استقى ابن حمدون مادة كتابه التاريخية من خلال كتب الأدب إضافة إلى بعض الموارد التاريخية المهمة، وقد انفرد بذكر الكثير من الروايات التي لم تورد في معظم المصادر التي وقف عليها البحث.

٥. كان من الصعوبة تحديد منهج ابن حمدون في كتابته للأحداث التاريخية، وذلك لسببين اثنين: الأول: أن جلّ المصادر التي اعتمد عليها هي موارد أدبية، والمقصود هنا ذات صبغة أدبية ولا يعني ذلك أنها ليست تاريخية، حيث أن كتب الأدب، تعد من أهم المصادر التاريخية وإن كانت تحتاج إلى التريث والمهارة في استقاء المادة التاريخية منها، والثاني: هو أن الباب التاسع والأربعين من التذكرة المخصص للتاريخ قد سقط من القطعة المخطوطة، فمن المؤكد أن شخصية ابن حمدون ومنهجه التاريخي كانا جليئين دون أدنى شك في هذا الباب الذي يوضّح وجهة نظره في التاريخ، والسؤال هو: هل سجل هذا الباب الأحداث على طريقة الحوليات ولو باختصار؟ أم كان سيتابع على نهج أبواب التذكرة نفسه بذكر قصص ذات عبرة وفائدة؟

٦. أما فيما يخص الأحاديث النبوية، فإن قسماً كبيراً منها اقتبسه ابن حمدون من كتب الأدب التي كان ينقل منها، أي أن كتب الصحاح والسنن والمسانيد لم تكن هي مصادر الحديث الوحيدة.

٧. أما مشاهدات ابن حمدون الشخصية، فبلغت أربعين رواية، وهو عدد صغير إذا ما قيس بحجم التذكرة.

وجاءت معظم هذه الروايات تعبيراً أو وصفاً لحالة اجتماعية سائدة سواء عن الفقر أو الغنى، أو من ضرب به مثلٌ بالكرم والجود أو البخل، وقد تفاوتت هذه الروايات من حيث الأهمية، فقد ذكر بعض الروايات التي يمكن عدّها كوثيقة تاريخية مهمة، مثل الرسالة التي أرسلها الخليفة المقتفي لسلطان سلاجقة الروم يهنئه بالانتصار على الفرنجة، أو العهد الإمامي الذي أُصدر من قبل ديوان الخلافة العباسية بتنصيب عبد يشوع جاثليقاً على المسيحيين في بغداد، حيث لم تذكر المصادر التاريخية هذا العهد، وانفرد ابن حمدون بذلك.

ولكن ما يؤخذ عليه، أنه كان بإمكانه أن يشارك أكثر في تسجيل أحداث عصره ضمن التذكرة، فهو المعاصر لأهم الحقب في تاريخ العرب والإسلام.

وفي الختام وعلى الرغم مما اعترى التذكرة من هفوات تُحسب في العصر الحالي هفوات منهجية، إلا أنها تبقى موسوعةً علميةً فكرية شاملة، تستمدُّ أهميتها من العصر الذي دونت فيه، تُغني العقل وتزيد ثقافته، وتُضاف كلبنة مهمة في مدمالكِ أساس من مداميك بناء المعرفة والثقافة العربية الإسلامية.

يضاف أخيراً أن أهمية دراسة موارد الموسوعات تأتي في أنها تصلك إلى موارد جديدة أخرى لم يسبق وأن اطلّع عليها، وتفتح أفقاً جديدةً في فهم فلسفة التاريخ وضرورة وجود منهج علمي تاريخي

وعقل نقدي وثّاب قادر على استقراء الأحداث وربطها زمانياً ومكانياً واستخلاص مخرجات جديدة وبذلك تتحقق غاية البحث التاريخي التي نصبو إليها جميعاً.

هي دعوة تتكرر لأنها ستقدم للقارئ متعة ربما لم يذق طعمها من قبل، وسيجد فائدة في كثرة المعلومات ورقة المفردات وانسيابية اللغة الجذلى، هذه خلاصة بعد رحلة بحثٍ ودراسة في الموارد والمصادر امتدت سنواتٍ عدة.

الملاحق

ملحق ١

مخطوطة المغنى في الطب ورقة ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ الجليل أبو الحسن سعيد بن هبة الله الطبيب
الحسن أن أولى ما نطق به اللسان وثبت به هاتك في الحيات
للحد لمدير الأيمان الذي وجد الخلق بقدرته - وفضل
الإنسان على جميع ما خلقته - وجعله عالما متوسطا في الأزل
والكون بما دته ومصوره - وإلى دفع المضار عنه ذاته بجهد
وطاقته - وجعل له الحواس الخمس مآرا لهداياته - وشرقا للعقل
الذي خلقه به لصااته وحجته - فجاء ذلك لاختلافها
في وصف ذاته - أهداه على سبوح نعمته حتى معرفته بفضله ورائته
فلا رغبته إلى الله في ادمه أيام من خلقه بتدبير
الأمم - بحجة العلوم - وعلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الأمام
المقتدى بأمر الله - أطال الله بقاءه - ودام على الحقيقة طلعه
ونهاكه الذي نشر الفضايل بعد طيلها - وأظهر العلوم بعد دسها
وعلم الحقيقة لأهلها - فلما رأى العبد الخادم أيامه الظاهرة ومناقبه
الباهرة - أثران يصف لمولانا كتابا طبيا مختصرا مضيا - في
معرفة الأمراض وأسبابها وعلاجاتها ومدلولاتها لاضطرار الناس إلى
وجودها - واعلم على طاعتها - فلذلك قال الحكماء أن
المطالع عن خير من ذلك - وهذا الشأن لا يتم للإنسان إلا بمول
إلهها الأبالغة لأن الله المستغاده من هذه الدنيا الخيرة
الموجودة في الآخرة - وصحة البدن انما تتم بالصناعة الطبية ولهذا
السبب صارت أشرف الصنائع قدرا وأجلها حظرا لأنها حافظ
للصحة الموجودة ورأه للصحة المفقودة لأن الطريق المؤدي إلى
علمها

علمها كما كان طويلا والعناء اللاحق لأربابها شديدا عظيما والشاهد
بذلك إقرار الحكماء بأنه قال المرفصير والعلم طويل والوقت ضيق والجزء
خطوة والمضاعفة وأشار بذلك إلى أن عمر الإنسان وإن طال فإنه يقصر
عن استيفاء ما للصناعة الطبية محتاجة إليه لأن الطبيب يقتصر على تحصيل
القوانين العلمية وإلى تجربة ما يحصله واستماته بالعمل ولهذا العلم لعبت
الأفعال وتنوعت الأفعال فيها فلم تعد بها الواحد وبهذا السبب دعت
الفضلا والحاجة إلى تدوين الصنائع ليكون الثاني يتسلم ما دونه الأول
وبزينة ويكون أيضا تذكرة الأول لئلا ينساه والزمان ينضب أيضا عن
اعتبار الأفعال الجزئية لكونها في مادة شائلة فيحتاج الإنسان إلى رياضة
شديدة فيما يعاينه حتى يفضله - لأنه إذا حصلت منه حال تغيرت في
زمان آخر إلى حال آخر ولهذا السبب قرن جالينوس العلم بالحفايق لأنه
يتم بالفقائين الكليية والعلم بالحدوث لأنه يتم بمراجعة الأشياء الجزئية ولهذا
العلم يجزم - ولا استخراج للصناعة الطبية اللتان هما التجربة والقياس
والفجيرة وحدهما غير مأمونة بل خطوة لأنه يستعمل ما يستعمل به غير قياس ولا
أحكام صناعي وأكثر الأمر غير ظاهر للعين وهذا يحتاج إلى استدلال وفحص
ولا استدلال لا يتم بالقياس والقياس غامض غير والدليل على ذلك الخلاف
الواقع بين القدماء فيه فالطبيب يحتاج في فهم الأمراض إلى النظر في المقاييس
واستنباط الدلائل الخاصة وكل واحد من الأمرين ليقف بذلك على حال الأمراض
فإنه إن لم يفعل ذلك لم يعرف المرض ومن لم يعرف المرض لم يقدر على شفايه
فلمصعبه هذه الأمور وطولها صار ميل المحدثين إلى النظر في الكتب المختصرة
التي يتضمن ذكر الدواء وصفة الدواء على سبيل الإيجاز والاختصار - فلهذا
السبب جعلت قصديا فيما ذكرته في هذا الكتاب من علم الأمراض وأسبابها
وأعراضها وبهذا طريقا متوسطا معينا في الاستغناء عن استصحاب الكتب

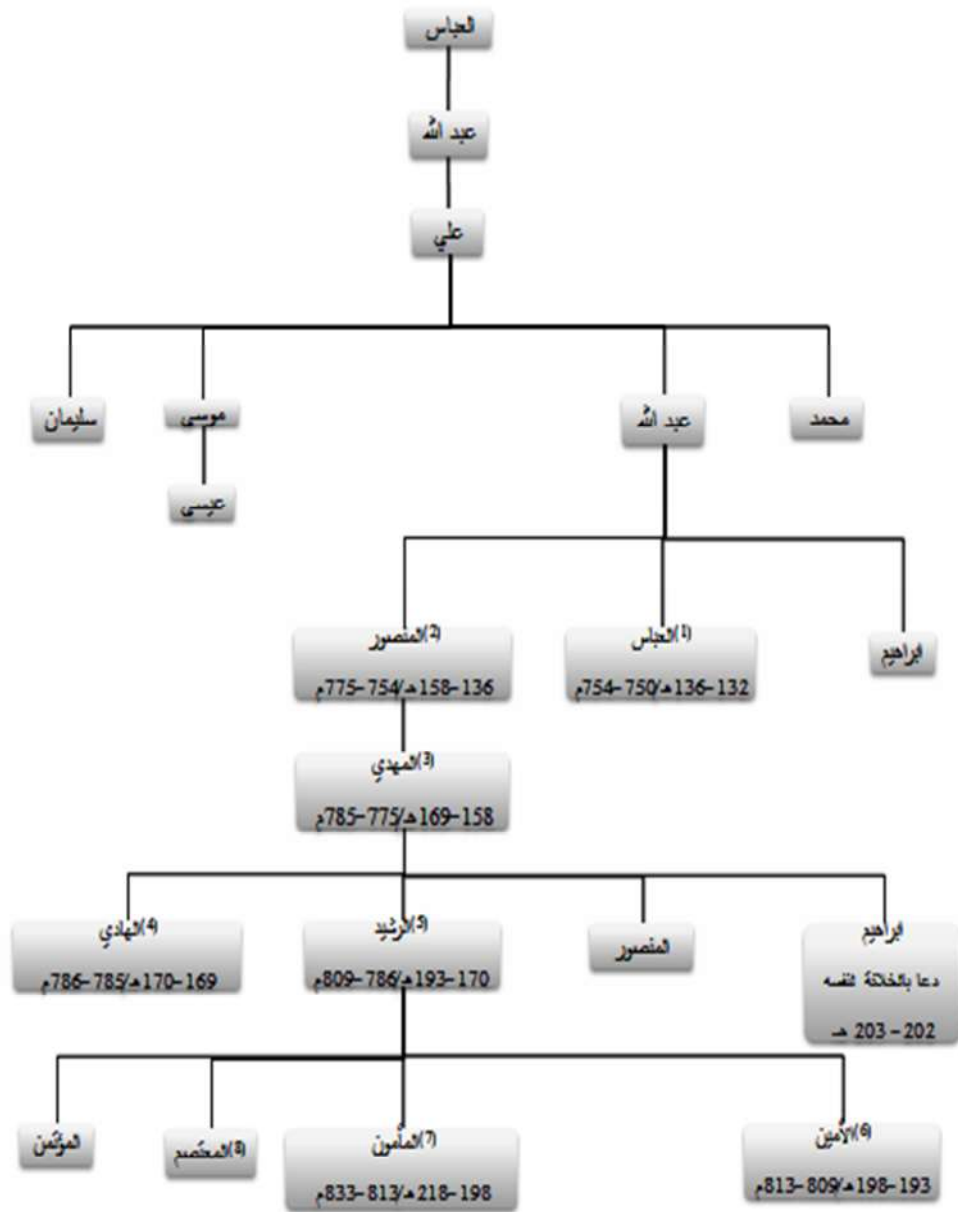
ملحق ٢

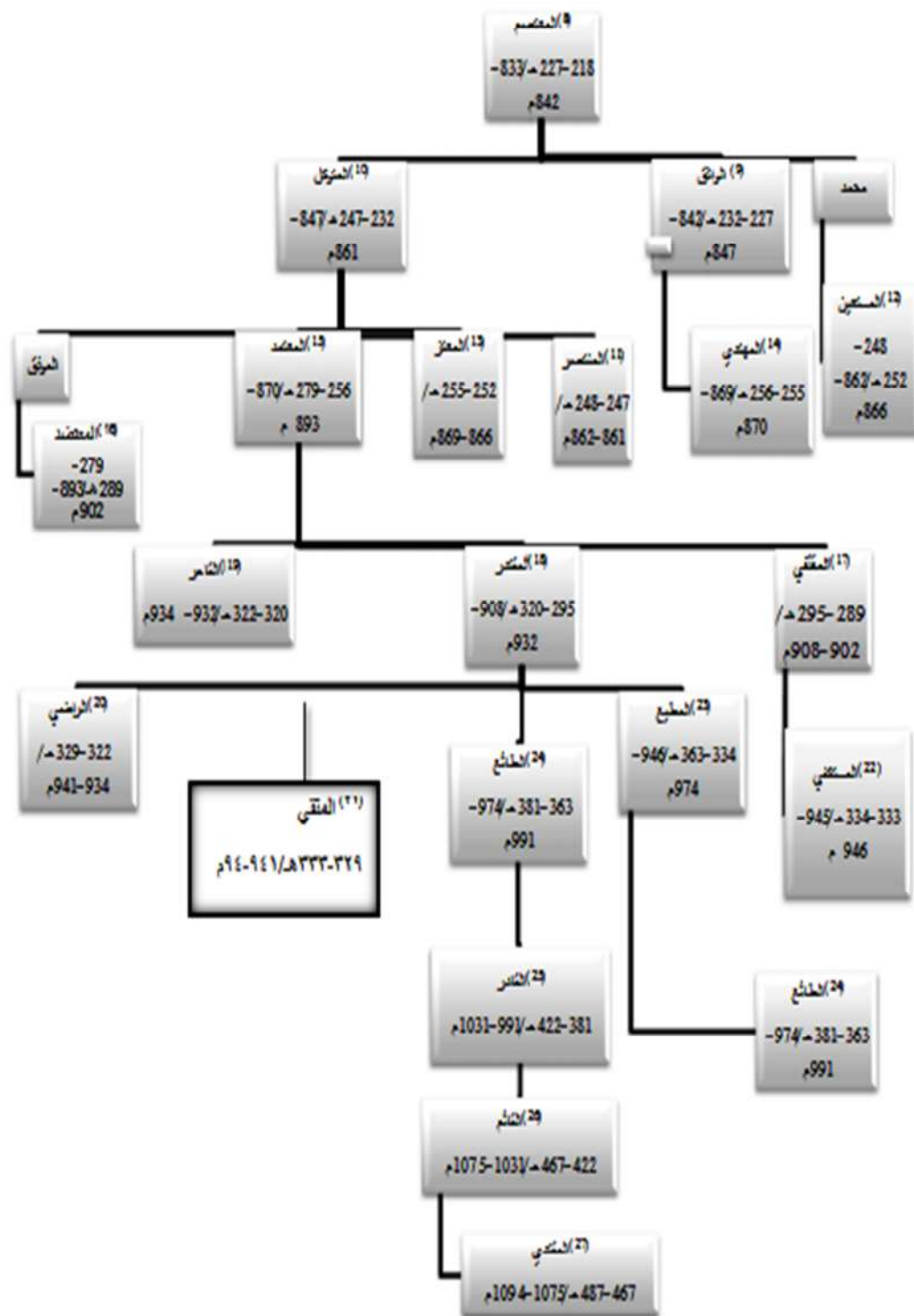
مخطوطة منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ، ورقة ١/و

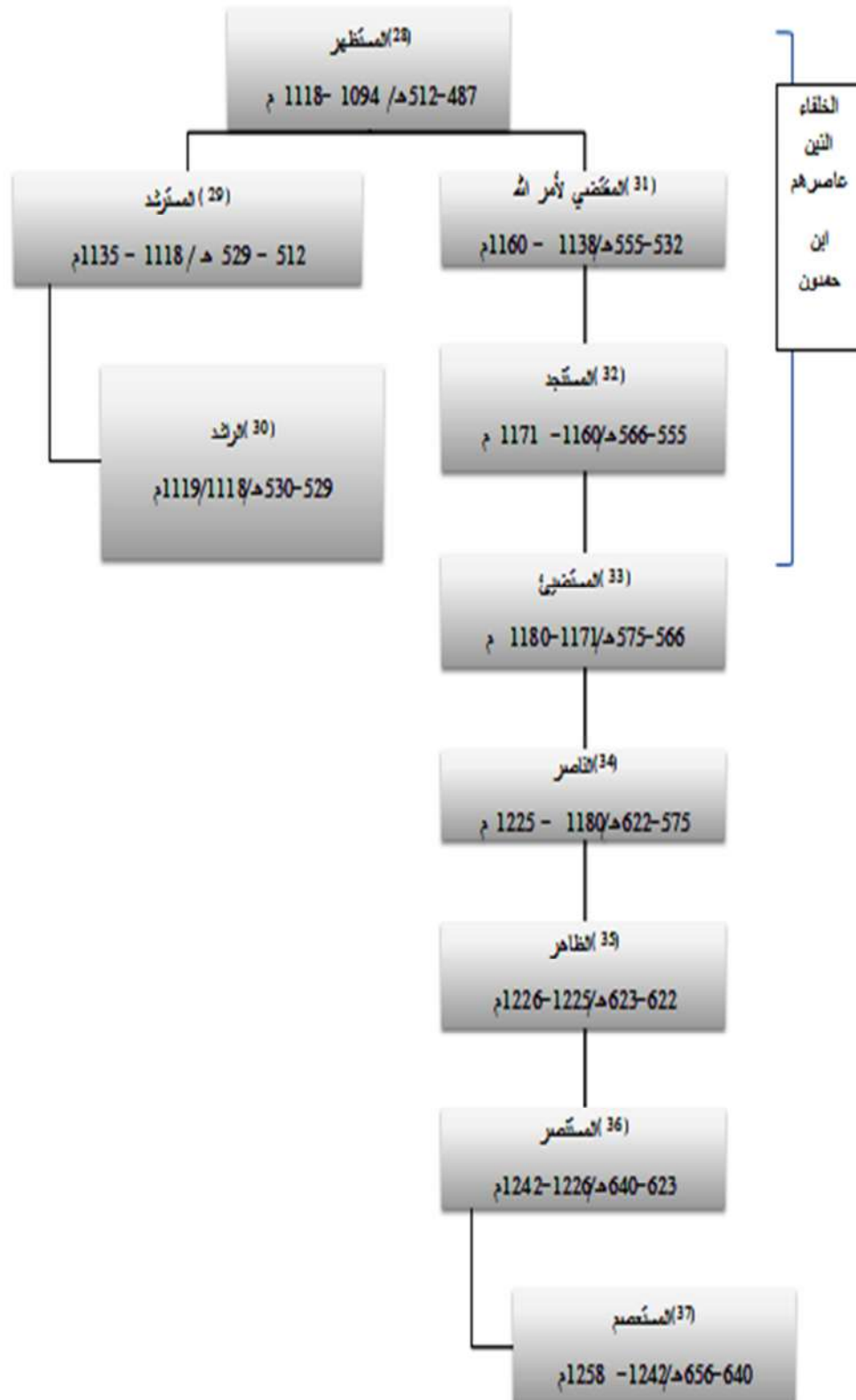


ملحق ٣

شجرة نسب الخلفاء العباسيين

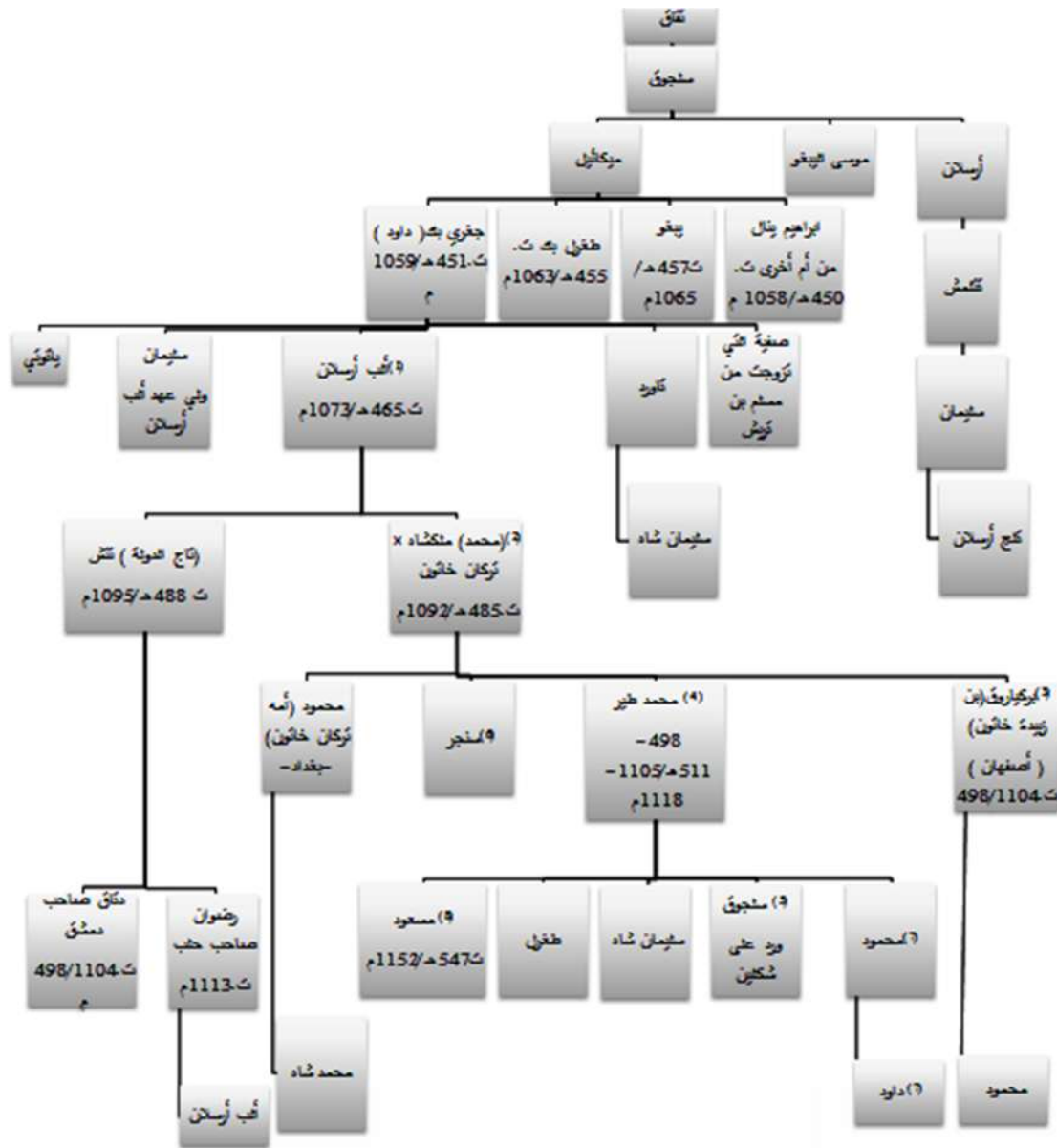






ملحق ٤

شجرة نسب السلاطين السلاجقة



ملحق ٥ (مشاهدة شخصية)

وصف ابن حمدون مجاهد لدين قايمار:

قال ابن حمدون : " وفات هؤلاء المذكورين بالكرم، وفاقهم في حسن الشيم من أهل زماننا صاحب مدينة إربل وما والاها من الأعمال، وهو الأمير مجاهد الدين قايمار، فإنه كلف بحب الحسنات، وعكف على فعل الخيرات، وقصر زمانه على مكارم الأخلاق؛ فمما شاهدته من ذلك أنه كان مؤثلاً لكل وافد عليه من بلادنا العراقية، ملجأ لكل خائف يصل إليه منها، ولقد قصده جماعة من الأكابر أصحاب الأعمال السلطانية هاربين إليه إذ كربتهم الحوادث واستأصلتهم النوائب، فتلقّاهم بالبشر والترحيب وأحسن إليهم وبرّهم وعطف عليهم وأشركهم في ماله وجاهه حتى أنساهم ما كانوا عليه بالعراق من حالة العمل وخدمة السلطان، فقال بعضهم فيه، وهو من أنساب الوزير عون الدين بن هبيرة:

كأنّي شاني بمهلبّي ونازل عبد شمس في احتكام

وهذا البيت من قصيدة طويلة امتدحه بها وشكره على ما أسداه إليه وإلى غيره من الإحسان. وشاعت هذه المكرمة عنه حتى قصده الخائفون في جميع البلاد، فأصبحت به إربل حمى لللاجئ وملذا للمستجير. وأما من وفد عليه من الشعراء والسؤال فكثير لا يحصى عددهم، وكان يحب الشعر ويجيز قائله بأسنى الجوائز، وخصّه الله عز وجل بالذكاء والمعرفة وصفاء النفس وانتقاد الخاطر حتى أنه كان يستنبط بدقيق فكره معاني الآيات من القرآن العزيز والأخبار النبوية والأشعار ويتفرد في ذلك بأشياء لم يسبق إليها. وأما ما منحه الله به من بذل الأموال وإنفاقها في عمارة بيوت الله تعالى وتجديد الرباطات والمدارس والجسور على الدجلة وغيرها من الأنهار وعمارة الخانات في الطرق المخوفة والقفار الخالية عن العمار وال عمران فإن ذلك مما لا يحتاج إلى ذكر وبيان، فإنه لم يخل بلد من البلاد التي تحت يده من ذلك، حتى أنه عمر بظاهر مدينة الموصل في خطة واحدة من الأرض مقدار رأي العين على الدجلة جامعا ورباطا للصوفيّة وبیمارستاناً للمرضى، غرم على ذلك ما لا كثيرا يزيد على خمسين ألف دينار، ونصب على دجلة الموصل جسرا من الخشب، ووقف على هذه الوجوه الأربعة أوقافا كثيرة يحصل منها في السنة عشرة آلاف دينار أو أكثر من ذلك، فمن تسمح نفسه بهذه الأعمال لحقيق أن يوصف بالجد والكرم، ولولا أن نخرج عما يقتضيه عمل الكتاب لذكرنا من مناقبه ما يطرب السامع ويؤنق المتأمل، وفيما أشرت إليه من ذلك كفاية. "

ملحق ٦ (مشاهدة شخصية)

عهد من قبل الخلافة العباسية بتنصيب بطريك للمسيحيين في بغداد

قال ابن حمدون: " نسخة عهد جاثليق من إنشاء أخي رحمه الله: هذا كتابٌ أمر بإنشائه سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لعبد يشوع الجاثليق البطريرك؛ أما بعدُ، فالحمد لله العميم إحسانه، العظيم سلطانه، الواجب حمده، الغالب جنده، الكامل فضله، الشامل عدله، المعروف بغير رؤية تُدرِكُهُ ولا نَظَر، الخالق من غير رؤيةٍ يجليها ولا فكر، العالم بالأشياء ما ظهر منها وما بطن، المتعالي عن التكيف ببعيد الأوهام وغوص الفطن، الذي ابتدع المخلوقات على غير تمثيل، واخترع المصنوعات بغير قياس اتبَعَهُ ولا دليل، وأقام شواهد البيّنات على وحدانيّته، ومعجزات البراهين على عجائب حكمته، ما أيقنت معه العقول والبصائر، وشهدت له القلوب العارفة والضامرات، أنّه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا شارك في ملكه أحداً، ولا ولد فيكون مولوداً، ولا ولد فيكون محدوداً، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والحمد لله الذي اختار محمداً من أشرف العرب منصباً، وأكرمها أمّاً وأباً، وبعثه بالبرهان الساطع، والحقّ الصادع، والحجج الواضحة، والخلائق الصالحة، والناس في مجاهل الضلالة حائرون، وعن مناهج الهدى جائرون، على حين فترة من الرسل، واشتباه من السبل، وتفرّق من الملل، واستمرار من الزيف والزلل، فلم يزل الأمر به مُبلّغاً، وبجهده في إحاض النصيحة للأمة مستقرغاً، حتى طمس معالم الباطل، ودفع عن وعدّ الصلاح لي الماثل، وأضحى الإسلام مرفوعاً رايته، بعيدة غايته، منتشرة في الآفاق دعوته، مؤيدة بالنصر المبين كلمته، وأنجز الله تعالى له ما وعد في إعلاء دينه على الدين كلّ وإظهاره، وإعزاز أشياعه وأنصاره، ونسخ الملل السالفة بملته التي ختم بها الأديان، وأنزل عليه الكتاب المبشّر لمتبعها بما فيه من الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّ ولو كره المشركون. فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاة تُزلف محله، وتوازي شرفه وفضله، ما طُرِف طُرْف النهار بسُدْفَة العشي، وصُرِف صُرْف المكروه بلطف الله الخفي.

والحمد لله على أن حاز لأمر المؤمنين من شرف الخلافة ميراث آبائه، وصرف إليه منها ما هو أحقّ بارتداء رداءه، وبوّه من الإمامة العظيمة متبواً تخرّ الجباه سجداً لجلاله، وتُنسبُ مفاخر الدين والدنيا إلى جماله؛ وأطلع بإمامته نجوم العدل فما تغور، وأقام بها أسواق الخيرات فما تكسد بضائع طالبيها ولا تبور، وحَمَى بحسن رعايته حمى الدين فما يُدْعَر سِرْبُهُ، ولا يكدّر سِرْبُهُ، ولا يُقَلّ غَرْبُهُ؛ وخصّ الرعية من رأفته بمنحة أرهفت شذاتها، وثَقَقَتْ بعد الالتواء قناتها، وجمعت أشنات صلاحها، ويسّرت دواعي فلاحها، فهي محظوظة في كنف عدله، مغتبطة بخروجها من حزن العيش إلى سهله، بنعمته التي شحذت في الطاعة بصائرها، واستخلصت مبادرتها في المتابعة ومصابرتها، وشفعت ظواهرها في

العكوف على الدعاء لآبائِهِ، وَبَسَطَتْ آمالها بعد الانقباضِ وأُحْصَدَتْ مرائرها. وهو يستوزعُ الله عزَّ وجلَّ شُكْرَ هذه النعمة، ويستجزلُ بالتحدُّثِ بها خُطَّةً منها وقسمة. وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنِيبُ.

وإن أمير المؤمنين بما وكله الله إليه من أمورِ عبادِهِ، وحمَّلَهُ أعباءَهُ في أرضِهِ وبلاده، يُرْعِي الأُمَّةَ من اهتمامه عيناً يَقْضَى، ويوليها في عامةِ متصرفاته حراسةً شاملةً وحفظاً. ويتفقد أحوالها، تفقداً يُصْلِحُ بالها، ويصل حبالها، وَيُعْشِبُ مَرادها، وَيُكْثِبُ مَرادها، ويعمُّ بذلك عموماً يشترك فيه المسلم منها والمعاهد، والداني والمتباعد، وطوائفُ الملل من أهل الكتاب الذين خَفَرَهُمْ عهدُ الشرع وذمُّهُ، وكففتهم حياطَتُهُ وحمائيتُهُ، ليفيء عليهم ظلُّ الحُسْنَى بأجمعهم، ويقترنَ مرآهم في النظر لهم بمسمعهم.

ولما أُنْهِيتَ حالُّكَ لأُمير المؤمنين، وأنك أَمِثْلُ أَهْلِ نَحْلَتِكَ طريفةً، وأقربُهُمْ إلى الصِّلَاحِ مذهباً وَخَلِيقَةً، وأحوالهم للخلال التي أجمعوا على تمييزك بها عنهم وانفرادك، واستحقاقك للإسعاف من بينهم بمأموْلِكَ وَمُرَادِكَ، وكونك حالياً بشروطِ الجَنَلَةِ المتعارفةِ عندهم بأدواتها، مشهوداً لك بنعوتها الكاملة وصفاتها، وحضر جماعة من النصارى الذين يُرْجَعُ إليهم في استعلام سيرة أمثالك، واستطلاع أنباء مُضَارِعِيكَ وأشكالِكَ، وذكروا أنهم تصفَّحوا أحوالَ ذوي الديانات فيهم، واستنبطوا باديهم منها وخافيتهم، بحكم مساس حاجتهم إلى جاثليق ينظر في أمورهم، وَيُرَاعِي مصالحَ جمهورهم، فانفقوا باجتماع من آرائهم، والتَّامُّ من قلوبهم وأهوائهم، على اختيارِكَ لرياسة دينهم، ومراعاة شؤونهم، وتدبير وقوفهم، والتسوية في عدل الوساطة بين قوِيَّهم، وضعيفهم، وسألوا إمضاء نصَّهم عليك بالإذن الذي به تُسْتَفْرَى قواعده، وَتَصْدُقُ مواعده، وتستحكمُ مبانيه، وَتَقْوَى أواخيه، فأوعز بإسعافهم في ما سألوه بالإيجاب، وإلحافهم في ما طلبوه جَنَاحَ الإِطْلَابِ. وبرز الإِذْنُ الإِمَامِي الأشرَفُ، لا زالت أوامرُهُ بالتوفيق مَعْصُودَةً، بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام، ومن تضمُّهُ منهم ديارُ الاسلام، وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد، وكلَّ حاضرٍ من هذه الطوائف وبادٍ، وانفردك عن كافة أهل نَحْلَتِكَ، بنقمص أهبةِ الجَنَلَةِ المتعارفةِ في أماكنِ صلواتكم، ومجامع عباداتكم، غيرَ مُشَارِكٍ في هذا اللباس، ولا مُسَوِّغٍ في التحلِّي به لمطرانٍ أو أسقفٍ أو شماس، خطاً لهم عن رتبتك، ووقوفاً بهم دونَ محلِّكَ الذي خُصِّصَتْ به ومنزلتُكَ. وإن وَلَجَ أَحَدٌ من المذكورين بابَ المجاذبة لك والخلاف، وراعَ سِرْبَ المتابعة لك وأخاف، وأبى النزولَ على حكمك، وعدل إلى حَرْبِكَ عن سلمك، كانت المقابلةُ به لاحقة، والعقوبةُ به على شقائقه حائقة، حتى تعتدلَ قناتُهُ، وتلينَ بالقرعِ صَفَاتُهُ، ويزدجرَ أمثاله عن مثل مقامه، وينحرس قانونُكَ مما يَقْدَحُ في نظامه.

وأمر بحملك على مُقْتَضَى الأُمْتَلَةِ الإِمَامِيَةِ في حقٍّ من تَقَدَّمَكَ من الجثالة وسبقك، وإجراء أَمْرِكَ عليه وَمَنْ تَلَكَ منهم ولحقك، والحيطة لك ولأهلِ مَلَّتِكَ في الأنفس والأموال، والحراسة الكافلة لكم بصلاح الأحوال، واتباع العادة المستمرة في مواراة أمواتكم، وحماية بيعكم ودياراتكم، والعمل في ذلك على

الشاكلة التي عمل عليها الخلفاء الراشدون مع من قبلكم، ورعى بها الأئمة السابقون رضوان الله عليهم عَهْدَكُمْ وَإِلَيْكُمْ. وأن يقتصر في استيفاء الجزية على تناولها من العقلاء الواجدين من رجالكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم من أطفالكم. ويكون استيفاؤها مرة واحدة في كل سنة، من غير عدول في قبضها عن قضية الشرع المستحسنة. وفُسِّحَ في الجائليق أن يتوسط طوائف النصارى في محاكماتهم، فيأخذ النصف من القوي للمستضعف، ويقود إلى الحق من مال إلى القسط والجَنَف، وينظر في وقوفهم نظراً يقوم بحقوق الأمانة وأشرطها، ويمضي على واضح حدودها وسوي سراطها. فقابل هذا الإنعام الذي شملك، وحق مناك في ما ناجت بك به نفسك وأملك، بدعاء ينبي عن الاعتراف ويُعرب، ويبعد في الإخلاص ويُعرب. وسبيل كافة المطارنة والقسيسين والأساقفة من الطوائف المذكورة أن يحتذوا المأمور به في هذا المثال، ويتلقوه بالانقياد والامتثال، إن شاء الله تعالى .

ملحق ٧ (مشاهدة شخصية)

رسالة من قبل الخلافة العباسية تهنيئ مسعود بن قلعج أرسلان بالانتصار على الفرنجة

قال ابن حمدون: " كتب أخي رحمه الله عن ديوان الخلافة إلى الملك مسعود بن قتلمش، تهنئة بفتح، وكان الإفرنج وردوا بلاده من المغرب في عدد عظيم فبدد الله شملهم وعادوا خائبين: كتابي - أطل الله بقاء سيدنا الملك - ومواهب الله في الجناح الأشرف أهلة الربوع، عذبة الينبوع، صافية الورد، ضافية البرود، والحمد لله رب العالمين.

وبعد: فهو - أدام الله علوه - ممن اختاره الله تعالى من عباده، وجمع له بين عاجلته وخير معاده، بما جعله عن حوزة الجميل في الذبّ عن الثغور مبيّنًا، ويشعار الحقّ ولو كره المشركون معلنا، فالسعادة قد حيزت له من جميع أطرارها، والمحامد منتشرة له في آفاق الأرض وأقطارها، والثناء بمناقبه زينة أحاديث الأندية وأسمارها، والمودة له مستحكمة في ضمائر القلوب على اختلافها وأسرارها.

ووردت البشائر المبهجة، والأخبار المعربة، بتلاوة سور حمده الملهجة، بما أجراه الله على يده من الفتح المبين الذي فضّ به جمع الشرك وفرقه، وأدحض الباطل وأزهقه، وفرّق فرق الكفر الناجمة أسرا وقتلا، وسقاهم كؤوس الردى نهلا وعلا، ورجع آمالهم التي قدروها خائبة، وظنونهم بالإخفاق آيبة، وجعل كيدهم في تضليل، ويؤأهم من الخذلان شرّ مقيّل، فأهدى ذلك من الجذل ما يوازي عظم خطره، وحسن موقع أثره، وحلّ من المراضى الشريفة الإمامية محلاً، هو - أدام الله علوه - بحياسة فخره حقيق، ونسب مقاماته الغرّ في كسب مثله عريق، ورسم - أعلى الله المراسم وأمضاها - مكاتبته شكرا لله سبحانه باديا على ما سنّاه من هذه المنحة التي تلّجت لها الصدور، وابتسمت الثغور، وحيطت المعازل الإسلامية وسكنت القلوب الواجفة والنفوس، وانجلت غياهب الضراء المخوفة والبوس، وصدق الله في إظهار دينه وعده، ونصر حزيه وجنده، وأعرّ الحقّ وأداله، وقهر الباطل وأزاله، جلّت عظمته ثانيا على أن سنّاه بمن أيمن الله".

ملحق ٨ (مشاهدة شخصية)

رسالة تهنئة بقدوم عيد الفطر من إنشاء أخ ابن حمدون أبي نصر

قال ابن حمدون: " وكتب أخي رحمه الله نسخة لما يبرز به التوقيع الإمامي في عيد الفطر: الحمد لله الواجب شكره، الغالب أمره، المنصور حزيه، المثبور حربه، الدالّ على وحدانيته ببدايع فطرته، المانع [١] بعجائب صنعه من أن يتقرّر في الأوهام كنه معرفته، الذي أرسل محمداً إلى كافة الأمم، وجلا بضياء نبوته حنادس الظلم، وبعثه رسولا بالحق صادعا، ولعرانين الشرك جادعا، حتى استعلت كلمة الايمان واتّضح مناره، وكبا زناد الباطل وخبت ناره. فصلّى الله عليه ما طرف ناظر، ورفّ غصن ناضر، والحمد لله على أن أصار إلى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آبائه، وخصّه بما حاز له منه بجزيل منّه وحبائه، وحقق للدولة القاهرة العباسية وعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعمّه العباس رضوان الله عليه: ألا أبشرك يا عمّ، بي ختمت النبوة، وبولدت تختم الخلافة، إلى غير هذا من الأخبار التي ضلّ من أضمر عناد شيء منها وأسرّ خلفه. وجعل أيامه بالعدل أهلة، ومن مشارب الأمن ناهلة، والرعية في ظلّ إيالته الوارف وادعة، وسيرته لروائع الجور عنها وازعة. والحمد لله الذي منح عباده المؤمنين منائح من نعمه تستوعب الشكر، وتستوجب الإذاعة لها والنشر، فجعل لهم من أيامهم مواسم يكفّر بطاعته فيها سيئاتهم، ويرفع بتوفيقيهم لصالح العمل عنده درجاتهم.

وخصّ شهر رمضان بالصيام الذي ختمه لهم بعيد يبشرهم بالقبول، يتقارضون فيه التهاني بدرك المأمول. وأمرهم باتخاذ الزينة وإظهارها، وإراحة النفوس بقضاء المباح من لذاتها وأوطارها، تكميلاً لنعمته في الصوم المفضي بهم عاجله إلى آجل الفوز والرضوان، وإخراجه لهم من ضيقه إلى سعة الفطر المريح لما أجهد من الأبدان. بكلّ ذلك يجزل ثوابهم، ويحسن مآبهم، ويعرفهم مواقع لطفه، ويريههم دلائل رحمته وعطفه، فله على ذلك حمد يمتري المزيد من آلائه، ويستدعي الإجراء على عادة إحسانه وبلائه. وقد عرف ما أنهى من حضور جماعة الأولياء، وإفاضتهم والحاضرين معهم في صالح الدعاء، الموجب لهم شرف الملاحظة والإرعاء، وأذن لهم بعد إشعارهم بتحقيق خدمتهم في الانكفاء، والسلام. "

ملحق ٩ (مشاهدة شخصية)

تهنئة بسلامة الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله من حريق وقع في دار الخلافة

قال ابن حمدون: " كتب أخي رحمه الله تهنئة بالسلامة من حريق وقع في دار الخلافة:

الدنيا- أعزَّ الله أنصار المواقف الشريفة- دار الامتحان والاختبار، ومجاز الابتلاء والاعتبار، والله تعالى في ما نزل فيها إلى عباده من نعمه، وتخوّله من مواهبه وقسمه، عادات يقتضيها بالغ حكمته، وماضي إرادته ومشينته، ليستيقظ الذاهل، ويعرف الجاهل، ويزداد العالم اللبيب اعتباراً، ويستفيد العاقل الأريب تفكراً واستبصاراً، فلا يغفل عن واجب الشكر إذا سبقت النعمة إليه، ولا يلهو عن استدعاء المزيد منها بالاعتراف إذا سبغت عليه، وهو أنّ الباري سبحانه إذا تابع آلاءه إلى عبده ووالاه، وهنأها له من الشوائب وأخلاها، وأماط عن مشاربها أكار الدنيا المطبوعة على الكدر، وعمر مساربها بالأمن من طوارق الغير، خيف عليها الانتقاض والزوال، وتوقع لها الانتهاء والانتقال. ومن ذلك الخبر المروى أنه لما أنزل الله عز وجلّ قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ (المائدة، ٣) .

ابتهج الصحابة رضي الله عنهم، واعتقدوا التهنئة واستشعروا، ما عدا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه بكى من بينهم. فقالوا له: ما يبكيك وقد أكمل الله لنا ديننا برحمته، وأتم لنا سابغ نعمته؟ فقال: يبكيني أنه ما تمّ أمر إلا بدا نقصه.

فقبض رسول الله S عن قرب. وإذا كانت مشوبة برائع يتخلل صفوها، وطارئ يجهد في بعض الأوقات عفوها، كان ذلك صارفاً عنها عين الكمال، مؤذناً لها بطول الآجال، حاكماً لها بتاريخ عمر البقاء، دالاً على الصعود بها إلى درج المكث الطويل والارتقاء، وحكمه حكم المرض الذي تصحّ به الأجساد، ويمحصّ ذنوب من يسلّط عليه من العباد:

فلا يبهج الأعداء سوء ظنونهم فله صنّع في الذي شاء ظاهر

فكم طالب شيئاً به الشرُّ كامنٌ وكم كارهٍ أمراً به الخيرُ وافرٌ

فالحمد لله الذي جعل ما جرت به الأقدار من الأمر الرائع ظاهره، الوجل لوقعه ناظره، لعنايته- جلّت عظمتة- عنواناً، وعلى دوام نعمه دليلاً واضحاً وبرهاناً. وإليه الرغبة في أن يجعل الديار وساكنيها، والنفائس في أقاصي الدنيا وأدانيها، لشريف الحوزة التي بها صلاح العالم فداء، وعنهما للمكروه وقاء، فكلّ حادث مع دوام هذه الأيام الزاهرة خلل، وكلّ غمر من نوائب الدهر ما دافع لطف الله عنها وشلّ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

❖ القرآن الكريم

❖ المخطوطات

• ابن هبة الله (سعيد بن هبة الله ت ٤٩٤هـ/١١٠٠م):

١. مخطوطة المغني في الطب، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، د.ت.

• ابن جزلة (علي يحيى بن عيسى ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م):

٢. منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، مخطوطة بدار الوثائق البريطانية.

❖ المصادر

حرف الألف

• ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م):

٣. الكامل في التاريخ، تح عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

٤. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت.

٥. اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح علي معوض وعادل عبد لموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

• ابن الأحنف (العباس بن الأحنف بن الأسود ت ١٩٢هـ/٨٠٨م):

٧. ديوان العباس بن الأحنف، تح عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

• الأحوص (عبد الله بن محمد بن عبد الله ت ١٠٥هـ/٧٢٤م):

٨. ديوان الأحوص، تح عادل جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠م.

• الأخطل (غياث بن غوث ت ٩٢هـ/٧١١م):

٩. ديوان الأخطل، تح مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

• الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م):

١٠. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

• الأزهرى (محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ/٩٨١م):

١١. تهذيب اللغة، تح محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

- أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان ت ٦٩هـ/٦٨٩م):
- ١٢. ديوان أبو الأسود، تح محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- ابن إسحق (حنين بن اسحق ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م):
- ١٣. آداب الفلاسفة، تح عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط١، ١٩٨٥م.
- الإصطخري (إبراهيم بن محمد ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):
- ١٤. المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.
- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م):
- ١٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- الأعتشى (ميمون بن قيس بن جندل ت ٧هـ/٦٢٩م):
- ١٦. ديوان الأعتشى، تح محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، د.ت.
- الأمدي (الحسن بن بشر ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م):
- ١٧. المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تح ف كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ت ٥٧٧هـ/١١٨١م):
- ١٨. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٣، ص ١٩٨٥م.
- ابن الأنباري (محمد بن القاسم بن محمد ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م):
- ١٩. الزاهر في معاني كلمات الناس، تح حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ٢٠. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد اسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.
- ٢١. شرح المفضليات، تح كارلوس لایل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
- أوس بن حجر (أوس بن حجر بن مالك ت ٦٢٠م):
- ٢٢. ديوان أوس، تح محمد نجم، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٠م.
- امرئ القيس (امرئ القيس بن حجر بن الحارث ت ٥٤٥م):
- ٢٣. ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.

حرف الباء

- البحتري (الوليد بن عبيد ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م)
- ٢٤. الحماسة، اعتنى به لويس شيخو، مجلة المكتب الشرقي، بيروت، ١٩١٠م.
- ٢٥. ديوان البحتري، تح حسن الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م):
- ٢٦. صحيح البخاري، تح محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ١، ط ٢٠٠٢م.
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):
- ٢٧. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.
- بديع الزمان (أحمد بن الحسين بن يحيى ن ٣٩٨هـ/١٠٠٨م):
- ٢٨. المقامات، تح محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٢٣م.
- بشار بن برد (بشار بن برد العقيلي ت ١٦٧هـ/٧٨٤م):
- ٢٩. ديوان بشار، تح محمد الطاهر، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٧م.
- البغدادى (أحمد بن علي بن ثابت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):
- ٣٠. تاريخ بغداد، تح بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١، ط ٢٠٠٢م.
- ٣١. البخلاء، تح بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ١، ط ٢٠٠٠م.
- البغوي (عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ت ٣١٧هـ/٩٣٩م):
- ٣٢. معجم الصحابة، تح محمد الجكني، دار البيان، الكويت، ١، ط ٢٠٠٠م.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):
- ٣٣. فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٣٤. أنساب الأشراف، تح سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١، ط ١٩٩٦م.
- ابن بكار (العباس بن بكار ت ٢٢٢هـ/٨٣٧م):
- ٣٥. أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تح سينة الشهابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- البنداري (الفتح بن علي بن محمد ت ٦٤٣هـ/١٢٤٦م):
- ٣٦. تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠٠م.
- بنيامين التطيلي (بنيامين بن الرابي يونة ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م):
- ٣٧. الرحلة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١، ط ٢٠٠٢م.

- البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي ٤٥٨هـ/١٠٦٦م):
٣٨. دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة، تح عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

حرف التاء

- تأبط شراً (ثابت بن جابر بن سفيان ت ٨٠هـ/٧٠٠م):
٣٩. ديوان تأبط شراً، تح علي شاكور، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- التبريزي (يحيى بن علي بن محمد ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م):
٤٠. شرح ديوان الحماسة، دار القلم، بيروت، د. ت.
- الترمذي (محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):
٤١. سنن الترمذي، تح احمد شاكور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م):
٤٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة، د. ت.
- أبي تمام (حبيب بن أوس بن الحارث ت ٢٣١هـ/٨٤٦م):
٤٣. ديوان أبي تمام، تح محمد عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د. ت.
- التتوخي (المحسن بن علي بن محمد ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م):
٤٤. الفرج بعد الشدة، تح عيود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٤٥. المستجاد من فعلات الأجواد، تح أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٤٦. نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح عيود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

حرف التاء

- الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):
٤٧. التمثيل والمحاضرة، تح عبد الفتاح الحلو، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م.
- ٤٨. بيتمة الدهر، تح مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- ٤٩. ثمار القلوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٥٠. الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، د. ت.
- ٥١. خاص الخاص، تح حسن الأمين، دار الحياة، بيروت، د. ت.

- ثعلب (أحمد بن يحيى ت ٢٩١هـ/٩١٤م) :
- ٥٢. المجالس، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠م.

حرف الجيم

- الجاحظ (عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م):
- ٥٣. البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٥٤. المحاسن والأضداد، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٥٥. الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.
- ٥٦. التاج في أخلاق الملوك، تح أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٩١٤م.
- ٥٧. الرسائل، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ٥٨. الحنين إلى الأوطان، مكتبة الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٥٩. التبصر بالتجارة، تح حسن التونسي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ط٢، ١٩٣٥م.
- ابن جبير (محمد بن أحمد بن جبير ت ٦١٤هـ/١٢١٧م):
- ٦٠. الرحلة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.
- الجرجاني (أبو أحمد بن عدي ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م):
- ٦١. الكامل في ضعفاء الرجال، تح عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- جرير (جرير بن عطية بن حذيفة ت ١١٠هـ/٧٢٩م):
- ٦٢. ديوان جرير، تح نعمان طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.
- ابن الجزري (محمد بن محمد بن يوسف ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م):
- ٦٣. غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
- ابن جماعة (محمد بن إبراهيم بن سعد الله ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
- ٦٤. تَذَكُّرُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ فِي أَدَبِ الْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، تح محمد العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ٢٠١٢م.
- جميل بثينة (جميل بن عبد الله بن معمر ت ٨٢هـ/٧٠٢م):
- ٦٥. ديوان جميل، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن جني (عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ/١٠٠٢م):
- ٦٦. المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، تح مروان عطية وشيخ الزايد، دار الهجرة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

- الجهشيارى (محمد بن عبدوس ت ٣٣١هـ/٩٤٣م):
٦٧. الوزراء والكتاب، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن الجهم (علي بن الجهم بن بدر ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م):
٦٨. ديوان ابن الجهم، تح خليل مردم بك، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٦م.
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م):
٦٩. المنتظم في أخبار الأمم والملوك، تح محمد عطا ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- ٧٠. صيد الخاطر، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

حرف الحاء

- ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م):
٧١. الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٢م.
- الحاتمي (محمد بن الحسن بن المظفر ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م):
٧٢. حلية المحاضرة، في صناعة الشعر، تح جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م.
- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):
٧٣. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسىكا، اسانتبول، ٢٠١٠م.
- ٧٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح محمد ياللقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
٧٥. الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ١، ١٩٧٣م.
- ٧٦. المجروحين، تح محمود زايد، دار الوعي، حلب، ط ١، ١٩٧٧م.
- ٧٧. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ت ٢٤٥هـ/٨٦٠م):
٧٨. المحبر، تح ايلزة شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- ابن حبيب النيسابوري (الحسن بن محمد بن حبيب ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م):
٧٩. عقلاء المجانين، تح محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

٨٠. نزهة الألباب في الألقاب، تح عبد العزيز السديري، مكتبة الراشد، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.
٨١. لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط٢، ١٩٧١م.
٨٢. الإصابة في تمييز الصحابة، تح عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٨٣. تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٩٠٨م.
- ابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت ٨٣٧هـ/٤٣٣م) :
٨٤. خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.
٨٥. ثمرات الأوراق، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، د.ت.
- الحريري (القاسم بن علي ت ٥١٦هـ/١٢٢م):
٨٦. مقامات الحريري، مطبع المعارف، بيروت، ١٨٧٣م.
- ابن حزم (علي بن احمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
٨٧. جمهرة أنساب العرب، تح لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- حسان بن ثابت (حسان بن ثابت بن المنذر ت ٥٤هـ/٦٧٤م):
٨٨. ديوان حسان، تح وليد عرفات، معهد الدراسات الشرقية، لندن، د.ت.
- الحسيني (علي بن ناصر الحسيني ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م):
٨٩. زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م.
- الحصري (إبراهيم بن علي بن تميم ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م):
٩٠. زهر الآداب وثمر الألباب، تح زكي مبارك ومحمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٩١. جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، د.ت.
- الحطيئة (جرول بن أوس بن مالك ت ٤٥هـ/٦٦٦م):
٩٢. ديوان الحطيئة، تح نعمان طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):
٩٣. التذكرة الحمدونية، تح إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

- حمزة الأصبهاني (حمزة بن الحسن ت ٣٥١هـ/٩٦٢م):
٩٤. الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تح عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):
٩٥. معجم الأدباء، تح إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
٩٦. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
- الحميدي (محمد بن أبي نصر ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):
٩٧. الذهب المسبوك في وعظ الملوك، تح عبد الحليم عويس، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٩٨٢م.
- ٩٨. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م
- حميد بن ثور (حميد بن ثور بن حزن ت ٣٠هـ/٦٥١م):
٩٩. ديوان حميد، تح عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الحميري (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م):
١٠٠. الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ/٨٥٥م):
١٠١. مسند ابن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
- أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م):
١٠٢. البصائر والذخائر، تح وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
١٠٣. الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٠٤. الصداقة والصديق، تح إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م.
١٠٥. الرسائل، تح إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١م.

حرف الخاء

- الخالديان (سعيد بن هاشم ت ٣٧١هـ/٩٨٢م ومحمد بن هاشم ت ٣٨٠هـ/٩٩١م):
١٠٦. حماسة الخالبيين، تح محمد علي دقة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.
١٠٧. التحف والهدايا، تح سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
١٠٨. المختار من شعر بشار، تح محمد بدر الدين العلوي، دار الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٤م.
- ١٠٩. ديوان الخالبيين، تح سامي الدهان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

- الخطابي (حمد بن محمد بن إبراهيم ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م):
١١٠. العزلة، تح ياسين السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
- ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
١١١. الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):
١١٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
- ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
١١٣. وفيات الأعيان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
- الخليلي (خليل بن عبد الله بن أحمد ت ٤٤٦هـ/١٠٥٤م):
١١٤. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح محمد إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.
- الخنساء (تماضر بنت عمرو ت ٢٤هـ/٦٤٥م):
١١٥. ديوان الخنساء، تح لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٥م.

حرف الدال

- الدارقطني (علي بن عمر بن أحمد ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م):
١١٦. المؤتلف والمختلف، تح موفق بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن داود الأصفهاني (محمد بن داود ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م):
١١٧. الزهرة، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ط٢، ١٩٨٥م.
- الداوودي (محمد بن علي بن أحمد ت ٩٤٥هـ/١٥٣٨م):
١١٨. طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن الداية (أحمد بن يوسف ت ٣٤٠هـ/٩٥٢م):
١١٩. المكافأة وحسن العقبى، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
- ابن الدبيثي (محمد بن سعيد ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م):
١٢٠. ذيل تاريخ بغداد، تح بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد ت ٣٢١هـ/٩٣٣م):
١٢١. المجتلى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، د.ت.

١٢٢. الملاحن، تح عبد الإله نبهان، منشورات وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٢م.
١٢٣. الاشتقاق، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- دعبل (دعبل بن علي بن رزين ت ٢٤٦هـ/٨٦١م) :
١٢٤. ديوان دعبل، تح حسن حمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م):
١٢٥. الجواهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلطين، تح سعيد عاشور، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٢م.
- ابن الدمينه (عبد الله بن عبيد الله بن أحمد ت ١٣٠هـ/٧٤٨م):
١٢٦. ديوان ابن الدمينه، تح أحمد النفاخ، مطبع المدني، القاهرة، د.ت.
- ديك الجن (عبد السلام بن رغبان ت ٢٣٦هـ/٨٥١م):
١٢٧. ديوان ديك الجن، تح احمد مطلوب و عبد الله الجبوري، دار الثقافة ، بيروت، د.ت.

حرف الذال

- أبن العجمي (أحمد بن إبراهيم بن محمد ت ٨٨٤هـ/١٤٨٠م):
- ١٢٨. كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
- ١٢٩. تاريخ الإسلام، تح عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
- ١٣٠. سير أعلام النبلاء، تح مجموعة من المحققين إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ١٣١. العبر في خبر من غير، تح محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ١٣٢. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ١٣٣. الكاشف، تح محمد عوامة وآخرون، دار القبلة، جدة، ط١، ١٩٩٢م.
- ذو الرمة (غيلان بن عقبة بن نهيس ت ١١٧هـ/٧٣٥م):
- ١٣٤. ديوان ذو الرمة، تح عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن أذينة (عروة بن أذينة ت ١٣٠هـ/٧٤٨م):
- ١٣٥. ديوان عروة بن أذينة، تح يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧٠م.

حرف الراء

- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضل ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م):
١٣٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- ابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ت ٧٩٥هـ/١٣٩٣م):
١٣٧. ذيل طبقات الحنابلة، تح عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
- ابن رشيقي (الحسن بن رشيقي ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
١٣٨. أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد المطوي و بشير البكوش، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٦م.
- ابن الرقاع (عدي بن زيد بن مالك ت ٩٥هـ/٧١٤م):
١٣٩. ديوان ابن الرقاع، تح حسن نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- الرقيق القيرواني (إبراهيم بن القاسم ت ٤٢٥هـ/١٠٣٤م):
١٤٠. قطب السرور في أوصاف الخمر، تح أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩م.
- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م):
١٤١. راحة الصدور وآية السرور، تر إبراهيم الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ابن الرومي (علي بن العباس بن جريح ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م):
١٤٢. ديوان ابن الرومي، تح حسين نصار، دار الكتب القومية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.

حرف الزاي

- الزبيدي (محمد بن الحسن بن عبيد الله ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م):
١٤٣. طبقات النحويين واللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.
- الزبير بن بكار (الزبير بن بكار بن عبد الله ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م):
١٤٤. الموفقيات، تح سامي العاني، دار عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م):
١٤٥. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

- زهير بن أبي سلمي (زهير بن ربيعة بن رياح ت ٦٠٩م):
١٤٦. ديوان زهير، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

حرف السين

- ابن الساعي (علي بن أنجب بن عثمان ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م):
١٤٧. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تح أحمد بنين ومحمد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠٠٩.
- سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزؤغلي بن عبد الله ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) :
١٤٨. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.
- تذكرة الخواص، تح محمد العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، بغداد، د.ت.
- السبكي (عبد الوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م):
١٥٠. طبقات الشافعية الكبرى، تح محمد الطنايح وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- السجستاني (سهل بن محمد ت ٢٤٨هـ/٨٦٢م):
١٥١. المعمرون والوصايا، تح محمد الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٠٥م.
- السراج القاري (جعفر بن أحمد بن الحسين ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م):
١٥٢. مصارع العشاق، دار صادر، بيروت، د.ت.
- السري الرفاء (السري بن أحمد بن السري ت ٣٦٦هـ/٩٧٧م):
١٥٣. ديوان السري الرفاء، تح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- أبو سعد الآبي (منصور بن الحسين ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):
١٥٤. نثر الدر في الحاضرات، تح خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ/٧٨٥م) :
١٥٥. الطبقات الكبرى، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- ابن سعيد المغربي (علي بن موسى بن محمد ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
١٥٦. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى ، عمان، د.ت .
- السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) :
١٥٧. مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

- السكري (الحسن بن الحسين ت ٢٨٥هـ/٨٨٩م):
- ١٥٨. شرح ديوان الهذليين، تح عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ت.
- ابن سلام (القاسم بن سلام بن عبد الله ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م):
- ١٥٩. الأمثال، تح عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، عمان، ط١، ١٩٨٠م.
- ١٦٠. طبقات فحول الشعراء، تح محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ت.
- السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢هـ/١١٦٧م):
- ١٦١. التعبير في المعجم الكبير، تح منيرة سالم، ديوان الأوقاف، بغداد، ط١، ١٩٧٥م.
- السهمي (حمزة بن يوسف بن إبراهيم ت ٤٢٧هـ/١٠٣٦م):
- ١٦٢. تاريخ جرجان، تح محمد المعيد خان، دار عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل بن سيده ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م):
- ١٦٣. المخصص، تح خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٦م.
- السيرافي (الحسن بن عبد الله ت ٣٦٨هـ/٩٧٩م):
- ١٦٤. أخبار النحويين البصريين، تح طه الزينبي ومحمد الخفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
- ١٦٥. تاريخ الخلفاء، تح حمدي الدمرداش، مكتبة نزار الباز، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٦٦. لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٦٧. طبقات المفسرين، تح علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
- ١٦٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.

حرف الشين

- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م):
- ١٦٩. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن الشجري (هبة الله بن علي بن محمد ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):
- ١٧٠. الحماسة، طبعة حيدر آباد، ١٩٢٦م.
- الشريف المرتضى (علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦هـ/١٩٥٤م):
- ١٧١. غرر الفرائد ودرر القلائد، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

- الشريف الرضي (محمد بن الحسين بن موسى ت ٤٠٦هـ/١٠١٦م):
- ١٧٢. ديوان الرضي، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م.
- ١٧٣. نهج البلاغة، تح صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- الشيرازي (إبراهيم بن علي ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) :
- ١٧٤. طبقات الفقهاء، تح إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م.
- الشماخ (الشماخ بن ضرار بن حرمل ت ٢٢هـ/٦٤٣م):
- ١٧٥. ديوان الشماخ، تح صلاح الهادي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م):
- ١٧٦. الملل والنحل، تح محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤م.

حرف الصاد

- الصائب (إبراهيم بن هلال بن إبراهيم ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م):
- ١٧٧. المختار من رسائل الصائب، نقحه وعلق عليه شبيب أرسلان، الدار التقديمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م.
- الصفدي (خليل بن أبيك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):
- ١٧٨. الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرناؤوط وتركي المصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ١٧٩. نكت الهميان في نكت العميان، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٨٠. الشعور بالعمور، تح عبد الرزاق حسين، دار عمار، عمان، ط ١، ١٩٨٨م.
- الصولي (محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٧م):
- ١٨١. الأوراق، دار أمل، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٨٢. أدب الكتاب، تح محمد بهجت الأثري، دار المكتبة العربية، بغداد، ١٩٢٢م.

حرف الضاد

- الطائي (حاتم بن عبد الله بن سعد ت ٥٧٨م):
- ١٨٣. ديوان حاتم الطائي، تح عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.
- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م):
- ١٨٤. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

حرف الطاء

- الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت ٣٦٠هـ/٩٧١م):
١٨٥. المعجم الكبير، تح حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م.
- الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٣م):
١٨٦. تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.
- ابن الطثرية (يزيد بن سلمة بن سمرة ت ١٢٦هـ/٧٤٤م):
١٨٧. ديوان ابن الطثرية، تح حاتم الضامن، مكتبة أسعد، بغداد، د.ت.
- ابن طرار (المعافى بن زكريا بن يحيى ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م):
١٨٨. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح عبد الكريم الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- الطرطوشي (محمد بن الوليد بن محمد ت ٥٢٠هـ/١٢٦م):
١٨٩. سراج الملوك، د. دار نشر، القاهرة، ط١، ١٨٧٢م.
- الطرماح (الطرماح بن حكيم ت ١٢٥هـ/٧٤٣م):
١٩٠. ديوان الطرماح، تح عزة حسن، دار الشرق، دمشق، ط٢، ١٩٩٤م.
- ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):
١٩١. الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الطيب بامخرمة (الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي ت ٩٧٤هـ/١٥٤٠م):
١٩٢. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح بو جمعة مكري و خالد زواي، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.
- ابن طيفور (أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ/٨٩٤م):
١٩٣. بلاغات النساء، تح أحمد الألفي، مطبعة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ١٩٤. بغداد، تح عزت الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.

حرف الظاء

- ابن ظافر الأزدي (علي بن منصور بن حسين ت ٦٠٣هـ/١٢١٦م):
١٩٥. أخبار الدولة المنقطعة، تح عصام هزيمة وآخرون، دار الكندي، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.

حرف العين

- العامري (محمد بن يوسف ت ٣٨١هـ/٩٩١م):
- ١٩٦. السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية، تح مجتبى مينيوي، فيسبادن، ألمانيا، ١٩٥٨م.
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):
- ١٩٧. بهجة المجالس وأنس المجالس، تح محمد الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ١٩٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن عبد الحق (عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):
- ١٩٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م):
- ٢٠٠. العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- أبو عبد الله الحاكم (محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م):
- ٢٠١. المستدرک على الصحيحين، تح مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين بن العربي ت ٦٤٨هـ/١٢٦٨م):
- ٢٠٢. تاريخ الزمان، تح اسمحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م.
- أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم بن سويد ت ٢١١هـ/٨٢٧م):
- ٢٠٣. ديوان أبو العتاهية، تح شكري فيصل، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، د.ت.
- عدي بن زيد (عدي بن زيد بن حماد ت ٥٩٠م):
- ٢٠٤. ديوان عدي بن زيد، تح محمد المعبيد، شركة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.
- ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م):
- ٢٠٥. بغية الطلب في تاريخ حلب، تح سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، د.ت.
- ٢٠٦. زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن عذارى (محمد بن محمد ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م):
- ٢٠٧. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١هـ/١١٧٦م):
- ٢٠٨. تاريخ دمشق، تح عمرو العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

- العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد ت ٣٨٢هـ/٩٩٣م):
- ٢٠٩. المصون، تح عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط٢، ١٩٨٤م.
- ٢١٠. شرح ما يقع فيه التصيف والتحريف، تح عبد العزيز أحمد، مطبع البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.
- علقمة الفحل (علقمة بن عبدة ت ٦٠٢م):
- ٢١١. ديوان علقمة الفحل، تح أحمد صقر، المكتبة المحمودية، القاهرة، ط١، ١٩٣٥م.
- العماد الأصفهاني (محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م):
- ٢١٢. خريدة القصر وجريدة العصر، تح محمد الأثري، مطبعة مجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٥م.
- ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م):
- ٢١٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م):
- ٢١٤. الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- عمر بن أبي ربيعة (عمر بن عبد الله ت ٩٣هـ/٧١٢م):
- ٢١٥. ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم، بيروت، د.ت.
- عمرو بن قميئة (عمرو بن قميئة ت ٥٤٠م):
- ٢١٦. ديوان عمرو بن قميئة، تح خليل العطية، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
- عنتر بن شداد (عنتر بن شداد بن عمرو ت ٦٠٠م):
- ٢١٧. ديوان عنتر بن شداد، تح محمد مولوي، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن أبي عون (إبراهيم بن محمد ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م):
- ٢١٨. التشبيهات، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كامبردج، بريطانيا، د.ت.
- ٢١٩. الأجوبة المسكتة، تح مي يوسف، دار عين للدراسات، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

حرف الغين

- الغزالي (محمد بن محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ/١١١١م):
- ٢٢٠. أيها الولد، تح جميل حبيب، مطبعة واوفاست، بغداد، د.ت.

٢٢١. إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

حرف الفاء

- ابن فائق (المبشر بن فائق ت ٤٤٥هـ/١٠٥٣م):
- ٢٢٢. مختار الحكم ومحاسن الكلم، تح عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- الفارابي (محمد بن محمد ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م):
- ٢٢٣. السياسة المدنية، تح فوز نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.
- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):
- ٢٢٤. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط ١، د.ت.
- أبو فراس الحمداني (الحارث بن سعيد بن حمدان ت ٣٥٧هـ/٩٦٨م):
- ٢٢٥. ديوان أبو فراس، تح سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٤٤م.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد بن عمرو ت ١٧٠هـ/٧٨٦م):
- ٢٢٦. العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د.ت.
- أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م):
- ٢٢٧. الأغاني، تح سمير جابر، دار الفكر، بيروت ط ٢، د.ت.
- ٢٢٨. الإمام الشواعر، تح جليل العطية، دار النضال، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
- ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد ت ٧٩٩هـ/١٣٩٧م):
- ٢٢٩. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح محمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- الفرزدق (همام بن غالب ت ١١٠هـ/٧٢٩م):
- ٢٣٠. ديوان الفرزدق، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- ابن الفرزي (عبد الله بن محمد بن يوسف ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م):
- ٢٣١. تاريخ علماء الأندلس، عني به عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م.
- ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):
- ٢٣٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ابن الفقيه (أحمد بن محمد بن إسحاق ت ٣٦٥هـ/٩٥١م):
- ٢٣٣. البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- ابن فندمه (علي بن زيد بن محمد بن الحسين ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م):

- ٢٣٤. تاريخ بيهق، دار إقرأ، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد ت ١٣٢٣هـ/١٣٢٣م):
- ٢٣٥. مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، ١٩٩٥م.
- الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ/١٤١٥م):
- ٢٣٦. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

حرف القاف

- أبو القاسم المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م):
- ٢٣٧. أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها، تح حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٩٨٠م.
- القالي (إسماعيل بن القاسم بن عيذون ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م):
- ٢٣٨. الأمالي، تح محمد الأصمعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٢٦م.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
- ٢٣٩. عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢٤٠. الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٢٤١. المعارف، تح ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):
- ٢٤٢. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- القرشي (عبد القادر بن محمد بن نصر الله ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):
- ٢٤٣. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خا، كراتشي، د.ت.
- القطامي (عمير بن شبيب بن عمرو ت ١٣٠هـ/٧٤٨م):
- ٢٤٤. ديوان القطامي، تح إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
- القفطي (علي بن يوسف ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):
- ٢٤٥. المحمدون من الشعراء، تح حسن معمري، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.
- ٢٤٦. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٢٤٧. إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

- ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن محمد ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م):
٢٤٨. تاريخ دمشق، تح سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط١، ١٩٨٣م.
- القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):
٢٤٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن قنفذ (أحمد بن حسن بن الخطيب ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م):
٢٥٠. الوفيات، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
- قيس بن الخطيم (قيس بن الخطيم بن عدي ت ٦٢٠م):
٢٥١. ديوان قيس بن الخطيم، تح ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، د.ت.

حرف الكاف

- الكتبي (محمد بن شاکر بن أحمد ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):
٢٥٢. فوات الوفيات، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
- ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
٢٥٣. البداية والنهاية، تح علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- طبقات الشافعيين، تح أنور الباز، دار الوفاء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود ت ١٠٥هـ/٧٢٤م):
٢٥٥. ديوان كثير، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
- كشاجم (محمود بن الحسين ت ٣٦٠هـ/٩٧١م):
٢٥٦. ديوان كشاجم، تح خيرية محفوظ، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠م.

حرف اللام

- لبید بن ربیعۃ (لبید بن ربیعۃ بن مالک ت ٤١هـ/٦٦٢م):
٢٥٧. ديوان لبید، تح إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م.
- لیلی الأخیلیۃ (لیلی بنت عبد الله بن الرجال ت ٨٠هـ/٧٠٠م):
٢٥٨. ديوان لیلی، تح خليل العطية وجيل العطية، وزارة الارشاد، الكويت، د.ت.

حرف الميم

- ابن ماجۃ (محمد بن یزید ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م):
٢٥٩. سنن ابن ماجۃ، تح محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ابن ماکولا (علي بن هبة الله بن جعفر ت ٤٧٥هـ/١٠٨٣م):

٢٦٠. الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٢٦١. تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام، تح سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- الماوردي (علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):
٢٦٢. قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
٢٦٣. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح محي السرحان و حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
٢٦٤. الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
٢٦٥. أدب الدنيا والدين، تح محمد راجح، دار اقرأ، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.
- المبرد (محمد بن يزيد ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م):
٢٦٦. الكامل في اللغة والأدب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
٢٦٧. التعازي والمراثي، تح إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
٢٦٨. الفاضل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
- المتلمس الضبعي (جرير بن عبد المسيح ت ٥٧٦م):
٢٦٩. ديوان المتلمس، تح حسن الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدولة العربية، ١٩٧٠م.
- المتنبّي (أحمد بن الحسين بن الحسن ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
٢٧٠. ديوان المتنبّي، تح عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٤م.
- مجنون ليلي (قيس بن الملوح ت ٦٨هـ/٦٨٨م):
٢٧١. ديوان المجنون، تح عبد الستار فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
- المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):
٢٧٢. شرح الحماسة، تح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- المرزباني (محمد بن عمران بن موسى ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م):
٢٧٣. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- مزرد (يزيد بن ضرار ت ١٠هـ/٦٣٢م):
٢٧٤. ديوان مزرد، تح خليل العطية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٢م.
- المستعصي (محمد بن أيذر ت ٧١٠هـ/١٣١٠م):

٢٧٥. الدر الفريد وبيت القصيد، تح كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- المسعودي (علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م):
٢٧٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٧٧. معجم الشعراء، تح ف. فرانكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):
٢٧٨. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.
٢٧٩. الحكمة الخالدة، تح عبد الرحمن بدوي، طهران، ١٩٥٨م.
- مسكين الدارمي (ربيعة بن عامر بن أنيف ت ٨٩هـ/٧٠٨م):
٢٨٠. ديوان مسكين، تح عبد الله الجبوري و خليل العطية، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.
- مسلم بن الوليد (مسلم بن الوليد ت ٢٠٨هـ/٨٢٤م):
٢٨١. ديوان صريع الغواني، تح سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.
- مسلم (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ/٨٧٤م):
٢٨٢. صحيح مسلم، تح محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن المطهر (المطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م):
٢٨٣. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت.
- ابن مطير (الحسين بن مطير بن مكمل ت ١٧٠هـ/٧٨٧م):
٢٨٤. ديوان الحسين بن مطير، تح حسين عطوان، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، د.ت.
- ابن المعتز (عبد الله بن محمد ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م):
٢٨٥. طبقات الشعراء، تح عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت.
٢٨٦. ديوان ابن المعتز، تح يونس السامرائي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٨م.
- ابن المعدل (عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ت ٢٤٠هـ/٨٥٥م):
٢٨٧. ديوان عبد الصمد، تح زاهر غازي، مكتبة النعمان، بغداد، ١٩٧٠م.
- المفضل التتوخي (المفضل بن محمد بن مسعر ت ٤٤٢هـ/١٠٥١م):
٢٨٨. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تح عبد الفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

- المفضل الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى ت ١٦٨هـ/٧٨٤م): ٢٨٩.
- أمثال العرب، تح إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- ابن مقبل (تميم بن أبي بن مقبل ت ٣٧هـ/٦٥٨م): ٢٩٠.
- ديوان تميم، تح عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- المقدسي (محمد بن أحمد المقدسي ت نحو ٣٨٠هـ/٩٩٠م): ٢٩١.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المقرئ (أحمد بن علي بن عبد القادر ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): ٢٩٢.
- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح محمد أحمد، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١، د.ت.
- المقرئ (أحمد بن المقرئ ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): ٢٩٣.
- نفح الطيب من غسن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن المقفع (عبد الله بن المقفع ت ١٤٢هـ/٧٦٠م): ٢٩٤.
- كليلة ودمنة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١٧، ١٩٩٦م.
- الأدب الكبير، تح محمد المرصفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م): ٢٩٥.
- التكملة لوفيات النقلة، تح بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١١م): ٢٩٦.
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.
- مؤلف مجهول: ٢٩٧.
- تاريخ الدولة العباسية، تح عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د.ت.
- الميداني (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٥١٨هـ/١١٢٤م): ٢٩٩.
- مجمع الأمثال، تح محمد عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

حرف النون

- النابغة (زياد بن معاوية بن ضباب ت ١٨ق.هـ/٦٠٥م): ٣٠٠.
- ديوان النابغة، تح محمد عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م.
- ناصر خسرو (أبو معين الدين ناصر خسرو ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): ٣٠١.
- سفرنامه، تح يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

- ابن ناصر الدين (محمد بن عبد الله بن محمد ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م):
٣٠٢. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تح محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ابن نباته (عبد العزيز بن عمر ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م):
٣٠٣. ديوان ابن نباته، تح عبد الأمير الطائي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.
- أبو النجم (الفضل بن قدامة ت ١٣٠هـ/٧٤٨م):
٣٠٤. ديوان أبو النجم، تح محمد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٦م.
- النديم (محمد بن اسحاق ت ٤٣٨هـ/١٠٤٧م):
٣٠٥. الفهرست، تح إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م.
- النسائي (أحمد بن شعيب ت ٣٠٣هـ/٩١٥م):
٣٠٦. السنن الكبرى، تح عبد الغفار البندري وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- نشوان الحميري (نشوان بن سعيد ت ٥٧٣هـ/١١٧٨م):
٣٠٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح حسين العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.
- نظام الملك (الحسن بن علي بن إسحاق ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م):
٣٠٨. سياست نامه، تح يوسف بكار، دار الثقافة، قطر، ط ٢، ١٩٨٦م.
- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م):
٣٠٩. معرفة الصحابة، تح عادل العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٣١٠. تاريخ أصبهان، تح سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م.
- ٣١١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن نقطة (محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م):
٣١٢. إكمال الإكمال، تح عبد القيوم عبد النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٣١٣. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
- أبو نواس (الحسن بن هانئ ت ١٩٨هـ/٨١٤م):
٣١٤. ديوان أبو نواس، تح إيفالد فاغنر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- النهشلي (عبد الكريم بن إبراهيم ت ٤٠٥هـ/١٠١٥م):
٣١٥. الممتع في صنعة الشعر، تح محمد سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

- النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م):
٣١٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

حرف الهاء

- ابن هارون (سهل بن هارون ت ٢١٥هـ/٨٣٠م):
٣١٧. النمر والثعلب، تح عبد القادر المهيري، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٧٣م.
- ابن هانئ (محمد بن هانئ بن محمد ت ٣٦٢هـ/٩٧٣م):
٣١٨. ديوان ابن هانئ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٢م.

- ابن هرمة (إبراهيم بن علي سلمة ت ١٧٦هـ/٧٩٣م):
٣١٩. ديوان ابن هرمة، تح محمد المعبيد، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.
- ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب ت ٢١٣هـ/٨٢٨م):
٣٢٠. السيرة النبوية، تح مصطفى السقا وآخرون، دار مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.

- هلال الصابئ (هلال بن المحسن بن إبراهيم ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م):
٣٢١. رسوم دار الخلافة، تح ميخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م):
٣٢٢. ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٣٢٣. جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ابن هندو (علي بن الحسين بن الحسن ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م):
٣٢٤. الكلم الروحانية في الحكم اليونانية، تح مصطفى الدمشقي، دار الترقى، القاهرة، ١٩٠٠م.

- أبو الهندي (غالب بن عبد الله القدوس ت ١٨٠هـ/٧٩٧م):
٣٢٥. ديوان أبو الهندي، تح عبد الله الجبوري، مطبعة النعمان، بغداد، ١٩٦٩م.

حرف الواو

- ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م):
٣٢٦. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- الواقي (محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م):

- ٣٢٧. المغازي، تح مارسدن جونز، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.
- ابن الوردی (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):
- ٣٢٨. تاریخ ابن الوردی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الوشاء (محمد بن أحمد بن اسحاق ت ٣٢٥هـ/٩٣٧م):
- ٣٢٩. الموشی، تح کمال مصطفی، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٣م.
- الوطواط (محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي ت ٧١٨هـ/١٣١٨م):
- ٣٣٠. غرر الخصائص الواضحة، تح إبراهيم شمس الدين، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- وکیع (محمد بن خلف بن حیان ت ٣٠٦هـ/٩١٨م):
- ٣٣١. أخبار القضاة، تح عبد العزيز المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م.

حرف الياء

- اليافعي (عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م):
- ٣٣٢. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح خليل المنصور، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط١، ١٩٩٧م.
- اليزيدي (محمد بن العباس بن محمد ت ٣١٠هـ/٩٢٣م):
- ٣٣٣. الأمالي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط١، ١٩٣٨م.
- ابن أبي يعلى (محمد بن محمد ت ٥٢٦هـ/١١٣١م):
- ٣٣٤. طبقات الحنابلة، تح محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- العليمي (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م):
- ٣٣٥. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح عدنان نباتة، مكتبة دنديس، عمان، د.ت.
- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٣هـ/ ٨٠٠م):
- ٣٣٦. الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.
- اليوسي (الحسن بن مسعود بن محمد ت ١١٠٢هـ/١٦٩٠م):
- ٣٣٧. المحاضرات في الأدب واللغة، تح محمد حجي وأحمد إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

قائمة المراجع

حرف الألف

- أبو اسحق (رفائيل):
 ١. أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠م.
 - أمين (أحمد):
 ٢. ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
 - أمين (حسين):
 ٣. تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م.
 - إقبال (عباس):
 ٤. تاريخ إيران بعد الإسلام، تر محمد منصور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩م.
 ٥. الوزارة في عهد السلاجقة، تر حمد حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

حرف الباء

- الباباني (اسماعيل):
 ٦. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
 - بدوي (عبد الرحمن):
 ٧. مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٧م.
 - برجاوي (سعيد):
 ٨. الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
 - برو (توفيق):
 ٩. تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠١م.
 - البستاني (بطرس):
 ١٠. أدباء العرب في الأعصر العباسية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م.
 - بينز (نورمان):
 ١١. الامبراطورية البيزنطية، تر حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٠م.

حرف الجيم

- علي (جواد):
 ١٢. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت، ج٤، ٢٠٠١م.

- أبو جيب (سعدى):
١٣. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م.

حرف الحاء

- حتي (فيليب):
١٤. تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٩١م.
- حسن (إبراهيم حسن):
١٥. تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط١٤، ١٩٩٦م.
- ١٦. النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
- حسن (زكي):
١٧. الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٠م.
- حسنين (عبد النعيم):
١٨. إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
- ١٩. دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

حرف الخاء

- الخطيب (مصطفى):
٢٠. معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الخيون (رشيد):
٢١. الأديان والمذاهب في العراق، دار الجمل، بغداد، ٢٠٠٣م.

حرف الدال

- الدوري (عبد العزيز):
٢٢. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، البصرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٢٣. تاريخ العراق الاقتصادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.
- دوزي (رينهارت):
٢٤. تكلمة المعاجم العربية، تر محمد النعيمي، وزارة الثقافة، العراق، ط١، ٢٠٠٠م.
- ديمانند (م.س):
٢٥. الفنون الإسلامية، تر أحمد عيسى، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- ديورانت (ول):

٢٦. قصة الحضارة، تر زكي محمود، دار الجيل، بيروت، د.ت.

حرف الراء

- الرياصي (مفتاح):

٢٧. المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، الإدارة العامة للمطبوعات والمنشورات، القاهرة، ٢٠١٠م.

حرف الزاي

- الزهراني (محمد) :

٢٨. نظام الوزارة في الدولة العباسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

- الزركلي (خير الدين):

٢٩. الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

حرف السين

- السلومي (عبد الله):

٣٠. ديوان الجند، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م.

- سليمان (محمد) :

٣١. من أخلاق العلماء، دار الشعب، القاهرة، د.ت.

حرف الشين

- شبارو (عصام) :

٣٢. السلاطين في المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م.

- الشجاع (عبد الرحمن):

٣٣. تاريخ اليمن في الإسلام، دار الإحسان، صنعاء، ط٨، ٢٠١٣م.

- سعادة (صفية) :

٣٤. تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج، بغداد، ط١، ١٩٨٨.

حرف الصاد

- الصوري (وليم):
٣٥. تاريخ الحروب الصليبية، تر حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

حرف الضاد

- ضيف (شوقي):
٣٦. تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

حرف الطاء

- طقوش (محمد):
٣٧. تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط٧، ٢٠٠٩م.
٣٨. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
٣٩. تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م.

حرف العين

- عاشور (سعيد):
٤٠. الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- العاملي (زينب):
٤١. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٨٩٤م.
- العجلوني (اسماعيل):
٤٢. كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت .
- عطية (أحمد):
٤٣. الفكر السياسي والأخلاقي عند العامري ، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م.
- علي (وفاء):
٤٤. الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- عمر (أحمد):
٤٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- عواد (كوركيس):

٤٦. خزائن الكتب القديمة في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.

حرف الفاء

- الفاخوري (حنا):

٤٧. الجامع في الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- فنيه (جان) :

٤٨. أحوال النصارى في خلافة بني العباس، تر حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

حرف الكاف

- كحالة (عمر):

٤٩. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

٥٠. معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

حرف اللام

- لسترنج (كي):

٥١. بلدان الخلافة، تر بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

حرف الميم

- ماهر (سعاد):

٥٢. الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

- مجموعة من الباحثين:

٥٣. الموسوعة الإسلامية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.

- محفوظ (محمد) :

٥٤. تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

- المشهداني (محمد) :

٥٥. المقتفي لأمر الله، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ط١، ١٩٩٠.

- مصطفى (أحمد):

٥٦. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٠٨٥م.
- المطوي (محمد) :
٥٧. الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.
- معروف (ناجي):
٥٨. نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، ١٩٦٦م.
- مهران (محمد):
٥٩. دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ت.

حرف النون

- الندوي (علي) :
٦٠. رجال الفكر في الإسلام ، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ٢٠٠٧م.
- نويهض(عادل):
٦١. معجم المفسرين، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

حرف الهاء

- هاميلتون (جب) :
٦٢. صلاح الدين الأيوبي، تر يوسف أيّيش، دار بيسان، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م .

❖ المجلات والدوريات والرسائل العلمية

- سلمان (حمود):
٦٣. علاقة الخليفة المسترشد بالسلطنة السلجوقية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، عدد ٣، ص٢٠١٠م.
- عبد اللطيف (صفا) :
٦٤. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق إبان عهد السلاجقة، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، السودان، ٢٠١٧م.
- العزايزة (وجدان):
٦٥. المرأة في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٤م.
- العزوي(عباس):
٦٦. التذكرة الحمدونية، مجلة العرب، دار اليمامة، الرياض، ج١، ١٩٨٠م.

- عسيري (مريزن) :
٦٧. الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ،
جامعة أم القرى، ١٩٨٥م.
- المعلوف (إسكندر) :
٦٨. التذكرة الحمدونية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٢٤م.

Abstract

The Hamdouni Tazkarh , one of the most comprehensive encyclopedic sources in the history of Arabs and Islam, belongs to lecture literature, which concern with literature, science, history, religion, jurisprudence, philosophy and most of the arts of life. Also it's distinguished by plenty of science of the author and his objectivity of writing, especially, he lived in very important period of history, that he experienced the Seljuk control of Caliphate and Abbasid Caliphates and the whole country in addition to The external Covetousness (the Frankish invasion of Bilad al-Sham), the disruption of security in the society, and the control of the slave-women of the palaces, on the important decisions of the highest levels.

In this rich age, which is advanced at the level of science , schools and the libraries, Abu al-Maali, the owner of the Tazkarh , lived and took the highest positions, and was acquainted with the secrets of the state, and conspiracies against them, and read history books, literature, poetry, jurisprudence and interpretation ... etc. What he heard from oral accounts and personal observations, if added to his own abilities, which made him, the perfect person to write down this ticket, including the various sciences, literature, history (political, social and economic) and previous knowledge, came a comprehensive scientific encyclopedia enjoyable.

Al Tazkarh , almost came complete, with the exception of the last two sections, was in forty-eight sections, which included all science and knowledge, and contributed to the stabilization and codification of many and novels and poems that were overlooked by other sources. The reader can create a large cultural repertoire, making it a reference in various sciences. Hence the importance of this research. It highlights them, and shows the sources and resources on which Ibn Hamdoun relied, and his approach to writing, especially in the transfer of novels, at various levels.

**Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty Of Literatures And Human Sciences
Department of History**



**Study of Ibn Hamdoun's resources in his book
AL-TAZKIRA AL-HAMDUNIYYAH
(٤٩٥-٥٦٢ H/١١٠١-١١٦٦ G)**

**A dissertation submitted in fulfillment of the
requirement for the degree of Ph.D in History of the
Arabs and Islam.**

prepared By:

Karim Ali Saad

Supervision By:

Dr.: Ektemal Ismail

١٤٤١H/ ٢٠١٩G